مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م١٠، ص ص ١-٣٧٦ بالعربية، ص ص ١-٣٤ بالإنجليزية (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩

مجلة
جامعة الملك عبد العزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ١٠

١٤١٧هـ
١٩٩٧م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبد العزيز
جدة

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز: الآداب والعلوم الإنسانية، م ١٠، ص ص ١ - ٣٧٦ بالعربية، ص ص ١ - ٣٤ بالإنجليزية (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩
رقم الإيداع ١٤/٠٢٩٤

مجلة
جامعة الملك عبدالعزيز
الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ١٠

١٤١٧هـ

١٩٩٧م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبدالعزيز
ص.ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

المحتـــــويات

« القســـم العـــربي »

صفحة

■ آثـــــار

● نقوش عربية شمالية من الحَرَّة الأردنية .
سلطان عبد الله المعاني ٣

■ اجتمـــــاع

● الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن - دراسة ميدانية للواء عي .
سليم القيسي و أحمد العموش ٢٥

■ إعـــــلام

● الرؤيا العربية للدور الأمريكي في قضية السلام العربي - الإسرائيلي - قراءة تحليلية في صحيفتي « عكاظ » السعودية و « الأهرام » القاهرية .
غازي زين عوض الله ٧٥

● أنماط التدخل الوالدي في تعرض الأبناء للتليفزيون - دراسة عبر ثقافية .
عارف عطاري ١٠٥

■ جغـــرافيــــا

● دور الصناعات البتركيماوية في التنمية الإقليمية في كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية - دراسة تقويمية لتجربة مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين في ضوء نظرية قطب النمو .
محمد عبد الحميد مشخص ١٤٣

- نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة التيسية ، منطقة حائل الإدارية : دراسة في الجغرافيا الاقتصادية عن التغير في استغلال الموارد ونظام الترحل في وظيفة الرعي البدوي .

محمد عبد الكريم علي حبيب ١٨٩

■ دراســـات إسلاميــة

- بشارات من النبي صلى اللّه عليه وسلم - رؤية تاريخية للمستقبل (١١هـ - ٣٥هـ) .

فوزي محمد ساعاتي ٢٦١

- تخصيص أحد الوحيين بالآخر عند الأصوليين بين المانعين والمجوزين .

علي بن سعد الضويحي ٣١٧

﴿ القســـم الإنجلـــيزي ﴾

■ لغــــة

- أفريقيا والأفريقيون في رواية هاريت بيتشر ستو حجرة العم توم (المستخلص العربي) .

عمر عبد اللّه باقبص ٢١

- تحليل مقارن للتراكيب اللغويه للتلطف بين لهجتين عربيتين (المستخلص العربي) .

نهى سليمان داود الشرفا ٣٤

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية

عام

● مجلة سنوية تصدرها الجامعة في مجالات الآداب والعلوم الإنسانية وينشرها مركز النشر العلمي بالجامعة . يُقبل للنشر فيها البحوث المبتكرة ، مقالات المراجعة ، خطابات إلى المحرر ، وعرض الكتب . ترسل المواد إلى :

رئيس هيئة التحرير - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبد العزيز - ص . ب ٩٠٣٢ جدة ٢١٤١٣ - المملكة العربية السعودية

● لا تنشر المواد إلا بعد التحكيم ● المواد المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها أو مقدمة للنشر في جهة أخرى ، وإذا قبلت للنشر ، لا يسمح بنشرها بنفس الشكل وبأية لغة في أية جهة أخرى إلا بتصريح كتابي من رئيس هيئة التحرير

التقديم للنشر

● تقدم المواد من أصل وصورتين باللغة العربية أو الإنجليزية منسوخة على الآلة الكاتبة على مسافتين وعلى وجه واحد فقط ، وعلى ورق مقاس A4 ، مع ترك بوصة لكل هامش ، مرقمة ترقيما مسلسلا بما في ذلك الأشكال والجداول ● يشترط أن تقدم المستخلصات ، والهوامش ، والجداول ، والتعليق على الأشكال والمراجع في صفحات مستقلة

الكتابة

● يبوب المقال على النحو التالي :

١ - عنوان المقال ويكون مختصرا ومعبرا عن مضمون المقال . ٢ - اسم المؤلف (المؤلفين) . ٣ - عنوان المؤلف (أو المؤلفين بنفس الترتيب) . ٤ - المستخلص لايتجاوز مائتي كلمة . ٥ - المتن : ويُقسم إلى عناوين رئيسة محددة وفق المنهج البحثي المتبع (على سبيل المثال ، المقدمة ، التجارب ، النتائج ، المناقشة ، الاستنتاجات ، المراجع ، الملاحق) ، مع مراعاة أن تكون العناوين الفرعية ذات المستوى الواحد مكتوبة بالطريقة نفسها

● يكون لكل بحث مستخلصان أحدهما بالعربية والآخر بالانجليزية ، ويتبع في كتابتهما القواعد الدولية لكتابة المستخلصات على ألا يتجاوز عدد كلمات أي منهما ٢٠٠ كلمة ، يراعى أن يتضمن المستخلص أهم الحقائق والاستنتاجات ، وأن يكون مستقلا بذاته ويغني عن قراءة المقال ● يستخدم النظام المتري والاختصارات المقننة (SI) ● التذييلات : تكون مرقمة ترقيما مسلسلاً خلال المتن وعند الإشارة إلى مرجع للمرة الأولى يكتب كاملا على أن يكون المدخل بالاسم الأول متبوعاً باسم العائلة . عند تكرار الإشارة إلى المرجع نفسه تستخدم اصطلاحات الإحالة المقننة . لايغني ذكر المراجع كاملة في التذييلات عن إعداد مراجع كاملة في نهاية المتن ● يجوز أن يستخدم المؤلف ، بدلاً من التذييلات ، نظام اسم/تاريخ/صفحة في المتن ، وعليه في هذه الحالة مراعاة القواعد المتبعة في هذا المنهج ● المراجع : ترتب هجائياً حسب اسم عائلة المؤلف ، تكون جميع العناصر البليوجرافية للمرجع كاملة ، مع اتباع القواعد الدولية لكتابتها ، تكتب جميع أسماء المؤلفين ، ولا يقبل «وآخرون» . يجب التأكد من أن جميع المراجع الواردة بالمتن مذكورة بالقائمة ، كما أنه يجب ألا تكون هناك مراجع بالقائمة لم يشر إليها في المتن

الجداول

● ترقم الجداول ترقيما مسلسلاً خلال المتن ، ويكون لكل منها عنوانه أعلى الجدول ، ومصدره أسفله . ● تحدد أماكن الجداول في هامش المتن ● يراعي تنسيق كتابة الأرقام تحت بعضها البعض

الأشكال

● تقدم في علاقة منفصلة مع مراعاة عدم طيها ● يشار إلى مواضع الأشكال في هامش المتن أو لصق صورة منها في أماكنها المحددة بالمتن ● تقدم الأشكال الخطية مرسومة بالحبر الصيني على ورق كلك أو لماع مقاس ١٢×١٨ سم أو أضعافه أو أنصافه ، مع مراعاة سمك الحروف والرموز والخطوط ● تقدم الصور الظلية (الفوتوغرافية) من نسخ أصلية مطبوعة على ورق لماع مقاس ١٣×١٨ سم أو أضعافه أو أنصافه ● لاتقبل الصور الملونة إلا إذا كان للون دلالة علمية

تجارب الطبع

● يراجع المؤلف تجربتي الطبع الأولى (سلخ) والثانية (صفحات) ، على ألا تستغرق المراجعة أكثر من ٧٢ ساعة ● ولا يجوز له الإضافة أو الحذف أو التعديل وخاصة على التجربة الصفحات .

المستلات

● يحصل مؤلف (مؤلفو) كل بحث على ٥٠ مستلة من كل بحث بدون مقابل ● يتحمل المؤلف (المؤلفون) بتكاليف مازاد على ذلك طبقا لما يقرره المركز ، وعلى المؤلف (المؤلفين) طلب المستلات الإضافية قبل الإحالة للطبع ويكون السداد مقدما .

بسم الله الرحمن الرحيم

الاشتراك السنوي

- داخل المملكة ٥ ريالات سعودية
- خارج المملكة ٥ دولارات أمريكية

البيع والاشتراك

سركز النشر العلمي - جامعة الملك عبد العزيز

ص. ب. ١٥٤٠ - جـدة ٢١٤٤١ - المملكة العربية السعودية

التبادل

عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك عبد العزيز

ص. ب. ٣٧١١ - جـدة ٢١٤٨١ - المملكة العربية السعودية

مطابع جامعة الملك عبد العزيز

آثـــــــار

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١٠ ، ص ص ٣-٢١ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)

نقـــوش عربيـــة شماليـــة من الحَـــرَّة الأردنيـــة

سلطان عبد الله المعاني

أستاذ مشارك في الكتابات الساميَّة القديمة

قسم الآثار ، جامعة مؤتـة ، الأردن

المستخلص . يدرس هذا البحث عشرة نقوش صفوية جديدة من الحرة الأردنية الشمالية في محافظة المفرق ، وقد تمّ تفريغها ، ونقحرتها وترجمتها ، وتحليلها وفق النهج المتبع عند الدارسين في هذه النوعية من النقوش ، فتمَّ تتبع المفردة في أسفار النقوش الصفوية المنشورة ، ومقابلتها بنظائرها من النقوش العربية المسندية ، وكتابات العرب من الفرع الآرامي : النبطية والتدمرية والحضرية .

وقد ضم هذا البحث اثنين وعشرين اسمًا ، بينها مفردات يندر وجودها في النقوش الصفوية ، وهي : ف ر ج (نقش ٣) ، ل ج ي (نقش ٨) ، ن ح ر (نقش ٨) ، بينما برزت خمسة أسماء جديدة في المجموعة ، وهي : أ ن هـ ل (نقش ١) ، ن هـ ل (نقش ٧) ، ب ج ر (نقش ٧) ، أ ص ي ر (نقش ٩) . وقد وردت تسمية جديدة للناقة ، لم تظهر في نقوش سابقة ، وهي : س ل (نقش ٢) .*

* وصلت إليَّ هذه المجموعة من النقوش من مفتش الآثار الميدانية في محافظة المفرق السيد عبد القادر الحصان ، والذي عثر عليها أثناء مسوحاته في الجزء الشرقي من محافظة المفرق ، وقد تكرم بتزويدي بعدد من صور النقوش ، والتي من ضمنها هذه المجموعة لأتمكن من دراستها ، وذلك ضمن الكتب الرسمية التي حصل عليها الباحث من مدير عام دائرة الآثار العامة الأردنية الدكتور غازي بيشه ، ومساعده السيد فيصل القضاة ، للتمكن من دراسة النقوش العربية الشمالية الموجودة في متحف آثار محافظة المفرق ، واغتنم هذه الفرصة لأتقدم إليهم جميعًا بخالص الشكر والتقدير .

مجموعة النقوش

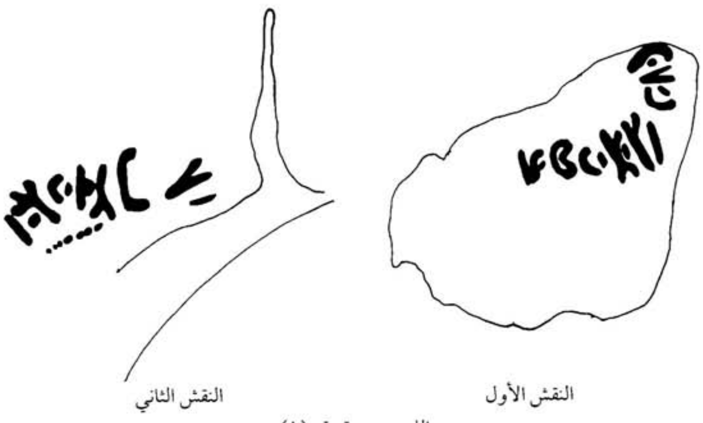
النقش الأول : ل غ ن م ل ن أ ن هـ ل ب ن س ن م .

« بواسطة غانم بن أ ن هـ ل بن سنام » (لوحة ١، صورة ١) .

كتب هذا النقش من اليسار إلى اليمين، باتجاه الأعلى، وقد كشطت الأحرف على الصخرة البازلتية كشطًا معرضًا ومسطحًا، بواسطة عملية الطرق المتتابع . ويحتوي النقش على خمسة عشر حرفًا واضحًا، شكلت أسماء ثلاثة أشخاص تفصلها كلمة بن مرتين . وقد جاءت حروف النقش واضحة مما سهل عملية القراءة .

الكلمة غ ن م اسم علم بسيط له شواهد عديدة في النقوش الصفوية[١] ، وقد سمت العرب غانما وغنما وغنّاما ويغنم وغنيما[٢] ، ولعل الاسم في النقش اسم الفاعل من الغُنم، وهو غانم . وهو اسم معروف في الثمودية[٣] ، والقتبانية[٤] ، والنبطية[٥] ، والتدمرية[٦] .

أما اسم العلم أ ن هـ ل، فعلى صيغة أفعل، من الفعل نهل « شرب »، والنهل «أول الشرب »[٧] ، وهو بصيغته هذه جديد في الصفوية، غير أنه يرد باللاحقة تاء في نقش صفوي وحيد[٨] . ويرد في الصفوية الفعل ن هـ ل على صيغة الماضي المجرد بمعنى



النقش الثاني　　　　النقش الأول

اللوحـــة رقم (١)



صورة (١) . صورة النقش الأول .

« سقى ، ورد الماء »[٩] . وأنهال اسم يرد في العربية اسمًا مؤنثًا ، صيغة جمع نهل[١٠] .

واسم العلم الأخير في النقش س ن م ، اسم شخص على وزن فعل ، ورد في الصفوية[١١] ، والثمودية[١٢] ، ويضارع سنام في العربية[١٣] ، وهو من سنم ، وسَنِم الشيء : ارتفع على وجه الأرض كالسنام ، فهو سنم ، والسنام من كل شيء أعلاه ، والسنام من القوم شريفهم ، ويقال سنام الرجل : عُلُوُّهُ وشوكته[١٤] .

النقش الثاني : ل ع ذ ب ن د هـ ر [هـ] س ل

« الناقة لعوذ بن دهر » (لوحة ١ ، صورة ٢)

كتب هذا النقش القصير من اليسار إلى اليمين ، على صخرة بازلتية ، بواسطة الطرق على الحجر ، فجاءت الأحرف عريضة نسبيًا وواضحة ، مما جعل القراءة المعطاة قراءة حسنة .



صورة (٢) . صورة النقش الثاني .

يحتوي النقش على عشرة أحرف شكلت اسمي شخصين تفصلهما كلمة بن ، إضافة إلى مفردة جديدة ، ترد في الصفاوية للمرة الأولى . ويرافق النقش رسمًا للنقاط السبع ، التي ترافق النقوش الصفوية مرارًا .

الاسم الأول في النقش ع ذ ، وهو اسم علم بسيط على وزن فعل ، وهو صيغة من عوذ ، ورد عشرات المرات في النقوش الصفوية[١٥] ، وهو من الجذر عوذ « طلب ملاذا وملجأ »[١٦] ، وجاء الاسم ع ذ في كل من اللحيانية[١٧] ، والثمودية[١٨] ، وهو في النبطية ع و د[١٩] ، وفي التدمرية ع و د و[٢٠] .

أما اسم د هـ ر فهو من الأسماء التي ترد في النقوش الصفوية[٢١] ، من دون سواها من النقوش العربية الشمالية والجنوبية الأخرى ، بينما نجد في المصادر العربية من تسمى بهذا الاسم[٢٢] . وهو من الجذر دهر ، والدهر مدة الحياة الدنيا كلها ، أو الزمان الطويل ، أو النازلة[٢٣] .

س ل : لعل كاتب النقش قد أغفل كتابة أداة التعريف لهذه المفردة الجديدة ، إن صحت قراءة الحرفين الأخيرين منه ، واللذان يبتعدان قليلاً عن باقي حروف النقش ،

وس ل من سليل : وهو ما تضعه الناقة ساعة الوضع ، ذكرًا كان أم أنثى ، والسَّلَّة : الناقة سقطت أسنانها من الهرم[٢٤] .

النقش الثالث : ل ف رج ب ن و ق س

« بواسطة فرج بن و ق س » (لوحة ٢، صورة ٣)

كتب هذا النقش القصير فوق حجر بازلتي ، مسطح ، سهل عملية النقش عليه ، وقد كتب النص من اليسار إلى اليمين بواسطة أداة ذات رأس مدبب معرض ، عن طريق الطرق المتتابع ، وقد بدت أحرف النقش واضحة ، وقد جاء لفظ البنوة ، الذي يتوسط النقش ، داخل دائرة حرف الجيم في كلمة فرج ، وهو أسلوب قل ظهوره في النقوش الصفوية ، كما نخال ، ولست أرى تفسيرًا خاصًا لهذه الظاهرة .

اسم العلم الأول ف ر ج يرد في نقوش صفوية قليلة[٢٥] ، ويضارع فرج[٢٦] ، وفارج ، وفروج[٢٧] في العربية . كما يرد في النقوش النبطية اسم ف ر ج و[٢٨] . ومن الناحية الاشتقاقية فإن فرج في العربية تعني السعة ، ويقال فرَّج اللّه الغم : كشفه[٢٩] .

أما الاسم الثاني فهو و ق س ، وهو من الأسماء التي توردها النقوش الصفوية[٣٠] دون سواه من الكتابات العربية الشمالية والجنوبية النقشية . والوقس في العربية « أول



النقش الرابع



النقش الثالث

اللوحـــــة رقم (٢)



صورة (٣) . صورة النقش الثالث .

الجرب قبل انتشاره في البدن »[٣١] ، ولعل لفظه وقّاس ، قياسًا على وقّاص ، الذي يقربه لفظًا ، أو واقس على صيغة اسم الفاعل .

النقش الرابع : ل ز د ب ن و د م ب ن ج ر م ا ل

« بواسطة زيد بن ودم بن جرم إيل » (لوحة ٢، صورة ٤) :

كتب هذا النقش القصير على حجر بازلتي ، في ثلاثة أسطر قصيرة وفق طريقة المحراث من رأس الحجر في زاويته اليسرى باتجاه اليمين ، ثم ينثني في سطره الثاني يسارًا فيمينًا باتجاه الأسفل في الحرفين الأخيرين من النقش ، وقد حتّمت طبيعة الحجر على النقاش استغلال المساحة الجانبية الملساء ، التي استغلها بواسطة الطرق برأس مدبب ، فجاء الحرف ، رغم قصره وهشاشته معرضًا وواضحًا ، مما سهل القراءة ، وجعلها مؤكدة .

الكلمة الأولى **ز د** اسم علم بسيط ، يرد في النقوش الصفوية[٣٢] ، وهو صيغة من ز ي د ، والذي تظهر شواهده في الثمودية[٣٣] ، و اللحيانية[٣٤] ، والعربية الجنوبية[٣٥] ، وهو في النبطية ز ي د ، و ز ي د و[٣٦] ، وهو من الأسماء التي ترد في مصادر العرب



صورة (٤) . صورة النقش الرابع

بكثرة[٣٧] ، وزيد مصدر زاد الشيء يزيد زيداً[٣٨] .

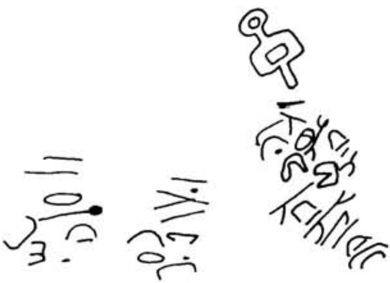
واسم العلم الثاني و د م اسم كثير الورود في النقوش الصفوية[٣٩] ، وقد جاء في عدد من النقوش العربية الجنوبية[٤٠] . وقد ورد الاسم في الصفوية مركبًا مع اسم لإله : و د م ا ل[٤١] ، ولعله مشتق من أدم[٤٢] ، بمعنى « أصلح بين ، وألف »[٤٣] . وقد يحاكي اسم ودْم في العربية[٤٤] ، بيد أن ليتمان يقابل بين الاسم في النقوش وبين وذم في العربية[٤٥] ، ومنه بني وذم من تغلب ، والوذمة : كل سير مستقيم ، أو قطعة أدم مستطيلة[٤٦] .

وكلمة ج ر م ا ل اسم علم مركب من جرم « كسب وجني »[٤٧] ، واسم الإله إيل[٤٨] ، وقد ورد في عدد من النقوش الصفوية[٤٩] .

النقش الخامس : ل س و ا ب ن ن س م

« بواسطة س و أ بن نسيم » (لوحة ٣، صورة ٥)

هذا النقش هو أحد أربعة نقوش قصيرة ، حفرت على صخرة بازلتية غير منتظمة



النقوش : الخامس والسادس والسابع و الثامن



النقشان : التاسع والعاشر

اللوحـــــة رقم (٣)



صورة (٥) . صور النقوش : الخامس ، والسادس ، والسابع ، والثامن .

السطح ، وقد تعرضت لعملية تهشيم ، فانقسمت إلى أكثر من جزء ، ولكن هذا لم يطمس من حروف النقوش شيئًا . ويظهر إلى يسار النقشين الأولين رسم نُقشَ بغير أداة كتابة النقوش على الحجر ، ولعله يمثل رسمًا مجردًا ، غير متقن لشخص ما ، أو لعله يمثل أحد الوسوم .

كتب النقش الأول فوق نقوش الحجر على وجهه العلوي من جهة اليمين، باتجاه اليسار إلى اليمين، وانحنى بحرفه الأخير بالاتجاه الآخر، وقد كتبت الحروف بحجم طبعي، بواسطة عملية الحز غير عميق الغور، ولكن بأحرف و اضحة مقروءة.

س و ا اسم يرد مرارًا في النقوش الصفوية[٥٠]، وقد اشتق منه اسم س و أ ت[٥١]، و س و أ ل في الصفوية[٥٢]. ويرد في المصادر العربية اسم يقابل الاسم الوارد في النقش وهو سَوَاء[٥٣]، ومن الأسماء العربية أيضًا سُواءة، على وزن فُعالة من قولهم: سؤته أسوءه مساءة[٥٤]، والسواء الخلة القبيحة[٥٥].

أما الاسم الثاني **ن س م** فيرد في النقوش الصفوية[٥٦]، والعربية الجنوبية[٥٧]، وهو في المصادر العربية نسيم[٥٨]، والنسيم الريح اللينة لا تحرك شجراً ولا تعفي أثرًا، والنسيم القوة والصلابة[٥٩].

النقش السادس: ل ب ع م هـ ب ن هـ ل ل ب ن ر ب ن

« بواسطة ب ع م هـ بن هلال بن ربان » (لوحة ٣، صورة ٥)

كتب هذا النقش على نفس الصخرة الصغيرة أسفل النقش السابق وبنفس الاتجاه، مع ميلان نحو الأسفل باتجاه اليمين، وقد كتبت الأحرف بيد النقاش ذاته، الذي خط حروف النقوش جميعها على الحجر، وقد بدت و اضحة مقروءة، فجاءت القراءة أعلاه مؤكدة.

اسم العلم **ب ع م هـ** اسم شخص ورد في عدة نقوش صفوية[٦٠]، وأظنه اسم علم مركب من أجزاء ثلاثة: حرف الجر الباء، كسابقة لاسم الإله العربي الجنوبي عم، واللاحقة هاء، ضمير المفرد المذكر الغائب، وتقدير معناه « محفوظ بالإله عم »[٦١].

واسم العلم الثاني **هـ ل ل** اسم شخص يرد في نقوش صفوية قليلة[٦٢]، كما يرد في النقوش اللحيانية[٦٣]، والقتبانية[٦٤]، وهو مما تورده المصادر العربية باسم هلال[٦٥]، ويذكر ابن دريد في اشتقاق الاسم أن هلالاً مشتق من أشياء: إما من هلال السماء المعروف، أو الهلال السنان الذي له شعبتان يصطاد به الوحش. والهلال: الماء القليل في أسفل الركى أو الغدير، والهلال: ضرب من الحيات، والهلال: الرحى إذا انكسر بعضها[٦٦].

والاسم الثالث ر ب ن اسم علم يرد عشرات المرات في النقوش الصفوية[٦٧]، وهو يقابل اسم ربان في العربية الفصحى[٦٨]، من ربن، وربّان هو أول الشباب[٦٩]. ويرد الاسم في النقوش الثمودية[٧٠]، والقتبانية[٧١].

النقش السابع : ل ن هـ ل ب ن ب ج ر

« بواسطة ناهل بن بجر » (لوحة ٣، صورة ٥)

كتب هذا النقش على واجهة الصخرة الجانبية اليمنى، في الجزء المكسور، الذي ضم النقشين السابقين، وقد كانت حروف النقش التي تتجه من اليسار باتجاه اليمين ثم بحرفيه الأخيرين من اليمين إلى الشمال، واضحة نسبيًا، مما جعل عملية القراءة مرضية.

اسم العلم **ن هـ ل** اسم بسيط، يرد للمرة الأولى في النقوش الصفوية، كما نحسب، ويرد اسم أنهل في النقش الأول، كمشتق من جذر الاسم على صيغة أفعل، ونهل في العربية قبيلة تسكن الكوفة[٧٢]، ويرد في جمهرة النسب اسم الشخص ناهل[٧٣]، وقد جاء ذكر الاسم في النقوش الثمودية[٧٤].

والكلمة **ب ج ر** اسم علم بسيط على وزن فعل، يرد في الصفوية للمرة الأولى، بينما نجد مشتقات جذره في عدد من الأسماء التي تضمنتها النقوش الصفوية مثل: أ ب ج ر، و ب ج ر ة، و ب ج ر ي وغيرها[٧٥]. ويرد الاسم ب ج ر في النقوش الثمودية أيضًا[٧٦]. والجذر بجر في معاجم العربية يعني: « عظم البطن »، وتقول العرب بجر عن الأمر: استرخى وتثاقل، فهو بجر، وهو أبجر وهي بجراء[٧٧].

النقش الثامن : ل ل ج ي ب ن ن ح ر

« بواسطة ل ج ي بن ناحر » (لوحة ٣، صورة ٥)

كتب هذا النقش القصير في جزء الصخرة المكسور، والتي ضمت النقوش الثلاثة السابقة، وكتب كسابقه على الواجهة اليمنى للصخرة من اليسار نحو اليمين بخط مائل إلى الأسفل، وقد جاءت الحروف واضحة مقروءة، مما سهل عملية القراءة، وجعل منها قراءة مؤكدة.

اسم العلم **ل ج ي** اسم بسيط، جاء وروده في أسفار النقوش الصفوية المنشورة

نادراً[٧٧] ، ويرد في مصادر الإخباريين العرب اسم لجا[٧٩] . ولجأ إلى فلان في اللغة : استند إليه واعتضد به ، واللجأ : المعقل و الملاذ[٨٠] .

واسم العلم الثاني **ن ح ر** اسم علم بسيط ، يندر وجوده في النقوش الصفوية[٨١] ، ولعله يقابل اسم ناحر في العربية الفصحى[٨٢] ، وهو مشتق من النحر : الذبح ، وناحره قاتله[٨٣] ، وناحر صيغة اسم الفاعل من نحر .

النقش التاسع : ل أ ص ي ر ب ن أ ص هـ ب

« بواسطة أصير بن أصهب » (لوحة ٣، صورة ٦)

كتب هذا النقش والنقش الذي يتلوه على صخرة بازلتية ، ذات سطح مستو ، مناسب للكتابة عليه ، ويظهر على حجر صخري يعلو هذا الحجر بقايا حروف نقش صفوي غير واضح البتة ، ومحاولة قراءته جزافية ، فآثرت عدم درجه في هذه المجموعة .

النقش مكتوب من اليسار إلى اليمين ، بحروف واضحة وكبيرة نسبيًا ، تعكس يدا متمرسة في النقش ، وقد جاءت الحروف مقروءة متناسقة الأبعاد فيما بينها مما جعل



صورة (٦) . صورتا النقشين : التاسع والعاشر

القراءة المعطاة أكيدة .

الاسم الأول أ ص ي ر اسم علم على وزن أفعل ، يرد للمرة الأولى في النقوش الصفوية ، وأظنه صيغة من أصور ، من الفعل صور : مال واعوج[٨٤]

أما أ ص هـ ب فهو اسم شخص يرد في نقوش صفوية أخرى[٨٥] ، وهو على صيغة أفعل ، مشتق من صهب ، وقد اشتهر عند العرب اسم صهيب ، وهو تصغير أصهب ، والصهبة من ألوان الإبل : بياض يعلوه شبيه بالصفرة[٨٦] ، وأصهب من أسماء الأشخاص في كتب الأنساب العربية[٨٧] . ويرد في الثمودية اسم ص هـ ب[٨٨] ، وفي النبطية اسم ص هـ ب ن[٨٩] .

النقش العاشر : ل ح ر ب ب ن أ ص هـ ب

« بواسطة حرب بن أصهب » (لوحة ٣، صورة ٦)

كتب هذا النقش أسفل النص السابق ، من اليسار إلى اليمين ، متدرجًا نحو الأعلى قليلاً ، وقد جاءت حروفه أكبر من سابقه ، رغم تماثل رسم الحروف النسبي بينهما ، وقد بدت الأجرف سليمة وواضحة ومقروءة ، فجاءت القراءة المعطاة مؤكدة .

كلمة ح ر ب اسم علم بسيط ، ورد مرارًا في النقوش الصفوية[٩٠] ، والحرب ضد السلم ، وبه سمى الرجل لشجاعته[٩١] ، وهو مشتق إما من الحرْب أو من الحَرَب[٩٢] . وقد سمت العرب حَربا ، وحرّابا[٩٣] ، وحرُبا[٩٤] ، وقد جاء الاسم في الثمودية[٩٥] ، واللحيانية[٩٦] ، والنقوش العربية الجنوبية[٩٧] ، وهو في النبطية ح ر ب و[٩٨] .

أسمـاء الأعـلام

أ ص هـ ب : ٩، ١٠،	أ ص ي ر : ٩،	أ ن هـ ل : ١،	ب ح ر : ٧،
ب ع م هـ : ٦،	ج ر م ا ل : ٤،	ح ر ب : ١٠،	د هـ ر : ٢،
ر ب ن : ٦،	ز د : ٤،	س ن م : ٢،	س و ا : ٥،
ع ذ : ٢،	غ ن م : ١،	ف ر ج : ٣،	ل ح ي : ٨،
ن ح ر : ٨،	ن س م : ٥،	ن هـ ل : ٧،	هـ ل ل : ٦،
و د م : ٤،	و ق س : ٣		

حــروف المعــاني والمفــردات

ب ن : النقوش من ١ – ١٠

س ل : ٢

الهاء : ٢

الإحــالات والحــواشي

(١) **G. L. Harding,** (1971), *An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names Inscriptions,* Toronto, p. 458.

(٢) أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣هـ – ٣٢١هـ) (١٩٩١م)، *الاشتقاق*، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ص ١٤٠ .

(٣) **G. King,** (1990), *Early North Arabian Thamudic E. A preliminary descriptions based on a new corpus of inscriptions from the Hisma desert southern Jordan and published material,* Unpublished Ph.D. in: School of Oriental and African Studies, p. 533.

(٤) **Harding,** (1971), p. 458.

(٥) سليمان بن عبد الرحمن الذيب (١٩٩٨م)، *نقوش الحجر النبطية*، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، ص ٣٦ .

سليمان بن عبد الرحمن الذيب (١٩٩٢م)، نقوش نبطية جديدة من قارة المزاد سكاكا – الجوف، المملكة العربية السعودية، *العصــور*، م٧، جزء ٢، ص ٢١٧-٢٥٤، نق ٨ .

(٦) **J. Stark,** (1971), *Personal Names in Palmyrene Inscriptions,* Oxford, p. 106.

(٧) أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الإفريقي المصري (٧١١هـ)، *لسان العرب*، ١٥ مجلداً، بيروت، دار صادر (١٩٩٥م)، مادة نهل .

(٨) **Corpus Inscriptionum Semiticarum,** (1950), Paris, no. 1053; **Harding,** (1971), p. 51.

(٩) **CIS,** no. 4344.

(١٠) هزاع بن عيد الشمري (١٤١٠هـ)، جمهرة *أسماء النساء وأعلامهن*، دار أمية للنشر والتوزيع، ص ٦٢ .

(١١) **Harding,** (1971), p. 332.

(١٢) **King,** (1990), p. 512.

(١٣) **Caskel, W.** (1966) *Gamharat an-Nasab, das genealogische Werk des Hisham ibn Muhammad al-Kalbi,* 2 vols. Leiden, p. 510.

(١٤) ابن منظور (١٩٩٥م)، مادة سنم .

(١٥) **Harding,** (1971), p. 411.

(١٦) ابن منظور (١٩٩٥م)، مادة عوذ .

(١٧) **A. Jaussen** and **R. Savignac,** (1909-14), *Mission archaeologique en Arabie,* 2 vols., And Atlas, no. 296.

(١٨) **King,** (1990), p. 524.

(١٩) **J. Cantineau,** (1978), *Le Nabateen,* 2 vols., (Nachdruck der Ausgabe Paris 1930-32), Osnabrueck, p. 128;

A. Negev, (1991), "Personal Names in the Nabataean Realm", **QEDEM** 32, Jerusalem, Hebrew University of Jerusalem.

(٢٠) **Stark,** (1971), p. 104.

(٢١) **Harding,** (1971), p. 244.

(٢٢) **Caskel,** (1966), p. 231.

(٢٣) ابن منظور (١٩٩٥م)، مادة دهر .

(٢٤) أنور أبو سويلم (١٩٨٣م)، *الإبل في الشعر الجاهلي، دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث*، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ج٢، ص ١٥٨ .

(٢٥) **Harding,** (1971), p. 465.

(٢٦) أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (٣٥٦هـ)، *الأغاني*، ٢٠م، لايدن (١٣١٨هـ)، ج١٢، ص ١٧٥ .

(٢٧) **Caskel,** (1966), pp. 245-247.

(٢٨) **Negev,** (1991), p. 56.

(٢٩) ابن منظور (١٩٩٥م)، مادة فرج .

(٣٠) **Harding,** (1971), p. 647.

(٣١) ابن منظور (١٩٩٥م)، مادة وقس .

(٣٢) **Harding,** (1971), p. 296.

(٣٣) **King,** (1990), p. 506.

(٣٤) حسين بن علي دخيل الله أبو الحسن (١٩٩٧م)، *قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا*، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، نق ٢ .

(٣٥) **S. al-Said,** (1995), *Die Peronennamen in den minaeischen Inschriften,* Wiesbaden, Harrassowitz, p. 115.

(٣٦) **Cantineau,** (1978), p. 91; **F. Al-Khraysheh,** (1986), *Die Personennamen in den nabataeischen Inschriften des Corpus Inscriptionum Semiticarum,* (Unpublished Ph.D. Marburg), p. 73-4; **Negev,** (1991), p. 26;

الذييب (١٩٩٨م)، نق ٢١ .

(٣٧) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (١٩٨٣م)، *جمهرة أنساب العرب*، بيروت، دار الكتب العلمية، ص ٦٤٢ .

(٣٨) ابن دريد (١٩٩١م)، ص ٢٠ .

(٣٩) **Harding,** (1971), p. 638.

(٤٠) **Harding,** (1971), p. 638.

(٤١) **CIS,** no. 588.

(٤٢) **E. Littmann,** (1943), *Safaitic Inscriptions* (Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-5 and 1909, Division IV, Section C), Leiden: Brill, p. 311.

(٤٣) **ابن منظور** (١٩٩٥م)، مادة ا د م .

(٤٤) **Caskel,** (1966), p. 582;

محمد بن حبيب (١٩٦٤م)، *مختلف القبائل ومؤتلفها*، فيزبادن، ص ١٦ .

(٤٥) **Littmann,** (1943), p. 311.

(٤٦) ابن دريد (١٩٩١م)، ص ٥٤٢ .

(٤٧) **ابن منظور** (١٩٥٥م)، مادة جرم .

(٤٨) حول الاشتقاق والنظائر، انظر :

R. Hazim, (1986), *Die Safaitischen Theophoren Namen in Rahmen der Gemeinsemitischen Namengeburg*, (Unpublished Ph.D. Marburg), p. 22.

(٤٩) **Harding,** (1971), p. 159.

(٥٠) **CIS,** no. 336, 2661; **F. Winnett** and **G. L. Harding,** (1978), *Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns* (Near and Middle East Series 9), Toronto, University of Toronto Press, no. 371.

(٥١) **غازي محمد يوسف علولو** (١٩٩٦م)، *دراسة نقوش صفوية جديدة من وادي السبوع جنوب سوريا*، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك)، نق ٢١٨ .

(٥٢) **Harding,** (1971), p. 334.

(٥٣) **Caskel,** (1966), p. 511.

(٥٤) ابن دريد (١٩٩١م)، ص ٢٩٣ .

(٥٥) **ابن منظور** (١٩٩٥م)، مادة ساء .

(٥٦) **CIS,** no. 122.

(٥٧) **Harding,** (1971), p. 587.

(٥٨) **الأصبهاني** (١٣١٨هـ)، ج ١٨، ص ١٧١ .

(٥٩) **ابن منظور** (١٩٥٥م)، مادة نسيم .

(٦٠) **Harding,** (1971), p. 112.

(٦١) انظر : **علولو** (١٩٩٦م)، نق ٣٣ .

(٦٢) **CIS,** no. 858; **F. Winnett,** (1957), *Safaitic Inscriptions from Jordan* (Near and Middle East Series 2), Toronto, University of Toronto Press, p. 793.

(٦٣) **أبو الحسن** (١٩٩٧م)، نق ٢ .

(٦٤) *Repertoire d'Epigraphie Semitique,* Paris: Akademie des Inscriptions et Belles-Letteres (5 vols.), (1929-), no. 3691.

(٦٥) **Caskel,** (1966), p. 281.

(٦٦) **ابن دريد** (١٩٩١م)، ص ٦٠ .

(٦٧) **Harding,** (1971), p. 267.

(٦٨) **Caskel,** (1966), p. 474.

(٦٩) **ابن منظور** (١٩٥٥م)، مادة ربن .

(٧٠) **L. Harding** and **E. Littmann,** (1952), *Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite Kingdom of the Jordan,* Leiden: E.J. Brill, no. 406.

(٧١) **Harding,** (1971), p. 267.

(٧٢) **الأصبهاني** (١٣١٨هـ)، ج ٤ ، ص ٩٧ .

(٧٣) **Caske,** (1966), p. 443.

(٧٤) **King,** (1990), p. 556.

(٧٥) **Harding,** (1971), p. 93.

(٧٦) **King,** (1990), p. 477.

(٧٧)**ابن منظور** (١٩٩٥م)، مادة بجر .

(٧٨) **Harding,** (1971), p. 511.

(٧٩) **الأصبهاني** (١٣١٨هـ)، ج ٦ ، ص ٧٦ ؛ ج ١٦ ، ص ١١٥ .

(٨٠) **ابن منظور** (١٩٥٥م)، مادة لجأ .

(٨١) **Harding,** (1971), p. 583.

(٨٢) **الأصبهاني** (١٣١٨هـ)، ج ١ ، ص ٨ .

(٨٣) **ابن منظور** (١٩٩٥م)، مادة نحر .

(٨٤) **ابن منظور** (١٩٥٥م)، مادة صار .

(٨٥) **Harding,** (1971), p. 52.

(٨٦) **ابن دريد** (١٩٩١م)، ص ٣٣٥ .

(٨٧) **Caskel,** (1966), p. 540.

(٨٨) **King,** (1990), p. 519.

(٨٩) **Negev,** (1991), p. 56; **Al-Khraysheh,** (1986), p. 156.

(٩٠) **Harding,** (1971), p. 182.

(٩١) **ابن منظور** (١٩٩٥م)، مادة حرب .
(٩٢) **ابن دريد** (١٩٩١م)، ص ٧٥ .
(٩٣) **الأصبهاني** (١٣١٨هـ)، ج ٢، ص ٧٩؛ ج ١، ص ٨٤ .
(٩٤) **Caskel,** (1966), p. 333.
(٩٥) **سليمان بن عبد الرحمن الذييب** (١٩٩٧م)، « نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية »، *دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية*، م ٢٤، عدد ٢، ص ص ٣٥٧-٣٦٨، نق ٣ .
(٩٦) **أبو الحسن** (١٩٩٧م)، نق ٢١ .
(٩٧) **Harding,** (1971), p. 182.
(٩٨) **Negev,** (1991), p. 31.

المـــراجـــع

أولاً : المراجـــع العربيـــة

أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣هـ/ ٣٢١هـ)، *الاشتقاق*، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، (١٩٩١م) .

أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (١٣٥٦هـ)، *الأغاني*، ٢٠م، لايدن، (١٣١٨هـ) .

أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الإفريقي المصري (٧١١هـ)، *لسان العرب*، ١٠ مجلدات، بيروت، دار صادر، (١٩٥٥م) . إضافة إلى طبعة ١٩٩٥م، من نفس الدار .

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (١٩٨٣م)، جمهرة *أنساب العرب*، بيروت، دار الكتب العلمية .

أنور أبو سويلم (١٩٨٣م)، *الإبل في الشعر الجاهلي، دراسة في ضوء علم الميثولوجيا والنقد الحديث*، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر .

حسين بن علي دخيل الله أبو الحسن (١٩٩٧م)، *قراءة لكتابات لحيانية من جبل عكمة بمنطقة العلا*، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية .

سليمان بن عبد الرحمن الذييب (١٩٩٨م)، « نقوش عربية شمالية من تبحر شمال غرب المملكة العربية السعودية »، *دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية*، م ٢٤، عدد ٢، ص ٣٥٧-٣٦٨ .

غازي محمد يوسف علولو (١٩٩٦م)، *دراسة نقوش صفوية جديدة من وادي السوع جنوب سوريا* (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك) .

محمد بن حبيب (١٩٦٤م)، *مختلف القبائل ومؤتلفها*، فيزبادن .

هزاع بن عيد الشمري (١٤١٠هـ)، جمهرة *أسماء النساء وأعلامهن*، دار أمية للنشر و التوزيع .

ثانيًا : المراجـــع الأجنبيـــة

Cantineau, J. (1978) *Le Nabateen*, 2 vols. (Nachdruck der Ausgabe Paris 1930-32) Osnabrueck.

Caskel, W. (1966) *Gamharat an-Nasab, das genealogische Werk des Hisham ibn Muhammad al-Kabli*, 2 vols., Leiden.

Corpus Inscriptionum Semiticarum, Paris (1950).

Harding, L. (1971) *An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions*, Toronto.

Harding, L. and **Littmann, E.** (1952) *Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite Kingdom of the Jordan*, Leidan: E.J. Brill.

Hazim, R. (1986) *Die Safaitischen Theophoren Namen in Rahmen der Gemeinsemitischen Namengebeung*, (Unpublished Ph.D., Marburg).

Jaussen, A. and **Savignac, R.** (1909-14) *Mission archaeologique en Arabie*, 2 vols., And Atlas.

Al-Khraysheh, F. (1986) *Die Personennamen in den nabataeischen Inschriften des Corpus Inscriptionum Semiticarum*, (Unpublished Ph.D., Marburg).

King, G. (1990) *Early North Arabian Thamudic E. A Preliminary descriptions based on a new corpus of inscriptions from the Hisma desert southern Jordan and published material*, Unpublished Ph.D. in: School of Oriental and African Studies.

Littmann, E. (1943) *Safaitic Inscriptions*, (Publications of the Princeton University Archaeological Expeditions to Syria in 1904-5 and 1909, Divition IV. Section C), Leiden: Brill.

Negev, A. (1991) "Personal Names in the Nabataean Realm", *QEDEM 23*, Jerusalem, Hebrew University of Jerusalem.

Al-Said, S. (1995) *Dei Personenamen in den minaeischen Inschriften*, Wiesbaden: Harrassowitz.

Stark, J. (1971) *Personal Names in Palmyrene Inscriptions*, Oxford.

Winnett, F. (1957) *Safaitic Inscriptions from Jordan*, (Near and Middle East Series 2), Toronto: University of Toronto Press.

Winnett, F. and **Harding, L.** (1978) *Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns*, (Near and Middle East Series 9), Toronto: University of Toronto Press.

New North Arabic Inscriptions from The Harra in Jordan

SULTAN ABDULLAH MAANI
Associate Professor in Epigraphy, Department of Archaeology
Mu'tah University, Kerak – Jordan

ABSTRACT. This research deals new Safaitic inscriptions from the Harra Region to the east of Mafraq in northern Jordan.

اجتمـــاع

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١٠ ، ص ص ٢٥-٧٢ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)

الخصـــائص البنيويـــة للأســـرة في جنـــوب الأردن - دراســـة ميـــدانيـــة للـــواء عـــي

سليم القيسي و أحمد العموش
قسم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة مؤتـة ، الأردن

المستخلص . تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الخصائص البنيوية للأسرة في لواء عي في جنوب الأردن ، وتهدف إلى بيان نمط الأسرة والزواج وظاهرة تعدد الزوجات وسن الزواج والخصوبة والسلطة داخل الأسرة وطرق حل الخلافات العائلية .

لقد شملت الدراسة (٢٥٠) أسرة تضمّ بمجموعها (١٩٠٧) من الأفراد ، اختيروا على أساس العينة العشوائية ، وكانت وحدة التحليل أرباب الأسر .

ولقد بيّنت الدراسة أنّ غالبية أرباب الأسر في اللواء كانوا من الذكور ، ومن ذوي المستوى التعليمي المتدنّي ، وتتّسم الأسرة بكبر الحجم ويسود بينهم نمط الزواج الداخلي .

ولقد أظهرت الدراسة أنّ هناك تغيّرًا في الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن كتحوّل نمط الأسرة من الممتد إلى النووي ، وظهور اتجاهات إيجابية نحو الزواج الخارجي ، وتعليم البنات ، وارتفاع سن الزواج ، وتراجع سلطة الأب .

كذلك بيّنت الدراسة أنّ هناك مشكلات اجتماعية تعاني منها الأسرة

في جنوب الأردن كتعدد الزوجات ، والطلاق ، والأمية بين أرباب الأسر .

مقدمة

إنّ الدراسات التحليلية لموضوع الأسرة وسلوكياتها والتي تمّ إنجازها على المستوى العالمي والعربي والأردني قدّمت الكثير من البيانات والمفاهيم المحددة من خلال استخدام المناهج البحثية المتنوعة وخاصة المنهج الأمبريقي ، ممّا أدى إلى إغناء علم الاجتماع العائلي بكثير من المفاهيم والقضايا والنظريات إلى حدٍ ما والتي ساعدت على فهم أفضل للنظام العائلي .

ونتيجة لعملية التغير السريع الذي تشهده المجتمعات الإنسانية عامة ، ولكون المعرفة تتصف بأنها تراكمية ، فإن علم الاجتماع العائلي كغيره من الميادين العلمية بحاجة إلى الاستمرارية في إجراء الدراسات والبحوث لمواكبة التغيرات والتحولات في النظم والبنى الاجتماعية ولا سيما فيما يتعلق بموضوع الأسرة ، لذا تعدّ دراسة الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن مساهمة في رفد علم الاجتماع العائلي ببعض المعلومات ذات العلاقة بخصائص الأسرة في المجتمع الأردني وبالتحديد في جنوب الأردن وتحقيق مبدأ التواصل في إجراء الدراسات ذات العلاقة بموضوع العائلة . كون هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في جنوب الأردن .

فهذه الدراسة بمثابة مساهمة يستفيد منها الباحث الاجتماعي في مجال العائلة للتعرف على الخصائص الاجتماعية للأسرة الأردنية ، وذلك لمحاولة التعرف على أوجه الاختلاف والتشابه بين الأسرة الأردنية في جنوب الأردن والأسرة الأردنية في مواقع أخرى ضمن المجتمع الأردني مما يحقق إمكانية إجراء المقارنة بين الأسرة الأردنية في مواقع مختلفة وربما يتعدى ذلك إلى هدف أشمل وهو محاولة مقارنة الأسرة الأردنية مع الأسر العربية وحتى الأسر العالمية للإفادة والاستفادة إن أمكن ذلك .

كما تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال متابعة تطور الأسرة الأردنية في ضوء التغير الاجتماعي الذي يشهده المجتمع الأردني في كافة المجالات وانعكاس هذا التغير على البناء الأسري وكيفية تأثر الأسر بهذا التغير تبعًا لاختلاف البيئات والنظم الاجتماعية

السائدة .

إن معظم الدراسات المتعلقة بأنماط الأسرة بدأت بشكل مكثف على المستوى العالمي في حين تشهد المكتبة العربية والأردنية قلة في هذه الدراسات نتيجة لأسباب ذات علاقة بالنسق القيمي السائد والذي يعلي من ضرورة المحافظة على خصوصية الأسرة وإظهار الجوانب الإيجابية المتعلقة بها ، لذا لا بد من محاولة التخفيف من حدة هذا الحاجز المتعلق بطبيعة الأسرة من أجل فتح المجال أمام الدارسين للتعرف عن كثب على طبيعة الأسرة الأردنية والتي تعتبر نقطة البداية لأي تغير اجتماعي أو تنموي من خلال علاقتها الأساسية والفاعلة مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى والمجتمع ككل .

هناك إجماع بين العلماء والباحثين المهتمين بدراسة العائلة حول أهمية العائلة في حياة الشعوب عبر التاريخ . وتترسخ هذه الأهمية من خلال الوظائف البيولوجية والاجتماعية التي تؤديها الأسرة لأفرادها وللمجتمع ككل . ورغم التغيرات الكثيرة التي أصابت المجتمع الإنساني ، ورغم محاولة بعض أصحاب الاتجاهات المناوئة للنظام العائلي لإيجاد أشكال بديلة للأسرة وتهميش دور الأسرة إلا أن هذه المحاولات ماتت في مهدها ، أو أنها لم تستمر طويلاً ، أو أنها لم تحقق رديفًا موازيًا للنظام العائلي .

لقد أثبتت الدراسات في مجال الأسرة بما لا يدع مجالاً للشك أن الوظيفة التناسلية والتنشئة الاجتماعية للطفل بعد الولادة لا تستطيع أي وحدة اجتماعية بديلة للأسرة القيام بها . ولا شك أن المجتماعات الإنسانية تختلف فيما بينها في طبيعة وتفاصيل تلك الوظائف مما يترتب على ذلك من اختلاف في سمات الشخصية لأفراد المجتمع الواحد وحتى أطفال الأسرة الواحدة .

وتقول مارجريت ميد Margaret Mead في هذا الخصوص إن الأطفال الذين يفصلون عن أمهاتهم بعد الولادة ويوضعون في مؤسسات خاصة يتعرضون لمشاكل وأمراض عديدة رغم إحاطتهم بالرعاية الجسمية الجيدة ، ومن هذه المشاكل التأخر العقلي ، والإخفاق في تعلم الكلام ، والبلادة ، إضافة إلى فقدان الإحساس والنكوص أحيانًا(١) .

إن الأسرة كنظام اجتماعي وكمؤسسة اجتماعية اكتملت مفاهيمها عالميًا مرت وما

زالت تمر في مراحل تطورية فعرفت الأسرة أشكالاً مختلفة وخصائص متباينة حسب المجتمعات الإنسانية فمن كونها أسرة كبيرة شاملة تحولت إلى أسرة ممتدة، ثم إلى أسرة نووية، ومن كونها مشاعية من حيث الزواج تحولت إلى التعدد في الأزواج أو الزوجات حسب الحقب الزمنية حتى مرحلة الزواج الأحادي الذي غلب على الأسرة في الوقت الحالي. وتحولت الأسرة من كونها تقوم بوظائف عامة وشاملة تمس حياة الإنسان منذ ولادته وحتى تقدمه في مراحل العمر المختلفة أخذت تتحول إلى ما أسماه تالكوت بارسونز Talcot Parsons « عملية التمايز » من خلال تركيز الأسرة على وظائف محددة أساسية بسبب مشاركة المؤسسات الاجتماعية الأخرى للأسرة في أداء الكثير من وظائفها التقليدية(٢) .

ويشير ستيفن لوكس Steven Luckes إلى أنّ دوركهايم Durkheim تتبع تاريخ تطور العائلة من خلال بيان وتوضيح الخط التطوري للعائلة من القبائل غير المنتظمة حيث كانت العشيرة القائمة على النظام الأميريقي تمثل العائلة البدائية الموحدة من خلال معتقدات غامضة، ثم تطورت العائلة لتصبح أكثر تنظيماً واستقلالاً حتى ظهرت الأسر الحديثة أو ما يسمي بالأسرة الزواجية المكونة من الزوج والزوجة وأبنائهم غير المتزوجين(٣) .

وفي حين نجد أن بعض العلماء يشيرون إلى التغيرات الحديثة في أنماط الأسرة والتغير الذي طرأ على بعض الوظائف كالانهيار أو التفكك، نجد آخرين يخالفونهم في الرأي، ومن الأمثلة على التوجه الأول ما أشار إليه أوجبرن Ogburn بأن زيادة معدلات الطلاق كدليل على تفكك الأسرة مرده إلى فقدان الأسرة لبعض وظائفها، وخاصة تلك المتعلقة بالدين والتعليم والحماية(٤) . أما التوجه الثاني فمن أهم أنصاره بارسونز Parsons الذي يؤكد على استمرار أهمية الأسرة وتماسكها رغم فقدانها لبعض وظائفها والتي أصبحت تقوم بها مؤسسات أخرى(٥) . إن النظام العائلي لا يحدث في فراغ اجتماعي/ ثقافي، ولكن يتكون ويتشكل بتأثير المجتمع الذي يوجد فيه، فإنه لا بد من فهم العلاقة الترابطية بين النظام الأسري كمؤسسة اجتماعية، وبين المؤسسات الاجتماعية الأخرى حتى تتمكن من فهم حقيقي للأسرة. حيث إن السلوك الإنساني لا يمكن فهمه بمعزل عن المحيط الاجتماعي الواسع والذي يحدث ضمنه هذا السلوك

والمحركات الاجتماعية التي تقف وراء أفعال الأفراد في العائلة . إن السلوك الإنساني يختلف باختلاف المجتمعات الإنسانية ، فعلى سبيل المثال نجد أن سلوكيات الأفراد وعاداتهم وتقاليدهم ضمن جماعة بدائية تختلف بشكل كبير عن تلك الموجودة لدى الجماعات التي تعيش في المجتمعات المتحضرة أو المجتمعات النامية . كما تختلف عادات وأنماط معيشة الجماعات ضمن المجتمع الواحد ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة الأسرة كمؤسسة اجتماعية تؤثر وتتأثر في بقية المؤسسات الاجتماعية الموجودة في المجتمع .

إن المجتمع الأردني لا يختلف كثيراً عن غيره من المجتمعات الإنسانية ، فنجد أن هناك وحدة أساسية في الثقافة المادية واللامادية ، وبنفس الوقت يوجد هناك اختلاف وتباين ، ولكن هذا الاختلاف والتباين أو التشابه والانسجام لا يمكن التعرف عليه بشكل علمي ومنطقي إلاّ من خلال إجراء الدراسات السوسيولوجية والانثروبولوجية التي تميل إلى اعتماد المنهج الأمبريقي في جمع المعلومات والبيانات لإظهار مثل هذا التجانس والتشابه أو التباين والتنوع ضمن المجتمع الأردني ، وبالتالي إمكانية مقارنته مع المجتمعات الأخرى . فنجد أن الغالبية العظمى من أبناء المجتمع الأردني يتكلمون اللغة العربية ، ويدينون بالدين الإسلامي الحنيف ، ويميلون إلى نمط يكاد يكون متشابها في الملبس ولديهم ميول واتجاهات متشابهة ومختلفة . وفي حين أن هؤلاء الأفراد يتشابهون في بعض أو كثير من الأنماط الثقافية والمادية والمعنوية ، إلاّ أن اختلافهم في السلوك والاتجاهات قد يكون مثيراً للانتباه ، وهذا الاختلاف ليس فقط بسبب الاختلاف بين الأفراد والجماعات لأسباب بيولوجية - اجتماعية بل إنه يعود لاختلاف البيئة ومكان السكن والانتماء الديني والوضع الاجتماعي/ الاقتصادي ومستوى التعليم والعمر والجنس والاتصال والتواصل أو العزلة الاجتماعية عن التجمعات الحضارية المحلية والعالمية .

إن هذه الاختلافات الاجتماعية ، التي هي تحصيل حاصل لعملية التفاعل بين المؤسسات الاجتماعية المختلفة تنعكس على البناء الأسري ، فهناك أنماط عائلية كثيرة تختلف باختلاف الثقافة والبناء الاجتماعي وخاصة تلك المتعلقة باتجاهات الأفراد نحو الزواج والطلاق وحجم الأسرة وجنس المولود وغير ذلك من الخصائص الأسرية ،

ومعظم هذه الاختلافات قد لا تكون واضحة لكثير من الأفراد ، لذا لا بد من إجراء الدراسات للتعرف على مظاهر الاختلاف والتشابه من خلال التعرف على الخصائص البنيوية للعائلة في مناطق مختلفة في المجتمع الأردني . وتنطلق هذه الدراسة من وحدة في التحليل هي أرباب الأسر وتمتد إلى أفراد الأسر بقصد تحليل واقع الأسرة والمشكلات التي تواجهها في لواء عي في جنوب الأردن .

الإطار النظري والدراسات السابقة

يعد الاتجاه البنائي الوظيفي من أكثر الاتجاهات النظرية الشمولية المستخدمة في دراسة الظواهر الاجتماعية ذات العلاقة بالنظام الأسري وخاصة تلك الدراسات التي تركز على إظهار علاقة ارتباط الأسرة كمؤسسة اجتماعية بغيرها من المؤسسات الرئيسة في المجتمع الإنساني قيد الدراسة والبحث . وقد احتل هذا الاتجاه مكانًا مرموقًا في الدراسات النظرية الاجتماعية منذ بداية التركيز على اعتماد المنهج الأمبريقي في دراسة الظواهر الاجتماعية . وقد استخدم هذا الاتجاه وبرز في أعمال الرواد من علماء الاجتماع مثل دوركهايم وأوجست كونت وعلماء الاجتماع المحدثين مثل تالكوت بارسونز وميرتون وكوزر وغيرهم . حيث يؤكد أصحاب الاتجاه البنائي الوظيفي من خلال دراستهم للنظام الاجتماعي - مثل النظام الأسري أو النظام الاقتصادي - على أهمية الوحدة البنائية للنظام الاجتماعي على اعتبار أن هذا النظام يرتبط في علاقات اعتمادية تبادلية مع غيره من النظم الاجتماعية في المجتمع ، ومن خلال هذه العلاقات يؤثر النظام الاجتماعي ويتأثر بغيره من النظم ، والهدف النهائي لهذه العلاقات التكاملية التبادلية هو تدعيم استمرار وبقاء النسق الاجتماعي ككل والذي يمثله المجتمع . وعند دراسة الأسرة وفقًا للمدخل البنائي الوظيفي ، فإن التركيز ينصب على إبراز الوظائف الأساسية للأسرة و الأدوار الاجتماعية في الأسرة حسب النوع . ويعد تالكوت بارسونز من أهم العلماء في هذا المجال ، حيث أوضح أن التغيرات الحديثة في أنماط الأسرة - وخاصة تلك المتعلقة بمشاركة مؤسسات اجتماعية أخرى للأسرة في وظائفها - تدل على ضعف أو تفكك أو تراجع في دور الأسرة ، بل أكد على أن هذه المشاركة تؤدي إلى التخصص في القيام بوظائف محددة من قبَل الأسرة والمؤسسات الأخرى لإتمام عملية التنشئة الاجتماعية على أكمل وجه ، فأصبح تركيز الأسرة على

تلبية الاحتياجات العاطفية والشخصية لكل من الأطفال والبالغين(٦) . كما أكد بارسونز أهمية توزيع الأدوار حسب النوع حيث أطلق على الأدوار المتعلقة بالإناث الأدوار التغيرية المتعلقة بالرعاية والعطف والحنان والتفاعل داخل الأسرة . بينما تلك التي يقوم بها الذكور والتي عادة ما تكون حلقة وصل بين الأسرة والعالم الخارجي المحيط بها وأسماه الأدوار الوسيلية . ويرى بارسونز أن هذا الاختلاف في الأدوار يعد وظيفيًا بالنسبة للأفراد والنسق الأسري ككل(٧) .

ويهتم هذا الاتجاه النظري بإبراز أهمية العلاقة الترابطية للمؤسسات الاجتماعية دون التركيز على مؤسسة بحد ذاتها ، لذا فعند دراستنا للأسرة وخصائصها الاجتماعية ، فإننا حسب هذا الاتجاه لا بد لنا من ربط النظام الأسري بغيره من النظم الرئيسة في المجتمع الأردني .

وهكذا نجد أن الأسرة لا بد أن تتوافق مع المجتمع أو مع النظم الاجتماعية المختلفة على اعتبار أن وظائف الأسرة أو أنشطتها الداخلية ترجع دائمًا إلى وضع الأسرة في المجتمع والمؤسسات الاجتماعية الموجودة فيه .

ومن هنا يعد الاتجاه الوظيفي هو الإطار النظري الذي اعتمدت عليه دراسة الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن ، وخاصة الجوانب البنائية مثل نمط الأسرة ، و الزواج ، و الطلاق ، و الاتجاهات العامة نحو تعليم الأبناء والبنات والسلطة .

لقد أكدت كثير من الدراسات التي أجريت حول الخصائص الاجتماعية للعائلة على أهمية النظم الاجتماعية الرئيسة في المجتمع في إحداث التغيرات المختلفة في البناء الأسري . ومن هذا المنطلق أكد الدارسون على منظومة من المتغيرات الاقتصادية والسياسية والدينية والتعليمية وعلاقة هذه المتغيرات بالنظام الأسري من حيث وجود علاقات وتأثيرات تبادلية . فالأسرة في حد ذاتها تعد نظامًا مركبًا له بناؤه ووظائفه وتؤثر وتتأثر بالنظم الاجتماعية . وبالتالي فإن النظام الأسري نظام يتأثر بأي تغير يحدث في النظم الاجتماعية الأخرى ، وبالتالي فإننا سنركز على إبراز أهم المتغيرات التي أثرت على الأسرة في هذا المجال .

أكدت كثير من الدراسات على أهمية علاقة الأسرة بالنظام الاقتصادي ، حيث يؤثر

النظام الاقتصادي على بناء ووظائف الأسرة . ويوضح صفوح الأخرس في كتابه تركيب العائلة العربية ووظائفها (١٩٧٦) مجموعة من المتغيرات التي أدت إلى إحداث تغير في تركيب العائلة العربية ووظائفها ، ومن أهم هذه المتغيرات النظام الاقتصادي السائد ، كما أكد الباحث على عملية التحول الاجتماعي الإيجابي الذي يعود إلى تحرر العائلة من خلال المكتسبات والمنجزات التي حققتها المرأة العربية ، وتبني المؤسسات الاجتماعية والقانونية لدور المرأة وتعزيزه من خلال سن القوانين والتشريعات المناسبة لمثل هذه التغيرات(٨) .

كما وجد عثمان أن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية أدت إلى إحداث تغيرات في خصائص الأسرة في مدينة عمان ، وخاصة فيما يتعلق بتحول الأسرة من ممتدة إلى نووية ، ولكن هذا التحول في شكل الأسرة لم يكن مترافقًا بتحول في مجال العلاقات القرابية ، أو في النسق القيمي الذي يحكم هذه العلاقات(٩) .

في حين وجد خيري - في دراسته المميزات البنائية للأسرة النووية الأردنية في مدينة عمان - أنها تتميز بمجموعة من الخصائص منها ارتفاع المستوى الاقتصادي ومستوى التحصيل العلمي وتراوح حجم العائلة بين متوسط إلى مرتفع ، إضافة إلى استقلالية السكن وانتشار الزواج الداخلي مع وجود شبكة قوية من العلاقات التبادلية ضمن النسق القرابي للأسرة المدروسة(١٠) .

ومن ناحية أخرى أبرز إحسان الحسن تأثير الاستقلال المادي على البناء الأسري ، حيث وجد أنّ الاستقلال المادي ، الذي يعدّ نتيجة لتأثير عوامل التحضر والتصنيع أدى إلى حدوث الاكتفاء الذاتي وبالتالي قلّل من اعتماد الأفراد على الأسر الممتدة لسد متطلباتهم ، مما سهّل على الأزواج الجدد إقامة أسر نووية مستقلة ، وقد تكون في كثير من الأحيان بعيدة عن الأسرة الممتدة أو الحمولة ، وقد أدّى ذلك إلى ضعف الروابط الأسرية نتيجة لتنامي المصالح والاهتمامات الملازمة للتغير في النسق المهني والتوافق مع طبيعة العمل في الميدان الاقتصادي(١١) .

كذلك نجد أن زهير حطب يؤكد على أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين ظهور الأسرة النووية في المجتمع العربي وبين التصنيع ونمو قطاع الخدمات(١٢) .

ومن جهة أخرى وجد قريطم وآخرون بأن الاتجاه السائد في المجتمع السعودي هو إفساح المجال أمام المرأة للمساهمة في عملية التنمية الشاملة بما يتفق والنسق القيمي السائد والعقيدة الإسلامية، حيث توصل الباحثون إلى أن نسبة ٧٢٪ من أفراد العينة المدروسة لا تؤيد عمل المرأة خارج المنزل(١٣).

ومن خلال تركيزه على إبراز علاقة الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأفراد أوضح حليم بركات بأن الوضع الطبقي للأفراد يحدد جوانب عدة من حياة العائلة بما في ذلك أنماط الزواج و الطلاق وطبيعة العلاقات السائدة بين الأفراد والجماعات، إضافة إلى أسلوب المعيشة وطريقة التنشئة الاجتماعية للأفراء(١٤).

وهناك مجموعة من الدراسات التي أكدت على تأثير التعليم والمؤسسات التعليمية في إحداث تغير في الخصائص الاجتماعية للأسرة، ومن هذه الدراسات ما توصل إليه كل من بني هاني والروابدة في دراستهم للخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأسرة الأردنية في محافظة إربد (١٩٩٣م) من وجود علاقة بين تضاؤل حجم العائلة وبين زيادة الفاعلية التعليمية والاقتصادية للأسر المدروسة(١٥).

ويشير الباحث عزت حجازي للدور المهم الذي تضطلع به المؤسسات الاجتماعية في تحقيق حاجات الإنسان عامة والطفل خاصة، وتعد الأسرة من أهم الوسائط الاجتماعية التي تؤثر في شخصية الفرد، وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، ويتوالى تأثير بقية المؤسسات الاجتماعية في مراحل حياة الفرد المختلفة، وخاصة تأثير المدرسة وجماعة الرفاق ووسائل الإعلام(١٦).

وفيما يتصل بالتنشئة الاجتماعية للأفراد في المجتمع العربي نجد أن حليم بركات يؤكد على أن العائلة هي المؤسسة الأولى التي تقوم بمهمة تكوين شخصية الفرد في العائلة، والتي تركز على تأكيد العضوية بدلاً من الاستقلالية من خلال التركيز على العقاب الجسدي، والترهيب والترغيب أكثر من التشديد على الإقناع، ثم تأتي المؤسسات الأخرى، وخاصة المؤسسة التعليمية؛ لتكمل دور العائلة في تحقيق التنشئة الاجتماعية لأفرادها، وبالتالي تكون منسجمة مع العائلة في تركيزها على التنشئة التقليدية للأطفال(١٧).

ويؤكد شرابي ما جاء في دراسة حليم بركات من أن العائلة « في خصائصها الأساسية صورة مصغرة عن المجتمع » . فتقوم العائلة في آن واحد بتجسيد ودعم النظام الاجتماعي الأكبر . كما أن المؤسسات التي تمثل دور الوسيط ، بما في ذلك المؤسسات التربوية والدينية ، تقوم هي أيضًا بتعزيز القيم والمواقف التي بواسطتها تدرج العائلة أعضاءها في الحياة الاجتماعية[١٨] .

ويشير برجر Berger إلى وجود بعض التغيرات على الأسرة العربية ، إلاّ أنّه يؤكد أن العائلة الممتدة هي النمط السائد في المجتمع العربي باستثناء بعض الطبقات المتعلمة والمتحضرة[١٩] .

كذلك نجد أن عثمان (١٩٨٦) وجد أن زيادة فرص التعليم للمرأة ومكانتها والتغيرات في معدلات الخصوبة وحجم الأسرة تعد من أهم المتغيرات التي شهدتها الأسرة الحضرية في مدينة عمان[٢٠] . وقد أكد هذه النتيجة أيضًا محمد العتيبي ، حيث أظهرت دراسته مدى تأثير المستوى التعليمي ، ودرجة التحضر على اتجاهات الأفراد نحو عدد المواليد في الأسرة ، فكلما زاد المستوى التعليمي لرب الأسرة ، قل عدد الأولاد ، وكذلك بالنسبة لمستوى التحضر . بينما وجد أن هناك علاقة بين ميلاد رب الأسرة في الريف وبين كثرة الإنجاب[٢١] .

كذلك يرى الحشاب وبتلر (١٩٨٤) أن التعليم يلعب دورًا فعالاً في تحول الأسرة من الريف المصري في النمط الممتد إلى النمط النووي ، بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل الهجرة وتغير القيم الخاصة بتملك الأرض[٢٢] .

وتعد العلاقة بين الدين والأسرة ذات أهمية بالغة في المجتمع الإنساني ، وقد أوضحت مجموعة من الدراسات مثل هذه العلاقة ، ومن هذه الدراسات ، دراسة زهير حطب الذي يرى أن المفهوم الإسلامي يحدد الدوافع الرئيسة للزواج على النحو الآتي : ١- تمكين الفرد من إقامة علاقات جنسية في إطار شرعي ، ٢- الإنجاب ، ٣- إيجاد حياة مشتركة تتسم بالاستقرار وتبادل المحبة والمودة والرحمة . ومن هنا نجد أن هذه الدوافع ذات علاقة بطبيعة البناء الأسري فيما يتعلق بسن الزواج ، وحجم الأسرة ، وجنس المواليد ، والاستقرار الزواجي ، والابتعاد عن العنف في العائلة[٢٣] .

كما أشار حليم بركات إلى أن الدين الإسلامي أكد على أهمية الولاء للأسرة وحض على الطاعة واحترام الأهل، كما أن الدين يلعب دورًا أساسيًا في تكوين شخصية الأفراد من خلال التركيز على غرس المفاهيم والقيم والأعراف الدينية في نفوس الأفراد؛ لتنعكس بالتالي على سلوكياتهم واتجاهاتهم وتفاعلهم الاجتماعي بشكل عام[٢٤].

ومن جهة أخرى نجد أن الزغل يبرز تأثير الخلفية الإسلامية على استمرار قوة القيم والعادات التي تحكم العلاقات القرابية في الأسرة النووية، وأن هناك حلقة وصل بين الأسرة الممتدة وبين الأسرة النووية، وقوة في الروابط النفسية والاجتماعية مردها روح الحضارة العربية الإسلامية، والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي مر بها المجتمع الأردني[٢٥].

ويشير حليم بركات إلى أن الدين ثبّت النظام الأبوي على حساب النظام الأمومي، كما أنه يعد مصدراً رئيسًا لكثير من العادات والتقاليد والقيم ذات العلاقة بالزواج والطلاق والعلاقات ضمن العائلة[٢٦].

وهناك علاقة وثيقة بين المؤسسة السياسية والأسرة، حيث تقع على عاتق الأسرة مسؤولية التنشئة السياسية لأفرادها بشكل يخلق فيهم الدافع نحو الامتثال والتوافق، وتحديد الاتجاهات السياسية للأفراد، فيشير حليم بركات في هذا الصدد إلى أن النشأة السياسية التي تتم في العائلة تؤدي إلى توارث المواقف والمعتقدات السياسية[٢٧].

كما يشير الحسن إلى تأثير العامل السياسي وسياسات الدولة المتعلقة بالإسكان على نشوء الأسرة وسيادتها في المجتمع العربي، حيث إن زيادة الإسكان للموظفين أدى إلى ازدياد حركة الاتصال الجغرافي في المدن العراقية، مما أدى إلى استقلالية الأسر النووية لامتناع كثير من أعضاء الأسر الممتدة مثل الجد والجدة والعم والعمة عن الانتقال إلى الوحدات السكنية الجديدة[٢٨].

هذا ويؤكد جوود على مجموعة من العوامل الأيديولوجية التي تؤدي إلى تشجيع الأفراد على التحول من النمط النووي، وخاصة تلك المتعلقة بالحرية الفردية والمساواة وحرية اختيار شريك الحياة واختيار المهنة والمسكن المستقل[٢٩].

وتبين الدراسة الميدانية التي أجراها صفوح الأخرس على مدينة دمشق وجود تضخم ملموس في حجم العائلة . فقد وجد الباحث أن ٩٠٪ من مجموع أفراد العينة يزيد عدد الأطفال فيها عن ثلاثة من أصل مجموع العينة البالغ ٤٠٠ عائلة ، وتبين أن ١٩٩ عائلة زاد عدد الأولاد فيها عن ستة ، و ٨٨ عائلة كان عدد الأولاد فيها خمسة ، في حين كان عدد الأولاد في الـ ٩٣ عائلة الباقية أربعة أولاد[٣٠] . ووجد أنه كلما انخفضت أعمار الأزواج خفت الفروق بينهم وبين زوجاتهم ، كما وجد أن معدل سن الزواج قد ارتفع بشكل واضح عند النساء ، بينما لم تتغير كثيرًا بالنسبة للرجال . كما أن التفاوت في العمر بين الأزواج آخذ بالتناقص حيث إن التفاوت بين الأزواج في العمر يعود لاختلاف الأجيال أي أن الأجيال الحديثة تشهد تراجعًا في الفرق في العمر بين الزوج والزوجة مقارنة مع الأجيال السابقة[٣١] .

وفي معرض تحليله للخصائص البنيوية للعائلة المعاصرة ، نجد أن حليم بركات يصف العائلة العربية بأنها وحدة اجتماعية إنتاجية وأبوية من حيث السلطة والقيادة والأنساب وهرمية على أساس النوع والعمر ، كما أنها ممتدة تتحول إلى نووية مع التوجه نحو تفضيل الزواج الداخلي[٣٢] .

وفي دراسة أجراها الثاقب في دولة الكويت وجد أن غالبية الأسر المدروسة ٥٩٪ هي من النمط النووي في حين وجد أن نسبة الأسر الممتدة لم تزد عن ٢٢٪ من مجموع الأسر المدروسة[٣٣] . هذا وقد وجد أنطون في دراسة انثروبولوجية لقرية كفر الماء في لواء الكورة في الأردن أن ٦٢٪ من أسر القرية كانت نووية ، وأن ١٩٪ من أسر القرية كانت ممتدة[٣٤] .

كما توصلت دراسة الأسد وخليفة (١٩٧٧) إلى نتائج تدل على وجود تحول في الأسرة الأردنية من ممتدة إلى نووية ، وذلك من خلال دراسة لعينة كبيرة مثل مدينة عمان والزرقاء وأربد والكرك والطفيلة ومؤتة ومعان ، فقد شكلت الأسر النووية في الدراسة ما نسبته ٧٥٪ من الأسر المدروسة في المناطق الحضرية، و٦٢٪ في المناطق شبه الحضرية، و ٦٩٪ في المناطق الريفية ، في حين بلغت نسب الأسر الممتدة في المناطق الحضرية ١٨,٣٪ ، وفي المناطق شبه الحضرية ١٩,٣٪ ، وبلغت ٢٠٪ في المناطق الريفية[٣٥] .

ويشير بوعلي ياسين (١٩٧٩) إلى ارتفاع سن الزواج بين الشباب من الذكور والإناث وخاصة في أوساط المتعلمين منهم[٣٦] . وقد توصل أبو حوسة (١٩٩٤) في دراسته حول تأخير سن الزواج لدى العاملين غير المتزوجين في الجامعة الأردنية إلى أن أسباب هذا التأخير يرتبط بمجموعة من العوامل منها ضعف المستويات الاقتصادية وخاصة في المجتمع الحضري ، ورغبة الشباب من كلا الجنسين في مواصلة تحصيلهم العلمي[٣٧] .

كما أظهرت دراسة إبراهيم العبيدي وعبد اللّه الخليفة وجود علاقة قوية بين بعض المتغيرات الاجتماعية وبين تأخر زواج الفتيات في مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية . حيث أكدت الدراسة وجود علاقة إيجابية بين المستوى التعليمي للمرأة ومساهمتها في سوق العمل وبين تأخر سن الزواج ، إضافة إلى وجود علاقة بين المستوى الاقتصادي/ الاجتماعي المتميز للأسرة وبين تأخر سن الزواج عند الفتيات[٣٨] .

نستنتج أن الدراسات السابقة قد أكدت على دور الأنساق الاجتماعية الرئيسة في المجتمع في إحداث كثير من التغيرات في الخصائص البنيوية للأسرة العربية ، مما يدل على أن الأسرة لا تعيش في معزل عن بقية النظم والأنساق الاجتماعية الموجودة في المجتمع وخاصة النسق الاقتصادي والتعليمي والنسق القيمي والمعياري الذي تحدد طبيعة درجة هذا التغير . كما أظهرت الدراسات السابقة أهمية تأثير النظام الديني في المجتمع العربي بشكل عام على التغير في نظام الأسرة . فقد عمل الدين - مع وجود تفاوت من مجتمع عربي لآخر - على حفظ وحماية الأسرة العربية من الانزلاق نحو بعض المظاهر السلوكية التي لا تتفق مع جوهر وروح الشريعة الإسلامية ، فما زالت الأسرة تمثل أساس البناء الاجتماعي وتلعب دوراً فاعلاً وحيويًا في ولاء الأفراد للأسرة ، وما زال الفرد في المجتمع العربي يُعدُّ عضواً في البناء الأسري العربي . وتجمع معظم الدراسات السابقة على أن النشأة الاجتماعية ، ما زالت تركز على تعليم الأدوار الوسيلية للذكور ، والأدوار التعبيرية للإناث ، مما يساعد على تحديد الأدوار المتفق عليها بشكل مسبق ، وبما يتفق مع الأنساق القيمية والدينية في المجتمع العربي .

بشكل عام نجد أن معظم الدراسات السابقة ذات الصلة تشير إلى أن التغير الاجتماعي الذي تشهده الأسرة العربية ما زال بعكس الصورة المشرقة للأسرة العربية ،

حيث إن هذا التغير يتسم بأنه بطيء وكيفي يحكمه كثير من القيم والمعايير الدينية والاجتماعية . ومن هذه التغيرات التي ركزت عليها الدراسات السابقة تحول الأسرة العربية من ممتدة إلى نووية ، والتراجع في حجم الأسرة ، والتحول في اتجاهات الأفراد نحو الزواج ، والطلاق ، وتعدد الزوجات ، والإنجاب ، ومكان السكن ، مع بقاء رابطة اجتماعية قوية بين الأسر النووية والأسر الممتدة .

وتشارك نتائج دراسة الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن نتائج الدراسات السابقة ، وخاصة تحول الأسرة من ممتدة إلى نووية ، وظهور اتجاهات إيجابية نحو الزواج الخارجي ، وإشراك المرأة في صنع القرارات ذات العلاقة بالأسرة .

مشكلة الدراسة

تفتقر منطقة جنوب الأردن إلى دراسات مختصة في مجال الأسرة ، حيث إن معظم المختصين في مجال الدراسات الاجتماعية في الأردن يركزون على دراسة الأسرة الأردنية في منطقة الشمال والوسط ، حيث تنتشر الجامعات والمراكز العلمية . ولقد بدأ الاهتمام بدراسة الظواهر الاجتماعية في منطقة الجنوب بعد تأسيس جامعة مؤتة ، التي تقع في جنوب الأردن كمؤشر إيجابي على طبيعة العلاقة التفاعلية بين الجامعة والمجتمع المحلي .

وقد تناولت الدراسة موضوع الأسرة في جنوب الأردن من خلال التركيز على الخصائص البنيوية مثل نمط الأسرة السائد ، ونمط الزواج ، وطبيعة العلاقات الأسرية ، وطبيعة السلطة داخل الأسرة ، وتوزيع القرارات . كما ركزت الدراسة على الخصائص الديموغرافية وخاصة النوع ، والمستوى التعليمي ، والمهنة ، والعمر . وذلك للتعرف على طبيعة هذه الخصائص ومدى تأثرها بعملية التغير الاجتماعي الذي يشهده المجتمع الأردني بشكل عام ، وذلك من خلال إمكانية مقارنة هذه الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن مع تلك التي تم التعرف عليها من خلال إجراء دراسات مماثلة في شمال ووسط الأردن مما يساعد على تحديد طبيعة واتجاهات التغير الاجتماعي الذي تشهده الأسرة الأردنية في المناطقة الجغرافية المختلفة .

أهـــداف الدراســـة

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن النقاط التالية :

أولاً : دراسة الخصائص الديموغرافية للأسرة في جنوب الأردن مثل التعليم ، والجنس ، والعمر ، والمهنة .

ثانيًا : التعرف على نظام الزواج ، والطلاق ، والسلطة ، وطرق حل الخلافات العائلية في الأسرة .

ثالثًا : التعرف على مدى تأثير منظومة المعايير والقيم والعادات الاجتماعية السائدة في المجتمع على الأسرة في جنوب الأردن .

رابعًا : إظهار جوانب التغير في الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن مثل تحول نمط الأسرة .

خامسًا : إلقاء الضوء على بعض المشكلات التي تعاني منها الأسرة في جنوب الأردن ، وخاصة ظاهرة تعدد الزوجات ، والطلاق ، وتدني المستوى التعليمي لأرباب الأسر .

إجـــراءات الدراســـة

أ - منهـــج الدراســـة

إن الهدف الأساسي لهذه الدراسة هو التعرف على الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن . وفي ضوء هذا الهدف اختارت الدراسة المنهج المسحي للتعرف على الخصائص البنيوية الرئيسة لعينة الدراسة ، وقد استخدمت الدراسة أرباب الأسر من الجنسين ، وخاصة الرجال كوحدة للتحليل في هذه الدراسة . حيث إن أرباب الأسر من الرجال هم الأكثر اطلاعًا على أحوال الأسرة والأقدر على إعطاء معلومات حول هذا الموضوع وخاصة في ظل الثقافة السائدة في مجتمع الدراسة .

ب - مجتمـــع الدراســـة

يقع لواء عي في محافظة الكرك ، ويطلق على هذه المنطقة اسم الحزمان . وتضم

ثلاث تجمعات هي : عي مركز اللواء ، وقريتي كثربا ، وجوزا . ويسكن اللواء عشائر البرارشة موزعين على النحو الآتي : عشائر الرواشدة ، والكساسبة ، والمطارنة ، والشواورة والختاتنة ، الفقراء ويسكنون في عي . وعشائر القرالة ويسكنون في كثربا . وعشائر الضلاعين ، والجوازنة ، والحروب ، والحلالمة ، والتخاينة ويسكنون في قرية جوزا . ويعمل أهالي المنطقة بالتجارة والزراعة والوظائف الحكومية . ويحد القضاء من الغرب البحر الميت ، ومن الشرق منطقة مؤتة ، ومن الجنوب قرية العراق ، ومن الشمال قرى شمال الكرك .

جـ - العينـــــة

شملت الدراسة (٢٥٠) أسرة تضم بمجموعها (١٩٠٧) أفراد ، موزعة بين التجمعات الثلاث بنسبة ١٥,٧٣٪ ، وتم سحب عينة عشوائية من جميع الأسماء المسجلة في المجالس البلدية والقروية في نهاية ١٩٩٢ . ولقد بلغت مجموع الأسر المسجلة في القضاء وقت إجراء الدراسة وسحب العينة ١٦٢٦ أسرة .

د - الأداة

استخدم الباحثان استبانة إحصائية اجتماعية محكمة لدراسة واقع الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن ، ولقد شملت موضوعات تتعلق بالخصائص الديموغرافية مثل التعليم والجنس والمهنة وعمر أفراد العينة ونمط الأسرة والزواج والطلاق وسن الزواج والخصوبة والخلافات الاجتماعية .

وقد تم استخدام هذه الاستبانة في دراسة غور الأردن الجنوبي ، وتم استخدام الجزء الأول منها والمتعلق بالخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن ، وللتأكد من صدق الأداة تم عرض الاستبانة على مجموعة من المحكمين في قسم علم الاجتماع في جامعة مؤتة ، حيث تم إجراء بعض التعديلات لكي تتناسب الاستبانة مع مجتمع الدراسة . وفيما يتعلق بموضوع ثبات الأداة ، فقد تم تجريب الاستبانة على عشرين حالة من الأسر من خارج عينة الدراسة ، حيث تم التأكد من وضوح الأسئلة ومطابقة إجابات المشاركين مع المقصود بأسئلة الاستبانة .

هـ - الإحصـــاء

تم استخدام الإحصاء الوصفي في دراسة الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن . حيث إن هذا النوع من الإحصاء عادة ما يستخدم في الدراسات الاستطلاعية والتي تجرى لأول مرة على مجتمع دراسي معين ، حيث توفر البيانات التي توصل إليها الباحث فرصة مناسبة لإجراء دراسات أخرى على نفس الموضوع ، يستخدم فيها الإحصاء التحليلي كتوضيح العلاقات بين المتغيرات المختلفة .

تحليـــل النتـــائج

أولاً : الخصائص الديموغرافية والاجتماعية لأسر العينة

أ) الجنـــس

يوضح الجدول (١) وجود تفاوت في النسب بين الذكور والإناث ، حيث بلغت نسبة الذكور ٤٨,٦٦٪ ، في حيث بلغت نسبة الإناث ٥١,٣٤٪ ، أي أن نسبة الجنس في القضاء بلغت ١٠٥,٥٠٪ . وفي مقارنة بسيطة بين هذه النتيجة وبين نسبة الجنس في الأردن والذي أشارت إليه النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن ١٩٩٤ والذي بلغ ١٠٦٪ نجد أن نسبة الجنس في اللواء أقل نسبيًا من نسبة الجنس في المجتمع الأردني ككل[٣٩] .

جـــدول (١)

التوزيع النسبي لأفراد العينة حسب الجنس

الجنـــس	مجموع العينة ٪
ذكر	٤٨,٦٦
أنثى	٥١,٣٤
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	١٩٠٧
نسبة الجنس	١٠٥,٥٠

ب) أرباب الأسر حسب الجنس

يشير الجدول (٢) إلى أن الغالبية العظمى لأرباب الأسر هم من الذكور، فقد بلغت نسبة أرباب الأسر من الذكور ٩٨,٤٪، في حين بلغت نسبة أرباب الأسر من الإناث ١,٦٪. وتدل هذه النتائج بشكل جلي على أن الأسرة الأردنية كما هي الأسرة العربية تعد أسرة أبوية وهرمية حسب الجنس والنوع، وهذه النتائج تتفق مع ما جاء به حليم بركات[٤٠] في هرمية الأسرة العربية حسب الجنس والنوع وحتى في حالة غياب رب الأسرة الأساس، فإن الأكبر من الذكور يخلفه في رئاسة الأسرة وإدارتها.

جـدول (٢)

التوزيع النسبي لأرباب الأسر حسب الجنس

الجنس	مجموع العينة ٪
ذكر	٩٨,٤
أنثى	١,٦
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

جـ) المستوى التعليمي لأرباب الأسر

يوضح الجدول (٣) المستوى التعليمي لأرباب أسر العينة، حيث يلاحظ من البيانات الواردة في الجدول أن نسبة الأميين بلغت ٣٣,٦٪ وهي نسبة مقبولة في ضوء معرفتنا للبيانات المتعلقة في عمر أرباب الأسر المدروسة والتي تظهر في الجدول (٤) حيث نجد أن ٧١,٢٪ من مجموع أفراد العينة أعمارهم تزيد عن الـ ٤٠ عامًا، وهذا يعطي دلالة على استمرارية الأمية لدى أرباب الأسر الكبار في السن. وتتفق هذه النتائج مع نتائج التعداد العام للسكان والمساكن ١٩٧٩[٤١] والذي بين أن نسبة الأمية لجميع السكان بلغت ٣٤,٦٪. كما يوضح الجدول (٣) بأن غالبية أفراد العينة ٧٥,٦٪ مستواهم التعليمي أقل من الثانوية، في حين بلغت نسبة التعليم العالي المتوسط والتعليم العالي ١٠,٨٪، وهي نسبة مقبولة لأرباب الأسر في هذه الدراسة.

جـــدول (٣)

التوزيع النسبي لأرباب الأسر حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	مجموع العينة ٪
أمي	٣٣,٦
يقرأ ويكتب	١٨
ابتدائي	٥,٢
إعدادي	١٨,٨
ثانوي	١٣,٦
دبلوم متوسط	٥,٦
جامعي	٥,٢
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

د) العمـــر لأربـــاب الأســـر

تشير البيانات الواردة في الجدول (٤) إلى أن نسبة أرباب الأسر الذين تقل أعمارهم عن ٤٠ عامًا بلغت ٨,٢٨٪ ، في حين بلغت نسبة أرباب الأسر الذين تزيد أعمارهم عن ٤٠ عامًا ٢,٧١٪ . كما دلت البيانات الواردة في الجدول بأن نسبة أرباب الأسر المسنين في العينة بلغت ٢,١٥٪ .

جـــدول (٤)

التوزيع النسبي لأرباب الأسر حسب العمر

فئـــات العمـــر	مجموع العينة ٪
أقل من ٣٠	٨,٨
٣٠ - ٤٠	٢٠
٤١ - ٥٠	٣٠,٤
٥١ - ٦٠	٢٥,٦
أكثر من ٦٠	١٥,٢
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

هـ) العمــــر لأفــراد العينــة

توضح البيانات الواردة في الجدول (٥) أن نسبة الأفراد الذين هم دون سن ١٥ سنة بلغت ٣٣,١٪ ، وتختلف نتائج هذه الدراسة بشكل واضح مع ما توصلت إليه النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن ١٩٩٤[٤٢] . حيث بلغت نسبة الأشخاص الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة ٤٢,٩٪ ، في حين بلغت نسبة الأشخاص الذين يقعون ضمن الفئة العمرية (١٥-٦٤) سنة ٦٥,٣٪ . وهذه النتيجة لا تتفق مع ما ورد في الخطة الخمسية ١٩٩٣-١٩٩٧ والتي بينت أن نسبة السكان في الفئة العمرية (١٥-٦٤) سنة بلغت ٥٤٪ من مجموع سكان الأردن لسنة ١٩٩١[٤٣] .

جـــدول (٥)

التوزيع النسبي للعينة حسب العمر

فئـــات العمـــر	مجموع العينة ٪
٠ - ٤	٦,٨
٥ - ٩	١١,٩
١٠ - ١٤	١٤,٤
١٥ - ١٩	١٧,٦
٢٠ - ٢٤	١٤
٢٥ - ٢٩	٨,٩
٣٠ - ٣٤	٤,٤
٣٥ - ٣٩	٤,٣
٤٠ - ٤٤	٥,٢
٤٥ - ٤٩	٣,٩
٥٠ - ٥٤	٢,٩
٥٥ - ٥٩	٢,٩
٦٠ - ٦٤	١,٣
٦٥ +	١,٦
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	١٩٠٧

و) المهنـــة لأرباب الأســـر

يتضح من النتائج الواردة في الجدول (٦) بأن غالـبية أرباب الأسر يعملون في القطاع الزراعي أو ما نسبته ٣٨,٤٪ من مجموعة أرباب الأسر في العينة، يلي ذلك العمل في القطاع العـام، حيـث بلغت نسـبة العـاملين فيـه ٣٢,٨٪. وتدل هذه النتـائج على أن القطاع الزراعي مـا زال يـجتـذب العـدد الكبيـر من أرباب الأسر في هذه الدراسة، ولا تتفق هذه النتائج مع دراسة الزغل[٤٤]، التي أظهـرت وجود تراجع نسبة أرباب الأسر العاملين في القطاع الزراعي مقارنة مع نسبة العاملين في مجال الوظائف الحكومية.

جـــدول (٦)

التوزيع النسبي لأرباب الأسر العينة حسب المهنة

المهنــــــة	مجموع العينة ٪
موظف حكومة	١٩,٢
ربة بيت	٠,٨
بلا عمل	٥,٦
عسكري	٨,٨
تاجر	٦
مزارع	٣٨,٤
معلم	٤
متقاعد	٧,٦
سائق	٤,٨
طوبار	١,٢
طبيب	٠,٨
إمام مسجد	٠,٨
موظف قطاع خاص	١,٢
عامل	٠,٨
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

ز) المهنـــة لأفـراد العينـــة:

يشير الجدول (٧) إلى أن ٤٢٪ من مجموع أفراد العينة ما زالوا على مقاعد الدراسة ، مما يـدل عـلى أن مجتمـع اللواء ككل هــو مجتمـع فتيّ ، كما دلت النتائـج على أن نسبة العاملين في اللواء بلغت ٣٤,٧٪ في كافـة المجالات ، في حين بلغت نسبة الذين

جـــدول (٧)

التوزيــع النسبي للعينــة حسب المهنــة

المهنـــــة	مجموع العينة ٪
موظف حكومة	٤,٦
ربة بيت	١٢,٥
بلا عمل	٨,٣
ممرض	٠,١
عسكري	٨,٣
طالب	٤٢
تاجر	٠,٩
مزارع	٥,٧
معلم	٢,٢
دون سن دخول المدرسة	١٢,٥
متقاعد	١
سائق	٠,٨
طوبار	٠,٢
طبيب	٠,١
إمام مسجد	٠,١
موظف قطاع خاص	٠,٤
محامي	٠,١
محاسب	٠,١
عامل	٠,١
مهندس	٠,١
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

لا يعملون ٣ , ٦٥٪ ، ويشمل ذلك الدارسين وربات البيوت والعاطلين عن العمل ، إضافة إلى من هم دون سن دخول المدرسة . وتدل هذه النسبة على ارتفاع معدل الإعالة الأسرية في هذا اللواء . كما يدل الجدول على أن نسبة العاملين في القطاع الزراعي بلغت ٧ , ٥٪ من مجموع أفراد العينة . حيث تأتي في المرتبة الثانية في السلم المهني في القضاء ، في حين احتلت نسبة العاملين في القطاع العام الأولى ، حيث بلغت ٩ , ١٢٪ .

حـ) المستوى التعليمي لأفراد العينة

يوضح الجدول (٨) أن نسبة الأمية بين أفراد العينة بلغت ٤ , ١٢٪ ، وقد تعتبر هذه النسبة ذات دلالة إيجابية على تراجع معدل الأمية في اللواء بشكل عام نتيجة لما يشهده المجتمع الأردني من تطور في مجال التعليم . ويمكن الاستدلال على هذا التطور الإيجابي من خلال مقارنة هذه النتيجة مع ما توصلت إليه نتائج التعداد العام للسكان المساكن ١٩٧٩ بأن نسبة الأمية لجميع السكان بلغت ٦ , ٣٤٪[٤٦] . كما دلت البيانات الواردة في هذا الجدول على أن ما نسبته ٧ , ٦٥٪ من مجموع أفراد العينة حصلوا على تعليم أقل من التوجيهية ، وهذا يتفق مع ما توصل إليه الربايعة في تدني مستوى التحصيل العلمي لأفراد العينة[٤٧] . إلا أن نسبة الجامعيين في هذه الدراسة بلغت

جدول (٨)

التوزيع النسبي للعينة حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	مجموع العينة ٪
أمي	١٢ , ٤
يقرأ ويكتب	٤ , ١
ابتدائي	١٨
إعدادي	٢٠ , ٢
ثانوي	٢٣ , ٤
دبلوم متوسط	٣ , ٨
جامعي	٧ , ٩
دون سن دخول المدرسة	١٠ , ١
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	١٩٠٧

٩ , ٧٪ ، وهذا في حد ذاته يعد مؤشراً إيجابيًا على ارتفاع مستوى التعليم في الريف الأردني ، ولا تتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه الربايعة حول نسبة الجامعيين في الريف الأردني والتي بلغت ١ , ٣[٤٨] .

ثانيًا : نمـــط الأســـرة

أظهرت نتائج الدراسات السابقة حول نمط الأسرة في المجتمع الأردني سيادة النمط النووي ، وبينت دراسة الأخرس سيادة النمط النووي في سوريا[٤٩] . وأشارت دراسة الحسن في العراق أن نسبة الأسر النووية في منطقة المنصور ٩١٪ ، وفي منطقة المأمون ٨٦٪[٥٠] . وبينت دراسة بروثر ودياب سيادة النمط النووي في عمان ودمشق وطرابلس وبيروت وقرية بوارج في لبنان وقرية ارطاس في فلسطين[٥١] .

وبينت دراسة الزغل سيادة نمط الأسرة النووية بين أرباب الأسر في شمال الأردن ، إذ تبين أن ٣ , ٧٨٪ من جملة الأسر هي أسر نووية ، بينما ٧ , ١٢٪ منها هي أسر ممتدة . وأظهرت الدراسة أن هناك اتجاهًا إيجابيًا بين الجيل ونوع الأسرة . إذ كلما صغر الجيل في العمر كلما انخفضت نسبة الأسر النووية من ٦ , ٩١٪ إلى ٣ , ٨٨٪ من الجيل القديم إلى الجيل الانتقالي والجديد[٥٢] . ودلت دراسة عثمان إلى سيادة نمط الأسرة النووية في مدينة عمان[٥٣] .

وأشارت نتائج هذه الدراسة إلى سيادة نمط الأسرة النووية في لواء عي ، ويبين الجدول (٩) أن ٣ , ٨٩٪ من الأسر هي أسر نووية ، بينما بلغت الأسر الممتدة ٧ , ١٠٪ .

جـــدول (٩)

توزيـــع أســـر العينـــة حسب نمـــط الأســـر

نمـــط الأســـرة	مجموع العينة ٪
الأسر النووية	٨٩ , ٣
الأسر الممتدة	١٠ , ٧
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

وتتفق نتائج هذه الدراسة حول سيادة نمط الأسرة النووية مع نتائج الدراسات السابقة وخاصة دراسة عثمان والزغل وخيري والأخرس والحسن وبروثر ودياب .

ثالثًا : نظـــــام الـــزواج

أكد كثير من الدراسات العربية بأن الزواج الداخلي يمثل النمط الشائع في كثير من البلدان العربية . في حين نجد أن هناك دراسات أخرى تدل على أن الزواج الداخلي يشهد تراجعًا تدريجيًا وخاصة في المدن والطبقات المثقفة . ومن الدراسات التي تؤكد أهمية الزواج الداخلي دراسة الزغل[٥٤] التي بينت أن الزواج الداخلي ما زال هو النمط المسيطر في شمال الأردن . كما توصلت دراسة شاكر سليم لقرية الحبايش في أهوار العراق إلى نتائج مماثلة وخاصة الزواج من بنت العم[٥٥] . في حين تبين دراسة برهوم تراجع انتشار الزواج الداخلي ، فقد بين في دراسته لعينة من عائلات عمان بأن نسبة الزواج الداخلي بلغت ٢٠٪[٥٦] من مجموع العينة . وتدل البيانات الواردة في الجدول (١٠) بأن الزواج الداخلي هو النمط الشائع في هذا اللواء (عي) ، حيث بلغت نسبة الزواج الداخلي ٧٨٪ من مجموع العينة ، في حين بلغت نسبة الزواج الخارجي ٢٢٪ . وهذه النتيجة تتفق مع ما توصل إليه الزغل من نتائج في هذا الخصوص ، في حين أنها لا تتفق مع ما توصل إليه برهوم من نتائج تبين تراجع الزواج الداخلي ، وقد يكون السبب في ذلك هو أن الزواج الداخلي ما زال منتشرًا في الريف الأردني ، في حين قد تراجع في المدن ، وخاصة العاصمة عمان .

جـــدول (١٠)

التوزيـــع النسبي للعينـــة حسب نمـــط الزواج

نمـــــط الـــزواج	مجموع العينة ٪
داخلي	٧٨
خارجي	٢٢
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

ويظهر الجدول (١١) عدد مرات زواج الأقارب التي حصلت في اللواء . حيث أشار

٧٢,١١٪ من مجموع أفراد العينة أن زواج الأقارب قد حصل مرة واحدة، في حين أشار ١٤,٣٦٪ أن زواج الأقارب حصل مرتين، و ١٣,٣٣٪ أكثر من مرتين. ويبين الجدول أن الغالبية العظمى من أفراد العينة حصل زواج الأقارب مرة واحدة. وهذا يبين أهمية العادات والتقاليد، التي تحدد ترتيب الزواج في المجتمع الأردني بشكل خاص والمجتمع العربي بشكل عام.

جدول (١١)

التوزيع النسبي للعينة حسب عدد مرات زواج الأقارب

عدد مرات زواج الأقارب	مجموع العينة ٪
مرة واحدة	٧٢,٣١
مرتين	١٤,٣٦
أكثر من مرتين	١٣,٣٣
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	١٩٥

يبين الجدول (١٢) نوع زواج الأقارب. وأشار ٧٣,٣٣٪ من أفراد العينة أن زواجهم كان من طرف الأب، فيما أفاد ١١,٧٩٪ من طرف الأم، و ١٤,٨٧٪ من طرف الأب والأم. وهذا يظهر أن مجتمع الدراسة مجتمع أبوي. وتتفق هذه القيمة مع ما توصل إليه بركات حول هرمية العائلة العربية والمرتكزة على أساس الجنس والعمر.

جدول (١٢)

التوزيع النسبي للعينة حسب نوع زواج الأقارب

القرابة	مجموع العينة ٪
من طرف الأب	٧٣,٣٣
من طرف الأم	١١,٧٩
من طرف الأب والأم	١٤,٧٨
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	١٩٥

يبين الجدول (١٣) الاتجاهات نحو الزواج الداخلي والرغبة بالزواج من الأقارب . ويظهر الجدول أن ٦ , ٥١٪ من مجموع العينة لا يرغبون بزواج الأقارب ، بينما أفاد ٤ , ٤٨٪ إلى أنهم يرغبون بالزواج من أقاربهم . ويبين الجدول أن هناك ميلاً واضحًا نحو الزواج من غير الأقارب رغم سيادة نمط الزواج الداخلي في مجتمع الدراسة . ويعود هذا الاتجاه الإيجابي إلى التعليم وظهور الأسرة النووية والوعي بأهمية الزواج الخارجي ، وكذلك التحاق كثير من أبناء القضاء بالوظائف الخارجية .

جدول (١٣)

التوزيع النسبي حسب رغبتهم بالزواج من أقاربهم

الرغبة بالزواج من الأقارب	مجموع العينة ٪
نعم	٤٨,٤
لا	٥١,٦
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

يظهر الجدول (١٤) الأسباب التي تدفع بالزواج من الأقارب ، حيث أفاد ٦ , ٧٣٪ من أفراد العينة أن العادات والتقاليد هي الدافع للرغبة بالزواج من الأقارب ، و ١٩٪ أسباب مادية تدفعهم لزواجهم الداخلي ، و ٧٪ العادات والتقاليد وأسباب مادية . ويظهر الجدول أهمية النسق الثقافي وخاصة العادات والتقاليد والقيم في توجيه الاتجاهات الاجتماعية المحافظة في تحديد الرغبة في الزواج الداخلي .

جدول (١٤)

التوزيع النسبي للذين يرغبون الزواج من الأقارب

أسباب الرغبة بالزواج من الأقارب	مجموع العينة ٪
العادات والتقاليد	٧٣,٦
أسباب مادية	١٩
العادات والتقاليد وأسباب مادية	٧
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	١٢١

يبين الجدول (١٥) أسباب عدم الرغبة بالزواج من الأقارب . وأشار ٤٦,٥٪ من مجموع العينة أن المحافظة على صحة الأبناء هي الدافع لرغبتهم في الزواج من غير الأقارب ، و ٤٥,٧٪ للتقليل من النزعات العائلية ، و ٣٠,٢٪ لزيادة التعارف ، و ٤,٧٪ لأسباب مادية . ويبين الجدول أهمية الوعي لدى أفراد العينة ، وخاصة الوعي الصحي وزيادة العلاقات الاجتماعية الخارجية ، وتعود هذه الأسباب إلى انتشار التعليم لدى أفراد العينة .

جدول (١٥)

التوزيع النسبي للذين لا يرغبون الزواج من الأقارب حسب أسباب عدم الرغبة

أسباب عدم الرغبة بالزواج من الأقارب	مجموع العينة ٪
المحافظة على صحة الأبناء	٤٦,٥
التقليل من النزعات العائلية	٤٥,٧
زيادة التعارف	٣٠,٢
أسباب مادية	٤,٧
عدد الحالات	١٢٩

رابعًا : تعـــــدد الزوجـــــات

يتضح من خلال الدراسات ذات العلاقة بموضوع العائلة العربية على وجود تراجع في سعدلات الزواج المتعددة ، ويعود هذا التراجع لأسباب لها علاقة بانتشار التعليم والذي انعكس على اتجاهات الأفراد نحو تعدد الزوجات وخاصة فيما يتعلق بوعي المرأة العربية . ويتضح من الجدول (١٦) أن نسبة المتزوجين بأكثر من زوجة بلغت ٤ , ١٠٪ وهي نسبة مرتفعة نسبيًا ، وتتفق هذه النسبة مع ما توصلت إليه دراسة ريتشارد أنطون عن قرية كفر الماء في شمال الأردن والتي بينت أن نسبة المتزوجين بأكثر من زوجة واحدة بلغت ١٠٪[٥٧] . ولكن دراسة ريتشارد أنطون أجريت في عام ١٩٦٠ مما يدل على أن الزواج المتعدد في لواء عي ما زال مرتفعًا نسبيًا ولم يتأثر كثيرًا بموضوع التغير في اتجاهات الأفراد نحو الزواج المتعدد . في حين بينت دراسة صفوح الأخرس أن ٢٪ فقط سن المتزوجين في دمشق كانوا متزوجين بأكثر من زوجة واحدة[٥٨] . أما دراسة الزغل

للأسرة في شمال الأردن ، فقد أظهرت وجود تراجع في تعدد الزوجات في مطلع الثمانينيات ، إذ شكلت نسبة المتزوجين بأكثر من زوجة واحدة ٩٧ , ١٪ من مجموع المتزوجين في الدراسة المذكورة(٥٩) .

جـــدول (١٦)

التوزيع النسبي للعينة حسب هل هم متزوجون لأكثر من واحدة

هل أنت متزوج لأكثر من واحدة	مجموع العينة ٪
نعم	١٠,٤
لا	٨٩,٦
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

يبين الجدول (١٧) الأسباب الدافعة للزواج المتعدد حيث بين ما نسبته ٢ , ٤٦٪ من مجموع أفراد العينة المتزوجين أن سبب التعدد هو الرغبة في زيادة عدد الأطفال الذكور ، مما يؤكد سيطرة اتجاه الأفراد في العينة نحو تفضيل الذكور على الإناث ، وقد يعود ذلك لطبيعة النسق القيمي السائد في مجتمع الدراسة ، إضافة إلى حاجة أفراد العينة لإنجاب الذكور للمشاركة في الدعم المادي للأسرة . وقد أكدت دراسة قبلان

جـــدول (١٧)

التوزيع النسبي للمتزوجين لأكثر من واحدة حسب أسباب تعدد الزوجات

أسباب الزواج لأكثر من واحدة	مجموع العينة ٪
مرض الزوجة	١٥,٤
عدم الإنجاب	٢٦,٩
الرغبة في زيادة الأطفال الذكور	٤٦,٢
تدخل الأهل	٣,٨
وفاة الزوجة	٧,٧
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٦

المجالي على مجموعة من العوامل ذات العلاقة بعملية تفضيل جنس المواليد والاستمرار في الإنجاب، ومن هذه العوامل التعليم والدين والدخل وعمل المرأة[٦٠]. بينما أفاد ٢٦,٩٪ من مجموع أفراد العينة المتزوجين بأن سبب تعدد الزوجات يعود لعدم الإنجاب، في حين أعاد ١٥,٤٪ من مجموع أفراد العينة المتزوجين سبب التعدد إلى مرض الزوجة.

خامسًا: الطـــــلاق

أوضحت الدراسة الحالية من خلال الجدول (١٨) بأن نسبة حدوث الطلاق في الأسر المدروسة بلغت ٦,٨٪، وهي نسبة مرتفعة نسبيًا مع الأرقام المتوفرة عن وقوع الطلاق في المجتمع الأردني ككل، حيث بينت النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن ١٩٩٤ بأن وقوع الطلاق خلال السنوات ١٩٩٠-١٩٩٤ كانت على التوالي ٥٠٧٤، ٥٣٦٣، ٥٥١٣، ٦٠٩٢، ٦٢٥١. حيث يلاحظ وجود زيادة سنوية طردية وذلك مقابل عقود الزواج التي أجريت خلال السنوات ١٩٩٠-١٩٩٤ وكانت على التوالي ٣٢٦٠٦، ٣٥٩٢٦، ٣٧٢١٦، ٤٠٣٩١، ٣٦١٣٢[٦١].

جـــدول (١٨)

التوزيع النسبي للعينة حسب هل سبق أن حدث طلاق داخل الأسر

هل سبق أن حصل طلاق داخل الأسر	مجموع العينة ٪
نعم	٦,٨
لا	٩٣,٢
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

ويشير حليم بركات إلى أن معدل الطلاق في المجتمع العربي بقي على حاله، ولكنه أشار أيضًا إلى أن معدلات الطلاق قد تعود للازدياد وذلك من خلال وجود مؤشرات على ذلك[٦٢].

ويبين الجدول (١٩) أن عدم وجود تفاهم بين الزوج والزوجة يعد من أهم أسباب حدوث الطلاق، وقد أفاد بذلك ٥٢,٩٪ من مجموع حالات المطلقين في العينة والتي

بلغت ١٧ حالة ، يليها في الأهمية تدخل الأهل في شؤون الزوج والزوجة ٢٩,٤٪ وعدم الإنجاب ١٧,٦٪ ومن الملفت للنظر من خلال البيانات المتعلقة بالطلاق في اللواء/ مجتمع الدراسة بأنه لا توجد أي حالة طلاق في الأسر المدروسة من قرية جوزا في حين بلغت عدد الحالات ١٣ حالة في كثربا ، و ٤ حالات في عي .

جـــدول (١٩)

التوزيع النسبي للذين سبق وأن حدث طلاق داخل أسرهم حسب أسباب الطلاق

أسباب الطـــــــلاق	مجموع العينة ٪
عدم وجود تفاهم بين الزوج والزوجة	٥٢,٩
تدخل الأهل في شؤون الزوج والزوجة	٢٩,٢
عدم الإنجاب	١٧,٦
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	١٧

سادسًا : ســـن الـــزواج

إن سن الزواج المبكر وخاصة للأنثى هو أحد الصفات التقليدية الشائعة عن الأسرة العربية في الكتابات الاجتماعية وخاصة الغربية منها[٦٣] . وتشير نتائج الدراسات العربية إلى ارتفاع معدل سن الزواج للذكور والإناث . حيث أكدت دراسة إبراهيم العبيدي وعبد الله خليفة وجود تغير في معدلات سن الزواج عند الفتيات ، وذلك لأسباب منها ارتفاع مستوى التعليم ، والمساهمة في سوق العمل ، وارتفاع المستوى المهني والطبقي لأسر الفتيات[٦٤] . وقد أشارت نتائج دراسة شاكر مصطفى إلى أن معــدل سن الزواج للذكــور يقع بين ٢٠-٢٢ سنة ، و ١٤-١٦ سنة للإناث[٦٥] . وأظهرت دراسة بروثر ودياب أن معدل سن الزواج للفتاة تراوح مابين ١٤ و ١٨ سنة قبل الثلاثينيات من هذا القرن ، وبلغ معدل سن الزواج في الستينيات من هذا القرن ١٧-٢١ سنة . وهذا مؤشر إلى ارتفاع سن الزواج لدى الفتاة العربية . ويشير بروثر ودياب كذلك إلى أن معدل سن الزواج للرجل كان بين ٢١-٣٠ سنة في الثلاثينيات من هذا القرن ، في حين بلغ في الستينيات ٢٤-٣٠ سنة[٦٦] . وهذا مؤشر إيجابي آخر لارتفاع سن الزواج لدى الزوج في المجتمع العربي .

وفيما يتعلق بالمجتمع الأردني ، فقد أظهرت دراسة الزغل أن متوسط عمر الأزواج في جملة العينة وأجيالها الثلاثة تراوح بين ٢٢-٢٤ عامًا ، ولم يظهر نمطًا واضحًا من جيل إلى جيل . فقد كان متوسط عمر أرباب الأسر عند زواجهم متقاربًا جدًا ، إذ كان ٢٣,٥٨ ، و ٢٤,٠ ، و ٢٢,٢٠ ، و ٢٢,٦ سنة في الجيل القديم والانتقالي والجديد وجملة العينة على التوالي[٦٧] .

وتشير البيانات الواردة في هذه الدراسة أن متوسط عمر أرباب الأسر عند زواجهم كان ٢٣,٦ سنة ، ومتوسط أعمار زوجاتهم عند زواجهن ١٩,٤ سنة . وأشارت البيانات إلى أن هذه النتيجة حول ارتفاع سن الزواج لدى الرجل والمرأة في هذه الدراسة تتفق مع ما توصل إليه الزغل في شمال الأردن .

سابعًا : الخصوبة

أ) حجم الأسرة

أظهرت الدراسات العربية والمتعلقة بحجم الأسرة أنها كبيرة الحجم . وأشارت نتائج دراسة الأخرس أن ٩٠٪ من العينة أفادت بأن عدد أبنائها يزيد عن ثلاثة[٦٨] .

وفي الأردن دلت نتائج دراسة خيري على أن الأسر النووية الأردنية تميل إلى أن تكون متوسطة إلى كبيرة الحجم . وأشارت نتائج خيري إلى أن ٣٣,٢٪ من الأسر يتراوح عدد أبنائها بين ٥-٨ أبناء وهو عدد كبير بدون شك[٦٩] .

وأظهرت دراسة الزغل في شمال الأردن إلى أن متوسط حجم الأسرة في جملة العينة ٥,٩ فردًا ، وفي الجيلين ٥,٧ فردًا ، والحديث ٥,٥ فردًا ، أما متوسط حجم الأسرة في الجيل الانتقالي ٦,٩ فردًا[٧٠] . ودلت النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن ١٩٩٤ أن متوسط حجم الأسرة في الأردن ٦,٥ أفراد[٧١] .

وتبين نتائج هذه الدراسة إلى أن متوسط عدد أفراد الأسر ٧,٦٢ فردًا بانحراف معياري مقداره ٣,٠٤ . وتتفق هذه النتيجة حول كبر حجم الأسرة في مجتمع الدراسة مع ما توصل إليه خيري حول كبر حجم الأسرة في مدينة عمان . ولا تتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه الزغل في شمال الأردن والنتائج الأولية للتعداد العام للسكان

والمساكن ١٩٩٤ . كما تتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه محمد العتيبي من وجود علاقة بين ميلاد رب الأسرة في الريف وبين كثرة الإنجاب(٧٢) .

ب) عـــدد المواليــد الذكـــور الأمثـــل

أوضحت البيانات الواردة في الجدول (٢٠) أن عدد المواليد الذكور الأمثل من وجهة نظر ٥٠,٨٪ من مجموع أفراد العينة هو من ٤-٦ مواليد، في حين أفاد ٢٢,٤٪ من مجموع أفراد العينة بأن عدد الذكور الأمثل هو ٧ فأكثر . وتستدل من هذه النتائج على قوة الاتجاه نحو تفضيل إنجاب الذكور وبأعداد كبيرة، في حين أجاب ٢٦,٨٪ من مجموع أفراد العينة بأن عدد المواليد الذكور الأمثل في رأيهم هو من ١-٣ .

جـــدول (٢٠)

التوزيـــع النسبي للعينـــة حسب عـــدد المواليـــد الذكـــور الأمثـــل في رأيهم

عـــدد الذكـــور الأمثـــل	مجموع العينة ٪
١ - ٣	٢٦,٨
٤ - ٦	٥٠,٨
٧ فأكثر	٢٢,٤
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠
المتوسط	٤,٨٧

يوضح الجدول (٢١) عدد المواليد الإناث الأمثل من وجهة نظر المشاركين في الدراسة، حيث نجد أن النتيجة عكسية مقارنة مع نتائج الجدول السابق (٢٠)، فقد أفاد ٧٢,٤٪ من مجموع أفراد العينة بأن العدد الأمثل للمواليد الإناث هو ١-٣، في حين أفاد ٢٢,٨٪ بأن العدد الأمثل هو ٤-٦، كما أفاد ٤,٨٪ من مجموع العينة بأن العدد الأمثل هو ٧ فأكثر . ويتضح من نتائج هذا الجدول بأن اتجاه الأفراد سلبي نحو إنجاب الإناث مقارنة مع الذكور ويتمثل ذلك في إجابة ٧٢,٤٪ من مجموع أفراد العينة في حين نجد أن هناك اتجاهًا إيجابيًا نحو إنجاب الإناث، وبالتالي نحو المرأة بشكل عام ويتمثل ذلك في إجابة ٢٧,٦٪ من مجموع أفراد العينة .

جـــدول (٢١)

التوزيـع النسبي للعينـة حسب عـدد المواليـد الإنـاث الأمثـل في رأيهم

عـدد الإنـاث الأمثـل	مجموع العينة ٪
١ - ٣	٧٢,٤
٤ - ٦	٢٢,٨
٧ فأكثر	٤,٨
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠
المتوسط	٢,٩٧

ثامنًا : السلطـــة داخـــل الأســـرة

يعد موضوع السلطة داخل الأسرة من المواضيع الهامة في مجال علم الاجتماع العائلي . حيث تناول كثير من العلماء والدارسين هذه القضية بالدراسة والبحث وخاصة فيما يتعلق بالاتجاه التطوري الذي يركز على تطور الأسرة بشكل عام وتطور السلطة داخل الأسرة . ويتضح من هذه الدراسات أن المجتمع العربي كغيره من المجتمعات الإنسانية عرف كثيراً من الأنظمة المتعلقة بالأسرة مثل النظام الأمومي والنظام الأبوي وتعدد الأزواج وتعدد الزوجات . ويعد زهير حطب من أهم علماء الاجتماع العرب الذين أعطوا أهمية خاصة لهذا الموضوع ، حيث تتبع أصول الأسرة العربية ، فأكد أن الأسرة العربية عبر التاريخ عرفت النظام الأمومي الذي أعطى المرأة أفضلية في السلطة على الرجل وخاصة فيما يتعلق بقانون الانتساب وحرية المرأة ومكانتها ومكان الإقامة(٧٣) . ويؤكد حليم بركات على أن الأسرة العربية هي أسرة أبوية ، وأنها هرمية على أساس الجنس والعمر ، وأن الأب لا زال يتمتع بقدر كبير من السلطة رغم بعض التغيرات البسيطة التي قد تنحصر في الأسر البرجوازية(٧٤) . ويتفق هشام شرابي مع بركات في اعتبار أن المجتمع العربي هو مجتمع أبوي ، ويذهب إلى أبعد من ذلك عندما يؤكد على دونية المرأة والأطفال من خلال كونها عرضة للاضطهاد والظلم في المجتمع العربي(٧٥) . وتشير دراسة حديثة للزغل إلى وجود نوع من التغير في مجال مكانة المرأة ومشاركتها في السلطة الأسرية ، حيث أكد في دراسته على وجود

اتجاه واضح على ازدياد مشاركة المرأة والأبناء في السلطة داخل الأسرة وخاصة في مجال القرارات ذات العلاقة بالزواج والأسرة(٧٦).

يتضح من البيانات الواردة في الجداول (٢٢، ٢٣، ٢٤) وجود مؤشر لتزايد مشاركة الزوجة والأبناء في السلطة داخل العائلة بشكل عام، حيث يوضح الجدول (٢٢) وجود نوع من المشاركة الجماعية في اتخاذ القرارات في مجال الاستهلاك مع وجود أفضلية لسلطة الزوجة والأبناء. في حين يتضح من الجدول (٢٣) وجود سيطرة لسلطة الرجل في مجال اتخاذ القرار المتعلق بالاستثمار. ويتضح من الجدول (٢٤) أن ٥٣,٢٪ من مجموع القرارات المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية تتخذ من قِبَل الزوج، وأن ٤٧,٨٪ من

جدول (٢٢)

التوزيع النسبي لأفراد العينة حسب مسؤولية اتخاذ القرار داخل الأسرة في مجال الاستهلاك

مسؤولية اتخاذ القرار في مجال الاستهلاك	مجموع العينة ٪
الزوج	٤٩,٦
الزوجة	١٠,٨
الزوج والزوجة	٩,٢
الزوج والزوجة والأولاد	٣٠,٤
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

جدول (٢٣)

التوزيع النسبي لأفراد العينة حسب مسؤولية اتخاذ القرار داخل الأسرة في مجال الاستثمار

مسؤولية اتخاذ القرار في مجال الاستثمار	مجموع العينة ٪
الزوج	٦٢,٨
الزوجة	٤
الزوج والزوجة	٩,٦
الزوج والزوجة والأولاد	٢٣,٦
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

جـــدول (٢٤)
التوزيع النسبي لأفراد العينة حسب مسؤولية اتخاذ القرار
داخل الأسرة في مجال الارتباطات الاجتماعية

مسؤولية اتخاذ القرار في مجال الارتباطات الاجتماعية	مجموع العينة ٪
الزوج	٥٣,٢
الزوجة	٣,٦
الزوج والزوجة	١٠
الزوج والزوجة والأولاد	٣٣,٢
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

مجموع هذه القرارات تتخذ من قبَل الزوج والزوجة والأبناء مما يدل على أن السلطة المتعلقة باتخاذ القرارات عامة ما زالت بيد الزوج في هذه الدراسة ، مع وجود تزايد لسلطة الزوجة والأبناء مما يجعل هذه الدراسة تتفق مع ما توصلت إليه الدراسات الحديثة في مجال تحسن سلطة المشاركة في الأسرة الأردنية .

تاسعًا : مستوى التعليم المرغوب به للذكور

يشهد المجتمع الأردني تطوراً يكاد يكون فريداً من نوعه على مستوى العالم العربي فيما يتعلق باتجاهات الأفراد ورغباتهم في تحقيق ومواصلة التحصيل العلمي وخاصة في مجال التعليم الجامعي والدراسات العليا . ويتضح من البيانات الواردة في الجدول (٢٥) أن هناك اتجاهًا إيجابيًا وقويًا نحو تعليم الذكور وخاصة التأكيد على التعليم الجامعي ، حيث بلغت نسبة المؤيدين للتعليم الجامعي للأبناء الذكور ٨ , ٨٤٪ من مجموع العينة ، ولكن يظهر الجدول اتجاهًا ضعيفًا نحو الرغبة في التعليم العالي (ما بعد الشهادة الجامعية الأولى) للأبناء الذكور ، حيث أبدى ٦ , ٣٪ من مجموع أفراد العينة رغبتهم في مواصلة التحصيل العلمي لهذا المستوى ، والجدول (٢٦) يفصح عن بيانات مشابهة أيضًا ذات علاقة بالمستوى التعليمي المرغوب للإناث ، حيث زادت نسبة الراغبين بمتابعة الإناث الدراسة للمرحلة الجامعية الأولى مقارنة مع الذكور حيث بلغت ٢ , ٨٥٪ من مجموع

أفراد العينة ، في حين نجد من خلال الجدول أن هناك اتجاهًا سلبيًا نحو متابعة الإناث للدراسات العليا (ما بعد الشهادة الجامعية الأولى) حيث لم يوافق أحد من أفراد العينة على ذلك .

جـــدول (٢٥)

التوزيع النسبي لأفراد العينة حسب مسؤولية اتخاذ القرار داخل الأسرة في مجال تشغيل الأبناء

مسؤولية اتخاذ القرار في مجال تشغيل الأبناء	مجموع العينة ٪
الزوج	٦٢
الزوجة	٢,٤
الزوج والزوجة	٨
الزوج والزوجة والأولاد	٢٧,٦
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

جـــدول (٢٦)

التوزيع النسبي لأفراد العينة حسب مستوى التعليم المرغوب للذكور

مستوى التعليم المرغوب للذكور	مجموع العينة ٪
يقرأ ويكتب	٠,٨
إعدادي	٠,٨
ثانوي أكاديمي	٤
ثانوي مهني	٦
جامعي	٨٤,٨
دراسات عليا	٣,٦
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

عاشراً : الخلافـــات العائليـــة

يبين الجدول (٢٧) طريقة حل الخلافات العائلية ، وقد أشار ٦٣,٦٪ من مجموع أفراد العينة أنهم يحلون مشاكلهم عن طريق وجهاء القرية ، و ٢٣,٦٪ تحل عن طريق

الأسرة ، و ٨, ٤٪ عن طريق الأقارب والجيران ، ، ٢, ٥٪ عن طريق المحكمة ، و٨, ٢٪ تحل عن طريق الشرطة .

جـــدول (٢٧)

التوزيـع النسبي لأفراد العينة حسب طريقـة حل الخلافات العائلية

طــرق حــل الخــلافات العائليــة	مجموع العينة ٪
عن طريق الشرطة	٢, ٨
المحكمة	٥, ٢
وجهاء القرية	٦٣, ٦
داخل الأسرة	٢٣, ٦
الأقارب والجيران	٤, ٨
المجموع ٪	١٠٠
عدد الحالات	٢٥٠

وتبرز طريقة حل الخلافات العائلية سيادة العلاقات الأولية بين الأسر ، وكذلك قوة السلطة التقليدية والمتمثلة بالأقارب والجيران والوجهاء . وهذا يعزز أهمية العادات والتقاليد الاجتماعية التي تمنع وصول الخلافات إلى المحاكم والشرطة .

الخـــلاصـــــة

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الخصائص البنيوية للأسرة في لواء عي في جنوب الأردن ، وخلصت إلى النتائج المهمة التالية :

أولاً : النتائـج المتعلقـة بنمــط الأســرة

دلت نتائج هذه الدراسة على سيادة نمط الأسرة النووي في لواء عي ، حيث أظهرت أن ٨٩, ٣٪ من الأسـر هي نووية ، بينما بلغت الأسـر الممتـدة ١١, ٧٪ . وتتفق هذه النتيجة حول سيادة النمط النووي مع نتائج الدراسات السابقة ، وخاصة دراسات الحسن والأخرس والزغل وخيري وعثمان والتي أظهرت سيادة النمط النووي في المجتمع العربي والمجتمع الأردني بشكل خاص .

ثانيًا : النتائج المتعلقة بنمط الزواج

دلت نتائج الدراسة على سيادة نمط الزواج الداخلي وهو النمط الشائع في اللواء ، حيث بلغت نسبة الزواج الداخلي ٧٨٪ من مجموع العينة ، في حين بلغت نسبة الزواج الخارجي ٢٢٪ وهذه النتيجة حول سيادة نمط الزواج الداخلي تتفق مع ما توصل إليه الزغل في شمال الأردن . وأظهرت نتائج الدراسة عدد مرات زواج الأقارب (الزواج الداخلي) . حيث دلت النتائج أن نسبة زواج الأقارب قد بلغت ٣, ٧٢٪ مرة واحدة ، و٣٦, ١٤٪ مرتين ، و٣٣, ١٣٪ ثلاث مرات . وهذا يفسر سيادة نمط الزواج الداخلي وقوة العلاقات الاجتماعية الأولية التي تحدد طبيعة الزواج الداخلي .

وأظهرت نتائج الدراسة كذلك نوع زواج الأقارب . حيث أشارت النتائج أن ٣٣, ٧٣٪ من أفراد العينة أن زواجهم كان من طرف الأب في حين أفاد ٧٩, ١١٪ من طرف الأم ، و٨٧, ١٤٪ من طرف الأب والأم . وهذه تظهر أن مجتمع الدراسة مجتمع أبوي . وتتفق هذه النتيجة مع ما توصل إليه بركات حول هرمية العائلة العربية .

وأظهرت نتائج الدراسة اتجاهات إيجابية نحو الزواج الخارجي . حيث دلت النتائج أن ٦, ٥١٪ من مجموع العينة لا يرغبون في زواج الأقارب ، بينما أفاد ٤, ٤٨٪ أنهم يرغبون في الزواج من الأقارب . وأظهرت النتائج أن هناك ميلاً واضحًا نحو الزواج من غير الأقارب رغم سيادة نمط الزواج الداخلي في مجتمع الدراسة . ويعود هذا الاتجاه الإيجابي إلى ارتفاع نسبة التعليم بين أفراد العينة وظهور نمط الأسرة النووي والوعي الصحي بأهمية الزواج الخارجي .

ودلت نتائج الدراسة إلى الأساليب الكامنة وراء الزواج من الأقارب . حيث أفاد ٦, ٧٣٪ من مجموع أفراد العينة أن العادات والتقاليد هي الدافع للرغبة في الزواج من الأقارب ، و١٩٪ لأسباب مادية ، و٧٪ للعادات والتقاليد وأسباب مادية . وهذه الأسباب تظهر أهمية النسق الثقافي المتمثل في أهمية العادات والتقاليد والقيم في توجيه الاتجاهات الاجتماعية نحو الزواج من الأقارب وخاصة الزواج من بنت العم .

وأظهرت نتائج الدراسة أسباب عدم الرغبة في الزواج من الأقارب . حيث أفد ٥, ٤٦٪ من مجموع العينة أن المحافظة على صحة الأبناء هي الدافع لرغبتهم في الزواج

من غير الأقارب ، و٧ , ٤٥٪ للتقليل من النزاعات العائلية ، و٢ , ٣٠٪ لزيادة التعارف ، و٧ , ٤٪ لأسباب مادية .

ثالثًا : النتائج المتعلقة بتعدد الزوجات

دلت نتائج الدراسة على انتشار ظاهرة تعدد الزوجات في اللواء . حيث أفاد ٤ , ١٠٪ من مجموع العينة أنهم متزوجون من أكثر من زوجة ، في حين أشار ٦ , ٨٩٪ أنهم متزوجون من زوجة واحدة . وأظهرت النتائج أسباب تعدد الزوجات حيث بين ما نسبته ٢ , ٤٦٪ من مجموع أفراد العينة والمتزوجين بأكثر من زوجة أن سبب التعدد هو الرغبة في زيادة الأطفال الذكور ، مما يؤكد سيطرة اتجاه الأفراد في العينة نحو تفضيل الذكور على الإناث . وأشار ٩ , ٢٦٪ أن التعدد هو سبب عدم إنجاب الزوجة ، و٤ , ١٥٪ بسبب مرض الزوجة ، و٧ , ٧٪ وفاة الزوجة ، و٨ , ٣٪ تدخل الأهل .

رابعًا : النتائج المتعلقة بالطلاق

دلت نتائج الدراسة إلى ارتفاع نسبة الطلاق في اللواء . حيث أفاد ٨ , ٦٪ من مجموع أفراد العينة أنه حدث طلاق داخل أسرهم . وأظهرت نتائج الدراسة أسباب الطلاق في اللواء ، وأشار ٩ , ٥٢٪ بأن عدم وجود تفاهم بين الزوج والزوجة يعد من أهم أسباب حدوث الطلاق ، يليها في الأهمية تدخل الأهل في شؤون الزوج والزوجة ٤ , ٢٩٪ ، وعدم الإنجاب ٦ , ١٧٪ .

خامسًا : النتائج المتعلقة بسن الزواج

دلت نتائج الدراسة إلى ارتفاع سن الزواج في اللواء . حيث دلت البيانات الواردة في الدراسة أن متوسط عمر أرباب الأسر عند زواجهم كان ٦ , ٢٣ سنة ، ومتوسط أعمار زوجاتهم عند زواجهن كان ٢ , ١٩ سنة . وأشارت البيانات كذلك إلى أن متوسط عمر الابن الأكبر عند زواجه بلغ ٧ , ٢٥ سنة .

وتتفق هذه النتيجة حول ارتفاع سن الزواج مع ما توصل إليه الزغل في شمال الأردن .

سادسًا : النتائج المتعلقة بحجم الأسرة وعدد المواليد الذكور والإناث الأمثل

دلت نتائج الدراسة على ارتفاع عدد المواليد الذكور الأمثل . حيث أشار ٨ , ٥٠٪ من مجموع أفراد العينة أن العدد المفضل هو ٤-٦ مواليد ، في حين أفاد ٤ , ٢٢٪ هو ٧ فأكثر . ونستدل من هذه النتائج على قوة الاتجاه نحو تفضيل الذكور وبأعداد كبيرة . أما بالنسبة للإناث ، فقد أفاد ٤ , ٧٢٪ من مجموع أفراد العينة بأن عدد الإناث الأمثل هو ١-٣ ، في حين أفاد ٨ , ٢٢٪ بأن العدد الأمثل هو ٤-٦ ، كما أفاد ٨ , ٤٪ من مجموع العينة بأن العدد الأمثل هو ٧ فأكثر . كما يتضح أن هناك اتجاهًا سلبيًا نحو إنجاب الإناث مقارنة مع الذكور .

سابعًا : السلطة داخل الأسرة

أظهرت نتائج الدراسة تراجع سلطة الأب داخل الأسرة في اللواء . وأظهرت النتائج أن ٦ , ٤٩٪ من مسؤولية اتخاذ القرار في مجال الاستهلاك تتخذ من قبَل الزوج ، و٨ , ١٠٪ من قبَل الزوجة ، و٢ , ٩٪ من قبَل الزوج والزوجة معًا ، و٤ , ٣٪ من قبَل الزوج والزوجة والأولاد . أما بالنسبة لمسؤوليات اتخاد القرار في الارتباطات الاجتماعية ، فقد أظهرت أن ٢ , ٥٣٪ من تلك القرارات يتخدها الزوج ، و٦ , ٣٪ الزوجة ، و١٠٪ الزوج والزوجة ، و٢ , ٣٣٪ الزوج الزوجة والأولاد .

وفي مجال اتخاذ القرار في مجال الاستثمار ، تبين أن الزوج يتخذ غالبية القرارات ٨ , ٦٢٪ ، و٦ , ٢٣٪ الزوج والزوجة والأولاد ، و٦ , ٩٪ الزوج والزوجة ، ٤٪ الزوجة .

ثامنًا : النتائج المتعلقة بالمستوى التعليمي المرغوب فيه للذكور والإناث

أظهرت نتائج الدراسة وجود اتجاهات إيجابية نحو تعليم البنات . فقد أفاد ٢ , ٨٥٪ من مجموع العينة أنهم يفضلون المستوى الجامعي للبنات ، و٢ , ١١٪ ثانوي أكاديمي ، و٢ , ١٪ ثانوي مهني ، و٦ , ١٪ إعدادي .

أما بالنسبة للذكور فقد أفاد ٨ , ٨٤٪ من مجموع العينة أنهم يفضلون المستوى التعليمي الجامعي للأبناء الذكور ، و٦ , ٣٪ دراسات عليا ، ،٦٪ ثانوي مهني ، و٤٪ ثانوي أكاديمي .

تاسعًا : النتائج المتعلقة بحل المشاكل

أظهرت نتائج الدراسة أن أهالي اللواء يحلون مشاكلهم عن طريق وجهاء الأقارب ووجهاء القرية والأسرة والجيران . وأظهرت النتائج تدنّي نسبة المشاكل التي تحل عن طريق المحاكم والشرطة . وهذا يظهر سيادة السلطة التقليدية والمتمثلة في الأقارب والجيران والوجهاء .

وخلاصة القول ، فإن الأسرة في جنوب الأردن شهدت تغيرات مهمة كالتحول إلى النمط النووي ، وارتفاع سن الزواج ، وبروز اتجاهات إيجابية نحو الزواج الخارجي و تعليم البنات . ورغم هذه التحولات ، إلا أن الأسرة ما زالت تعاني من مشكلات اجتماعية مثل تعدد الزوجات والطلاق وتفضيل الذكور وسيادة نمط الزواج الداخلي .

الهوامش

(١) **Mead, M.,** Some Theoretical Considerations on the Problem of Mother-Child Separation. *The American Journal of Orthopsychiatry,* Vol. **24,** 1954, p. 474.

(٢) **T. Parsons** and **Bales,** "*The Family, Socialization and Interaction Process*". The Free Press, 1955, pp. 10-11.

(٣) **Steven Luckes,** *Emile Durkheim, His Life and Work, A History and Critical Study.* Stand-Ford University Press, StandFord, 1985, pp. 179-189.

(٤) **William Oghurn,** "*Technology and the Changing Family*". Houghton Mifflin, Boston, 1955.

(٥) **T. Parsons** and **Bales,** "*The Family*", *op. cit.,* pp. 10-11.

(٦) *Ibid,* p. 10-11.

(٧) **T. Parsons,** *Essays in Sociological Theory,* N. Y., Free Press, 1964, p. 182.

(٨) **محمد الأخرس** ، *تركيب العائلة العربية و وظائفها : دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا* ، دمشق : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٧٦ .

(٩) **إبراهيم عثمان** ، « التغيرات في الأسرة الحضرية في الأردن » ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، مجلد ١٤ ، عدد ٣ ، ١٩٨٦ ، ص ص ١٥٣-١٧٧ .

(١٠) **مجد الدين خيري** ، « المميزات البنائية للأسرة النووية الأردنية : دراسة استطلاعية » ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، ١٩٨٤ ، ص ١٦٣ .

(١١) **إحسان الحسن** ، *التصنيع وتغير المجتمع* ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ ، ص ص ١٠٩-١١٦ .

(١٢) **زهير حطب**، *تطور بنى الأسرة العربية*، الطبعة الثانية، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٠، ص ص ٢٠٩-٢١٠ .

(١٣) **عبد الهادي قريطم وآخرون**، «*الأسرة السعودية : الدور والتغير وأثرهما في اتخاذ القرارات*»، الرياض، جامعة الملك عبد العزيز، مركز البحوث والتنمية، ١٩٨١، ص ٢١ .

(١٤) **حليم بركات**، *المجتمع العربي المعاصر*، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١، ص ٢١٩ .

(١٥) **عبد الرزاق بني هاني و محمد الروابدة**، الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأسرة الأردنية في محافظة اربد، *مجلة أبحاث اليرموك*، مجلد ٩، عدد ٣، ١٩٩٣، ص ص ٩-٤٧ .

(١٦) **عزت حجازي**، «الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها»، *عالم المعرفة*، وزارة الثقافة، الكويت، ١٩٧٨، ص ١٢٤ .

(١٧) **حليم بركات**، *المجتمع العربي المعاصر*، مصدر سابق، ص ٢٢٠ .

(١٨) **هشام شرابي**، *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، القدس، منشورات صلاح الدين، ١٩٧٥، ص ٣٨-٣٩ .

(١٩) **Berger, M.,** *The Arab World Today,* Garden City, N.Y., Double Duy, Co., 1962.

(٢٠) **إبراهيم عثمان**، «التغيرات في الأسرة الحضرية في الأردن»، *مجلة العلوم الاجتماعية*، مجلد ١٤، عدد ٣، ١٩٨٦، ص ص ١٥٣-١٧٧ .

(٢١) **محمد العتيبي**، أثر بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية على عدد الأولاد في الأسرة السعودية في مدينة الرياض، دراسة ميدانية، *مجلة العلوم الاجتماعية*، ١٩٩٤، ص ص ٨٦-١٢٠ .

(٢٢) **Samia El-Khashab** and **Butler,** Observation of Contemporary American and Egyptian Family, *Egyptian Year Book of Sociology,* 1984, Vol. **6.**

(٢٣) **زهير حطب**، *تطور بنى الأسرة العربية*، مصدر السابق، ص ٤٥ .

(٢٤) **حليم بركات**، *المجتمع العربي المعاصر*، مصدر سابق، ص ٢٢٠ .

(٢٥) **علي الزغل**، *التغير في الخصائص البنيوية للأسرة في شمال الأردن*، دراسة ميدانية، جامعة اليرموك، ١٩٨٩، ص ٦٤ .

(٢٦) **حليم بركات**، *المجتمع العربي المعاصر*، مصدر سابق، ص ٢٢٠ .

(٢٧) المصدر السابق، ص ٢٢١ .

(٢٨) **إحسان الحسن**، *التصنيع وتغير المجتمع*، مصدر سابق، ص ١٢ .

(٢٩) **Goode, William,** *World Revolution and Family Patterns,* N.Y., The Free Press, 1970, pp. 18-22.

(٣٠) **محمد الأخرس**، *تركيب العائلة العربية ووظائفها*، مصدر سابق، ص ٢٧٧ .

(٣١) المرجع السابق، ص ص ١٨١-١٨٢ .

(٣٢) **حليم بركات**، *المجتمع العربي المعاصر*، مصدر سابق، ص ١٧٥ .

(٣٣) **فهد الثاقب**، « حول حجم وبنية الأسرة العربية والكويتية »، *مجلة العلوم الاجتماعية*، عدد ١-٢، الكويت، جامعة الكويت، ص ص ٨-٩ .

(٣٤) **Richard Anton,** *Arab Villiage: A Social-Structural Study of Jordanian Peasant Community,* Bloomington: Indiana University, 1972, pp. 50-52.

(٣٥) **Shuja El-Asad; Alef Khalifa,** "Family Structure in Relation of Fertility in Jordan", *Amman, Dep. of Statistics,* 1977, p. 43.

(٣٦) **بو علي ياسين**، *أزمة الزواج في سوريا*، بيروت، دار ابن رشد، ١٩٧٩، ص ١٩ .

(٣٧) **موسى أبو حوسة**، « تأخير سن الزواج لدى العاملين في الجامعة الأردنية وعلاقته ببعض الخصائص الاجتماعية »، *مؤتة للبحوث والدراسات*، مجلد ٩، عدد ٦، ١٩٩٤، ص ص ١٠٣-١٢٧ .

(٣٨) **إبراهيم العبيدي و عبد الله الخليفة**، بعض المحددات الأسرية والاجتماعية لتأخر زواج الفتيات : دراسة ميدانية، *مجلة العلوم الاجتماعية*، ١٩٩٢، ص ص ٧-٣٧ .

(٣٩) **دائرة الإحصاءات العامة**، *النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن*، ١٩٩٤، ص أ .

(٤٠) **حليم بركات**، *المجتمع العربي المعاصر*، مصدر سابق، ص ١٨٢ .

(٤١) **دائرة الإحصاءات العامة**، *نتائج عينة التعداد العام للسكان والمساكن*، ١٩٨١، ص ٢٦ .

(٤٢) **دائرة الإحصاءات العامة**، *نتائج عينة التعداد العام للسكان والمساكن*، مصدر سابق، ص ٢١ .

(٤٣) **وزارة التخطيط**، *الخطة الاقتصادية والاجتماعية*، ١٩٩٣-١٩٩٧، عمان، ص ٣٧ .

(٤٤) **علي الزغل**، *التغير في الخصائص البنيوية للأسرة في شمال الأردن*، مصدر سابق، ص ٢٨ .

(٤٥) **دائرة الإحصاءات العامة**، *نتائج عينة التعداد العام للسكان والمساكن*، مصدر سابق، ص ٢٦ .

(٤٦) **أحمد الربايعة**، *مقومات التنمية ومعوقاتها*، *دراسة تطبيقية في الريف الأردني*، منشورات الجامعة الأردنية، ص ٦١ .

(٤٧) المرجع السابق، ص ٦١ .

(٤٨) المرجع السابق، ص ٦١ .

(٤٩) **محمد الأخرس**، *تركيب العائلة العربية ووظائفها*، مرجع سابق .

(٥٠) **إحسان الحسن**، *العائلة والقرابة والزواج : دراسة تحليلية في تغير نمط العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي*، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١، ص ٨٢ .

(٥١) **Prothro, E.T.** and **Diab, L.N.,** *Changing Family Patterns in the Arab East,* Beirut: American University, Beirut Press, 1974, pp. 66-70.

(٥٢) **علي الزغل**، *التغير في الخصائص البنيوية للأسرة في شمال الأردن*، مرجع سابق، ص ص ٣٤-٣٥ .

(٥٣) **إبراهيم عثمان**، *التغيرات في الأسرة الحضرية في الأردن*، مرجع سابق، ص ص ١٥٣-١٧٧ .

(٥٤) **علي الزغل**، *التغيرات في الخصائص البنيوية*، مرجع سابق، ص ٤٥ .

(٥٥) **شاكر مصطفى سليم**، *الجبايش : دراسة انثروبولوجية لقرية في أهواز العراق*، الطبعة الثانية، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٠، ص ص ١١٩-١٢٠ .

(٥٦) **M. I. Barhoum,** "Courtship, Marriage and Family in Jordan" (Mimeo).

(٥٧) **Richard Antoun,** *Arab Villiage, op. cit.,* p. 29.

(٥٨) **محمد صفوح الأخرس**، *علم اجتماع العائلة*، دمشق، مطبعة طربين، ١٩٩٠، ص ١٣٨ .

(٥٩) **علي الزغل**، *التغير في الخصائص البنيوية للأسرة في شمال الأردن*، مصدر سابق، ص ٥٥ .

(٦٠) **قبلان المجالي**، أثر تفضيل جنس المواليد وبعض العوامل الأخرى في حجم الأسرة وعملية الاستمرار في الإنجاب : دراسة ميدانية، *مؤتة للبحوث والدراسات*، مجلد ٩، عدد ٩، ١٩٩٤، ص ص ٨١-١٠١ .

(٦١) **دائرة الإحصاءات العامة**، *النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن*، مصدر سابق، ص ٣٢، ٤٤ .

(٦٢) **حليم بركات**، *المجتمع العربي المعاصر*، مصدر سابق، ص ٢١٧ .

(٦٣) **علي الزغل**، *التغير في الخصائص البنيوية للأسرة في شمال الأردن*، مصدر سابق، ص ٤٨ .

(٦٤) **إبراهيم العبيدي و عبد الله الخليفة**، *بعض المحددات الأسرية والاجتماعية لتأخر زواج الفتيات*، مصدر سابق، ص ص ٧-٣٧ .

(٦٥) **شاكر مصطفى سليم**، *الجبايش*، مصدر سابق، ص ١٠٤ .

(٦٦) **Prothro, E.T.** and **Diab, L.N.,** *Changing Family Patterns, op. cit.,* pp. 30-32.

(٦٧) **علي الزغل**، *التغير في الخصائص البنيوية للأسرة في شمال الأردن*، مصدر سابق، ص ٥١ .

(٦٨) **محمد الأخرس**، *تركيب العائلة العربية ووظائفها*، مصدر سابق، ص ٢٧٧ .

(٦٩) **مجد الدين خيري**، *العلاقات الاجتماعية في بعض الأسر النووية الأردنية*، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٥، ص ٧٤ .

(٧٠) **علي الزغل**، *التغير في الخصائص البنيوية للأسرة في شمال الأردن*، مصدر سابق، ص ٤٠ .

(٧١) **دائرة الإحصاءات العامة**، *نتائج عينة التعداد العام للسكان والمساكن*، ١٩٩٤، ص أ .

(٧٢) **محمد العتيبي**، *أثر بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية على عدد الأولاد في الأسرة السعودية في مدينة الرياض*، مصدر سابق، ص ص ٨٩-١٢٠ .

(٧٣) **زهير حطب**، *تطور بنى الأسرة العربية*، مصدر سابق، ص ١٧ .

(٧٤) **حليم بركات**، *المجتمع العربي المعاصر*، مصدر سابق، ص ص ١٧٩-١٨٢ .

(٧٥) **هشام شرابي**، *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، مصدر سابق، ص ١١٢ .

(٧٦) **علي الزغل**، « اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو مكانة المرأة في المجتمع الأردني »، *مجلة أبحاث اليرموك*، المجلد ٨، العدد ٢، ١٩٩٢، ص ص ١٠٧-١٤٩ .

المـــراجـــــع

أولاً : المراجـــع العربيـــة

أبو حوسة ، موسى ، « تأخير سن الزواج لدى العاملين في الجامعة الأردنية وعلاقته ببعض الخصائص الاجتماعية » ، *مؤتة للبحوث والدراسات* ، مجلد ٩ ، عدد ٦ ، ١٩٩٤ .

الأخرس ، محمد صفوح ، *تركيب العائلة العربية ووظائفها : دراسة ميدانية لواقع العائلة في سوريا* ، دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٧٦ .

الأخرس ، محمد صفوح ، *علم اجتماع العائلة* ، دمشق ، مطبعة طربين ، ١٩٩٠ .

الثاقب ، فهد ، « حول حجم وبنية الأسرة العربية والكويتية » ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، عدد ١-٢ ، الكويت ، جامعة الكويت .

الحسن ، إحسان ، *التصنيع وتغير المجتمع* ، بغداد ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨١ .

الحسن ، إحسان ، *العائلة والقرابة والزواج : دراسة تحليلية في تغير نمط العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي* ، بيروت ، دار الطليعة ، ١٩٨١ .

الربايعة ، أحمد ، *مقومات التنمية ومعوقاتها* ، *دراسة تطبيقية في الريف الأردني* ، منشورات الجامعة الأردنية .

الزغل ، علي ، « اتجاهات الطلبة الجامعيين نحو مكانة المرأة في المجتمع الأردني » ، *مجلة أبحاث اليرموك* ، المجلد ٨ ، العدد ٢ ، ١٩٩٢ .

العبيدي ، إبراهيم ، و الخليفة ، عبد الله ، بعض المحددات الأسرية والاجتماعية لتأخر زواج الفتيات : دراسة ميدانية ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، ١٩٩٢ .

العتيبي ، محمد ، أثر بعض العوامل الاجتماعية والاقتصادية على عدد الأولاد في الأسرة السعودية في مدينة الرياض : دراسة ميدانية ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، ١٩٩٤ .

المجالي ، قبلان ، أثر تفضيل جنس المواليد وبعض العوامل الأخرى في حجم الأسرة وعملية الاستمرار في الإنجاب : دراسة ميدانية ، *مؤتة للبحوث والدراسات* ، مجلد ٩ ، عدد ٩ ، ١٩٩٤ .

بركات ، حليم ، *المجتمع العربي المعاصر* ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩١ .

بني هاني ، عبد الرزاق ، و الروابدة ، محمد ، الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للأسرة الأردنية في محافظة اربد ، *مجلة أبحاث اليرموك* ، مجلد ٩ ، عدد ٣ ، ١٩٩٣ .

حجازي ، عزت ، « الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها » ، *عالم المعرفة* ، وزارة الثقافة ، الكويت ، ١٩٧٨ .

حطب ، زهير ، *تطور بنى الأسرة العربية* ، الطبعة الثانية ، بيروت ، معهد الإنماء العربي ، ١٩٨٠ .

خيري ، مجد الدين ، « المميزات البنائية للأسرة النووية الأردنية : دراسة استطلاعية » ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، ١٩٨٤ .

خيري ، مجد الدين ، *العلاقات الاجتماعية في بعض الأسر النووية الأردنية* ، عمان ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨٥ .

دائرة الإحصاءات العامة ، *النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن* ، ١٩٩٤ .

سليم ، شاكر مصطفى ، *الجبايش : دراسة انثروبولوجية لقرية في أهواز العراق* ، الطبعة الثانية ، بغداد ، مطبعة العاني ، ١٩٧٠

شرابي ، هشام ، *مقدمات لدراسة المجتمع العربي* ، القدس ، منشوات صلاح الدين ، ١٩٧٥ .

عثمان ، إبراهيم ، « التغيرات في الأسرة الحضرية في الأردن » ، *مجلة العلوم الاجتماعية* ، مجلد ١٤ ، عدد ٣ ، ١٩٨٦ .

قريطم ، عبد الهادي و آخرون ، « *الأسرة السعودية : الدور والتغير وأثرهما في اتخاذ القرارات* » ، الرياض ، جامعة الملك عبد العزيز ، مركز البحوث والتنمية ، ١٩٨١ .

وزارة التخطيط ، *الخطة الاقتصادية والاجتماعية* ، ١٩٩٣-١٩٩٧ ، عمان .

ياسين ، بو علي ، *أزمة الزواج في سوريا* ، بيروت ، دار ابن رشد ، ١٩٧٩ .

ثانيًا : المراجــع الأجنبيــة

Anton, Richard T., *Arab Villiage: A Social-Structural Study of Jordanian Peasant Community,* Bloomington: Indiana University, 1972.

Barhoum, M.I., "*Courtship, Marriage and Family in Jordan*" (Mimeo).

Berger, M., *The Arab World Today,* Garden City, N.Y., Double Duy, Co., 1962.

El-Asad Shuja; Khalifa, Alef, "Family Structure in Relation of Fertility in Jordán", *Amman, Dep. of Statistics,* 1977.

El-Khashab, Samia and **Butler,** Observation of Contemporary American and Egyptian Family. *Egyptian Year Book of Sociology,* 1984, Vol. **6.**

Goode, William, *World Revolution and Family Patterns,* N.Y., The Free Press, 1970.

Luckes, Steven, *Emile Durkheim, His Life and Work, A History and Critical Study.* StandFord University Press, StandFord, 1985.

Mead, Margatet, Some Theoretical Considerations on the Problem of Mother-Child Separation. *The American Journal of Orthopsychiatry,* Vol. **24,** 1954.

Oghurn, William, "*Technology and the Changing Family*". Houghton Mifflin, Boston, 1955.

Parsons, T. and **Bales,** "*The Family, Socialization and Interaction Process*". The Free Press, 1955.

Parsons, T., *Essays in Sociological Theory,* N.Y., Free Press, 1964.

Prothro, E.T. and **Diab, L.N.,** *Changing Family Patterns in the Arab East,* Beirut: American University, Beirut Press, 1974.

The Structural Characteristics of the Family in Southern Jordan – Field Study, Aiy District

SALIM AHMED ALQAISI and AHMED FALEH AL-OMOSH
Assistant Professor *Associate Professor*
Department of Sociology, College of Arts
Mu'tah University, Mu'tah – Jordan

ABSTRACT. The purpose of this research if to analyze the social characteristics of the family in Southern Jordan. Also, it aims to show the pattern of the family, polygamy, age marriage, fertility, authority, and family dispute.

The sample of this study included (250) families (including 1907 individuals), and they were selected randomly. The unit of the study was the household.

The findings of this study indicated that the great majority of the household heads were males, high rates of illiteracy among them, the family size was large, and the predominant of the endogamous marriage.

The study showed that the changes in the family structure were the following: the nuclear family was the predominant, new attitudes were emerged preferring exogamy marriage, and the traditional authority of the father decreased.

The study ends with a discussion of the social problem facing the family in Southern Jordan, e.g., polygamy, divorce, and the high rates of illiteracy among the heads of the household.

إعـــــلام

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١٠ ، ص ص ٧٥-١٠٤ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)

الرؤيا العربية للدور الأمريكي في قضية السلام العربي - الإسرائيلي قراءة تحليلية في صحيفتي «عكاظ» السعودية و «الأهرام» القاهرية

غازي زين عوض الله
أستاذ الإعلام المساعد ، جامعة الملك عبد العزيز
جـــدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص . تهدف هذه الدراسة إلى معرفة جوهر الرؤيا العربية لدور أمريكا في قضية السلام العربية الإسرائيلية كما انعكست هذه الرؤيا في خطاب صحيفتي عكاظ والأهرام ومن خلال القراءة النصية للأشكال الصحفية المختلفة التي كان هذا الموضوع قضية مهمة بالنسبة لها .

لقد كان الدور الأمريكي في قضية السلام محوريًا باعتبار أن أمريكا هي القوة المؤثرة في النظام العالمي الجديد وأن لها علاقات طيبة بطرفي القضية .

وقد تنوعت الأشكال الصحفية التي عالجت هذا الموضوع من أخبار إلى تحقيقات إلى حوارات إلى مقالات لكبار الكتاب السياسيين والمفكرين والإعلاميين ، كما أسهمت الصورة وفن الكاريكتر في استيعاب الرؤيا العربية والتعبير عنها طبقًا لمتغيرات الدور الأمريكي . من جهة أخرى فقد تغيرت مواضع الدور الأمريكي فهي تارة في موضع المساعد للموقف العربي وتارات أخرى في موقف المعارض ، لكنها في معظم الوقت تشغل موقع الفاعل المحرك لهذه القضية ، بالإضافة إلى أنها تشغل أيضًا موقع المرسل إليه بحكم طرفي الصراع للتأثير عليها وأحيانًا

تشغل المرسل بحكم محاولة تأثيرها على الطرفين ومن الممكن أن يؤدي الإرسال العربي الفكري والإعلامي دوراً مؤثراً على الموقف الأمريكي ليحوله في بعض الأحيان إلى عنصر ضغط في قضية السلام .

الموضـــوع وأهميتـــه ، المنهـــج ، الخطـــة

١ - أهميـــة الموضـــوع

ليست الصحافة مرآة ينعكس بها بوضوح ملامح الرأي العام فقط ، وليست كذلك كلمات تصنع الأسطورة المعاصرة فحسب[١] ، ولكنها التغذية الإرجاعية التي تعيد تشكيل الرأي العام والخاص أيضًا ، وتصبح مؤشرًا على مصداقية الفكر السياسي في تعامله مع الرأي العام[٢] ورابطًا بين المؤسسات الاجتماعية والجماهير من جهة والعالم من جهة أخرى[٣] .

من هذا المنطلق كان هذا الموضوع وهو :

الرؤية العربية للدور الأمريكي في صراع السلام - قراءة تحليلية للنص الصحفي لتكون فلسفة قائمة على طرح مجموعة من الأسئلة تعد مقدمات يجيب عنها البحث لعملية منهجية ورؤية تحليلية ، ومن هذه الأسئلة :

أ) هل تجاوزت الصحافة العربية القطرية وتعاملت مع قضية السلام باعتبارها مطلبًا عربيًا شاملاً ؟

ب) كشفت الصورة الإعلامية للملامح التي تشكل وجه أكبر القوى المسيطرة على النظام العالمي ، بعد أن تغيرت موازين القوى بانهيار الشيوعية وتحجيم دور الكتلة الشرقية[٤] في الدراما السياسية بصراعاتها المعلنة والخفية .

كيف رسم الإعلام الملامح ؟ وما دلالتها في الوعي العربي ؟

جـ) هل تغيرت الصورة الأمريكية المعاصرة من حيث أدوارها عما كان معتاداً فيما سبق ، وبصفة خاصة الصورة التي لا تفصل بين إسرائيل وأمريكا وتعتبرها كيانًا متكاملاً ، بل ترى في تجربتهما التاريخية سمات مشتركة ؟[٥]

د) ما مساحة الدور الأمريكي في خارطة الإعلام العربي ؟ وما التقنيات الصحفية

التي عبرت عن الرؤية العربية لهذا الدور ؟

هـ) هل الدور الأمريكي أحادي البعد ، فهو الوسيط المساعد فقط ، أم أنه متعدد الأبعاد طبقًا لحركة الصراع السلمي العربي الإسرائيلي ؟

و) ما الأدوار التي يقوم بها بقية الأطراف في علاقتهم بالدور الأمريكي ؟

٢- منهـــــج البحث

أ - تحـــديد المــادة

من العسير - إن لم يكن مستحيلاً - تناول المادة الإعلامية بالدراسة بصرف النظر عن التحديد الزمني والمكاني - وربما الموضوعي والنوعي - لها .

لذلك جاء تحديد مادة هذا البحث كما يلي :

١- اختيار صحيفتي « عكاظ السعودية » و « الأهرام القاهرية » باعتبارهما أصل مادة البحث بصفة أساسية ، وهذا لا يمنع بالقطع من الاعتماد على مراجع دورية أخرى في بعض الأحيان لتحليل المصدرين أو الإفادة من هذه الدوريات في الدراسة الشكلية أو الموضوعية .

٢- التحديد الزمني للمادة حيث كانت دراستنا تعتمد - إذا ما تطلب الأمر الموازنة أو الإحصاء على عشرة أعداد متوالية لكل من الصحيفتين تقعان في الفترة الزمنية ذاتها (إبريل ١٩٩٧م - ذو الحجة ١٤١٧هـ) .

ولم يكن اختيارنا لهذه الفترة عشوائيًا ، بل جاء نتيجة للازمة التي يمر بها السلام في أعقاب بناء إسرائيل للمستوطنات وتصاعد حدة القلق في الأرض المحتلة في ضوء سياسة رئيس الوزراء الإسرائيلي المتعنتة (بنيامين نتنياهو) وفي تلك الفترة بالتحديد قام نتنياهو بزيارة لواشنطن ، أعقبها زيارات لوفود فلسطينية رفيعة المستوى ، بمعنى أن ثراء الفترة كان من عوامل التحديد الزمني للمادة الصحفية .

ب - الإجراءات المنهجيــة/ الرؤيــة المنهجيــة

لا تتم اختيار منهج ما دونما رؤية تعمق هذا الاختيار ، وتجادل المادة موضوع الدراسة ، والرؤية التي تحدد لنا الإجراءات المنهجية في هذا البحث تصدر عن :

١- التعامل مع المادة الإعلامية باعتبارها أحد أنظمة الاتصال المنتمية لعلم العلامات[٦] .

٢- تصنيفها لتحديد مكونات الوقائع الاتصالية To classify and define the component of communicative events[٧] .

٣- اعتبار النص الصحفي مؤشرًا دالاً على الرأي العام من جهة ، كما هو أيقونة لرأي الإدارة السياسية من جهة أخرى ، إذا استخدمنا اللفظ العلامي السميميوطيقي[٨] والوصول من قراءته إلى القراءة المجاوزة Metareading[٩] .

٤- اتخذ البحث من النموذج الثنائي هيكلاً لدراسة تحليل الأدوار ، ويقوم هذا النموذج على المحاور التالية :

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه

المساعد ← الفاعل ↔ المعارض

لدراسة الدور الأمريكي المتعدد الأبعاد في عملية السلام .

وقد نتج عن هذه الرؤية أن قسمنا البحث لما يناسب الإجراءات المنهجية التي ساعدتنا عليها الرؤيا ، وهذه المحاور تمثلها خطة البحث .

٢- خطة البحث

وتضمن الخطة المقدمة التي مهدنا من خلالها للموضوع وإطاره المنهجي ورؤيته العلمية ثم تأتي دراسة المادة الصحفية ، وقد اتبعنا من خلالها المنهج الوصفي التحليلي الذي يتعرض أولاً لشكل المادة ، ويتناول بعد ذلك وحدات المعنى بدراسة المضمون الذي يمثل الكلمة التي تعبر عنها هذه المادة ، وكان تحليل المضمون هو هيكلة الدور الأمريكي كما عرضته الصحافة العربية ، ولم تستبعد المنهج الإحصائي - في حدود - إذا تعرضنا للموازنة بين ما جاء في « عكاظ » وما جاء في « الأهرام » وإن كانت كل الإجراءات المنهجية التي أسهمت في تشكيل رؤيتنا في صياغة البحث تعود لتنصب في المنهج الوصفي التحليلي الذي يمثل الإطار العام لتناول الموضوع المحدد في هذه الدراسة الأكاديمية التي تتعامل مع الدور الأمريكي باعتباره موضوعًا فيما نطلق عليه (صراع السلام) وإذ كانت الأدوار تمثل الهيكل البنائي فإن مضمونها يمثل القيمة المعرفية ،

وبذلك تكتمل منهجية البحث من حيث البناء الشكلي والتداول القيمي، ولأن الدور لايتحدد إلا بعلاقته ببقية الأدوار، فإن البحث من هذا المنطلق يتخذ من دراسة الدور الأمريكي محوراً لينظر من خلاله إلى أدوار الآخرين (العربي/ الإسرائيلي/ الأوربي) لنرى بوضوح توزيع الأدوار كما مارسته الصحيفة العربية، ولنرى أكثر من ذلك أنفسنا بصدق كي ننسق حركتنا ونكشف طريقنا، ونواصل جهدنا الفكري في ساحة السلام وساحة العلم، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

الدراســـات الســابقـــة

على الرغم من أهمية هذا الموضوع فإنه لم يحظ في المكتبة الإعلامية بدراسات مستقلة، وهذه المادة الإعلامية الصحفية في حاجة إلى تحليل وقراءة.

وقد تعرضت بعض الدراسات القيمة للعلاقة بين الخطاب الإعلامي والخطاب السياسي في مستواه الدولي، ومن هذه الدراسات ما جمعها كتاب « وسائل الاتصال الجماهيري والتفاهم الدولي » ويضم هذا الكتاب دراسة بنيتو، ودراسة ملر « دراسة عامل الاتصال الجماهيري في السلوك الدولي »، وقد صدر عن وزارة الإعلام المصرية (د. ت) وستأتي هاتان الدراستان ضمن هوامش ومراجع هذا البحث.

أ - منهجية الصحافة في عرض الدور الأمريكي - الأشكال والأنماط :

يعتمد نظام الاتصال الصحفي على مجموعة من البنيات الشكلية التي يمكن من خلالها رصد مساحة الموضوع في بؤرة الاهتمام الصحفية.

وتتنوع هذه الأشكال والأنماط ابتداء من العناوين الافتتاحية الرئيسية إلى الإحالات إلى الداخل إلى العناوين الرئيسية بالصفحات الداخلية، ثم تتعدد أشكالها ما بين الإخبار الصحفي إلى المقال إلى الحوارات إلى الاستطلاع والتحقيق.

وقد مارست الصحيفتان - عكاظ والأهرام - هذه الأنماط في معظمها ابتداء من العناوين الافتتاحية إلى التحقيق الصحفي، وجاء استغلال بنية العنوان كما يلي :

تصنيـــف العنـــوان	الأهـــرام	عـــكاظ
افتتاحيات بالصفحة الأولى	١٣	٦
عناوين رئيسية بالداخل	٢٥	١٥

ويراعى في هذا التصنيف طبيعة التقنية الصحفية لكل منها، فعكاظ لا تعتمد على الافتتاحية الرئيسية وإنما تعتمد على التصنيف الموضوعي للصفحة الأولى بكسر النمطية الافتتاحية التقليدية، والإحالة إلى الداخل بعد ذلك، وكانت أقرب في نسقها للبناء الصحفي الأمريكي الذي يعرض مجموعة من العناوين والصور - وقد عرضت عكاظ نحو خمس صور خلال عشرة أيام بالصفحة الأولى تصور تصاعد الأزمة في الضفة الغربية وترتبط بعملية السلام بطريق مباشر [١٠] وعرضت مجموعة من الصور الداخلية توازي هذا العدد أيضًا وقد تصادف أن كانت المادة الصحفية لعكاظ متزامنة مع عيد الأضحى المبارك فأثر نسبيًا - في أيام العيد على ظهور صراع السلام بالصفحة الأولى.

٢- وقد تميزت كل صحيفة بأسلوب خاص بعد ذلك، فقد انفردت عكاظ بعرض استطلاع لعملية السلام والدور الأمريكي فيها، وذلك في العدد ١١١٩٦ (١١ من ذي الحجة/ ١٢ أبريل)، وذلك بالصفحة الحادية عشرة، كانت عناوينها الرئيسية كما يلي:

عكاظ تستطلع آفاق السلام على ضوء زيارة نتنياهو لواشنطن

- عملية السلام لم تلفظ أنفاسها الأخيرة
- صيغ مدريد لم تعد كافية في ظل حكومة نتنياهو
- الشواء: المبادرة الأمريكية قد تتجاوز أوسلو
- عملية السلام تعيش مرحلة الخطوط الفاصلة

وكانت نتيجة هذا الاستطلاع:

رأى الخبراء أهمية استمرار الدور الأمريكي في المنطقة على ضوء زيارة الوفد الفلسطيني لواشنطن وإمكانية التأثير على الموقف الأمريكي لإيجاد حلول تفك الجمود الحالي [١١].

ومن الواضح أن الارتباط بالدور الأمريكي كان محور الاستطلاع وكان من نتائجه استحالة فصل هذا الدور عن العملية السلمية بالمنطقة، وأن تعقد الصراع يؤدي إلى استدعاء دور واشنطن إلى الساحة الإعلامية والسياسية.

وقــد شــارك في اســتطلاع عكاظ كـل من الأســاتذة (حــسب ترتيب الآراء في الاستطلاع) :

١- الدكتور/ حسن نافعة : أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة .
٢- الدكتور/ إبراهيم العناني : عميد كلية الحقوق بجامعة عين شمس .
٣- الدكتور لواء/ أحمد جلال عز الدين : خبير الإرهاب الدولي .
٤- الدكتور/ أحمد يوسف أحمد : مدير معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية .
٥- الدكتور/ أحمد توفيق خليل : مندوب مصر الأسبق في الأمم المتحدة .
٦- الدكتور/ صلاح عامر : أستاذ القانون الدولي وعضو الوفد المصري في مدريد .

كذلك انتقلت عكاظ إلى الأرض المحتلة لاستطلاع الرأي واشترك من هناك :

١- راوية الشوا : النائبة في المجلس التشريعي الفلسطيني .
٢- اللواء عبد الرزاق المجايدة : مدير الأمن العام في قطاع غزة .

ومن الواضح أهمية هذه الشخصيات ودورها وتنوعها ، والمصداقية التي يتمتع بها أصحابها في عرض رأيهم الذي يدعو الدور الأمريكي لمزيد من الفاعلية والضغط على إسرائيل في أعقاب عودة نتنياهو من واشنطن .

وقد تميزت عكاظ بسمة مهمة هي إعطاء مساحة لعرض رأي الطرف الآخر في الصراع - إسرائيل - بالحديث المباشر ، وذلك فيما يختص بدور الولايات المتحدة ، وكذلك عرض الرأي الأمريكي بالأسلوب المباشر أيضًا ، فالأسلوب المباشر سمة من سمات عكاظ وذلك يضفي على الأخبار ما يلي :

أ - سمة الصدق لأن صاحب الرأي يتحدث بنفسه .
ب - التصوير والتجسيد .
جـ - تنوع وجهات النظر .

ومن أمثلة ذلك :

قال ليفي في تصريح للإذاعة الإسرائيلية :

تحادثت مع نتنياهو بعد المحادثات التي أجراها في البيت الأبيض ... ومن الواضح أن الولايات المتحدة قوة عظمى تساعد الطرفين(١٢) .

وبالنسبة للموقف الفلسطيني فعلت عكاظ الشي ذاته في استخدام الأسلوب المباشر الذي يعكس وجهة النظر بصورة تجسيدية :

قال عرفات : نتنياهو لا يريد السلام(١٣) .

كذلك كان حرصها على ذكر الآراء المختلفة مستخدمة الأسلوب المباشر ذاته الذي يستحضر المتحدث ليوجه خطابه للمتلقي في سياق حيوي .

وإذا كانت الصحيفتان تتفقان في الاهتمام بقضية السلام ، ثم منح الدور الأمريكي في هذه العلمية مساحة واسعة ، وذلك من حيث الاهتمام الإخباري ، وإذا كانت « عكاظ تتميز بأسلوبين مهمين هما :

١- الاستطلاع الشامل عن طريق التحقيق الصحفي .

٢- استخدام الأسلوب المباشر في عرض وجهات النظر .

فإن صحيفة الأهرام القاهرية تتميز بسمتين أيضًا هما :

١- المقال السياسي : الذي يعرض وجهة نظر كبار الكتاب في القضية .

٢- باب الحوار : بمشاركة أساتذة متخصصين في مناقشة القضية .

ونتناول هاتين السمتين بالدراسة الوصفية :

١- المقال السياسي

وقد عبر عن أهمية الدور الأمريكي بصورة واضحة ، ويمثل لبعض كتابه ، وعناوين مقالاتهم السياسية المهمة كما يلي :

أ- الأستاذ أحمد بهجت

وقد حرص في عموده اليومي « صندوق الدنيا »(١٤) على مناقشة قضية السلام ولم يخل مقال من مقالاته السياسية من الإشارة إلى الدور الأمريكي بإيجابياته وما يراه من سلبيات ، وقد حرص الكاتب على إبراز هذه السلبيات التي يحددها بانحياز الولايات المتحدة للجانب الإسرائيلي ، ولكنه كان يؤكد رأيه بالاعتماد على آراء الصحفيين الغربيين الأمناء - على حد تعبيره - فكان لعرضه الصحفي لبعض هذه المقالات قيمة في بيان الرؤية الغربية للموقف الأمريكي ومن ذلك ما عرضه عن « روبرت فيسك » الصحفي بجريدة « الأندبندنت » والمقال تحت عنوان بعد أن فقد العرب ثقتهم بأمريكا

كوسيط نزيه هل تتحرك أوربا لاحتلال تلك المكانة[١٥] .

ومن الواضح أن الإعلام الأوربي الذي يواكب الرأي العام يسعى لتحقيق أهمية الدور الأوربي بالمنطقة ولو كان على حساب الدور الأمريكي ، وهذا من جانب عملي[١٦] في مصلحة المفاوض العربي الذي بإمكانه أن يتعامل مع ورقتين لهما أثرهما في المنطقة هما الورقة الأمريكية المطروحة بوضوح أحيانًا ، والورقة الأوربية التي يهمها أن تطرح نفسها بإلحاح أكبر .

وقد شغل عرض مقال « روبرت فيسك » عددين من الأهرام في عمود الأستاذ أحمد بهجت « صندوق الدنيا »[١٧] .

ب - الأستاذ إبراهيم نافع

وقد حرص في افتتاحيته الأسبوعية (بهدوء)[١٨] على نقد الموقف الإسرائيلي من الولايات المتحدة ذاتها موجهًا خطابه للرأي العام الأمريكي[١٩] ليناقش ما يقوله نتنياهو من نقد للدور الأمريكي وذلك تحت عنوان نتنياهو وأكاذيبه الجريئة المستفزة قائلاً :

« على مدى أربعين دقيقة راح - نتنياهو - يحاضر الصحفيين ومندوبي محطات التلفزيون بصلف شديد وعنجهية ، ملفقًا الأكاذيب وعاكسًا جميع الحقائق والأوضاع ، وملقيًا اللوم في النهاية علي الآخرين جميعًا ... وحتى على الأمريكيين أنفسهم ، لأنهم لا يفهمون التاريخ ويستسلمون للدعاية العربية »... هكذا[٢٠] وقد شغل هذا المقال افتتاحية الصفحة الأولى ومعظم الصفحة الثالثة ، مدعمًا برسم كاريكتري لناجي يوضح موقف إسرائيل المتعنت في قضية السلام .

جـ - الأستاذ مرسي عطا اللّه

وقد فصل بمنهجية إعلامية بين الموقف العربي من إسرائيل والموقف الأمريكي العربي من أمريكا وذلك في مقاله المتميز « المشكلة مع إسرائيل وليست مع أمريكا » وهو يواصل به أفكاره في محاولة استغلال الدور الأمريكي بتجسيده ، وقد عرض للموضوع ذاته في مقال بعنوان « وهل تحييد أمريكا مستحيل ؟ »[٢١] .

د - الأستاذ صلاح الدين حافظ

وقد حرص على عرض الدور الأمريكي بإيجابياته وسلبياته مستعينًا بكتاب الساسة

الأمريكيين ، فكتب تحت عنوان (نعم سيدي .. أنت قاتل السلام) عرضًا للرسالة التي وجهها الكاتب السياسي الأمريكي الشهير (توماس فريدمان) إلى الرئيس كلينتون وكان لها صدى في الرأي العام الأمريكي ، وعارضًا للون من ألوان النقد الذاتي داخل الرأي العام الأمريكي نفسه[٢٢] .

٢- باب الحـــــوار :

وقد شغلت قضية السلام والدور الأمريكي فيها عددًا من المثقفين الذين فتح لهم الأهرام باب الحوار لعرض آرائهم في هذا الموضوع ، وينشر الأهرام ذلك تحت عنوان (الحوار القومي) في مقالات مابين (٧٠٠-٨٠٠) كلمة ، وتعليقات في نحو (٤٠٠) كلمة ومعظم من يشاركون في هذه الصفحة من الأكاديميين الذين يسهمون في إثراء الخطاب السياسي يوم الأربعاء بالأهرام ومن بينهم (د. يحيى الرخاوي/ د. جمال الرفاعي) كما مارس الخطاب فيه أيضًا أصحاب القضية الشرعيين من الفلسطينيين مثل « الأستاذ سلمان ناطور » مدير جريدة الاتحاد وعضو حركة السلام الآن[٢٣] .

وبذلك نرى أن صحيفتي (عكاظ) و (الأهرام) تسيران في اتجاه متكامل لا تعارض بينهما من حيث الرأي الحريص على السلام والمشاركة الإيجابية للولايات المتحدة فيه ، مع نقد الدور الأمريكي في بعض الأحيان ، أو في تكامل التقنيات المنهجية المعبرة عن هذه القضية من حيث ممارسة أشكال الاتصال الإعلامي الصحفي المتعددة :

أ - الأخبار
ب - الصور والرسم الكاريكاتيري
جـ - الاستطلاع
د - الحوار
هـ - المقال التحليلي

مع التنوع الأسلوبي ، وفنيات التعبير التي عبرت عنه اللغة الصحفية في عرض قضية السلام مثل (إنقاذ/ تلفظ أنفاسها الأخيرة/ دفن في أبوغنيم) وتلك مجازية التعبير عن مأزق السلام ، أو الأسلوب المباشر الذي مارسته بوضوح عكاظ لتنويع وجهة النظر ، أو الخطاب الموجه الساخر النقدي الذي وجدناه عند الأستاذ صلاح الدين حافظ ، أو الاستفهام الإنكاري الذي استخدمه د. مرسي عطا الله .

ب - الأشكال البنائية للدور الأمريكي - تحليل شكل المضمون

يتخذ البحث من هذا النموذج البنائي :

المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه
↑
المساعد ← الفاعل ← المعرض

مدخلاً هيكليًا لتحليل الأشكال البنائية للدور الأمريكي في صراع السلام ولأن الموضوع كله هنا هو دراسة الدور الأمريكي ، فإننا لن نخصص مبحثًا لأمريكا باعتبارها موضوعًا صحفيًا لأن البحث كله يتناول ذلك .

أما الدور الأمريكي باعتبارها الفاعل فهو ما ستعرضه الخاتمة لأنه جماع للأدوار كلها .

وسيتخذ المبحث تقسيمًا ثنائيًا يربط كل بنيتين معًا كالتالي :

أولاً : أمريكا : المرسل / والمرسل إليه
ثانيًا : أمريكا : المساعد / والمعارض
ثالثًا : أمريكا : المرسل / والمرسل إليه

ورأى أحد أبرز المفاوضين الفلسطينيين حسن عصفور أن الفرصة الأخيرة لإنقاذ عملية السلام أصبحت في يد الإدارة الأمريكية(٢٤) . وهل تحييد أمريكا مستحيل؟(٢٥) .

الدور الرئيسي الذي يطلبه الإعلام العربي من الإدارة الأمريكية هو دور المرسل الذي يسعى بذاته للسلام باعتباره مطلبًا عالميًا ، تقوم الحكومة الأمريكية فيه بدور مؤثر فعال ، ولن يكون الدور الأمريكي مؤثرًا إذا لم تشغل أمريكا دور المرسل ، بمعنى أن عملية السلام تصبح جزاءاً كاملاً من الأهداف الأمريكية ومحوراً مهمًا من محاور سياستها .

والدعوة لأن يكون السلام مطلبًا غربيًا - ولاشك أن الولايات المتحدة الأمريكية من أهم رموز الغرب اليوم ومن بعد الحرب العالمية الثانية - تلك الدعوة وجهها بعض المفكرين الغربيين الذين أكدوا أن من مصلحة الغرب عدم تفتيت المنطقة العربية

وإدخالها في صراعات تستهلك طاقتها[٢٦] .

وقد بدأ الدور الأمريكي باعتبار الولايات المتحدة الأمريكية مرسلاً لعملية السلام في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣م ، وذلك للتفاوض على فض الاشتباك وكانت قد حدثت في فترة حرب الاستنزاف أيضًا تدخلات للإدارة الأمريكية كي يتم وقف هذه الحروب بصورة مؤقتة .

نذكر هذه المقدمة الإشارية التاريخية لنقول من خلالها أن الرواسب النفسية بين العرب وإسرائيل جعلت من العسير أن يقوم طرف ما منهما بدور المرسل في عملية السلام ، لأنه سيواجه موقفًا عدائيًا إن لم يكن من طرف الصراع الآخر فإنه لابد سيواجهه من الرأي العام عنده .

لقد كانت العلاقة بين طرفي الصراع (العرب/ إسرائيل) تقوم على العداء التام الذي لابد أن ينتهي - طبقًا للمشار النفسية التي هيأها الإعلام ذاته - بالتصفية ، فاعتبار أن الغرب قد زرع جسمًا غريبًا في المنطقة العربية ليتخلص من عقدته تجاه اليهود ، ويحافظ على مصالحه في الشرق الأوسط والشرق كله ، ويحد من الوحدة العربية التي يمكن أن تهدده .

ولم يكن الرأي العام الإسرائيلي يختلف عن ذلك ، فإسرائيل - من وجهة نظرهم - الشعب المختار ، وهي دولة بلا حدود ، تسعى لأن تحقق حلمًا تاريخيًا بأن تمتد من الفرات إلى النيل .

وبعد أربع مواجهات عسكرية (٤٨، ٥٦، ٦٧، ٧٣) لم يكن ممكنًا بحال من الأحوال أن يسعى طرف إلى الطرف الآخر مباشرة ودون وسيط ، ولم يكن هذا الوسيط مساعدًا بل كان لابد أن يكون هو المرسل نفسه .

ولعل الصدمة التي أصابت الرأي العام العربي وأثرت على موقفه (حكومات وشعوب) من إعلان الرئيس المصري أنور السادات مبادرته للسلام واستعداده للذهاب إلى القدس ثم بذهابه بالفعل ، لعل تلك الصدمة كانت راجعة إلى عدم استعداد الرأي العام لهذا القرار ، وأن الإعلام لم يكن على علم به ولم تكن هناك تهيئة ما كي يمكن للرأي العام العربي أن يقبل على المستوى الشعبي ، ولم تكن المفاوضات بين الدول

العربية قد اتفقت بشأنه على المستوى السياسي ، وذلك وجد الجيل الذي حارب بالأمس القريب نفسه في مأزق حرج لايتفق مع ماضيه وواقعه وأحلامه ، وحدثت هزة نفسية على مستوى الرأي العام بمختلف درجاته الثقافية وأنماط وعيه من جراء هذا القرار .

فدور المرسل الأمريكي كان محدودًا إذا ما قارنا بدور الإدارة المصرية أثناء حكم السادات كمرسل في عملية صناعة السلام ، وإن كان السلام المصري الإسرائيلي وقتها قام على ثلاثة فاعلين (مصر/ إسرائيل/ أمريكا) .

ويرتبط بشغل الولايات المتحدة الأمريكية لموقع المرسل شغلها لموقع المرسل إليه ، وذلك لأن كل طرف من طرفي الصراع يلجأ أولاً إلى نقل وجهة نظره إليها لتتخذ بعد ذلك موقفًا وسطًا يمكن أن يوافق عليه الطرفان إذا كان فيه قدر ما من متطلباتهما ، ويمكن أن نمثل ذلك كما يلي :



وبذلك تشغل الولايات المتحدة الأمريكية محور الدائرة في حركة الصراع والتفاوض العربية الإسرائيلية ، ويتضح ذلك في النصوص الصحفية التي تعرضها صحيفتا « عكاظ » و « الأهرام » ، ويصبح كل إتصال بين طرف من طرفي الصراع وأمريكا ، مرتقبًا ومعلقًا عليه من الطرف الآخر :

« أثارت النتائج المحدودة للمحادثات التي أجراها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في واشنطن مع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون خيبه أمل فلسطينية »[٢٧] .

فقد نجح الطرف الإسرائيلي - باعتباره مرسلاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية - في إحباط الطرف العربي من الموقف الأمريكي ، والطرف العربي يطلب من الإدارة الأمريكية أكثر من أن تكون متلقية لوجهة النظر الإسرائيلية ، وكان على الموقف العربي أن ينتظر رد فعل الدور الأمريكي ليكون هو المرسل إلى المنطقة هذه المرة .

« وأمام إصرار رئيس الوزراء الإسرائيلي على عدم معاودة المفاوضات مع السلطة

الفلسطينية من دون أن تتصدى السلطة الفلسطينية لما أسماه بالإرهاب ، فإن الأنظار تتعلق الآن لمجموعة من المقترحات الأمريكية لم يعط المتحدث باسم الخارجية الأمريكية نيكولاس بيرنز أي تفصيلات عنها » .

« وقال مسؤولون في الإدارة الأمريكية أن مادلين ألبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية يمكن أن تتوجه إلى المنطقة لمتابعة الجهود الدبلوماسية ، وسوف يستمر الرئيس كلينتون والمسؤولون في الإدارة الأمريكية في مشاورات مع ممثلي الأطراف المعنية خلال الفترة المقبلة من أجل بلورة الأفكار الأمريكية الجديدة ، وسوف تجرى مشاورات أمريكية مع وفد فلسطيني يصل إلى واشنطن نهاية الأسبوع الحالي[٢٨] .

لذلك ترتبط دائمًا زيارة أحد الأطراف لواشنطن بزيارة الطرف الآخر ، وغالبًا ما ينتظر الرأي العام في الساحتين نتائج الزيارة ، ويعرض الإعلام صورة واضحة لما جرى في واشنطن من خلال الأخبار والتعليق والنقد ، بل يحرص الإعلام أيضًا في عالمنا العربي على مواجهة الاتصال الحادث بين إسرائيل وأمريكا بتوضيح الموقف العربي ، ولاشك أن تعليق الصحيفة السعودية على مطالب نتنياهو بقولها لما أسماها بالإرهاب يعرض موقفها الخاص المتفق تمامًا الموقف العربي الموحد ، إذ لا يمكن أن نطلق على من يقدم حياته عن اقتناع تام بأنها فداء لأرضه المحتلة أو حقوقه المغتصبة لفظ الإرهابي وأن ما دفعه لذلك ليس سوى موقف الآخر الذي يملك القوة والسلاح ويغتصب الأرض ويماطل دائمًا في تنفيذ أي اتفاق تم التوصل إليه .

لذلك كانت صور الصفحة الأولى من جريدة « عكاظ » لمجموعة من المتظاهرين الفلسطينيين يجتمعون خلف سيارة في الخليل أثناء المصادمات مع الجنود الإسرائيليين ، وكأنها تقدم بالصورة موقف الإنسان البسيط المتصدي للدفاع عن قضيته في مواجهة جيش مسلح منظم ، وفي اليوم التالي بالصفحة الحادية عشرة وبعرض ستة أعمدة تعرض عكاظ صورة لمستوطن إسرائيلي يحاكم لإطلاق النار على الفلسطينيين[٢٩] .

وتحدث هذه الاضطرابات في أعقاب الإحساس العربي بأثر الزيارة الإسرائيلية لواشنطن ، بمعنى أن المرسل تحول إلى مرسل إليه ، وهناك خوف يحيط بتغير في موقفه المرجو ، وفي إمكانيته تنبيه وجهة نظر الطرف الآخر .

وبالمثل في جريدة الأهرام، تتصدر صورة جنازة الشهيد الفلسطيني نادر سعيد الصفحة الأولى، وقد قتلته القوات الإسرائيلية بطلقة في رأسه، ونحن نستخدم ألفاظ الأهرام - ذاتها - في التعليق على الصورة مما يوضح موقفها، وكأنه يعلن للرأي العام أن ما يطلق عليه (الإرهاب) من جانب الفلسطينيين، هو في حقيقة الأمر إرهاب إسرائيلي، وبالصفحة الأولى كان العنوان الرئيسي هو :

« رسالة من مبارك لعرفات ... وروس بالمنطقة الأسبوع القادم »

« وفد فلسطيني في واشنطن اليوم لبحث الأفكار الأمريكية لإنقاذ عملية السلام »

وتحت العناوين جاء الافتتاح الإخباري للصحيفة كما يلي :

وتأتي رسالة الرئيس مبارك إلى الرئيس الفلسطيني قبل ساعات من توجه وفد رسمي اليوم إلى الولايات المتحدة لإنقاذ عملية السلام، وأعلن مايك ماكاري المتحدث باسم البيت الأبيض أن الوفد الممثل للسلطة الفلسطينية - يضم من بين أعضائه أبو مازن - سوف يصل إلى واشنطن اليوم، وستعقد معه وزيرة الخارجية أولبرايت اجتماعًا مهمًا، وسوف يلتقي الوفد مع دينس روس منسق عملية السلام[٣٠].

فهناك متابعة سياسية، تصحبها متابعة أخبارية إعلامية لما يحدث بين أمريكا وإسرائيل في الجانب العربي، بل تتطلب هذه المتابعة الإعلان السريع عن موقف عربي منسق تجاه ما يحدث من كون إسرائيل مرسلة للولايات المتحدة. كما أعلنت الأهرام - في العنوان ومقالها الافتتاحي - عن تبادل الرأي المباشر بين الرئيس المصري والرئيس الفلسطيني من جهة، ومحاولة قيام الطرف الفلسطيني بالدور الذي قام به نتنياهو في أمريكا من جهة أخرى.

فصورة الولايات المتحدة الأمريكية تجمع بين الطرفين معًا (المرسل إليه/ والمرسل) لأنها الملتقى لوجهة النظر العربية ووجهة النظر الإسرائيلية، ويحرص كل طرف منهما على التأثير قدر الإمكان على هذا المتلقي في المرحلة الأولى، وفي المرحلة الثانية تقوم الولايات المتحدة بالفعل، بعد أن تلقت موقف كلا الطرفين وتحاول صياغة رؤية ممكنة محتملة أو قابلة للنقاش يمكن أن يتلاقى الطرفان حولها.

وهذه الرؤية الإعلامية للدور الأمريكي باعتباره المرسل والمرسل إليه، تتطلب من

الطرف الأمريكي أن تكون له القدرة على التأثير، وتفترض - وربما كان هذا صحيحًا بصورة نسبية - أن الحل يكمن عنده، وأنه لو أراد صياغة مبادرة سلمية شاملة وعادلة فله القدرة على إلزام الطرفين بها دون تعنت أو تحيز.

وتركز الصحيفة العربية على الموقف الذي سعى الطرف العربي لنقله إلى واشنطن بوضوح في أعقاب تلقي واشنطن للموقف الإسرائيلي:

في غضون ذلك أكد الفلسطينيون عشية توجه وفد فلسطيني رفيع المستوى إلى واشنطن اليوم على ضرورة وقف الاستيطان الإسرائيلي في أراضيهم كشرط مسبق لأي مبادرة جديدة تهدف إلى إعادة المحادثات الفلسطينية - الإسرائيلية المجمدة إلى مسارها(٣١).

ولاشك أن هذه الحركة إلى واشنطن من الطرفين كما هو واضح من الظروف المحيطة بعملية السلام في هذه الفترة تعد في غاية الأهمية، ففي هذا الوضع الذي تصف فيه الصحافة حركة السلام بأنها (مجمدة) يصبح المخرج هو الاتصال المباشر للطرفين بالولايات المتحدة الأمريكية لعرض أسباب هذا الجمود أو محاولة إزاحته بأسلوب غير مباشر.

وفي هذا الجمود، وفي داخل هذه الحركة المضادة المتجهة إلى واشنطن لكسره، يصبح انتظار رد الفعل الأمريكي، وبعد أن تمت عملية الإرسال، أمرًا يشغل الإعلام، بقدر ما يشغل طرفي الصراع، بل إن كل طرف من طرفي الصراع يتوقع أن تقوم الإدارة الأمريكية بإرسال مطالبه - بصورة مؤثرة إلي الطرف الآخر، وتصبح محاولة التنبؤ بدور أمريكي قادم نوعًا من استشراف المستقبل الغرض منه التأثير على الطرف الآخر وبعث الاطمئنان في الذات:

« وقد كشفت مصادر إسرائيلية النقاب أمس عن تفاصيل مبادرة سلمية تعتزم الإدارة الأمريكية طرحها في المستقبل القريب من أجل تفعيل المفاوضات على مسار الفلسطيني الإسرائيلي ».

وقالت المصادر الإسرائيلية إن المبادرة الأمريكية تنص على وجوب التزام السلطة الفلسطينية بمحاربة العمليات العدائية ضد إسرائيل مقابل التزام الحكومة الإسرائيلية

بوقف بناء المستوطنات في الأرض الفلسطينية ، والموافقة على استكمال انسحاب القوات الإسرائيلية من باقي الضفة الغربية وقطاع غزة(٣٢) .

والترقب يصحب انتظار الدور الأمريكي باعتبار الولايات المتحدة مرسلاً في عملية السلام ، ويجعل من الدور الأمريكي محوراً ، بل يكاد يتجاوز الواقعية في بعض الأحيان ، ليترك العنان للمصادر المسؤولة أن تتصور رد الفعل ، وربما - كما أوضحنا - كانت تصريحاتها نوعًا من التأثير على الطرف الآخر ، أو نوعًا من التوقع لإعادة النظر في متطلباتها الجديدة إذا ما كانت توقعاتها صادقة .

وعلى الجانب الآخر ، تحاول الولايات المتحدة أن تحد من دورها باعتبارها مرسلاً ، وربما كانت تهدف من ذلك إلى إعادة الكرة إلى ملعب الطرفين ليقدما مزيداً من التنازلات أو الاقتراحات المنبثة عن وجهة نظر قابلة للحوار ، وتمارس لعبة التسويف ليظل الدور المرتقب أشبه بمنقذ يعيد الحياة إلى حركة السلام ، ولاشك أن الإعلام العربي حين يعرض ذلك يقول من خلاله إن على أمريكا مواصلة دورها ولكن علينا نحن أيضًا أن نستمر في تحريك العملية لصالحنا في الوقت نفسه :

في حين نفت وزارة الخارجية الأمريكية أمس أن تكون هناك خطط لسفر وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت أو دينيس روس المنسق العام لعملية السلام في الشرق الأوسط إلى منطقة الشرق الأوسط خلال الفترة الحالية(٣٣) .

وفي هذا الوقت الذي تتريث فيه الإدارة الأمريكية ، كان نتنياهو في هولندا يحاول التأثير على الاتحاد الأوربي الذي يرى أنه منحاز للموقف العربي :

فقد صرح نتنياهو لدى وصوله أن محادثاته مع رئيس الوزراء الهولندي وغيره من المسؤولين سيكون هدفها إقناع الاتحاد الأوربي بالتخلي عن موقفه المتحيز ، وترك جهود الوساطة للولايات المتحدة الأمريكية(٣٤) .

فأمريكا - في التصريحات السابقة - هي الغائب الحاضر ، والتي يعول عليها الأمر ، ولاشك أن محاولة الجانب الإسرائيلي للضغط على الاتحاد الأوربي تأتي بعد مشاوراته مع واشنطن مباشرة لإدراكه أن مطالبه في واشنطن قد صارت واضحة ومقنعة بالنسبة للمرسل الأصلي (الولايات المتحدة) .

في الآن ذاته كان على الطرف العربي أن يستعجل الدور الأمريكي، ويحاول معرفة موقفها بعد تلقيها زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي:

وفي عمان عقد رئيس الوزراء الأردني عبد السلام المجالي محادثات مع أحمد الطيبي مستشار الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات تزامنت مع وصول وفد من كبار المفاوضين الفلسطينيين إلى واشنطن لإخراج عملية السلام من المأزق الذي وصلت إليه، وصرح الطيبي أن مهمة الوفد الفلسطيني في واشنطن تستهدف الاستماع إلى أفكار الإدارة الأمريكية تجاه دفع عملية السلام(٣٥).

تأتي المشاورات العربية بعد زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي لواشنطن ثم أوربا من جهة، ويعقبها من جهة أخرى قيام الحكومة الفلسطينية بإرسال وفود عالية المستوى لمتابعة الموقف في واشنطن، ومعرفة رأي الإدارة الأمريكية وموقفها بعد تعاملها المباشر مع إسرائيل.

ومن الواضح أيضًا أن هذه الحركة العربية الداخلية المتمثلة في التقاء بعض الأطراف العربية معًا بشكل مباشر أو من خلال الرسائل (مصر/ فلسطين/ الأردن) تدور حول التأثير على دور واشنطن وترتيب الأوراق العربية مثل أن يصبح الوفد الفلسطيني مرسلاً إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

كذلك كان هدف الوفد الفلسطيني الاستماع إلى موقف واشنطن ذاته، لنرى كيف تقوم الحكومة الأمريكية بالدورين في الآن نفسه، دور المرسل ودور المرسل إليه.

وأهمية هذه الحركة ذات البعدين (عربي داخلي/ عربي خارجي تجاه واشنطن) تصدر من كون حركة السلام قد وصلت إلى مأزق بتعبير جريدة عكاظ، فهناك عقدة لابد لها من حل، أو على الأقل من تحريك حتى تستمر العملية قائمة دون أن يتهم طرفا ما بأنه السبب المباشر في جمودها، وحينما تصل عملية السلام إلى ما تطلق عليه الصحف (مرحلة الجمود/ أو المأزق) وتتطلب ما تطلق عليه الصحف أيضًا (الإنقاذ/ أو الإحياء) يكون الدور الأمريكي هو المطلب المباشر للخروج بالعملية إلى مسارها، واستكمال المواجهة بين الطرفين بالتفاوض والنقاش والحوار، وهذا كله يتطلب التدخل الأمريكي، ولكنه قبل ذلك يتطلب الإرسال إلى الإدارة الأمريكية ومحاولة التأثير عليها ونقل

وجهة النظر عن طريقها إلى الآخر (العرب الفلسطينيين/ وإسرائيل) .

ويتوقف دور الإدارة الأمريكية باعتبارها مرسلاً إلى المنطقة على طبيعة سياستها الخارجية من جهة ويرتبط كذلك بموقف الرأي العام الأمريكي من جهة أخرى ، ومن الواضح في هذا الإطار أن اليهود يقومون بدور داخلي في إعادة تشكيل الرأي العام الأمريكي في بعض الأحيان ، بمعنى أن هناك إرسالاً داخليًا يؤديه الإعلام اليهودي ، وهذا يتطلب من الإعلام العربي الموجه إلى أمريكا من المنطقة العربية أو من داخل الولايات المتحدة نفسها أن يكون حريصًا على التصدي لما يعنيه الإعلام اليهودي ، ولاشك أن المصالح الأمريكية في المنطقة العربية من جهة ، والدور الذي تقوم به الجاليات العربية في واشنطن داخل إطار المجتمع الأمريكي من جهة أخرى يمكن أن يكون لذلك أثره ودوره في الإرسال إلى الرأي العام الأمريكي الذي لاشك من أهم عوامل صنع قرارات واشنطن .

ومن هذا المنطلق يمكن تلخيص الدور الأمريكي الثنائي (المرسل/ المرسل إليه) في عملية السلام في النقاط الآتية :

١- الرواسب النفسية بين طرفي الصراع تتطلب مرسلاً خارجيًا هو الولايات المتحدة في معظم الأحيان .

٢- وصول حركة السلام إلى قمة التعقيد والتأزم يفرض دورًا على واشنطن .

٣- يرتبط إرسال طرف من الطرفين برأيه إلى واشنطن ترقب الطرف الآخر ، والقيام بالمهمة ذاتها ، ومن هنا تنصب وجهة نظر الطرفين في واشنطن .

٤- يتوقف الدور الأمريكي على إدارك الإدارة الأمريكية نفسها لأهمية استمرار العملية السلمية بالنسبة للولايات المتحدة نفسها .

٥- عدم الفصل بين الرأي العام الأمريكي والإدارة الأمريكية ، وإنما مخاطبة هذا الرأي لأهميته في صنع القرار السياسي .

٦- أن دور المرسل والمرسل إليه بالنسبة للولايات المتحدة لاينفصل بحال من الأحوال ، لذلك تأتي أهمية قيام الطرف العربي بدور المرسل في بعض الأحيان لتحريك

الموقف الأمريكي واكتساب ثقته ونقل رأيه بصورة مؤثرة إلى الطرف الإسرائيلي ، كما يفعل الطرف الإسرائيلي هذا الدور بوضوح ، وهذا يتطلب إيجابية في التعامل مع الإدارة الأمريكية ، والفصل المؤقت في هذا التعامل ، بين الطرف الأمريكي والطرف الإسرائيلي .

أمـــريكا : المساعـــد والمعـــارض

في أي صراع درامي - وقد نظرنا إلى عملية السلام باعتبار النموذج البنائي للدراما نموذجًا صالحًا لها وتحليل أدوار الأطراف فيها - نقول في أي صراع درامي تسعى كل شخصية للوصول إلى غاية تحقق لها الهدف ، وتشبع طموحها وتكوينها الفكري والنفسي ، من هذا المنظور كانت العلاقة بين الطرفين (العربي/ الإسرائيلي) علاقة عدائية يحاول كل طرف فيها الانتصار على حساب الطرف الآخر .

وقد استغلت إسرائيل الدور الأمريكي باعتبار كونه مساعدًا قويًا حينما كانت الحرب هي الشكل المعلن للصراع ، وبعد أن اتخذت المواجهة طابعًا سلميًا قائمًا على التفاوض وحساب الاحتياجات السياسية والمصالح الواقعية كان على الدور الأمريكي أن يتغير ، وبصفة خاصة حين واجه العرب الغرب بسلاح البترول في حرب أكتوبر ٧٣. وظهر واضحًا أن المصالح الأمريكية متشابكة في المنطقة وبالتالي لايمكن لواشنطن أن تقوم بدور المساعد لأحد الأطراف على حساب الطرف الآخر .

وتأتي إشكالية الدور الأمريكي في المنطقة من كونه يشغل هذين الدورين المتعارضين من جهة ، المتكاملين من جهة أخرى . والسؤال المطروح هوكيف يمكن أن تقوم واشنطن بهذين الدورين (المساعد/ المعارض)؟ أو كيف يتم طرح ذلك من منظور الإعلام العربي كما انعكس في مادة دراستنا (من الأهرام وعكاظ)؟ .

إن كون الطرفين المتعارضين تربطهما مصالح وثيقة وعلاقات طبيعية ومنافذ اتصال وتأثير واضحة على واشنطن ، يجعل الولايات المتحدة قائمة بهذين الدورين من منظورين أحدهما عربي والآخر إسرائيلي ، وهذان المنظوران يحدث التبادل بينهما طبقًا لمتطلبات كل طرف وأيديولوجيته ومصالحه وموقفه من الطرف الآخر .

ولاشك أن كل طرف سعى لفرض رأيه على مسيرة السلام ، الطرف العربي بموقفه

العادل ومطالبه إنهاء الاحتلال وقيام دولة فلسطينية ذات سيادة وحقوق ومكانه ترضى الرأي العام العربي والفلسطيني، والموقف الإسرائيلي، بمناوراته وتسويفاته ووجهة نظره المتعنتة تجاه نظريته الأمنية وسياسته التوسعية، يسعى للحفاظ على الأرض والمكاسب السياسية التي تؤيده، ولا باس من أن يكون ذلك على حساب العرب، أو لمحاولة تقسيم الرأي العربي وتشتيته لينقسم العرب من داخلهم ويواجهون رأيًا عامًا داخليًا سيشغلهم عن صراعهم معه في معركة السلام .

من هذه الزاوية فإن الحكم على دور واشنطن باعتبارها المساعد من وجهة النظر الإسرائيلية سيعد حكمًا مقابلاً من وجهة النظر العربية باعتبارها المعارض والعكس صحيح أيضًا .

وقد أعلنت الإدارة الإسرائيلية أكثر من مرة أن الدور الأوربي - على سبيل المثال - منحاز للرأي العربي ومؤيد له، بل وطالب رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو أوربا بالتخلي عن دور الوسيط للولايات المتحدة الأمريكية .

فقد صرح نتنياهو لدى وصوله - إلى هولندا - أن محادثاته مع رئيس الوزراء الهولندي وغيره من المسؤولين سيكون هدفها إقناع الاتحاد الأوربي بالتخلي عن موقفه المتحيز وترك جهود الوساطة للولايات المتحدة الأمريكية(٣٦) .

وإذا رأينا مدى الفائدة التي نحصل عليها من إعادة قراءة النص الصحفي من خلال منهج الموازنة بين ما تكتبه الصحف المختلفة (عكاظ/ الأهرام : على سبيل المثال في هذا البحث) سنجد إلى أي حد تتكامل الرؤية، وتستدعي التصريحات بعضها، لتكون مناقشة تلك التصريحات المتعددة المصادر منطلقًا للوصول إلى رؤية توضح طبيعة الأدوار وموقف الأطراف المتعارضة منها، ففي اليوم نفسه جاء في جريدة الأهرام القاهرية :

« كلينتون يؤكد أنه لن يترك فرصة السلام تفلت من يديه » (عنوان) .

أعلن نيكولاس بيرنز المتحدث باسم الخارجية الأمريكية رفض واشنطن للتصور الموجود حاليًا في بعض الدول العربية بأن الولايات المتحدة ليست وسيطًا محايدًا، على الرغم من اعترافه بإحباط معظم العرب بسبب المواقف الأمريكية وانحيازها إلى

إسرائيل [٣٧]

وإذا ربطنا بين التصريحين سنجد الموقف العربي الذي تخاطبه الإدارة الأمريكية، وترى أنه يأمل فيها بأكثر من ذلك، يأتي نتيجة طبيعية لموقف الطرف الآخر الذي أعلنه « نتنياهو حين طلب من أوربا التخلي عن المشاركة في عملية السلام لانحيازها للموقف العربي، وترك هذا الدور للولايات المتحدة الأمريكية »، ولأن الموقف العربي بالطبع لا يطمئن لتصريحات نتنياهو نجد الإدارة الأمريكية في اليوم ذاته تحاول أن تنقي عن نفسها شغلها موقع المساعد للطرف الآخر (إسرائيل) لأنها تعي أثر تصريح «نتنياهو» بالنسبة للرأي العام العربي على المستويين السياسي والشعبي.

فالدور الأمريكي باعتبار الولايات المتحدة مساعداً ومعارضًا، وهو موقف الطرفين العربي والإسرائيلي لكنه دور جدلي، إذا ما أن يعلن طرف أن أمريكا هي المساعد حتى يثير ريبه الطرف الآخر، كما نرى من رد فعل التصريح الإسرائيلي التالي: « وقد أعلن وزير الخارجية الإسرائيلي ديفيد ليفي أمس أثر اللقاء الذي جرى في واشنطن بين رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين تنتياهو والرئيس الأمريكي بيل كلينتون أن إسرائيل لم تتخل عن عملية أوسلو للسلام ... وأضاف الوزير الإسرائيلي: ننوي المضي قدمًا في عملية أوسلو للسلام ... وتابع يقول:

من الواضح أيضًا أن الولايات المتحدة قوة عظمى صديقة تساعد الطرفين وتسعى إلى تقريب وجهات النظر بينهما لأن السلام لمصلحة الجميع [٣٨].

وكأن الوزير الإسرائيلي يحاول التخفيف من لهجة رئيس الوزراء نتنياهو حين رفض التدخل الأوربي، فيشير ليفي: وزير الخارجية الإسرائيلي إلى التزام إسرائيلي بالاتفاقيات التي تدخل الطرف الأوربي فيها، مع التأكيد على الدور المساعد للولايات المتحدة الأمريكية، ويلمح - بنبرة سياسية لا تخلو من إنشائية وممارسة لدور الناصح أن الولايات المتحدة لا تشغل موقع المساعد لإسرائيل، وإنما تشغله من منظورين في الآن نفسه، ويعيد تقديم أهمية الدور الأمريكي وتقييمه، وبقوله إن السلام لمصلحة الجميع.

وإذا كان الارتياح الإسرائيلي لدور المساعد الأمريكي في عملية السلام واضحًا، فإن الموقف العربي يعي أهمية الدور، ويحرص عليه أملاً أن يكون المساعد له، وألا يكون

معارضًا لرؤيته ، وإن كان ما يعد نجاحًا من وجهة نظر المسؤول الإسرائيلي ، يراه الموقف العربي على أنه فشل - بالطبع - لأن توزيع الأدوار يختلف باختلاف أيديولوجية الطرفين ، فقد رأى الإعلام العربي أن زيارة نتنياهو لواشنطن فاشلة لأنها لم تحقق الأهداف التي ترضي أو تحمس أو تحرك العرب تجاه المزيد من المفاوضات أو تفتح لهم الباب لتحقيق الحوار المفقود : وفي الأرض المحتلة رصدت « عكاظ » رد فعل بعض المسؤولين والمؤسسات الفلسطينية على موجة العنف التي تضرب الأرض الفلسطينية المحتلة ، وفشل زيارة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامن نتنياهو لواشنطن وما يجري من حديث عن مبادرة أمريكية جديدة لإنقاذ عملية السلام[٣٩] .

والحديث عن رد الفعل العربي وتصوير الرأي العام داخل الأرض المحتلة لا تتركه صحيفة « عكاظ » دون محاولة العثور على بصيص من الأمل ، تعبر عنه بلفظ (إنقاذ) مما يصور الرؤية العربية الإعلامية من التصريحات الإسرائيلية التي ترى نجاحًا فيما يراه العرب فشلاً ، من خلال إشكالية الدور الأمريكي ، فتشير «عكاظ» لأهمية الدور في إعادة صياغة مفردات السلام بصورة ترضي الرأي العام الفلسطيني والعربي الباحث عن سلام حقيقي عادل :

ورأى الخبراء أهمية استمرار الدور الأمريكي في المنطقة على ضوء زيارة الوفد الفلسطيني لواشنطن وإمكانية التأثير على الموقف الأمريكي لإيجاد حلول تفك الجمود الحالي[٤٠] .

فإمكانية التأثير على الموقف الأمريكي من وجهة نظر عكاظ إذا ما تناولناه بالتحليل يعني إعادة صياغة الدور الأمريكي بعكس مساره ، حيث كان واضحًا في الرؤية الإعلامية العربية بعد زيارة نتنياهو لواشنطن وتصريحاته ، أن أمريكا قد انحازت لموقع المساعد تجاه الطرف الإسرائيلي ، وهذا في الآن نفسه يعني أنها قد أصبحت المعارض من وجهة النظر العربية ، لذلك تشير الصحيفة لأهمية التحرك العربي الجديد إلى واشنطن لإعادة التوازن في الدور والبحث عن دور المساعد المحايد المتفهم للطرفين . ويتضح في هذا المقام التدخل الإشكالي للأدوار بالنسبة للموقف الأمريكي والتعبير الإعلامي عنه ، فشغل أمريكا موقع المساعد لإسرائيل يترتب عليه أن يشغل العرب موقع المرسل

لأمريكا لإقناعها بسلامة شرعية وجهة النظر العربية وتحويلها من مركز المعارض لمركز المساعد، وبذلك يصبح الدور الأمريكي هنا المرسل إليه مرة أخرى، وإذا نجح الدور العربي في تلك، عادت أمريكا لترسل إلى إسرائيل لتصبح هي المرسل إلى المنطقة، وهكذا، لنجد أن الارتباط الحتمي بين الأدوار المتعددة قائم من خلال فاعلية الأطراف والجدل بينها وبين بعضها البعض الآخر من جهة أو بينها وبين الرأي العام الذي يمثله الإعلام من جهة أخرى، لتستمر حركة السلام وصراعها الذي يحتاج إلى صبر وشحن عقلي وإعلامي يواكبه ويؤيده ويعبر عنه.

خلاصـــة البـــحث

١- إن التنوع المنهجي الذي تملكه الصحافة يتيح للقضية السياسية أن تعرض بأكثر من وسيلة، مما يجعل أنظمة الرسالة الصحيفة المتعددة علامة ذات قيمة مضمونية وأيديولوجية لها أثرها. وقد أظهر ذلك كيف تنازلت الرسالة الصحيفة باختلاف أنماطها قضية السلام مركزة على أبعاد الدور الأمريكي كما فعلت «عكاظ» و «الأهرام».

٢- إن الصحيفة العربية تتجاوز القطرية، وتعبر عن ذات قضاياها المحلية بالقدر ذاته التي تجعل القضايا العربية لا تنفلت من بين يديها وقد وجدنا ذلك في «الأهرام» صوت القاهرة الذي لايمكن أن يتجاوز في صراع السلام على الإطلاق، وفي «عكاظ» صوت المملكة العربية السعوية ذات الثقل الواضح في عملية صياغة الأدوار في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط[٤١].

٣- إن الصحيفتين كلتيهما بقدر ما تعبران عن الرأي الرسمي السياسي في الالتزام قضية السلام وتحرصان على أهمية الدور الأمريكي لا تقدمان ذلك برؤية أحادية وإنما تطرحان مجموعة من الرؤى باستغلال الآراء القومية المخلصة المختلفة التي - وإن تعارضت - تتكامل لتشكيل صورة واضحة عن الرأي العام العربي الذي لايعفي الدور الإيجابي للولايات المتحدة من سلبيات تحد لدى البعض من مصداقية دور المساعد المحايد الذي تحرص عليه الحكومات العربية والشعوب أيضًا.

٤- إن الفصل بين أمريكا وإسرائيل هو اتجاه منهجي أيدلوجي وإجرائي في العلاقات النفعية في المنطقة، وقد عكست الصحيفتان ذلك بوضوح، وذلك نتيجة

مهمة يجب أن تتعمق لدى الوعي القومي العربي .

٥- إن الدور الأمريكي بالمنطقة يختلف باختلاف وجهة النظر ، وباختلاف الرؤية التي يعكسها المنظور العربي أو الإسرائيلي له ، وبذلك تتركز الولايات المتحدة في قلب دائرة لتنصب فيها الآراء وتعيد تقديمها من جديد .

٦- إن السياسة الأمريكية تجاه المنطقة تختلف باختلاف الرؤية الأمريكية لسياستها الخارجية ، لذلك ففي الفترة الأخيرة تأخرت الجهود الأمريكية شهوراً من (إبريل ١٩٩٧ إلى سبتمبر ١٩٩٧) وقد حاولت الصحافة في هذه الفترة التنبؤ بالموقف الأمريكي والمبادرة التي تحملها « أولبرايت » إلي المنطقة ، ولذلك يحسن بالمفاوض العربي استغلال ظروف توجه الولايات المتحدة إلى الخارج ، واستثمارها في الضغط على إسرائيل[٤٢] .

٧- أوضحت الصحيفتان مدى الاهتمام العربي بالرأي العام الغربي الأوربي الذي يتداخل مع الدور الأمريكي ويمكن استغلاله لصالح الصراع من وجهة النظر العربية ، وهو ورقة ضغط رابحة على الرأي العام الأمريكي نفسه .

٨- إن الدور الحقيقي للولايات المتحدة هو دور (الفاعل) وهو دور يجمع الأدوار معًا ليعيد صياغة علاقة الطرفين بغضهما نظراً للرواسب النفسية التي تكمن في الوعي القومي العربي من جهة والسياسة الإسرائيلية المتعنتة من جهة أخرى .

٩- حرصت الصحيفتان على نقد الدور الإسرائيلي والرؤية الإسرائيلية للولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، وذلك لأن التوجه إلى الجمهور الأجنبي في واشنطن من قبل الصحافة العربية يتطلب إفهام ذلك الجمهور ، وفي العادة بطريق غير مباشر أنه صاحب مصلحة حالية أو محتملة في تأييد تلك القضية التي تقدمها أو تتبناها[٤٣] .

١٠- وعلى الرغم من الاتفاق في الرؤية بين الصحيفتين (عكاظ/ الأهرام) فإن الأنماط المعبرة عن الرسالة الصحفية بينهما قد اختلفت الاختلاف التكاملي لا الاختلاف التعارضي كما ألمحنا في نهاية المبحث الأول .

١١- يدعو البحث للاستمرار في دراسة الدور الأمريكي خلال فترات الصراع

المختلفة، كما يدعو أن يتناول الأكاديميون في المجال الإعلامي دراسة الدور الأوروبي أيضًا بمنهجية شاملة.

١٢- كما يدعو البحث وقد اكتشف ذلك بتحليل أنظمة الرسالة - إلى دراسة كل نمط صحفي على حدة أيضًا لما في ذلك من ثراء، فلاشك أن الخبر ممكن أن ندرسه دراسة مستقلة كذلك الاستطلاع أو المقال التحليلي أو الحوار القومي الذي يكتبه المثقفون.

١٣- لم تغفل الصحيفتان الرأي العربي الفلسطيني في الأرض المحتلة ذاته واستدعته بأكثر سن أسلوب.

١٤- حرص كبار الصحفيين على الإطلاع على ما ينشر في الصحف الغربية والأوربية وتقديمه للقاري العربي فيما يخص القضية، وهذا نموذج متميز للإعلام العربي المثقف المسلح بالانفتاح الواعي على وجهات النظر العالمية.

هوامش وملاحظات

١- **رولان بارت**: *أساطير*، ترجمة: سيد عبد الخالق، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٩.

٢- **جاب الله موسى**، فرار المتلقي العربي إلى أحضان الإعلام الكوني، *مجلة سطور*، لندن، العدد ٢، يناير ١٩٩٧م، ص ٩١.

٣- **غازي زين عوض الله**، *الإعلام والمجتمع*، الهيئة المصرية العامة للكاتب، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٢٩.

٤- تناولت ذلك بالتفصيل في سلسلة مقالات طوال عام ١٤١٧هـ - ١٩٦م بمجلة «اقرأ» السعودية، - على سبيل المثال من العدد ١٠٧٥ وما بعده - تحت عنوان بعد انهيار الحكم الشيوعي .. أين نحن؟ في صفحة «هتاف قلم».

٥- لمراجعة ذلك بالتفصيل انظر على سبيل المثال د. زكي نجيب محمود، أيام في أمريكا، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٢٥٣.

علم العلامات Semiotics، وهو علم دراسة أنظمة الاتصال التمثيلي للفكر الإنساني.

٦- راجع: **C.H. Price,** The Collected Papers, Ed. by C. Htshorne, Cambridge University Press, 1958, pp. 2-228.

٧- راجع: **D. Hymes,** The Analysis of Communicative Events, England, 1990, pp. 22-23.

٨- في المصطلح : الأيقونة ، دلالة الوحدة على ذاتها . المؤشر : دلالة الوحدة على ما يجاورها (مثل دلالة الدخان على النار) .

راجع : **J. Lyons,** Semantics, Cambridge, 1977, VI, pp. 102-103.

٩- في مصطلح (مجاوزة القراءة Meta Reading) راجع : **B. Mchale,** Constructing Post Modernism, London, 1992, p. 122.

١٠- في التكنيك التنظيمي للصورة الصحفية والتوزيع الإحالي للمضمون ، راجع : إميل بوافان ، تاريخ الصحافة ، ترجمة : محمد إسماعيل محمد ، مراجعة : د. محمود أبو الليل ، القاهرة ، د.ت. ، (الألف كتاب - ١١٨) ، ص ١٤٥ .

وانظر أيضًا قول غلبرت فرار : أن القارئ اليوم لم يعد يقرأ الافتتاحات دائمًا فهناك عدة مصادر أخرى للتعليق على الشؤون المحلية والقومية والعالمية داخل الصحيفة انظر مقالة : تركيب الجريدة ، بكتاب « فن الصحافة » تحرير : أ. د. كوبلنتر ، ترجمة : أنس صانع ، مراجعة : محمود الحوت ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ٢٤١ .

١١- عكاظ : العدد ١١١٩٦ ، ٥ من ذى الحجة ١٤١٧هـ ، ص ١١ .

١٢- عكاظ : العدد ١١١٩٣ ، ٢ من ذي الحجة ١٤١٧هـ ، ص ١٤ .

١٣- عكاظ : السابق ، ص ١ .

١٤- تشير إلى أن هذا العمود « صندوق الدنيا » لأحمد بهجت هو عنوان لأحد كتب إبراهيم عبدالقادر المازني الأديب الساخر الكبير مما يوضح أثره على الأستاذ أحمد بهجت .

١٥- الأهرام : العدد ٤٠٣٠٢ ، ٣ من ذي الحجة/ ١٠ إبريل ، ص ٢ .

١٦- راجع دراسة : الرأي العام والسياسة الدولة ، ضمن كتاب : وسائل الاتصال الجماهيري في السلوك الدولي ، بالكتاب السابق ، ص ١٢٩ .

١٧- الأهرام : العددان ٤٠٣٠٢ - ٤٠٣٠٢ .

١٨- نشير إلى افتتاحية الأهرام السابقة (بصراحة) التي كان يكتبها الأستاذ محمد حسنين هيكل في المساحة ذاتها وتحت عنوان له أثره على الأستاذ إبراهيم نافع ، لتوضيح أثر المؤسسة الصحفية وتقنياتها وأجيالها على اتجاهها الشكلي بصرف النظر عن الاختلاف الأيدلوجي .

١٩- نقد الرؤية الإسرائيلية للولايات المتحدة في الصحافة العربية وتوجيه الخطاب في ذلك للرأي العام الأمريكي سمة مهمة ، وفي اليوم التالي ١٢ إبريل ، تكتب مها عبد الفتاح في أخبار اليوم مقالاً مهمًا في الموضوع ذاته بعنوان « كيف تنتهك إسرائيل علاقتها الخاصة بأمريكا » ، أخبار اليوم ، العدد ٢٧٣٦ ، ٥ من ذي الحجة - ١٢ إبريل (نيسان) ، ص ٧ .

٢٠- الأهرام : العدد ٤٠٣٠٣ ، الافتتاحية (بهدوء) ، ص ١ .

٢١- الأهرام : العدد ٤٠٣٠٢ ، ٣ من ذي الحجة - ١٠ إبريل ، ص ١١ .

٢٢- الأهرام : العدد ٤٠٣٠١ ، ٢ من ذي الحجة - ٩ إبريل ، ص ١١ .

٢٣- الأهرام : العدد ٤٠٣٠١ (السابق) ، والعدد ٤٠٣٠٨ (يوم الأربعاء) ، ص ٢٢ بالنسبة للعدد

٤٠٣٠١ ، وص ١٩ بالنسبة للعدد ٤٠٣٠٨ .
٢٤- عكاظ : ١١١٩٣ ، ص ١ .
٢٥- الأهرام : ٤٠٣٠٢ ، ص ١١ .
٢٦- **أرنولد توينبي** : العالم والغرب ، كتاب يتضمن مجموعة أحاديث إذاعية ألقاها المؤرخ الشهير في الإذاعة البريطانية ، ص ص ٣٧-٣٨ .
٢٧- عكاظ : ١١١٩٣ ، ص ١٤ .
٢٨- السابق (عكاظ) : ١١١٩٣ ، ص ١٤ .
٢٩- عكاظ : ١١١٩٤ ، ص ١١ .
٣٠- الأهرام : ٤٠٣٠٢ ، ص ١ .
٣١- عكاظ : ١١١٩٤ ، ص ١ .
٣٢- السابق : ص ١١ .
٣٣- عكاظ : ١١١٩٥ ، ص ١١ .
٣٤- السابق (عكاظ) : ص ١١ .
٣٥- السابق (عكاظ) : ص ١١ .
٣٦- السابق (عكاظ) : ص ١١ .
٣٧- الأهرام : ٤٠٣٢ ، ص ١.
٣٨- عكاظ : العدد ١١١٩٢ ، ص ١٤ .
٣٩- عكاظ : ١١١٩٦ ، ص ١١ .
٤٠- السابق (عكاظ) : ص ١١ .
٤١- ويرى بعض الأساتذة الإعلاميين أن الإعلام العربي في حاجة لمزيد من الرؤية لتحقيق فكرة المجاورة القطرية والانشغال بالقضية العربية والتوجيه إلى العالم ، راجع ما كتبه الدكتور أحمد عبد الملك : الإعلام العربي بين الأزمة وصياغة القرار ، مجلة العربي ، العدد ٤٥٤ ، سبتمبر ٩٦ - ربيع الآخر ١٤١٧هـ ، ص ٨٢ .
٤٢- في هذا المجال يعرض الأستاذ جلال دويدار في جريدة الأخبار رأي الكاتبين الأمريكيين الشهيرين (إيفانز/ ونوفاك) في مقال مشترك لهما ، نقدهما لسياسة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الخارجية تجاه الشرق الأوسط لأن وزيرة الخارجية (مادلين أولبرايت) ومستشار الأمن القومي (ساندي بيرجر) من خريجي السياسة الحزبية التي تعرف عن السياسة الداخلية أكثر مما تهتم بالعالم الخارجي ، انظر : جلال دويدار ، من يضغط على من ؟ الأخبار ، العدد ١٤٠٢٠ ، ٢ من ذي الحجة - ١٠ إبريل .
٤٣- **خالد الكومي** : الدبلوماسية والدعاية الخارجية على ضوء التحدي الصهيوني ، وزارة الخارجية ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٧٧ .

المـــراجـــــع

أولاً : المراجع العربية والمترجمة

غازي زين عوض الله ، *الإعلام والمجتمع* ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
فرار (غلبرت) ، تركيب الجريدة ، مقال بكتاب *فن الصحافة* ، جمع وتحرير أ. د. كوبلتن ، ترجمة أنيس صايغ ، مراجعة محمود الحوت ، بيروت ، د.ت.
الكومي ، خالد ، *الدبلوماسية والدعاية الخارجية على ضوء التحدي الصهيوني* ، إشراف د. حامد عبدالله ربيع ، وزارة الخارجية ، معهد الدراسات الدبلوماسية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
محمود ، زكي نجيب ، *أيام في أمريكا* ، القاهرة ، ١٩٥٧م .
ملر (ج. و.) ، دراسة عامل الاتصال الجماهيري في السلوك الدولي ، ضمن كتاب : *وسائل الاتصال الجماهيري والتفاهم الدولي* ، وزارة الإعلام ، القاهرة ، د.ت.
بارت (رولان) ، *أساطير* ، ترجمة : سيد عبد الخالق ، القاهرة ، ١٩٩٥م .
بنيتو (جان) ، الرأي العام والسياسة الدولية ، ضمن كتاب : *وسائل الاتصال الجماهيري والتفاهم الدولي* ، وزارة الإعلام المصرية ، د. ت.
بوافان (إميل) ، *تاريخ الصحافة* ، ترجمة محمد إسماعيل محمد ، مراجعة محمود نجيب أبو الليل ، القاهرة ، الألف كتاب (١١٨) .
توينبي (أرنولد) ، *العالم والغرب* ، تعريب : نجدة ماهر و سعيد الغز ، بيروت ، د.ت.

ثانيًا : المـــراجـــــع الأجنبيـــة

D. Hymes, *The Analysis of Communicative Events,* England, 1990.
J. Lyons, *Semantics,* Cambridge, 1977, v. 1.
B. Mchale, *Constructing Post Modernism,* London, 1992.
C.H. Perirce, *The Collected Papers,* Ed. by C. Ht. Shorne, Cambridge, 1958.

ثالثًا : الدوريـــــــات

١- الأهرام القاهرية الأعداد المتوالية من ٤٠٢٠١-٤٠٢١١ ، ذو الحجة ١٤١٧-ابريل ١٩٩٧ .
٢- عكاظ السعودية الأعداد المتوالية من ١١١٩٢-١١٢٠٢ ، ذو الحجة ١٤١٧-ابريل ١٩٩٧ .
٣- الأخبار القاهرية ، العدد ١٤٠٢٠ ، ٣ من ذي الحجة ١٤١٧هـ - ١٠ من إبريل ١٩٩٧م .
٤- أخبار اليوم القاهرية ، العدد ٢٧٣٦ ، ٥ من ذي الحجة ١٤١٧هـ - ١٢ من إبريل ١٩٩٧م .
٥- أقرأ السعودية ، الأعداد ١٠٧٥-١٠٧٧ .
٦- سطور ، لندن ، العدد الثاني (يناير ٩٧) .
٧- العربي ، الكويت ، العدد ٤٥٤ ، سبتمبر ٩٦ - ربيع الآخر ١٤١٧هـ .

The Arabic Vision of the American Role in the issue of Mutual Peace between the Arabs and Israelis: An Analytical Study with Special Reference of "Okaz" and "Al-Ahram"

GHAZI ZAIN AWADALLAH
Assistant Professor, Mass Comm. Dept., King Abdulaziz University
Jeddah – Saudi Arabia

ABSTRACT. This research intends to deal essence of the Arabic vision of the peace process. We try to get aquatinted with the analysis of the Press as reflected in both Journals (al-Ahram) (Okaz), material that has a political quality and through the multiple forms of such material in the analytical essays of famous writers and diplomats.

The questions that must be asked in this case may vary: Is the American role stable? The American role in peace process was basic and substantial considering that America is the influential power in the new world system as well as its good relationship with both parties in the case. Is it variable according to the circumstances of the political reality? or how can the Arabs make use of this reality and change it to affect the American role?

The Answer here are positive where the Arabs have the chance and the influence to press on the Americans to change such views.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز الآداب والعلوم الانسانية ، م١٠ ، ص ص ١٠٥ - ١٤٠ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)

أنماط التدخل الوالدي في تعرض الأبناء للتليفزيون

دراسة عبر ثقافية

عارف عطاري

أستاذ مساعد - قسم التربية - الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

المستخلص . هدفت هذه الدراسة إلى تحديد أنماط التدخل الوالدي في تعرض الأبناء للتليفزيون ، وتقصي أثر الجنسية والدين والعرق على تلك الأنماط . أجريت الدراسة على أربعمائة وسبعين تلميذا من تلاميذ الفصل السابع إلى العاشر في المدارس العالمية في العاصمة الماليزية «كوالالمبور» . وينتمي هؤلاء التلاميذ إلى معظم جنسيات العالم وأديانه وأعراقه ، مما جعل الدراسة «عبر ثقافية» . وتكونت أداة الدراسة من استبانة من قسمين : الأول يتعلق بالمعلومات الشخصية ، والثاني بأنماط التدخل . وقد أشارت النتائج إلى أن أنماط التدخل غير التقييدية مثل «المشاركة في المشاهدة» و«الوعي بما يشاهده الأبناء» قد جاءت في المقدمة ، وقد كان للمتغيرات الثلاثة تأثير محدود على الأنماط السائدة .

مقدمــة

منذ دخول التليفزيون المنازل في مطلع النصف الثاني من هذا القرن ، أصبح أرضا خصبة للدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية والإعلامية ، لقد أحدث هذا الجهاز - الذي قلما يخلو منه بيت في الوقت الحاضر - انقلابا في أشكال التفاعل الأسري والمجتمعي ، وفي عادات الناس القرائية وسلوكهم بشكل عام .

وقد حظيت العلاقة بين الطفل والتليفزيون ، بشكل خاص ، بنصيب وافر من

الاهتمام ، لما للبرامج التليفزيونية من جاذبية تجعل تأثيرها يفوق تأثير وسائل التنشئة الأخرى ، وكان البعد التربوي في البرامج التليفزيونية موضع عناية الباحثين على الدوام ، الذين عنوا بتحليل المحتوى التربوي للبرامج التليفزيونية (الشاعر ، ١٩٩٢م)؛ أو بدراسة تأثير التليفزيون على السلوك الاتصالي للطفل (بغداد ي، ١٩٩١م) ؛ أو تأثير المشاهدة على العادات القرائية للطفل (Koolstra and Van Der Voort, 199 ؛ العلي ، ١٩٩٠م) أو اتجاهاته نحو المدرسة (وطفة ، ١٩٩٦م) وهكذا . ولما كان قياس تأثير التليفزيون ووسائل الإعلام عموما أمرا صعبا ومعقدا حيث من الصعب ملاحظة هذا التأثير مباشرة (رشتي ، ١٩٧٨) ، فقد لجأ الباحثون إلى دراسة أشكال من التعامل مع هذه الوسائل يمكن قياسها والخروج باستنتاجات عن التأثير الذي يحدثه التعرض لها . ومن أشكال التعامل التي درسها الباحثون : عادات المشاهدة ، كمية المشاهدة ووقتها ، البرامج المفضلة ، أغراض المشاهدة (وطفة ، ١٩٩٦م ؛ بغدادي ، ١٩٩١م ؛ العمران ، 1983 ; Zohoori , 1988) ، وتوجه باحثون آخرون إلى دراسة التفاعل الذي يتم بين أفراد الأسرة بخصوص التليفزيون ، ومع أن الدراسات الأولى (Himmelweit et al , 1958 ; Schramm et al , 1961) أوردت معدلات تفاعل متدنية بين الآباء والأبناء ، إلا أن الدراسات اللاحقة Atkin et al , 1989 , Austin , 1989) (بينت أن هناك تفاعلا يجري بين الأبناء والآباء ، أكثر مما ورد في الدراسات المبكرة . وقد دفعت هذه النتائج البحث إلى آفاق جديدة ارتاد فيها الدارسون أنماط التدخل الوالدي في تعامل الأبناء مع التليفزيون (Austin , 93 ; Lin , and atkin , 89 Dorr et al , 1993) . وقد أسفرت هذه الدراسات عن اتفاق في بعض النتائج إلا أنها لم تكن كذلك بشأن بعض النتائج الأخرى . ولذلك توجه بعض الباحثين (Greenberg et al , 1993) للقيام بدراسات مقارنة (عبر ثقافية / عبر قومية) لدراسة العلاقة بين الأطفال والتليفزيون من جهة ، وأنماط التدخل الوالدي في سلوك الأطفال مع التليفزيون من جهة أخرى . وقد أجرى Greenberg وزملاؤه (١٩٩٣م) دراستهم على عينات من ستة بلدان كل في بلدها وثقافتها . وقارن Zoohori (١٩٨٨م) أغراض استخدام التليفزيون لدى عينات من المهاجرين من ثقافات مختلفة في الولايات المتحدة ، إلا أنه لم يتعرض

للتدخل الوالدي . أما دراستنا هذه فهي على عينة من أبناء ثقافات مختلفة يعيشون جميعا في ثقافة أخرى ، ويتلقون تعليمهم باللغة الإنجليزية ووفق المنهج البريطاني ، على كل فإن استخدام المنحى عبر الثقافي / عبر القومي لا يزال في بداياته . وحسب معلومات الباحث فإنه لم يسبق أن طرق من قبل في الأدبيات العربية ذات الصلة ؛ وهذا ما دفع الباحث للقيام بهذه الدراسة العبر الثقافية لدراسة أنماط التدخل الوالدي في تعامل الأبناء مع التليفزيون . وقد شجعه على إجراء هذه الدراسة في ماليزيا أن هذا البلد يعد مختبر «عبر ثقافي» حيث يلتقي على أرضها ثقافات وأعراق وأديان العالم .

مشكلة الدراسة :

أصبح التليفزيون أحد أهم الوسائل التي تؤثر في تنشئة الأبناء ؛ وقد اهتم الباحثون بتقصي الآثار الإيجابية والسلبية للتليفزيون ، ومقارنة سلوك الأطفال في تعاملهم مع التليفزيون والوسائل الأخرى ؛ كما عني باحثون آخرون بالبحث في دور الأسرة وأنماط التدخل الوالدي في تعرض الأبناء للتليفزيون ؛ ومع أن الباحثين اتفقوا في بعض النتائج التي توصلوا إليها ، إلا أن نتائج أخرى لم تكن محل اتفاق . من هنا ظهرت الحاجة إلى إجراء دراسات مقارنة لمعرفة تأثير الثقافات المختلفة على أنماط التدخل الوالدي في سلوك الأبناء وتعاملهم مع وسائل الاتصال المختلفة ؛ وفي هذا السياق تأتي هذه الدراسة مستهدفة الإجابة على الأسئلة التالية :

- ما أنماط التدخل الوالدي في تعرض المبحوثين للتليفزيون ؟
- ما أثر تفاعل الجنسية والعرق والدين على أنماط التدخل الوالدي ؟

أهمية الدراسة :

تأخذ الدراسة أهميتها من أهمية موضوعها ومن منهجها ، فالتليفزيون يقوم بدور مهم في تنشئة الأبناء . ورغم ما يقوم به من دور إيجابي ، إلا أن هناك كثيرا من الآثار السلبية ؛ ويمكن للأسرة إذا أحسنت القيام بدورها أن تسهم في الحد من تلك الآثار ؛ من هنا تأتي أهمية الكشف عن أنماط التدخل الوالدي في تعامل الأبناء مع التليفزيون .

وحيث إن الدراسات تشير إلى نتائج مختلفة ، رغم اتفاقها أحيانا ، فإن الاقتراب من الموضوع من منظور عبر ثقافي قد يساعد في الكشف عن دور الثقافات المختلفة في تشكيل أنماط التعامل والتدخل . ويزيد من أهمية الدراسة أن استخدام المنحى عبر الثقافي في هذا الميدان لايزال محدودا وفي الأدبيات العربية يكاد يكون غائبا .

الإطار النظري :

الاتصال سلوك معقد متعدد الأبعاد . وهو من أهم جوانب النشاط الإنساني وأكثرها تكرارا ، وعادة ما تتم مناقشة الاتصال في إطار أربع مستويات وهي :

(١) الاتصال بين الأشخاص Interpersonal Communication (٢) الاتصال بين الجماعات Group Communication ويقصد بها الجماعات المحدودة العدد التي تشترك في صناعة القرار (٣) الاتصال على مستوى المنظمات Organizational Communication وهو أوسع نطاقا من المستويين السابقين وإن كان يتضمنها (٤) الاتصال الجماهيري Mass Communication وهو يتضمن جوانب أساسية من المستويات السابقة (littlejohn, 1992) . ولدى ذكر الاتصال الجماهيري فإن أول ما يتبادر إلى الذهن وسائل الاتصال الجماهيري Mass Media ويعد التليفزيون أكثر هذه الوسائل انتشارا وتأثيرا . وغالبا ما ينظر إلى هذه الوسائل من حيث دورها في نشر المعلومات ، ولكن ينسى دورها كمؤسسة اجتماعية مهمة ، ووسيلة من وسائل التنشئة الرئيسة . ومن هذه الزاوية يقترب الباحث من موضوع هذه الدراسة .

وقد أسهم الانتشار الهائل لوسائل الاتصال الجماهيري إسهامًا كبيرا في ظهور الاتصال كتخصص قائم بذاته ؛ لقد دفع ذلك الانتشار الباحثين إلى إجراء دراسات منهجية بهدف بناء نظريات تساعد على تحليل الاتصال وفهمه . وقد أسفرت هذه الجهود عن ظهور عدد من النظريات لكل منها منطلقاته الفلسفية وتصوراته لمكونات عملية الاتصال . ويعكس هذا التعدد تعقد عملية الاتصال نفسها ، وتعدد التخصصات التي يمتّ إليها الاتصال بصلة قربى قديما أو حديثا ، مثل علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا ؛ وقد أسفرت جهود العلماء عن صياغة عدد من

النظريات التي يمكن تجميعها تحت خمس مسميات رئيسة (Stacks, Hill and Hickson, 1991) ، نوجزها على النحو التالي :

(١) النظريات البنيوية الوظيفية Structural and Functional Theories : النظريات البنيوية ذات جذور في اللغويات ، وهي تؤكد على بنية اللغة والأنظمة الاجتماعية . أما النظريات الوظيفية فهي ذات جذور في البيولوجيا ، وهي تؤكد على وظيفة الأنظمة Systems في العمل من أجل البقاء ؛ ولكن يجمع بين البنيوية والوظيفية الاعتقاد بوجود بنية وظيفية حقيقية خارج الشخص المشاهد Observing Person ؛ وهذه البنية يمكن اكتشافها من خلال المشاهدة المنهجية ؛ والاتصال طبقا لهذه النظريات عملية يستخدم الأفراد فيها اللغة لإيصال معان للآخرين ؛ اللغة نفسها والرموز مستقلة عمن يستخدمها ، كما أنها منفصلة عن الأفكار والموضوعات التي يجري التعبير عنها ؛ وبناء على ذلك فعلى اللغة أن تعكس الحقيقة أو الواقع ، والاتصال الجيد هو الذي يتمتع بالدقة والوضوح والمهارة في استخدام اللغة .

(٢) النظريات السلوكية والمعرفية Cognitive and Behavioural Theories : وهي تشاطر النظريات البنيوية والوظيفية مفهومها للمعرفة وأنها تكتشف من خلال المشاهدة، ولكنها تضرب بجذورها في علم النفس . وفي ضوء ذلك فالاتصال طبقا لهذه النظريات سلوك فردي . والتركيز هنا على كيفية توليد الرسائل وصنعها واستقبالها وتقييمها .

(٣) النظريات التفاعلية Interactional Theories التي ترى أن الحياة الاجتماعية عملية تفاعل تتولد عنها بُنى معينة مثل الرموز واللغة ؛ وهي بذلك بعكس البنيوية التي ترى أن اللغة والبنية الاجتماعية سابقة على التفاعل وعلى الاتصال ، والاتصال طبقا لهذه النظرية هو العروة Glue التي تربط أفراد المجتمع ، ومن خلاله تتولد معان ويتم الاتفاق على المواثيق والقواعد والأدوار والمعايير . ويترتب على ذلك أن هذه المواثيق والأدوار والمعايير قابلة للتغيير من موقع لآخر ومن وقت لآخر .

(٤) النظريات التفسيرية Interpretive Theories : تحتفي هذه النظريات بالذاتية

Subjectivity وتجل الخبرة الفردية وتعطي أهمية كبرى لفهم الفرد للخبرة وتؤكد على أهمية اللغة كمركز للخبرة إذ إن اللغة توفر عالما من المعاني التي يعيشها الشخص وتفسر من خلالها كل الخبرات ؛ وتهتم هذه النظريات بالكشف عن الطرق التي يفهم الناس بواسطتها خبرتهم ، ولكنها تتجنب إصدار الأحكام على الظواهر المشاهدة ، وعادة ما تقدم التفسيرات بصيغ نسبية مؤقتة .

(٥) النظريات النقدية Critical Theories بعكس سابقتها التفسيرية ، فإن النظريات النقدية تهتم بالنقد وإصدار الأحكام ، ولكنهما يتشاطران الاهتمام بمركزية اللغة وبالطرق التي تؤثر فيها اللغة على الخبرة . تهتم هذه النظريات أساسا بصراع المصالح في المجتمع وبالسبل التي يعمل بها الاتصال على ترسيخ الهيمنة .

يشير هذا الاستعراض لنظريات الاتصال إلى وجود اختلافات بينها نابعة من اختلافها في النظرة للقيم والواقع واللغة ؛ والحقيقة أن أيا منها غير كاف لتفسير الاتصال في كل موقع وعلى كل مستوى ، فكل منها له إمكانياته وحدوده ؛ ولذلك فإن السعي نحو بناء نظرية للاتصال لايزال جاريا (Littlejohn, 1992 ; Casmir , 1994) . وهذا السعي يتطلب إجراء دراسات امبيريقية في مواقع متعددة ، ومن ناحية أخرى فإن هذه النظريات تطورت في إطار الفكر الغربي . وقد أخذ الباحثون مؤخرا في استكشاف مداخل أخرى لفهم الاتصال ومقارنتها بالمداخل الغربية ؛ وقد قام كل من Dissanayake (1992) و Kincaid (1987) بمحاولات للتأصيل لمنظور الآسيوي للاتصال ، وتحتاج هذه المحاولات التنظيرية إلى دراسات امبيريقية في مواقع غير غربية ، وفي هذا الإطار تأتي هذه الدراسة .

الدراسات السابقة :

تناول الباحثون العلاقة بين الطفل والتليفزيون من عدة زوايا . وقد شغلت الآثار الإيجابية والسلبية للتليفزيون مساحة واسعة من اهتمامات الباحثين ، ويكاد يكون هناك اتفاق عام على أن هناك آثارا إيجابية وأخرى سلبية ، وقد ربط الباحثون بين تلك الآثار وبين درجة تعرض الطفل للمشاهدة وعادات المشاهدة والبرامج المفضلة وأنماط

التدخل الوالدي . وسوف نستعرض الدراسات السابقة وفقا لهذه الأبعاد : الآثار السلبية والإيجابية للتليفزيون وأنماط التدخل الوالدي في تعامل الأبناء مع التليفزيون ، وفي إطار ذلك يشار إلى الأبعاد الفرعية مثل مدى تعرض الأطفال للمشاهدة وعادات المشاهدة .

من الآثار السلبية أن تقديم التليفزيون للمادة الجاهزة بالصوت والصورة يحد من ممارسة الطفل لمهارة الإبداع والتفكير ، وأكد Wadi (في العامودي ، ١٩٩٥م) ذلك قائلا : إن أكثر الشباب المبدع هم الذين يقضون أغلب أوقاتهم في نشاطات أخرى غير مشاهدة التليفزيون ؛ ووجد (Schramm 1961) علاقة سلبية بين النجاح المدرسي وطول مدة مشاهدة التليفزيون . كما وجد (Koolstro and Van Der Vort 1996) أن التليفزيون يؤدي إلى تآكل الميل للقراءة والدراسة بشكل عام ؛ وقد قدمت تفسيرات عديدة لذلك منها أن الجهد العقلي الذي يبذله الطالب في المشاهدة محدود مقارنة بالجهد المطلوب للقراء (١٩٨٤م , Salamon) ، كما أن الجهد العقلي المحدود الذي يبذله الطلاب أثناء المشاهدة ينتقل ليصبح هو القاعدة أثناء تعاملهم مع الوسائل الأخرى (Anderson and Collin, 1982) . من ناحية أخرى فإن متعة المشاهدة لا تتوفر في المدرسة أو في المطالعة مما يؤدي بالطالب إلى كراهية المدرسة نفسها وفقدان الحماس للمطالعة (Postman , 1983 ؛ كما أن سرعة تغيير المشاهد في التليفزيون تقلل من قدرة الفرد على التركيز (Beentjes and Vroot, 1989) وفوق ذلك فإن الطفل يتعرض للتليفزيون قبل أن يتعلم القراءة والكتابة . ولكن وطفة (١٩٩٦م) وجد أن الميل للتليفزيون لم يؤد إلى كراهية المدرسة ، وأكدا (Kolstra and Vroot ١٩٩٦م) أن تآكل الميل للقراءة لم يؤد إلى تكوين اتجاهات سلبية نحو المدرسة ؛ ويرى (١٩٩١م Kunlst) أن التليفزيون وحده ليس مسؤولا عن الاتجاهات السلبية نحو المدرسة والقراءة فهناك النوادي والرياضة وأماكن اللهو أيضا ؛ وبناء على هذه النتائج أوصى Koolstra and Vroot بأن يجعل المسؤولون والآباء القراءة والدراسة نشاطا أكثر متعة .

ولا تقتصر الآثار السلبية للتليفزيون على الجانب المعرفي بل تتعداه إلى الجانب السلوكي والخلقي والاجتماعي ؛ ذكرت العمران (في الشاعر ، ١٩٩٢م) أن

التليفزيون متهم بتدمير وتحطيم القيم الاجتماعية ونشر وتكريس التفاهة وتقوية دوافع الشراهة والطموحات غير الوقعية وزيادة الجريمة والعنف وتعلم العادات الخاطئة مثل التدخين ، ووجدت دراسة أجريت في مصر (بغدادي ، ١٩٩١م) أن التليفزيون وإن كان يكسب الطفل بعض العادات والمعارف الجيدة ، إلا أنه يكسبه أيضا عادات سيئة مثل الألفاظ والإشارات غير المهذبة وتقليد بعض الشخصيات ، كما وجدت Wingor (١٩٩٦م) أن التليفزيون يشجع الاتجاهات المحبذة للعنف ، كما أن مشاهدة الأطفال برامج خصصت أصلا للكبار تؤدي إلى فقدانهم طفولتهم (Merowiz ، ١٩٨٥م) . أما في العالم العربي والإسلامي بالذات فتزداد الآثار السلبية خطورة نظرا لافتقار الأطفال إلى البرامج الجادة والهادفة المنتجة محليا ، واضطرار القائمين على التليفزيون إلى الاعتماد على البرامج المنتجة في الدول الأجنبية أو المسلسلات المدبلجة (الشاعر ، ١٩٩٢م ؛ العامودي ، ١٩٩٥م) . ومن أهم سلبيات التليفزيون في العالم الإسلامي ، في رأي طاش (في العامودي ، ١٩٩٥م) تعريض الأطفال إلى الغزو الثقافي والتغريب الفكري وتفريغ عقول المتلقين من الهوية الذاتية المتميزة وإحلال المفاهيم والقيم الغربية . والأخطر من ذلك التشكيك في مدى إمكانية الإسلام الاستجابة لمتطلبات الحياة العصرية والاعتقاد أن الطريق الوحيد للتمدن والتحديث هو طريق العالم الغربي منهجا وفكرا ، والتليفزيون بصورته الحالية يقدم رسائل متناقضة مع بعضها أو مع الرسائل الصادرة من مؤسسات التنشئة الأخرى (وطفة ، ١٩٩٦م) . وتكون محصلة ذلك كله شخصيات غير سوية تعاني تناقضا فكريا وسلوكيا وازدواجية ثقافية واغترابا اجتماعيا وقلقا وإحباطًا ولا مبالأة وانفصامًا في الشخصية .

يرى العامودي (١٩٩٥م) أيضا أن التليفزيون قد أثر سلبيا على السلوك الاتصالي للطفل ، إذ أصاب الاتصالات الأسرية بالفتور وجعلها أسيرة أنماط وعادات المشاهدة التليفزيونية ؛ لكن بغدادي (١٩٩١م) توصل إلى نتائج مخالفة خلاصتها أن تعرض الأطفال لبرامج التليفزيون يزيد من مساحة مشاركتهم لأسرهم والدوائر الاجتماعية المحيطة بهم ، أي أنه عزز سلوكهم الاتصالي ؛ ونقل (بغدادي) عن الأمهات اللواتي شاركن في دراسته تقديرهن للدور الإيجابي للتليفزيون على سلوك أطفالهن الاتصالي : تعليميا وثقافيا وترفيهيا . وتلتقي هذه النتائج مع ما توصل إليه (in Krcmar,

Wisenberg et al (1996 الذي أشار إلى أن التليفزيون يؤدي إلى اكتساب سلوك اجتماعي إيجابي ؛ ويبدو أن الأمر يعتمد على نوعية البرامج ، فقد وجد ,In Koolstra and Vroot) 1996)Friedrich and Stein أن البرامج الاجتماعية الهادفة تزيد من مستوى المثابرة لدى الطفل بينما برامج المغامرات تزيد من مستوى القلق ؛ كما وجد بغدادي (١٩٩١م) دورا لانتظام المشاهدة فالأطفال الذين تنتظم مشاهداتهم التليفزيونية يحصلون على درجات مرتفعة في العلاقات الاجتماعية أكثر من الأطفال الذين تتسم مشاهداتهم بعدم الانتظام .

هذا وقد أشارت دراسات أخرى إلى أن كثرة التعرض لبرامج التليفزيون تؤدي إلى مشكلات صحية كانخفاض قدرات الطفل البصرية وميل الطفل للكسل والخمول وقلة ممارسة الرياضة وبالتالي الإصابة بأمراض السمنة والقلب مستقبلا . ولا يقتصر الأمر على الأمراض الجسمية بل يتعداه إلى المشكلات النفسية مثل الحرمان النفسي والعاطفي وعدم التكيف وعدم الاستقرار الداخلي والمزاج المتقلب والقلق والهروب إلى الخيال وتقليد ما يرى على الشاشة ؛ ومن الآثار السلبية للتليفزيون غرس النزعة الاستهلاكية المادية وتهميش الجوانب الروحية والمعنوية وجعل الناس ضحية للإعلانات ، وهذا بدوره يؤدي إلى أثر سلبي على علاقة الطفل بوالديه وإلى الإحباط وتغيير أولويات الاستهلاك لأن الأطفال لا يفرقون بين البرامج التليفزيونية والإعلانات التجارية (العامودي ، ١٩٩٥م) . ومن هذه الآثار السلبية تقديم الصور النمطية عن الناس والثقافات وحتى عن القضايا الفكرية والثقافية مما يصعب تغييره مستقبلا ؛ على سبيل المثال ، وجدت Wingor (١٩٩٦م) وكذلك McDonald (١٩٩٥م) أن التليفزيون يؤدي إلى تنميط النوع والعرق Gender and Race Stereotyping خاصة لدى الذكور ، وقد أوردت حمدان (١٩٩٦م) السلبيات التالية : زيادة النفقات على الأمور المظهرية ، تقليص التفاعل الاجتماعي ، تبني أفكار غريبة ، خلق الموضة ، زيادة مساحة التفكير بالجنس ، تقليص حيّز القراءة .

رغم كل ما ذكر لا ينكر أحد وجود جوانب إيجابية للتليفزيون فهو وسيلة تسلية ومصدر للحصول على المعلومات والاتصال ؛ وجدت رمزي أن أكثر من ٨٨٪ من

المشاهدين يستفيدون من التليفزيون . ووجد Atkin (١٩٧٣ أن المعارف السياسية عند الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون تزداد مع تقادم أعمارهم ؛ وأضافت دراسة عبدالرحمن (١٩٧٤م) إلى زيادة المعلومات العامة والدينية وتقوية اللغة الأجنبية واكتساب عادات جديدة ، ومن جهة أخرى ذكر Smart and Smart (في العامودي ، ١٩٩٥م) أن التليفزيون يقوم بدور مهم للغاية في تعليم الأطفال المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة خاصة من خلال البرامج المصممة خصيصا لذلك مثل "Sesame Street" .

بخصوص التدخل الوالدي ظل الاعتقاد سائدا لفترة طويلة أن دور الأسرة محدود جدا في تعامل الأبناء مع التليفزيون ، وكان ذلك بفعل دراسة Himmilweit et al (١٩٥٨م) الذي أشار في وقت مبكر بعد دخول التليفزيون إلى المنازل إلى أنه قلما يحدث تفاعل في العائلة البريطانية خلال مشاهدة التليفزيون ؛ وأشارت دراسة أخرى مبكرة (Schramm et al , ١٩٦١م) إلى أن ٢٠٪ فقط من الآباء يتدخلون في ما يشاهده أبناؤهم ، ورأى Merowitz (١٩٨٥م) إلى أنه لم يعد للآباء تأثير قوي ؛ وتعزز هذا الاستنتاج بدراسات ; Barcus , 1969 و Mohr, 1979 . ولكن Atkin et al (1989) و (1985) Desmond و Ritchie (1991) بينوا أن هناك تفاعلا مؤثرا يجري داخل الأسرة ، وأن الأمر يحتاج إلى دراسة لتحديد أنماط التدخل الوالدي في سلوك الأبناء الخاص بتعاملهم مع وسائل الاتصال ، وأسفرت تلك الدراسات عن تحديد بعض تلك الأنماط مثل : المراقبة ووضع قواعد عائلية للمشاهدة ، وتحديد أوقات المشاهدة ، والمشاركة في المشاهدة والمناقشة ، واختيار المحتوى للأبناء أو التوصية بمحتوى معين ، والوعي بما يشاهده الأبناء ؛ وتشير الدراسات إلى تفاوت في الأنماط المستخدمة من بلد لآخر ؛ مثلا الأنماط غير التقييدية مثل المشاركة في المشاهدة والمناقشة هي السائدة في الثقافة الغربية (BROWN AND LINN , 1976 ; AND MOHR , 1979) . ولم تختلف نتائج الدراسات التي أجريت في بعض البلدان الآسيوية المتأثرة بالثقافة الغربية عن النتائج السابقة ؛ وفي اليابان أشار Feng (in Greenberg, 1993) إلى أن ربع عينته من تلاميذ الصف الثالث – السادس قالوا أنه لا توجد في بيوتهم قيود على المشاهدة ، أما القيود التي أشار إليها بقية أفراد العينة فقد تراوحت بين تحديد الوقت المسموح فيه بالمشاهدة ، واختيار الآباء

لهم ما يشاهدون . وفي تايوان أيضا وجد Wu (1985) أن ٦٠٪ من طلاب الصف الثالث - السادس قالوا : إنه لا توجد في بيوتهم قواعد محددة بخصوص البرامج التي يمكن مشاهدتها ، أما في كوريا فقد وجد Han (1986) أن نصف العينة من القرويين ، وثلثا عينة المناطق الحضرية قالوا إن بإمكانهم عادة مشاهدة ما يريدون ، وفي دراسة عبر قومية وجد Greenberg et al (1993) أن أعلى مستويات التدخل كانت في كوريا وأقلها في اليابان ، أما أكثر الأقطار التي توجد فيها قواعد أسرية للمشاهدة فهي الصين ، بينما كانت اليابان ، أقل هذه البلدان ؛ أما أكثر أشكال التدخل فهي معرفة ما يفعل الأبناء ، المشاركة في المشاهدة ، التقريع على كثرة المشاهدة وأخيرا التوصية بمشاهدة مادة معينة ، أما من حيث النمط المستخدم في كل بلد فقد كانت «معرفة ما يشاهد الأبناء» و «التوصية بمادة معينة» هي الأكثر انتشارا في الصين ، بينما كانت «المشاركة في المشاهدة» و«المناقشة» هي الأكثر انتشارا في أمريكا ،أما في تايوان وكوريا فالنمط الأكثر استخداما هو التحذير من المبالغة في استخدام التليفزيون .

في العالم العربي أورد بغدادي (١٩٩١م) نتائج دراسة مصرية أجراها التليفزيون المصري عام ١٩٦٦ وأشارت إلى أن الأسرة تحدد نوعية ما يشاهد الأطفال بنسبة ٩٨٪ سعيا منها لتوفير الوقت لهم للمذاكرة والمطالعة ، وأورد بغدادي (١٩٩١م) نتائج دراسة أخرى أجراها عاطف العبد عام ١٩٨٦م إلى استمرار هذا الاتجاه ولكن بنسبة أقل ، فقد بلغت نسبة الأطفال الذين يمكنهم مشاهدة ما يشاءون من البرامج ٦٦٪ وقد أكدت دراسات أخرى أجريت في العراق والكويت ذلك ، مما يشير إلى تراجع دور الآباء في الثمانينيات عما كان عليه في الستينيات ، وقد أشارت دراسة بغدادي إلى أن ٧٢٪ من الأطفال يشاهدون التليفزيون مع أسرهم .

هذا وقد أشارت معظم الدراسات إلى أن النتائج التي أسفرت عنها قد تأثرت بعدة عوامل مثل النوع والعمر والخلفية الاقتصادية والاجتماعية للأسرة ، تركيبة الأسرة ومستوى تعليم الأبوين وما شابه ذلك ؛ على سبيل المثال أظهرت الدراسات أن التدخل الوالدي في تعامل البنات والصغار مع وسائل الاتصال هو أعلى منه مع الذكور والكبار (Gross and Walsh , 1980 ; Feng , 1976 ; Han , 1986) . كذلك فإن العائلات كبيرة العدد

وذات الدخل والمركز الاجتماعي الأعلى أكثر تدخلا من العائلات الأقل عددا وأدنى في السلم الاجتماعي (Himmelweit and Swift , 1976) . أما Wu (1985) فقد وجد أن الآباء الأعلى تعليما غالبا ما يحددون أوقات المشاهدة لأبنائهم ؛ وفي الولايات المتحدة وكذلك كوريا وجد Stanley (1986) و Ko (1983) أن الأطفال الذين يعيشون مع أحد الأبوين فقط أقل عرضة للتدخل الوالدي من الأطفال الذين يعيشون مع كلا الأبوين ؛ وفي السعودية أشار بغدادي (١٩٩١م) إلى تأثر نتائج دراسته بالمتغيرات الديموغرافية للطفل وأنماط ما يشاهده من برامج تليفزيونية .

إن استعراض الدراسات السابقة يشير إلى :

- النتائج من مختلف الأقطار تعكس فروقا اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية .

- للمتغيرات المستقلة تأثير على النتائج ، ولا يمكن لدراسة واحدة أن تحدد جميع العلاقات بين مختلف المتغيرات .

- الدراسات التي تناولت الموضوع من منظور عبر ثقافي محدودة جدا ، ولقد أجرى Greenberg et al (1993) دراسة عبر قومية ، على عينات من ستة بلدان كل في بلدها وثقافتها ، وقارن Zoohori (1988) أغراض استخدام التليفزيون لدى عينات من المهاجرين من ثقافات مختلفة في الولايات المتحدة ، أما دراستنا هذه فهي على عينة من أبناء ثقافات مختلفة يعيشون جميعا في ثقافة أخرى ، ويتلقون تعليمهم باللغة الإنجليزية ووفق المنهج البريطاني .

الطريقة والإجراءات

مجتمع الدراسة وعينتها

يتكون مجتمع هذه الدراسة من تلاميذ الفصل السابع وحتى الفصل العاشر في المدارس العالمية في العاصمة الماليزية «كوالالمبور» وضواحيها ، وقد بلغ عددها عشر مدارس في عام ١٩٩٥/ ١٩٩٦م . وقد اختار الباحث منها عينة عنقودية تكونت من خمس مدارس موزعة على أنحاء العاصمة وضواحيها ، والعينة العنقودية هي نوع من

العينة العشوائية باستثناء أن الوحدة الأساسية فيها هي المدرسة وليس التلميذ ، وهي طريقة مقبولة في اختيار العينة ، وتمشيا مع أصول استخدام هذه الطريقة طبقت الدراسة على جميع الأفراد في الفصول المشار إليها في المدارس المختارة ، وقد بلغ عدد هؤلاء التلاميذ ٦٤٣ تلميذًا ، ولكن عدد المشاركين بعد استبعاد الاستبانات غير المكتملة وصل ٤٧٠ تلميذًا .

أداة الدراسة

الأداة الرئيسة لجمع البيانات في هذه الدراسة هي استبانة طورها الباحث استنادا إلى الأدبيات ودراسات ذات الصلة ؛ وقد تكونت الأداة من قسمين رئيسين : القسم الأول يتكون من المعلومات الشخصية للمبحوثين ، أما القسم الثاني فقد خصص لأنماط التدخل الوالدي في تعامل الأبناء مع التليفزيون .

وقد تحقق الباحث من صدق الأداة بعرضها على حملة (الدكتوراه) في علم النفس أو التربية في قسم التربية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا وقد بلغ عددهم اثنى عشر محكمًا . وقد طلب منهم الحكم على مدى قياس الأداة لما صممت من أجله ، وحذف أو تعديل أو دمج أو إضافة أي بنود يرونه مناسبة ؛ وقد أبقى الباحث على البنود التي حازت على موافقة ٨٠٪ من المحكمين .

أما ثبات الأداة فقد تم التحقق منه باستخدام طريقة إعادة الاختبار ، وقد قام الباحث من أجل ذلك بتطبيق الأداة نفسها مرتين بفاصل أسبوعين بينهما ، على طلاب إحدى المدارس التي لم تشارك في الدراسة ، وقد تراوح معامل الارتباط بين الإجابات على مختلف البنود في المرتين ، بين ٧٥ , ٠ و٨٣ , ٠ كما عرض الباحث الأداة على مدراء المدارس المعينة بناء على طلب بعض هؤلاء المدراء ، وقد طالب معظمهم الباحث بحذف البند الخاص بمستوى دخل الأسرة كشرط مسبق لتطبيق الأداة في مدارسهم ، وقد احترم الباحث تلك الرغبة .

المعالجة الإحصائية

تمت المعالجة الإحصائية من خلال برنامج SPSS / Win ، وباستخدام الإحصائيات التالية :

- النسب المئوية ، المتوسطات (الوزن النسبي) ، تحليل التباين Manova مع اختبار «شبفيه» للمتوسطات .

حدود الدراسة

أجريت في مدارس ذات صبغة معينة تعتمد الانجليزية أداة للتدريس ، كما أنها تضم أبناء العاملين الأجانب ممن يتمكنون أو تتمكن الجهات التي يعملون لديها من دفع أقساطها الباهظة ، من هنا فقد لا يمثل طلاب هذه المدارس الثقافات التي ينتمون إليها تمثيلا جيدا .

تحديد المصطلحات

المدارس العالمية : هي المدارس التي تستخدم اللغة الانجليزية كأداة تعليم في جميع المواد ؛ لذلك يلتحق بها أبناء الجاليات الأجنبية ، مما يجعلها البيئة المناسبة لهذه الدراسة عبر الثقافية ؛ ولا تسمح الحكومة الماليزية للماليزيين بالالتحاق بهذه المدارس إلا في ظروف استثنائية محدودة جدا .

الدراسة العبر ثقافية : الدراسة التي تجرى على أفراد من ثقافات مختلفة ؛ وهي نوع من الدراسات المقارنة ؛ وترقى أهميتها إلى أهمية التجريب إذ إنها تؤدي إلى توليد بيانات ومعلومات جديدة من مواقع مختلفة ، مما يسهم في دعم التعميمات السائدة إذا كانت النتائج في الاتجاه المتوقع ، أو تعمل على رفض تلك التعميمات مما يستلزم إجراء دراسات جديدة ، إذا جاءت النتائج خلافا لما هو سائد ، والدراسة عبر الثقافية Cross-cultural تلتقي مع وتفترق عن الدراسة عبر القومية Cross-national ، وذلك لأن بلدانا عديدة قد تكون ذات ثقافة واحدة (Altbach et al, 1986) .

التدخل الوالدي : هو الإجراء أو الممارسة التي يسلكها أحد الأبوين أو كلاهما بقصد توجيه سلوك الأبناء في تعاملهم مع التليفزيون أو لجعل تأثير التليفزيون وفقا لما يرضى الآباء ، هذا وما لم تتم الإشارة إلى غير ذلك فإن كلمة أب / والد تشمل الأم أيضا ، خاصة إذا وردت بصيغة الجمع : آباء ، أو النسبة : الوالدي .

عينة الدراسة :

الجدول رقم (١)
توزيع أفراد العينة حسب الخصائص الشخصية (ن = ٤٧٠)

المتغير		التكرار	٪
	شرق آسيا	٢٣٢	٤٩,٣
الجنسية	غربيون	١٣٤	٢٨,٥
	أفارقة	١٣٦	٧,٦
	غرب آسيا	٦٨	١٤,٤
العرق	مالاي	٦٤	١٣,٦
	صيني	١٥٤	٣٢,٨
	هندي	٩٢	١٩,٦
	أوروبي	١٠٤	٢٢,١
	غير ذلك	٥٦	١١,٩
الدين	مسلم	١٦٠	٣٤
	مسيحي	١٤٦	٣١,١
	بوذي	٦٤	١٣,٦
	هندوسي	٥٤	١١,٥
	غير ذلك	٤٠	٨,٥
	غير محدد	٦	١,٣
العمر	دون ١٢	٥٨	١٢,٣
	١٢ - ١٦	٤١٢	٨٧,٧
النوع	ذكور	٢٢٤	٤٧,٧
	اناث	٢٤٦	٥٢,٤
السنة الدراسية	١ ، ٢ (ث)	٢٥٦	٥٤,٥
	٣ ، ٤ (ث)	٢١٤	٤٥,٥
الدرجات المدرسية	دون المتوسط	١١٠	٢٣,٤
	متوسط	٢١٤	٤٥,٥
	فوق المتوسط	١٣٨	٢٩,٤
	غير ذكور	٨	١,٧
حجم الأسرة	١ - ٣	٦٠	١٢,٨

تابع الجدول رقم (١)

المتغير		التكرار	٪
حجم الأسرة (عدد أفراد ها)	٤ - ٦	٣٣٨	٧١,٩
	٦	٦٨	١٤,٤
	غير محدد	٤	٠,٨
نوع الأسرة	أم وأب	٤٠٤	٨٦
	الأب فقط	٣٢	٦,٨
	الأم فقط	١٦	٣,٤
	ليس مع أي منهما	١٢	٢,٦
	غير مذكور	٦	١,٣
من يعيش معك ؟	إخوة / أخوات	٣٢٣	٦٨,٩
	أجداد	٣٣	٧,٢
	آخرون	٧٢	١٥,٣
	غير مذكور	٤٢	٨,٩
تعليم الأم	دون الثانوية	١٦	٣,٤
	ثانوية	١٢٦	٢٦,٨
	بكالوريوس	١٣٢	٢٨,١
	ماجستير	٧٢	١٥,٣
	دكتوراه	٣٨	٨,١
	غير ذلك	٨٠	١٧,٠٠
	غير مذكور	٦	١,٣
تعليم الأب	دون الثانوية	٢٢	٤,٧
	ثانوية	٦٠	١٢,٨
	بكالوريوس	١٠٨	٢٣
	ماجستير	١٣٠	٢٧,٧
	دكتوراه	٨٢	١٧,٤
	غير ذلك	٦٦	١٤
	غير مذكور	٢	٠,٤
مهنة الأم	ربة بيت	٢٣٤	٤٩,٨
	أكاديمية	٥٢	١١,١

تابع الجدول رقم (١)

المتغير		التكرار	٪
مهنة الأم	كتابية	٨	١,٧
	أعمال حرة	٢٠	٤,٣
	شركات أجنبية	١٢٢	٢٦
	غير مذكور	٣٤	٧,٢
مهنة الأب	أكاديمية	٥٤	١١,٥
	دبلوماسية	٤٢	٨,٩
	رجل أعمال	٩٨	٢٠,٩
	موظف حكومي	٢	٠,٤
	شركات أجنبية	٢٦٠	٥٥,٥
	غير محدد	١٤	٠,٣

يعرض الجدول رقم (١) الخصائص الشخصية للعيّنة ، ويتبين من الجدول أن حوالي نصف العينة (٤٩,٣٪) هم من الجنسيات الشرقآسيوية ، وتبدو هذه النسبة طبيعية بحكم الموقع الجغرافي ، ويلي ذلك الجنسيات الغربية ثم غرب آسيا ثم الإفريقية. وقد صنف الباحث الجنسيات على هذا النحو نظرا لتعددها على نحو يجعل من المتعذر دراستها كل على حدة، وأحيانا قد لا تضم الجنسية الواحدة سوى بضع أفراد ، أما من حيث العرق فالمنتمون إلى العرق الصيني هي الأغلبية ، ثم العرق الأوروبي فالهندي ، ويبدو واضحا قلة عدد المشاركين من العرق الملايوي حيث إن الحكومة لا تسمح بالتحاق الماليزيين بالمدارس الأجنبية إلا بشروط مشددة ، هذا وقد صنف عدد لا بأس به من المشاركين (١١,٩٪) أنفسهم تحت أعراق مختلفة ، ومعظمها غير مشهور على نطاق عالمي ، مما حدا بالباحث أن يضمها إلى بعضها ، أما من حيث الدين فكانت أغلبية المشاركين (٣٤٪) من المسلمين ، يليهم المسيحيون بنسبة متقاربة (٣١,٣٪) . ثم البوذيون (١٣,٦٪) والهندوس (١١,٥٪) . كما أدرج (٨,٥٪) أنفسهم تحت أديان مختلفة معظمها أديان محلية .

ومن حيث العمر فالأغلبية بين ١٢ – ١٦ سنة ، وهناك قلة دون ١٢ ، وذلك لأن

هذه المدارس لا تشترط السن لوضع التلميذ في فصل معين ، فالعينة والحالة هذه في منتصف فترة المراهقة ، من حيث النوع يبدو توزع العينة متقاربا ٤٧,٧٪ ذكور مقابل ٥٢,٤٪ إناث) . وينطبق ذلك أيضا على توزع أفراد العينة على السنوات الدراسية (٥٤,٥٪) في السنة الأولى والثانية مقابل ٥٤,٥٪ في السنة الثالثة والرابعة) . كما يأخذ توزع المشاركين على الدرجات المدرسية شكل منحني جرسي (٤٥,٥٪ في الوسط والبقية على الطرفين بالتساوي تقريبا) .

وعلى صعيد حجم الأسرة ونوعها توحي الأرقام أن المبحوثين ينتمون إلى الطبقة الوسطى والأسرة الآسيوية فعدد أفراد الأسر التي قدم منها ٧١,٩٪ من المشاركين يتراوح بين ٤ - ٦ ، بينما نسبة من يتراوح عدد أفراد أسرهم بين ١ - ٣ يزيد عن ٦ وتصل إلى ١٢,٨٪ و ١٤,٤٪ على التوالي ، أي أن التوزيع يأخذ شكل المنحني الجرسي أيضا . أما نوع الأسرة فهو النوع الطبعي (المكون سن الأبوين) لدى الغالبية العظمى (٨٦٪) . كما أن أغلب أفراد العينة يعيشون مع إخوة أو أخوات .

تبين الأرقام أيضا أن الآباء من حملة المؤهلات العليا هم أكثر من الأمهات رغم أن كلا الطرفين يتمتعان بنصيب عال نسبيا من التعليم ، أما من حيث مهنة الأبوين فيبدو أن هناك بعض الاختلاف إذ إن نصف الأمهات ربات بيوت (ربما لأنهن مرافقات لأزواجهن) . وهناك نسبة لا بأس بها٢٦٪ تعمل في شركات أجنبية ، ونسبة محدودة تعمل في مهن أكاديمية ، أما الآباء فإن أكثر سن النصف بقليل يعمل في شركات أجنبية ونسبة لا بأس بها تعمل في الأعمال الحرة ثم المهن الأكاديمية فالدبلوماسية .

عرض النتائج ومناقشتها :

يعرض الباحث نتائج الدراسة ويناقشها حسب الأسئلة التي طرحتها ، وقد كان السؤال الأول حول أنماط التدخل الوالدي في المشاهدات التليفزيونية للأبناء ، وقد تم ذلك أولا من خلال توجيه أسئلة للمشاركين حول مدى استخدام الآباء لبعض أنماط التدخل ، وثانيًا بسؤالهم عن مدى وجود قواعد أسرية في منازلهم بخصوص بعض المشاهدات التليفزيونية ، وتكشف الأوزان النسبية في الجدول ٢ عن مستوى تدخل

منخفض نسبيا ، فهناك نمطان فقط تجاوز وزنهما النسبي ٢,٥ ، وهذان النمطان هما : «الوعي بما يشاهد الأبناء» و «المشاركة في المشاهدة» . ويعد هذان النمطان من الأنماط غير التقييدية وغير المباشرة ، وقد جاء نمط «المناقشة» تاليا لهما وبوزن نسبي دون ٢,٥ ، ومعنى ذلك أن الآباء يشاركون أبناءهم في المشاهدة بمعدلات أكثر مما يناقشونهم حول ما يشاهدون ، أما التدخل المباشر والتقييدي سواء بشكل توصية أو تحذير أو لوم فجاءت بعد ذلك .

الجدول رقم (٢)

أنماط التدخل الوالدي في تعامل الأبناء مع التليفزيون

النمط	المتوسط
المشاركة في المشاهدة	٢,٦٤
المناقشة	٢,٣٩
الوعي بما يشاهد	٢,٧١
التوصية بمشاهدة	٢,٠٠
التحذير	٢,٠٥
اللوم	٢,٢

(* حسب المتوسط (الوزن النسبي) بإعطاء الإجابات «دائمًا» ، «غالبا» ، «أحيانًا» ، أبدًا» القيم (١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) على التوالي ، ثم ضرب كل تكرار بالقيمة المقابلة له وتم تقسيم الناتج على عدد المشاركين ، وبذلك يتراوح الوزن النسبي بين (١) ، (٤).

وتختلف هذه النتائج مع ما أشار إليه وطفة (١٩٩٦م) من أن ٧٣٪ من الآباء يوصون أبناءهم بمشاهدة برامج معينة . ومع أن الفكر المعاصر يفضل الأنماط غير التقييدية مثل المشاركة أو الاكتفاء بمعرفة ما يشاهد الأبناء ، إلا أن هذه غير كافية بدون الأنماط الأخرى خاصة المناقشة ، فقد أشار Atkin and Greenberg (1977) إلى أن المناقشة تسهل المعالجة المعرفية للمواد المشاهدة وأن تفسير الآباء للمحتوى المشاهد يعزز العمليات التعلمية، وذكر العوفي في (العامودي ، ١٩٩٥م) أن مشاهدة الطفل للتليفزيون مع الأبوين أو أحدهما يدعم الأثر الإيجابي ويخفض الأثر السلبي للمشاهدة ، كما ذكر العامودي(١٩٩٥) أنَّ بإمكان الأبوين أن يكونا المتغير الأساس في عملية جعل مشاهدة التليفزيون تجربة تعليمية إيجابية ، فينبغي تعريف الطفل بمختلف الاستراتيجيات التي

يمكن استخدامها من أجل التحكم في مدة ونوعية المشاهدة وكيفية اختيار البرامج ، إذ المشاركة والمناقشة تسهم في إثراء «القراءة التليفزيونية » ومهارات المشاهدة النقدية» ، التي تساعد الطفل على استيعاب وفهم الرسالة التليفزيونية ومعرفة الخيال من الواقع بل وتنمية الفكر النقدي لدى الأطفال، كما لا يجعله فريسة للخدع والمؤثرات التلفازية ، وبشكل عام يتعزز الاتجاه الإيجابي ويضعف التأثير السلبي ، وكانت اليونسكو قد دعت منذ عام ١٩٦٤م (العامودي ، ١٩٩٥م) إلى تدريب الأطفال على كيفية التعامل مع التليفزيون واستخدامه بطريقة هادفة، . كذلك تتفق هذه النتائج مع ما ينص عليه الفكر التربوي الخاص بتفاعل الأبناء مع الآباء بشكل عام ، لقد أعرب كثير من العلماء (Hoffman , 1975 ; Aronfreed , 1961) عن تفضيلهم الأساليب غير المباشرة Induction في غرس القيم المرغوب فيها على الأساليب المباشرة التي تتضمن فرض تلك القيم بالقوة Sensitizatio .

القواعد الأسرية :

يعد وضع قواعد للمشاهدة التليفزيونية في حد ذاته نوعا من أنواع التدخل الوالدي. لذلك وجه الباحث للمستجيبين سؤالا حول ما إذا كانت هناك قواعد في منازلهم بشأن مجموعة من أنواع السلوك ذات الصلة بالتليفزيون ، وتوحي البيانات في الجدول (٣) أن وجود مثل هذه القواعد مرتبط بشكل رئيس بدراسة الأبناء وتأثير

الجدول رقم (٣)

(هل في بيتك قواعد أسرية بخصوص ما يلي ؟)

القاعدة	نعم ٪	لا ٪
مدة المشاهدة أيام الدراسة	٥٥,٣	٤٣,٨
التوقيف عن المشاهدة أيام الدراسة	٦٦,٤	٣٣,٢
مدة المشاهدة في نهاية الأسبوع	٣١,٩	٦٧,٢
التوقف عن المشاهدة في نهاية الأسبوع	٣٥,٧	٦٣
نوع المادة المشاهدة	٥٤,١	٤٣
المشاهدة كمكافأة	٢٠	٧٩,١
الحرمان من المشاهدة كعقوبة	٣٩,٢	٦٠

المشاهدة التليفزيونية عليها ، وهذا يوحي بأن الدراسة تأتي أولا بالنسبة لهؤلاء الآباء ، ولقد ذكر أكثر من نصف أفراد العينة أن هناك قواعد عائلية تتعلق بمدة المشاهدة أيام الدراسة ووقت الخلود إلى النوم أيام الدراسة أيضا ، أما في نهاية الأسبوع فتكاد لا توجد مثل هذه القواعد ، وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة وطفة (١٩٩٦م) إذ ذكر ٦٤٪ من الأطفال أنهم يمنعون من مشاهدة التليفزيون أثناء العام الدراسي ، وأن ٤٩٪ منهم يمنعون من مشاهدة أفلام الكبار وبالذات أفلام السهرة ، وأن ٧٣٪ من الآباء ينصحون أبناءهم بمشاهدة الأفلام التعليمية وكان Koolstra and Vroom (1996) قد أوصوا كذلك بأن يضع الآباء قواعد عائلية سواء لتحديد وقت المشاهدة أو نوعية البرامج حتى لا يؤثر ذلك على الدراسة والقراءة .

من ناحية أخرى فرغم أن أكثر من نصف أفراد العينة ذكروا أن هناك قواعد عائلية بشأن المادة المشاهدة ، إلا أن قلة من الآباء تستخدم «السماح بالمشاهدة كمكافأة» أو «الحرمان من المشاهدة كعقوبة» . وهذه النتائج عموما تؤكد ما سبقت الإشارة إليه من استخدام الآباء أنماط التدخل غير التقييدية ، وهو ما تؤيده نتائج دراسات سابقة (Him-milweit , 1958; Scharmm , 1961; Mohr , 1979 ; Wu , 1985) وكما أشارت بعض الدراسات العربية إلى تراجع مستوى تدخل الأسرة العربية في الثمانينيات عما كانت عليه في العقود السابقة ، وقد أورد العبد)في العامودي ١٩٩٥م) أن دور الأسرة العربية - بشكل خاص - قد تراجع في الثمانينيات عمّا كان عليه في الستينيات فيما يتعلق بمشاهدة الأبناء للتليفزيون ، عام ١٩٦٦ وأشارت دراسة أجريت في مصر إلى أن ٩٨٪ من الأسر تفرض قيودا على مشاهدة أطفالها للتليفزيون من أجل المذاكرة والمطالعة ، وقد تراجعت هذه النسبة إلى ٦٦٪ عام ١٩٨٦م، وتؤيد دراسات أجريت في الكويت ذلك (عبدالرحمن ، ١٩٧٤ ، ولكن ربما الذي تغير هو نمط التدخل وليس التدخل نفسه ؛ هذا وقد يعزى اختلاف النتائج إلى تأثير متغيرات مستقلة فقد أشار Greenberg (1993) إلى أن التدخل يتراجع مع العمر ، وأكد Mohr (1979) وكذلك (1986) Feng أن آباء أطفال المدرسة الابتدائية كانوا أكثر تدخلا من آباء الثانوية في استخدام بعض أشكال التدخل مثل التوصية بمشاهدة مادة معينة أو استخدام المكافأة والعقوبة ،

كما ذكر Gross and Walsh (1980) و Feng (1986) أن التدخل في البنات أكثر من الذكور ، وفي كوريا أشار Han (1986) إلى أن الآباء من العينة الريفية أكثر تدخلا من الآباء في العينة الحضرية ، هذا وقد أوردت بعض الدراسات وجود قواعد معينة دون غيرها ، ففي اليابان قال ثلاثة أرباع عينة مدرسة ابتدائية أن هناك قواعد تتعلق بالتأخر في المشاهدة ليلا ، وفي الصين قال أغلبية المشاركين أن هناك قواعد حول مدة المشاهدة ، وفي تايوان حول المادة المشاهدة ، فالآباء هم الذين يختارون لهم المادة المشاهدة .

تأثير المتغيرات المستقلة :

هدفت هذه الدراسة إلى تحديد أثر المتغيرات المستقلة على أنماط التدخل الوالدي في المشاهدات التليفزيونية للأبناء . وفيما يلي عرض للنتائج :

الجدول رقم (٤)

تأثير تفاعل الجنسية والعرق والدين على «النمط الأول : المشاركة في المشاهدة»

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف
الجنسية	٣,٦٧	٣	١,٢٢	٢,٥٢*
العرق	٧,٥٨	٣	٢,٦٢	٥,٣٩*
الدين	١٠,٠٧	٤	٢,٥٢	٥,١٩*
الجنسية × العرق	٩,٣١	٤	٢,٣٣	٤,٨*
الجنسية × الدين	١١,٩١	٦	١,٩٩	٤,٠٩*
الجنسية × الدين × العرق	٧,٣١	٢	٣,٦٥	٧,٥٣*
البواقي	٢٠٧,٣١	٤٢٧	٠,٤٩	

الفرق ذو دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ .

يتضح من البيانات المعروضة في هذا الجدول أن المتغيرات المستقلة : الجنسية والعرق والدين والتفاعلات بينها أدت إلى فروق ذات دلالة إحصائية ، وقد تبين من اختبار «شيفيه» أن الفروق الدالة كانت في اتجاه المشاركين من الديانة المسيحية ، والحقيقة أنه لم يسبق أن أدخل الدين كمتغير في دراسات سابقة ، ولذلك قد لا يستطيع

الباحث تقديم تفسير شاف ، ولكن يمكن الربط بين تأثير الدين والجنسية على اعتبار أن المشاركين الغربيين هم من أتباع المسيحية بشكل عام ، وقد كانت الفروق الدالة ، حسب متغير الجنسية ، لصالح المشاركين الغربيين ، أي أن الآباء الغربيين أكثر ميلا لاستخدام المشاركة كنمط تدخل في مشاهدة أبنائهم للتليفزيون ، وقد يعكس ذلك ، من ناحية أخرى تراجع دور الأسرة الغربية واكتفاؤها بمجرد المشاركة ، على صعيد العرق كانت الفروق لصالح المشاركين الصينيين ، وقد تكون هذه النتيجة غريبة نوعا ما في ضوء ما هو معروف عن قوة مؤسسة العائلة في الثقافة الصينية ، ولكن ربما يعود ذلك إلى كون المشاركين لا يمثلون الأسرة الصينية التقليدية بل تلك المتأثرة بالثقافة الغربية ، وقد أشارت دراسات (1986) Wu و Feng (1986) إلى التغير الذي طرأ على الأسرة الصينية نتيجة لتأثير الثقافة الغربية .

الجدول رقم (٥)

تأثير تفاعل الجنسية والعرق والدين على «النمط الثاني : المناقشة »

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف
الجنسية	٣,٧٥	٣	١,٢٥	٠,٤٩
العـرق	٤,٥٨	٣	١,٣٥	٠,٦
الدين	٩,٠٠	٤	٢,٢٥	٠,٨٩
الجنسية × العرق	٧,٥٧	٤	١,٩٤	٠,٧٧
الجنسية × الدين	٢٢,٧٧	٦	٣,٧٩	٠,٥
العرق × الدين	٢٩,٢٥	٨	٣,٦٦	١,٤٤
الجنسية × الدين × العرق	٠,٣٧	٢	٠,١٨	٠,٠٧
البـواقـي	١٠٧٥,٤٧	٤٢٥	٢,٥٣	

بعكس النمط الأول وهو المشاركة في المشاهدة فإن النمط الثاني وهو المناقشة لم يتأثر بأي من المتغيرات المستقلة ، وتوحي هذه النتيجة أن الآباء جميعا بغض النظر عن الجنسية والعرق والدين ، يمارسون هذا المستوى من التدخل في السلوك التليفزيوني للأبناء بنسب متقاربة (الوزن النسبي لهذا النمط ٢,٣٩ حسب الجدول رقم ٢) .

الجدول رقم (٦)

تأثير تفاعل الجنسية والعرق والدين على «النمط الثالث : الوعي »

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف
الجنسية	٧,٠٦	٣	٢,٣٥	٢,٣٧*
العـرق	٩,٣٨	٣	٣,٢٨	٣,٧٩*
الدين	١,٧٨	٤	٠,٤٤	٠,٥١*
الجنسية × العرق	١٢,٦٥	٤	٣,١٦	٣,٦٦*
الجنسية × الدين	١٥,٩٧	٦	٢,٦٦	٣,٠٨*
العرق × الدين	١٥,٤٥	٨	١,٩٣	٢,٢٤*
الجنسية × الدين × العرق	٣,٥٤	٢	١,٧٧	٢,٥
البواقي	٣٦٧,٠٤	٤٢٥	٠,٨٦	

* الفرق ذو دلالة إحصائية عند ٠,٠٥ .

حسب الأرقام المعروضة في هذا الجدول ، فإن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية بين المشاركين من الجنسيات المختلفة ، وكذلك من الأعراق المختلفة بشأن هذا النمط من التدخل الوالدي . وقد جاءت الفروق بشأن العرق لصالح الملايويين والهنود ، ويبدو أن الآباء من هاتين الفئتين أكثر حرصا على البقاء على علم بما يشاهد الأبناء ، أما بشأن الجنسية فقد كانت الفروق دالة لصالح الآسيويين ، وهذه النتيجة تدعم سابقتها لأن الملايويين والهنود الآسيويين أقل تأثرا بالثقافة الغربية بالمقارنة مع الصينيين ممن يعيشون خارج الصين بشكل خاص . ولكن لم يكن لمتغير الدين تأثير ذو دلالة ومعنى ذلك أن الآباء من جميع الأديان يمارسون هذا النمط بالمستوى نفسه . أما التفاعلات الثنائية بين المتغيرات فقد أدت إلى فروق ذات دلالة إحصائية . ولكن التفاعل بين المتغيرات الثلاثة لم يؤد إلى ظهور فروق ذات دلالة إحصائية .

الجدول رقم (٧)

تأثير تفاعل الجنسية والعرق والدين على «النمط الرابع : التوصية بمشاهدة مادة معينة»

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف
الجنسية	١,٧٤	٣	٠,٤٩	٠,٦٥
العرق	٠,٢٣	٣	٠,٦١	٠,٨١
الدين	٢,٤٣	٤	٠,٦١	٠,٨١
الجنسية × العرق	٠,٦٦	٤	٠,٦١	٠,٨١
الجنسية × الدين	٥,١١	٦	٠,٨٥	١,١٣
العرق × الدين	٤,٧١	٨	٠,٥٩	٠,٧٩
الجنسية × الدين × العرق	١,٣٦	٢	٠,٦٨	٠,٩١
البواقي	٣١٥,٧٩	٤٢١	٠,٧٥	

يوضح الجدول رقم (٧) أن إجابات المشاركين لم تتأثر بأي من المتغيرات أو بالتفاعل بينها . ويبدو أن الآباء من جميع الثقافات يكتفون بالقدر الأدنى من النصيحة أي التوصية بمشاهدة مادة معينة ، فحسب الجدول رقم (٢) كان هذا النمط هو الأقل من حيث الوزن النسبي ، وقد يختلف تفسير ذلك حسب الثقافة ، فربما لا يمارس الغربيون هذا النمط بحكم ميلهم للتدخل غير المباشر وغير التقييدي ، كما ذكر سابقا ، بينما غيرهم من الثقافات الأخرى لا يجد مواد كثيرة تصلح أن يوصى الأبناء بمشاهدتها .

الجدول رقم (٨)

تأثير تفاعل الجنسية والعرق والدين على «النمط الخامس : التحذير من مشاهدة مادة معينة»

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف
الجنسية	٣,٣٣	٣	١,١١	١,٤١
العرق	٨,٠٥	٣	٢,٦٨	٣,٤١*
الدين	١٥,٢٤	٤	٣,٨١	٤,٨٤*
الجنسية × العرق	١٧,٧٦	٤	١,٨١	٢,٣*
الجنسية × الدين	١٦,٧٦	٦	٢,٩٦	٣,٧٦*
العرق × الدين	١٣,٢٣	٨	١,٦٥	٢,١

تابع الجدول رقم (٨)

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف
الجنسية × الدين × العرق	٧,١	٢	٣,٥٥	٤,٥*
البواقي	٣٣١,٦٤	٤٢١	٠,٧٩	

بعكس النمط السابق فإن «التحذير من مشاهدة مادة معينة» قد تأثر بجميع المتغيرات عدا الجنسية ، أما بشأن العرق فقد كانت الفروق دالة لصالح الملايويين . وبشأن الدين جاءت الفروق دالة لصالح المسلمين ، ويمكن الربط بين النتيجتين معا إذ أن جميع الملايويين تقريبا مسلمون . ويعكس ذلك قلق كثير من المسلمين من الطابع غير الإسلامي لكثير من البرامج التي يعرضها التليفزيون (العامودي ١٩٩٥) . من جهة أخرى فالثقافة الملايوية حساسة جدا لارتكاب الأخطاء ومخالفة التقاليد ، ولذلك قد يكون التحذير هو النمط السائد ، هذا وقد كان للتفاعل بين المتغيرات تأثير ذو دلالة إحصائية على الإجابات .

الجدول رقم (٩)

تأثير تفاعل الجنسية والعرق والدين على « النمط السادس : اللوم على كثرة المشاهدة »

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف
الجنسية	٣,٠٠	٣	١,٠٠	١,٠٨
العرق	٣,٢٧	٣	١,٠٩	١,١٨
الدين	١٠,٠٥	٤	٢,٥١	٢,٧٢*
الجنسية × العرق	١,٨٨	٤	٠,٤٧	٠,٥١
الجنسية × الدين	٧,٤٢	٦	١,٢٤	١,٣٤
العرق × الدين	١٥,٩٨	٨	٢,٠٠	٢,١٦*
الجنسية × الدين × العرق	٠,٧٢	٢	٠,٣٦	٠,٣٩
البواقي	٣٩٤,٨٤	٤٢٧	٠,٩٢	

يفيد هذا الجدول أن التدخل الوالدي بلوم الأبناء على كثرة المشاهدة قد تأثر فقط بالدين ، وكذلك بالتفاعل بين العرق والدين . وحسب اختبار «شيفيه» فقد كانت

النتائج لصالح المسلمين . مرة ثانية قد يعود ذلك إلى كون الملايويين مسلمين . وكما ذكر آنفا قد يعكس ذلك قلقهم من تجاوز المعدل المعقول للمشاهدة وأثر ذلك على المستوى الدراسي .

الجدول رقم (١٠)

تأثير تفاعل الجنسية والعرق والدين على

«النمط الثامن : وضع قواعد عائلية لاستخدام التليفزيون»

المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف
الجنسية	٣٠,٤٧	٣	١٠,١٦	١,٩٤
العرق	١٤,١	٣	٤,٧	٠,٩
الدين	١٠٨,٤٧	٤	٢٧,١٢	٥,١٨*
الجنسية × العرق	١٨,٦٥	٤	٤,٦٦	٠,٨٩
الجنسية × الدين	٨٦,٩٥	٦	١٤,٤٩	٢,٧٧*
العرق × الدين	٩٣,٦٩	٨	١١,٧١	٢,٢٤*
الجنسية × الدين × العرق	٧,٢٤	٢	٣,٦٢	٠,٦٩
البواقي	٢١٠٩,٠٠	٤٠٣	٥,٢٣	

*لغرض هذا التحليل الأخير اعتبرت القواعد الأسرية التي تضمنها القسم الأخير من الاستبانة محورا واحدا، وعوملت إحصائيا على هذا الأساس .

تفيد البيانات التي يعرضها هذا الجدول أن وضع القواعد العائلية الخاصة بالمشاهدات التليفزيونية قد تأثرت بمتغير الدين ، ويفيد اختبار «شيفيه» أن الفروق كانت لصالح المسلمين والمسيحيين . من ناحية أخرى أدى التفاعل بين متغيري الجنسية والدين وكذلك العرق والدين إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية ، وقد يشير ذلك إلى أن الحرص على عدم تأثير المشاهدات التليفزيونية سلبيا على دراسة الأبناء ينطبق على جميع الثقافات تقريبا .

خـاتمـة

كانت نقطة الانطلاق في هذه الدراسة أن للثقافات المختلفة أثرا في تحديد أنماط التدخل الوالدي في تعامل الأبناء مع التليفزيون ، ولكن وجود أبناء ثقافات مختلفة في وسط ثقافي آخر وتعرضهم لمنهج تعليمي واحد يقلل من الفروق الناجمة عن اختلاف الثقافات . وقد هدفت الدراسة إلى تحديد أنماط التدخل الوالدي في تعامل الأبناء مع التليفزيون لدى عينة من تلاميذ المدارس العالمية في العاصمة الماليزية «كوالالمبور» . كما هدفت الدراسة إلى تقصي أثر بعض المتغيرات التي تسهم في تشكيل الثقافة : الجنسية والعرق والدين ، على إجابات المشاركين . وفيما يلي عرض لخلاصة النتائج :

- يبدو أن الآباء أكثر استخداما لأنماط التدخل غير التقييدية . وقد جاءت «المشاركة في المشاهدة» والاكتفاء بـ «الوعي» بما يشاهده الأبناء في مقدمة تلك الأنماط . وقد جاءت المناقشة تالية لهما . قد تنم هذه النتائج عن اتجاهات تحريرية ، فالآباء لا يعتمدون الأساليب المباشرة والتقييدية التي تتضمن فرض الآراء بالقوة Sensitization ، بل الأساليب غير المباشرة وغير التقييدية Induction . ومع أن الفكر التربوي يُوصي بأن يبقى الآباء على وعي بما يشاهده أبناؤهم وبأن يشاركوا أبناءهم في المشاهدة ، إلا أن الاقتصار على «المشاركة» و «الوعي بما يشاهد الأبناء » بدون مناقشة قد يدل على تراجع دور الأسرة من جهة ، وقد لا يكون كافيا من جهة أخرى ، فلابد من المناقشة والمشاركة معا حتى تتعزز مهارات المشاهدة النقدية ، وتثرى القدرات المعرفية للأبناء ، وتتقلص الآثار السلبية للتليفزيون .

- كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين المشاركين تبعا للمتغيرات المستقلة : الجنسية والعرق والدين ، فيما يتعلق بأنماط التدخل السائدة ، على النحو التالي :

- تأثر نمط «المشاركة» بالدين والجنسية والعرق . وقد كانت الفروق في اتجاه المسيحيين والغربيين والصينيين . وقد يعكس ذلك تراجع دور الأسرة الغربية التي هي في الأغلب مسيحية ، واكتفاؤها بهذا المستوى من التدخل . أما بالنسبة للأسرة الصينية فقد يعود ذلك لتأثر الأسر التي تعيش في الخارج بالثقافة الغربية .

- لم يتأثر نمط «المناقشة» بأي من المتغيرات أو بالتفاعل بينها ، ويبدو أن الآباء من جميع الجنسيات والأعراق والأديان لا يمارسون قدرا كبيرا من النقاش مع أبنائهم بشأن ما يشاهدون .

- جاءت الفروق بشأن نمط « الوعي بما يشاهد الأبناء» لصالح الملايويين والهنود والشرق آسيويين ، أي أبناء الثقافة الشرق آسيوية عموما وقد يوحي ذلك بمدى ما يوليه هؤلاء الآباء من أهمية للمشاهدات التليفزيونية لأبنائهم ، مما يجعلهم حريصين على البقاء على علم ووعي بما يشاهد أبناؤهم .

- لم يكن للمتغيرات الثلاثة أثر على الفروق بين المشاركين بشأن نمط «التوصية بمشاهدة مادة معينة» . وقد يُعزى ذلك إلى أسباب خاصة بكل ثقافة ، فبالنسبة للثقافة الغربية سبقت الإشارة إلى تفضيلها أنماط التدخل غير المباشر مثل الاكتفاء بمشاركة الأبناء بالمشاهدة . أما بالنسبة للثقافات الأخرى فربما يعكس ذلك اعتقادا بندرة وجود مواد تصلح للتوصية بمشاهدتها نظرا لأن معظم المواد التليفزيونية المتوفرة تعكس الثقافة الغربية أساسا .

- كانت الفروق بشأن نمط «التحذير من مشاهدة مادة معينة» لصالح المسلمين والملايويين . وقد يعود ذلك إلى كون الأغلبية الساحقة من الملايويين مسلمين . وهذا يشير إلى مدى قلق هذه الفئة من الآباء من الآثار السلبية للبرامج التليفزيونية على أبنائهم . كذلك كانت الفروق بشأن «اللوم على كثرة المشاهدة» لصالح المسلمين . وهذه النتيجة تؤكد أيضا مدى حرص هذه الفئة من الآباء على إبقاء المشاهدات التليفزيونية في حدود معينة بحيث لا تؤثر على الدراسة مثلا .

- وتؤكد النتيجة المتعلقة بوضع قواعد أسرية النتائج السابقة فقد جاء تحليل التباين لصالح المسلمين والمسيحيين . كما تأثرت الإجابات بالتفاعل بين متغيري الدين والجنسية وكذلك متغيري الدين والعرق . وقد يشير ذلك إلى أن الحرص على وضع قواعد عائلية لمشاهدات الأبناء ، ينطبق على جميع الثقافات . وربما كان ذلك بدافع الحرص على ألا تؤثر المشاهدات سلبيا على دراسة الأبناء .

إذا أخذت هذه النتائج معا فإنها تدل على أن عيش أبناء الثقافات المختلفة في ثقافة مغايرة أخرى ، وإن كان يزيد القواسم المشتركة بينهم إلا أنه لا يلغي دور ثقافاتهم الأم . وهو الافتراض الذي انطلقت منه هذه الدراسة ، وهذه النتيجة تلتقي مع ما توصل إليه Zoohori (1988) في دراسته لأغراض استخدام التليفزيون لدى عينة من أبناء ثقافات مختلفة من المهاجرين إلى الولايات المتحدة .

توصيات البحث

- أشار الباحث لدى تعليقه على الدراسات السابقة إلى أن هناك كثيرا من المتغيرات التي تؤثر في نتائج مثل هذه الدراسات ، وأنه لا يمكن لدراسة واحدة أن تتناول جميع المتغيرات ، كما أشار إلى أنه بحكم قيود المساحة والوقت اقتصرت الدراسة على ثلاث متغيرات : الجنسية ، والدين ، والعرق . لذلك يرى الباحث إجراء دراسات أخرى تضع المتغيرات الأخرى في الحسبان ، ودراسات تستخدم مقاييس أخرى .

- من ناحية ثانية اقتصرت الدراسة على الأبناء . وقد أشارت دراسات أخرى (Al-exander, 1981) إلى وجود تفاوت بين تقديرات الأبناء والآباء بخصوص كمية وقت المشاهدات والقواعد الأسرية . كما أشار Greenberg (1993) إلى أن الأبناء ، خاصة مثل المشاركين في هذه الدراسة ممن هم في مرحلة المراهقة ، عادة يعطون إجابات تعكس رغبتهم بالظهور بمظهر المستقل ، بينما الآباء - لاعتبارات معيارية - يعطون إجابات تجعلهم يظهرون بمظهر المسيطر ، ولذلك يصلح استقصاء آراء الآباء والمقارنة بين آرائهم وآراء الأبناء مجالا لبحث مستقبلي .

- كما يوصي الباحث بإجراء دراسات طولية لتقصي أثر مرور الوقت والعمر والتغيرات بشكل عام على الإجابات .

- هذا ويوصي الباحث أيضا بدراسة أنماط التدخل الوالدي في المشاهدات التليفزيونية للأبناء على خلفية أو في إطار تفاعل الآباء والأبناء بشكل عام . وهو ما أشار إليه الباحث إشارة عابرة بحكم قيود المساحة والوقت .

المراجـع

أولاً المراجع العربية :

بغدادي ، عبدالوهاب عبدالله ، التليفزيون والسلوك الاتصالي للطفل السعودي : دراسة مسحية على بعض الأسر السعودية في مدينة جدة ، **مجلة جامعة** *الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية* ، ٤ ، ١٩٩١ ، ص ص ٣٣ - ٥٧ .

حمدان ، أديبة ، الشباب وآثار التلفزة : إشكاليات المعرفة والتلقي ، *دراسات عربية* ، ٩/ ١٠ ، السنة ٣٢ ، ١٩٩٦ ، ص ص ٤٤ - ٥٧ .

رشتي ، جيهان ، *الأسس العلمية لنظريات الإعلام* ، القاهرة ١٩٧٨ ، دار الفكر العربي .

رمزي ، ناهد ، المفاضلة بين التليفزيون والوسائل الإعلامية الأخرى ، *المجلة القومية* ، القاهرة ، المجلد ١٦ ، العدد ١ - ٣ ، ١٩٧٩ .

الشاعر - عبدالرحمن بن ابراهيم ، الأبعاد التربوية لبرامج الأطفال المعدة محليا ، *رسالة الخليج* ، العدد ٤٢ ، السنة ١٢ ، ١٩٩٢ ، ص ص ٨٥ - ١١٥ .

العامودي ، خالد أحمد ، التليفزيون والأطفال : إيجابيات الاستخدام وسلبياته في المجتمع السعودي ، *رسالة الخليج* ، العدد ٥٦ ، السنة ١٦ ، ١٩٩٥ ، ص ص ١٠٢ - ١٤٥ .

عبدالرحمن ، سعد ، *التليفزيون وطفل المدرسة المتوسطة* ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٧٤ .

العبد ، عاطف ، *برامج التليفزيون دراسة تحليلية وميدانية* ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، دار الفكر العربي .

العلي ، نصر ، دور التليفزيون في تنمية القراءة عند الأطفال : الواقع والطموح ،

التربية، عدد ٨٠ ، السنة ١١ ، الإمارات العربية المتحدة .

العناد ، عبدالرحمن محمود ، تقدير البالغين لأثر الإعلان التجاري في التليفزيون على السلوك الاستهلاكي للطفل ، *مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية* ، م ٥ ، ص ص ٣ - ٢٥ ، جدة . ١٩٩٢ .

وطفة ، علي أسعد ، المتغيرات التربوية للمشاهدة التليفزيونية عند الأطفال في سوريا : بحث ميداني في العلاقة بين الطفل والتليفزيون في محافظة درعا ، *مجلة جامعة الملك سعود : العلوم التربوية والدراسات الإسلامية* ، العدد ١ ، المجلد ٨ ، الرياض ١٩٩٦ . ص ص : ٢٧٩ - ٣١٠ .

ثانيًا : المراجع الأجنبية :

Alexander, A., et al. (1981) Estimates of Children's Television Viewing by Mother and Child, *Journal of Broadcasting and Electronic Media,* **25**(3): 243-253.

Altbach, P. and **Kelly, M.** (1986) *New Approaches to Comparative Education,* Chicago University Press.

Anderson, D. and **Collins, P.** (1988) *The Impact on Children's Education: Television's Influence on Cognitive Development* (Working Paper No. 2), Washington, D.C.,U.S. Department of Education, Office of Educational Research and Improvement.

Aaronfreed, J. (1969) *The Concept of Internation,* in: Greenberg, 1993.

Atkin, C. and **Greenberg, B.** (1977) *Parental Mediation of Child's Social Learning from Television,* (Report No. **4**), East Lasting: Department of Telecommunication, Michigan State University.

Atkin, D., et al. (1989) How presence of cable affects parental mediation of TV viewing, *Journalism Quarterly,* **66:** 557-578.

Austin, E. (1989) *Learning to put politics into context: Effects of family communication on adolescent's assessments of political news,* Doctoral Dissertation, Stanford University, Dissertation Abstract International, **50:** 2287A.

——— (1993) Exploring the Effects of Active Parental Mediation of Television Content, *Journal of Broadcasting and Electronic Media,* 147-157.

Barcus, F. (1969) Parental's influence on children's television viewing, *Television Quarterly,* **8**(3): 63-73.

Beentjes, J. and **Vroot, T.** (1989) Television and young people's reading behaviour, *European Journal of Communication,* **4:** 51-77.

Brown, J. and **Linn, O.** (1976) *The family as a mediator of television's effects, in Greenberg, B.* (1993).

Casmir, F., (ed.), (1994) *Building Communication Theories,* New Jersey, LEA.

Desmond, R., et al., (1985) Family Mediation Patterns and Television Viewing, *Human Communication Research,* **11**(4): 461-481.

Dissanayake, W., (ed.) (1992) *Communication Theory: The Asian Perspectives,* Singapore, Asian Mass Communication Research and Information Centre.

Dorr, A., et al. (1989) Parent-Child Coviewing of Television. *Journal of Broadcasting and Electronic Media,* **33**(1): 35-51.

Feng, J. (1976) *The Effects of Television on Children's Behaviour,* Taipei: Taiwan, Wenchin.

Furu, T. (1977) *Cognitive Style and Television Viewing Patterns of Children,* International Christian University, Tokyo.

Greenberg, B., et al., Parental Mediation of Children's Mass Media Behaviour, in: **Korzenny, F., et al.** (eds) (1993), *Mass Media Effects Across Cultures*, Sage Publications, London.

Greenberg, B., et al., A Comparison of Parental Mediation Behaviors for Mothers and their Children, *Journal of Broadcasting*, **16:** 565-572.

Gross, L. and **Walsh, R.** (1976) Factors affecting parental control over children's television viewing, *Journal of Broadcasting*, **24:** 411-419.

Han, R. (1986) *A comparative study of television watching behaviour*, M.A. Thesis, Kangwon University, Wongo.

Hamilton, H., The Relationship between Televiewing and Reading Interests of Seventh-Grade Pupils, *Dissertation Abstract International*, **35:** 100-A. (University Microfilms No. 74-14, 232).

Himmelweit et al. (1958) *Television and the Child*, London, Oxford University Press.

Hoffman, M. (1975) Moral Internalization, *Development Psychology*, **11**(2): 228-239.

Homik, R. (1981) Out-of-School Television and Schooling, *Review of Educational Research*, **51:** 199-214.

Kincaid, D. (1987) *Communication Theory: Eastern and Western Perspectives*, San Diego, Academic Press.

Ko, K. (1983) *Television viewing behavior*, M.A. Thesis, Hanyang University, Seoul.

Koolstra, C.M. and **Van Der Voort, T.H.A.** (1996) Longitudinal Effects of Television on Children's Leisure-Time Reading, *Human Communication Research*, Vol. **23**(1): 4-35.

Knulst, W. (1991) Is Television Viewing Substituting Reading? *Poetics*, **20:** 53-72.

Krcmar, M. (1996) Family Communication Patterns, Discourse Behaviour and Child Television Viewing, *Human Communication Research*, **23**(2): 251-277.

Lin, C. and **Atkin, D.** (1989) Parental Mediation and Rulemaking for Adolescent Use of Television, *Journal of Broadcasting*, **33**(1): 53-67.

Littlejohn, S. (1922) *Theories of Human Communication*, Belmont, Wadsworth Publishing Co.

Mcdonald, T. (1995) *The Impact of TV Viewing on Black Children:* M.A. Thesis, University of North Carolina at Chapel Hill.

Merowitz, J. (1985) *No Sense of Place*, NY: Ablex.

Mohr, P. (1979) Parental Influence on Children's Viewing of Evening Television Programs, *Journal of Broadcasting*, **23**(2): 213-228.

Postman, N. (1982) *The Disappearance of Childhood*, NY: Dell.

——— (1983) Engaging Students in the great Conversation, *Phi Delta Kappan*, **64:** 310-316.

Ritchie, L., (1991) Family communication patterns, *Communication Research*, **18:** 548-565.

Salamon, G. (1984) *Communication and Education*, Beverly Hills, CA: Sage.

Schramm, et al. (1961) *Television in the Lives of Our Children*, Stanford, CA: Stanford University Press.

Singer, J. et al., Family Patterns and Television Viewing as Predictors of Children's Beliefs and Patterns, *Journal of Communication*, **34**(2): 73-89.

Stacks, D., Hill, S. and **Hickson, M.** (1991) *Introduction to Communication Theory*, Chicago, Holt, Rinehart and Winston, Inc.

Stanley, C. (1986) *Family Structure and its Relationship to Adolescent Television Viewing*, Unpublished Master's Thesis, Michigan State University, East Lasting.

Van Der Voort, T., Television and the Decline of Learning, *Poetics*, **20:** 73-89.

Wingor, B.A. (1996) *Effects of Media on Children*, M.A. Thesis, University of New Brunswick, Canada.

Wu, J. (1985) Viewing of children's shows, *Journal of Teacher's College of Taiwan*, **1**(8): 289-338.

Zohoori, A. (1988) A Cross-Cultural Analysis of Children's Television Use, *Journal of Broadcasting and Electronic Media*, **32**(1): 105-113.

Part 1: Personal Information

Pleast tick (√) or fill in the blanks :

- *Nationality (citizenship):* ....

  Race : Malay ( ), Chinese ( ), Indian ( ), Others (mention ....)

- *Religion :* Islam ( ), Christianity ( ), Buddhism ( )

  Hindo ( ) Others (mention ....)

- *Age :* .... years old

- *Gender :* Male ( ) Female ( )

- *Grade :* Form 2 ( ), Form 3 ( ), Form 4 ( ), Form 5 ( )

  (If your school uses other terms, please specify accordingly ....)

- *School grades :* below average ( ), average ( ), above average ( )

- *Family size :* (No. of members of your family) ....

- *Which parents do you live with :*

  Original parents (father & mother) ( ), father only ( ), mother only ( )

  neither one ( )

- *Who else lives with you in the same house (other than parents)*

  Brothers ( ), sisters ( ), grandparents ( ), others (mention ....)

- *Mother's highest level of education*

  Lower secondary ( ), Upper secondary ( ), Bachelor degree ( )

  Master degree ( ), Ph.D. degree ( ) Others (mention ....)

- *Father's highest level of education*

  Lower secondary ( ), Upper secondary ( ), Bachelor degree ( )

  Master degree ( ), Ph.D. degree ( ), Others (mention ....)

- *Mother's job* ....

- *Father's job* ....

Part 2 :

Pleast tick (√) in the appropriate box :

	Never	Sometimes	Often	V. often
a – How often you watch T.V. / Video with your parent(s)				
b – How often you talk with your parents(s) about the show your watch with him/her				
c – How often your parent(s) knows what you watch				
d – How often your parent(s) recommends some show for you to watch				
e – How often your parent(s) tells you not to watch some show				
f – How often your parent(s) tells you that you watch too much T.V. / Video				

Part 3 :

Are there rules in your house concerning: (please tick √ in the appropriate box)

	Yes	No
a – How many hours can you watch T.V. / Video on schooldays		
b – How late can you watch T.V. / Video on schooldays		
c – How many hours can you watch T.V. / Video on weekends		
d – How late can you watch T.V. / Video on weekends		
e – What kind of shows your parent(s) allow you to watch on T.V. / Video		
f – When to let your watch T.V. / Video as a reward		
g – When to forbid you watch T.V. / Video as a punishment		

Parental Mediation Patterns of Children's Television Viewing: A Cross-Cultural Study

AREF T.M. ATARI
Asst. Prof., Department of Education,
International Islamic University, Malaysia

ABSTRACT. This study aimed at identifying the ways in which parents are perceived to mediate their children's behaviour with television, and the influence of three independent variables on the prevailing patterns. The sample consisted of 470 students of the international English-language speaking schools in the Malaysian capital "Kuala Lumpur". The participants affiliated with almost all nationalities, religions and races. The study in this sense was cross-cultural. A two-part questionnaire was administered. The first part was concerned with the demographic variables, and the second with the perceived patterns. Being aware of children's TV viewing", "Coviewing" and "Discussion" came ahead of other parental patterns. These patterns are appreciated in the related literature. The three independent variables affected the patterns up to a point.

جغرافيا

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسـانية م ١٠، ص ص ١٤٣ - ١٨٨ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)

دور الصناعات البتروكيماوية في التنمية الإقليمية في كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية دراسة تقويمية لتجربة مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين في ضوء نظرية قطب النمو

محمد عبدالحميد مشخص

أستاذ مساعد - قسم الجغرافيا

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز

المستخلص . اتجهت المملكة العربية السعودية نحو اتباع سياسة أقطاب النمو الصناعية كأداة من أدوات التنمية الإقليمية وتفعيل التنمية الاقتصادية القومية في آن واحد . وقد تجسد هذا التوجه في إنشاء مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين على ساحلي الخليج العربي والبحر الأحمر على التوالي ، حيث تمثل الصناعات البتروكيمائية معظم الاستثمارات الصناعية في المدينتين . هذا وقد أظهرت هذه الدراسة تمتع المدينتين المذكورتين بكافة السمات التي يجب توفرها في أي قطب للنمو وفقًا لنظرية قطب النمو . وقد جاء إنشاء المدينتين ليسهم في تبلور النمط المكاني للصناعات الكيماوية في المملكة ، فمع ظهور المدينتين تكرس نمط تركزي للصناعات المذكورة . فقد أصبحت مدينتي الجبيل وينبع أهم المدن السعودية في مجال الصناعات الكيماوية . على أنه قصد أساساً، أن تكون هاتان المدينتان أداة لتحفيز النمو الإقليمي في منطقتي المدينتين، وذلك عبر استخدام المدينتين كنقطتي نمو أوليين تنطلق منهما اتجاهات

النمو الصناعي فالاقتصادي لما حولهما . ويتضح ذلك في البنية المكانية الداخلية للمدينتين ، إذ تحتوي كل منهما على مساحات أرضية مجهزة بالمرافق للصناعات التابعة والمعتمدة على الصناعات الكيماوية الأساسية الحكومية في كلا المدينتين .

والغرض من هذا الترتيب المكاني اكتمال المرحلة الأولى من مراحل قطب النمو بوجود نوعي الصناعات ، أساسية وتابعة . على أن استجابة القطاع الخاص للحوافز التي منحت له لاستغلال مساحات الصناعات التابعة ، كانت محدودة . فقد عمد القطاع الخاص للاستثمار في مجال الصناعات الكيماوية في المدن الصناعية القديمة بالمملكة بفعل عوامل الوفورات والتسويق وعنصر عدم التأكد . وقد ماثل هذا الاتجاه ما حدث في دول أخرى . فالنمو الذي حدث بفعل اتباع سياسة قطب النمو ، قد قفز من القطب المعنى إلى مساحات جغرافية بعيدة إقليميًا عن منطقة القطب . على أنه فيما يخص تجربة المملكة ، وبالمقارنة مع بعض تجارب الدول النامية المماثلة في أهدافها مع تجربة المملكة ، فقد عني ذلك عدم تبلور حتى المرحلة الأولى من مراحل نظرية قطب النمو بشكل متكامل . وهذا الأمر يستدعي سياسة حكومية تمتزج فيها التشريعات مع الحوافز ليمكن الوصول للأهداف الموضوعة إقليميا لكل من الجبيل وينبع .

مقدمــة

لقد شهد العالم استقلال العديد من الدول في أعقاب الحرب العالمية الثانية . وقد مثلت الصناعة التحويلية خيارًا جذابًا لعديد من تلك الدول لتحقيق النمو الاقتصادي المأمول . كما أن نجاحات بعض الدول النامية في حينها ، كالأرجنتين واليابان . . في تحقيق التنمية عبر تطوير الصناعة التحويلية قد ساعدت على زيادة تلك الجاذبية . ومن ناحية أخرى فلما كانت فلسفة النمو الاقتصادي عمومًا لا تقتصر على رفع الإنتاجية والكفاءة الاقتصادية عامة ، بل تمتد آفاق تلك التنمية إلى قضية شمول ثمارها على الأجزاء المختلفة للدولة المعنية ، لما في ذلك من مردود اقتصادي وسياسي واجتماعي ، فقد برزت وبقوة قضية التنمية الإقليمية في العقود الأخيرة سواء في الدول النامية أو حتى المتقدمة . ولقد تعددت النظريات والآليات التي اعتمدتها الدول لتحقيق أهداف

التنمية الإقليمية ، على أنه لوحظ وجود تركيز واضح على الصناعة التحويلية في هذا الشأن . فالصناعة التحويلية تتميز بديناميكتها . كما أنه ليس من الضروري توفر كافة مقومات الصناعة في منطقة معينة لقيام الصناعة بها . فتطور وسائل المواصلات وزيادة كفاءتها الاقتصادية ساعد على قيام الصناعة في عديد من الأماكن حيث يمكن إحضار مستلزمات التصنيع إليها من خارجها اعتماداً على توفر القدرة المادية ومدى حسن وحذق السياسة الصناعية المتبعة .

ومن الأمثلة على السعي لاستخدام الصناعة كأداة تنمية إقليمية سياسات الدول المصدرة للنفط ، أثر زيادة دخلها بعد ارتفاع أسعار النفط في السبعينيات الميلادية من هذا القرن ، في هذا الصدد . فهذه الدول عملت على إعادة تنظيم الهيكل المكاني للنشاط الاقتصادي بها عبر اتباع سياسة اللاتركيزية المكانية Spatial Decentralisation ، وذلك في سياق سياسة اقتصادية عامة عمدت للاستفادة من العوائد النفطية لتحقيق النمو الاقتصادي بأبعاده الهيكلية والإقليمية . وهنا نجد أن الدول المذكورة قد عمدت لسياسة الاعتماد على الصناعة التحويلية القائمة على قاعدة الموارد الوطنية Resources Industry كأداة تنمية إقليمية عبر استخدام الروابط المباشرة وغير المباشرة لهذه الصناعة ، وذلك سعيًا نحو إحداث تغير كبير للتوزيع المكاني للنشاط الاقتصادي وما ينتج عن هذه السياسة من حدوث تنمية في بعض الأقاليم عبر إنشاء صناعات تحويلية بها . وقد تراوحت خيارات لا تركيزية الصناعة المذكورة أمام الدول المذكورة ما بين خيار التناثر الكبير للصناعة أو إقامة عدد من أقطاب نمو صغيرة (ثانية) إلى خيار التركيز على واحد أو اثنين من أقطاب نمو كبير (رئيسة) . وقد بدا الخيار الأخير أكثر جاذبية لصانعي السياسة الاقتصادية في الدول البترولية المذكورة ، وذلك اعتماداً على حقيقة أن الصناعة المعتمدة على قاعدة الموارد يمكن لها أن تحول التركيب الداخلي لإقليم اقتصادي ذو نواة رئيسة Economic Core Region ، وهو إقليم يتسم بطبعه بكثافة عالية من النشاط الاقتصادي ، إلى إقليم ذو نوى أقل ازدحاما (Auty, 1987, P 1) .

وإذا ما نظرنا إلى المملكة العربية السعودية تحديداً ، محل الدراسة الحالية ، لوجدنا أنه تم بالفعل اتباع سياسة أقطاب النمو الصناعية عبر الخيار الثاني ، وذلك عبر إنشاء

مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين . والدراسة الحالية ستعمد إلى تحليل هذه السياسة وتقويمها بالنظر إلى دور الصناعات البتروكيمائية بشكل خاص في هذا الشأن وذلك لأسباب سيتم التعرض لها لاحقًا .

منهجية الدراسة

أ - أهداف الدراسة

١ - تحديد مدى انطباق الخصائص المثالية لمفهوم قطب النمو على مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين .

٢ - تحديد مدى الحاجة لاستخدام مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين كأداة للتنمية الإقليمية في كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة عبر نظرية قطب النمو .

٣ - تقويم الصناعات البتروكيمائية السعودية من حيث ما حققته في التنمية الإقليمية في كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة وذلك عبر مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين .

٤ - تحديد المرحلة التي وصل إليها تطبيق آليات قطب النمو في مدينتي الجبيل وينبع .

ب - مفاهيم الدراسة

١ - بالإضافة لاستخدام نظرية قطب النمو Growth Pole Theory كمنطلق أساسي للدراسة ، فقد تم النظر لقطبي نمو الصناعة السعودية (الجبيل وينبع) من خلال السياق المكاني العام لكل منهما وهو المظهر الجغرافي الاقتصادي العام Economic landscape لمنطقتيهما الإداريتين (الشرقية - المدينة المنورة على التوالي) .

٢ - استخدام مفهوم المركز - الأطراف Core - Peripery لدراسة العلاقة القائمة ما بين المراكز الحضرية - الاقتصادية الرئيسة لمنطقتي الدراسة (الشرقية - المدينة المنورة) وأطراف المظهر الجغرافي الاقتصادي العام لكل منهما . فمثل هذه الدراسة ذات مؤشرات مهمة لقضية التنمية الإقليمية في المنطقتين المذكورتين .

٣ - الصناعات الكيماوية الأساسية وغير الأساسية وفقًا للتصنيف الدولي للنشاطات الصناعية فإن مجموعة الصناعات الكيماوية الأساسية ، عدا الأسمدة ، تحتوي على الأحمضة ، الأكاسيد ، سلفات المعادن ، منتجات الغاز الطبيعي (كالاثيلين والميثان . .) الغازات الأخرى كغاز الفريون . . (وزارة الصناعات والكهرباء ، التصنيف الدولي للنشاطات الصناعية) . على أنه ، ولأغراض بحثنا هذا ، فسوف نقوم باستخدام مصطلح الصناعات الكيماوية الأساسية لنعبر عن تلك الصناعات الكيماوية التي تنتج مواد كيماوية شبه مصنعة وتستخدم كمواد خام تدخل في الصناعات الكيماوية الأخرى التي تنتج منتجات كيماوية نهائية . ففي ذلك الاستعمال اتساق مع نظرية قطب النمو التي تنص على وجود صناعات رئيسة وأخرى ثانوية تقوم بينهما علاقات ارتباطية (خلفية - أمامية) .

وبالتالي فسوف نضمن في مفهوم الصناعات الكيماوية الأساسية ما يلي :

١ - الصناعات الكيماوية الأساسية (رقم التصنيف الدولي - ٣٥١١) .

٢ - صناعات المواد التركيبية ومواد البلاستيك والألياف الصناعية (رقم التصنيف الدولي - ٣٥١٣) .

٣ - صناعة تكرير البترول (رقم التصنيف الدولي - ٣٥٣٠) (المرجع السابق) .

هذا مع ضرورة ملاحظة أن مخططي مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين يشيران لصناعات القطاع الحكومي ، الكيماوية وغيرها ، بمصطلح أساسي وللصناعات الأخرى ، والمفترض قيام القطاع الخاص بإنشائها ، بمصطلح ثانوي . هذا مع العلم بأن تلك الصناعات الكيماوية الحكومية تشمل صناعات كيماوية غير أساسية (الأسمدة) .

٤ - يتم عبر أجزاء الدراسة استخدام تعبير المدن الصناعية القديمة ، كمقابل الأقطاب الصناعية (الجبيل وينبع) ، للإشارة إلى مدن الرياض وجدة والدمام ، التي كانت تمثل أهم المدن الصناعية في المملكة إلى ما قبل ظهور مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين .

ج - إجراءات منهجية أخرى

١ - سبب تناول الصناعات البتروكيميائية كأداة مستعملة / محتملة للتنمية الإقليمية في المملكة العربية السعودية

بالرغم من احتواء قطبي التنمية الصناعية في المملكة ، مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين ، على صناعات معدنية (حديد وصلب) وألمونيوم فضلا عن الصناعات البتروكيمائية ، التي أشير إليها سابقا ، إلا أن هذه الأخيرة تستحوز على معظم النشاط الصناعي في الجبيل وينبع . فـ ٤٢,٤٪ و ٦٥,١٪ و ٩١,٦٪ من منشآت الصناعة وعمالتها وإجمالي تمويلها المالي ، على التوالي ، في المدينتين تعود للصناعات البتروكيمائية ، وذلك وفقًا لبيانات عام ١٩٩٧م [1] .

ويعني هذا الأمر أن الصناعات البتروكيمائية قد أعطيت ، أكثر من غيرها ، دوراً مميزاً في مجال إحداث نمو اقتصادي مطلوب في منطقتي مدينتي الجبيل وينبع . وربما يعود هذا الوضع لأن الصناعات الكيماوية الأساسية قادرة ، عبر التعدد الواسع المدى لمنتجاتها ، على خلق روابط أمامية Forward Linkages عديدة لمصانعها مع المصانع المنتجة للمنتجات البتروكيماوية غير الأساسية . وهذه الارتباطات يمكن أن تؤدي إلى نشر التنمية في المناطق المحيطة بمدينتي الجبيل وينبع عبر حركة انسياح Spill Over للنمو نحو المناطق المذكورة .

٢ - سبب اختيار منطقتي الشرقية والمدينة المنورة كإطار إقليمي للدراسة

وفقًا للتطور الذي حصل في التقسيم التخطيطي للمملكة في خطة التنمية السادسة (١٩٩٥ - ٢٠٠٠م) فقد أصبحت المناطق الإدارية الثلاثة عشرة في المملكة تمثل مناطق تخطيطية مستقلة . لذا تم استخدام منطقتي الشرقية / المدينة المنورة كإطار للدراسة بحكم وقوع مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين بهما على التوالي . هذا ولسوف يتم مناقشة هذه النقطة فيما بعد عند الحديث عن المدينتين المذكورتين في سياق سياسة التنمية الإقليمية في المملكة .

د - بيانات الدراسة

تعتمد هذه الدراسة على بيانات المصانع المنتجة والمرخصة من قبل وزارة الصناعة والكهرباء . وهذه البيانات تعود لثلاثة فترات زمنية كما يلي :

١ - المصانع المنتجة المرخصة حتى نهاية عام ١٤٠٢هـ. (١٩٨٢م) (Ministry Of In- dustry and Electricty, 1983) .

٢ - المصانع المنتجة المرخصة حتى نهاية عام ١٤١٤هـ. (١٩٩٤م) (وزارة الصناعة والكهرباء - ١٩٩٥) .

٣ - المصانع المنتجة المرخصة منذ بداية عام ١٤١٥هـ. (١٩٩٥) حتى نهاية الربع الأول من عام ١٤١٧هـ. (٣٠/ ٣/ ١٤١٧ هـ - ٣/ ٨/ ١٩٩٧م) (المصدر السابق ، ١٩٩٧) .

هذا وقد تمت جدولة البيانات السابقة عبر استخدام برنامج Spss للحاسب الآلي بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

الدراسات السابقة

لقد مثلت قضية إحداث التنمية الاقتصادية إقليميًا عبر استخدام سياسة أقطاب النمو سوضوعا جذابا لعديد من الدارسين . كما تعددت مستويات التناول الموضوعي والجغرافي لذلك الموضوع من قبل أولئك الباحثين . وفيما يلي المستويات المذكورة :

أ - المستوى الجغرافي : تراوحت الدراسات المذكورة أعلاه بين خمس مستويات كما يلي :

١ - دراسات انصبت على إقليم واحد داخل دولة معينة ، كما هو الحال مع دراسة إريكسون Erikson (1974) لدور شركة بوينج كشركة رئيسية (Lead Firm) [٢] تمثل قطب نمو يسعى نحو تحفيز النمو الاقتصادي الإقليمي لمنطقة بجت سوند Buget Sound في ولاية واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة ٦٣ - ١٩٦٨م .

٢ - بحوث عمدت لتناول نظرية قطب النمو عبر الدراسة التطبيقية لها على مستوى دولة كما هو الحال مع دراسة Auty (1990) لأثر الصناعة الكيماوية ، كقطب نمو ، على البنية المكانية لدولة كوريا الجنوبية . كما أن هنالك مثال دراسة كل من ماتلا Matallah وبروس Proos (1992) عن تجربة أقطاب النمو الصناعية في دولة الجزائر وتحليل مدى ما حققته تلك الأقطاب من أثر مضاعف وروابط إنتاجية .

٣ - بحوث نظرت لسياسات أقطاب النمو الصناعية ودورها في التنمية الإقليمية على مستوى مجموعة من الدول ذات خلفية اقتصادية وتطورية متشابهة كما هو الحال مع دراسة اوتي Auty (1987) لتجربة عدد من الدول المصدرة للبترول(٣) في هذا الصدد ، والتي منها المملكة العربية السعودية . هذا وسوف يتم العرض لهذه الدراسة واستخدام نتائجها ومؤشراتها في داخل البحث فيما بعد .

٤ - بحوث تناولت أقطاب النمو على مستوى مناطق إقليمية كما هو الحال مع دراسة Holtta (1994) لأقطاب النمو الإقليمي في منطقة شرق آسيا كديناميكيات لعملية التطوير ونقل التقنية . ومن الأمثلة الأخرى في هذا المستوى من الدراسة ، دراسة نيتشكاوا Nichikowa (1992) لإقليم جنوب شرق آسيا كقطب نمو محتمل لاقتصاد العالم في القرن الواحد والعشرين الميلادي .

٥ - دراسات اتسمت بأنها أكثر عمومية مما سبق ، إذ تناولت مناطق على مستوى كبير Macrol Level حيث نظرت لسياسات أقطاب النمو على مستوى قارات بعينها كما هو الحال مع دراسة كل من ريتشردسون وريتشردسون Richardson & Richardson (1975) لسياسات أقطاب النمو في أمريكا اللاتينية في منتصف حقبة السبعينيات الميلادية (Auty , 1987 , P 1) .

ب - المستوى الموضوعي

وكما تظهر تنوعات بين الدراسات التطبيقية لنظرية قطب النمو جغرافيًا فإن هناك اختلافات بين تلك الدراسات موضوعيًا كما يتضح من السطور التالية :

١ - هناك من نظر إلى عمل تجمعات من رؤوس الأموال والموارد الطبيعية وغيرها في مكان ما كقطب نمو على مستوى دولة بأكملها كما هو الحال مع دراسة ليبرت Lebert (1961) التي حللت وضع التجمعات الفرنسية ذات الأقطاب المتعددة التي رأت الدراسة قدرتها على توليد النمو من خلال إحجامها عبر حدوث وفورات خارجية جيدة (Darwent, 1975) .

٢ - دراسات عمدت للتركيز على الشركة الرئيسية Leador Primary Firm كونها تمثل قطب النمو ذاته كما هو الحال مع دراسة إريكسون Erikson السابقة الذكر . بينما عمدت دراسات أخرى للنظر لصناعات معينة على أنها تمثل قطب النمو المطلوب لإحداث التنمية الإقليمية المتوازنة المطلوبة . ومن الأمثلة على هذه الدراسات دراسة سكوت Scott (1995) لدور صناعة السيارات الكهربائية في ولاية كليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية كقطب نمو لهذا الإقليم الذي يعاني من مشاكل انخفاض المستوى الاقتصادي وتزايد مستويات البطالة .

ومن الأمثلة في هذا الصدد أيضا دراسة ماير Mair (1993) عن استخدام إستراتيجية «التموين الفوري بدون اللجوء لعمليات التخزين» Just - in - Time للصناعة التحويلية كقطب نمو مجازى للتطور الإقليمي في مواقع صناعة السيارات الأمريكية والأوروبية خلال حقبة الثمانينيات الميلادية .

٣ - بحوث ركزت على الدراسة الإجمالية لأقطاب النمو داخل رقع جغرافية متفاوتة كدولة أو مجموعة دول أو مناطق إقليمية كما سبق الذكر عند الحديث عن الدراسات السابقة على المستوى الجغرافي .

٤ - هنالك بحوث عمدت للنظر لأقطاب النمو من خلال النسق المكاني الأشمل للنشاط الصناعي في رقع جغرافية معينة كما هو الحال مع دراستي تجربة كوريا الجنوبية ومجموعة الدول المنتجة للبترول لأوتي Auty السابق ذكرهما .

إن الدراسات التطبيقية لنظرية قطب النمو ، والتي ضمت الدراسات السابقة نماذج منها ، قد سعت نحو معرفة مدى ماتحققه سياسات قطب النمو في مجال التنمية

الإقليمية ، وذلك بالتركيز على مدى نجاح تلك الأقطاب المقامة في خلق روابط إنتاجية والمستويات المكانية التي تتم عبرها هذه الروابط . هذا بالإضافة إلى مناقشة قضية الأثر المضاعف الذي تحدثه أقطاب النمو . وإذا مانظرنا إلى تجربة المملكة العربية السعودية مع الجبيل وينبع كقطبين صناعيين فسنجد أنه بالرغم مضى حوالي ستة عشر عاماً على إنشائهما ، إلا أن هناك دراسة وحيدة تناولت هذه التجربة بالتقويم . وهذه هي دراسة أوتى Auty لتجربة المملكة المذكورة ضمن دراسته العامة لمجموعة الدول المنتجة للبترول . وقد سبق استعراض هذه الدراسة فيما سبق من صفحات . وبالتالي فدراسة أوتى هذه لم تتعمق بالشكل المطلوب في تجربة المملكة لعدم تخصصها .

هذا فضلاً أن الدراسة المذكورة اقتصرت على رصد التجربة السعودية في بدايتها المبكرة منذ إنشاء مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين في ١٩٨٣ حتى عام ١٩٨٦ م(٤). وهذا يعني ضرورة وجود دراسات لاحقة تتابع التجربة بشكل أكثر توسعًا ولمعرفة مدى مصداقية نتائج دراسة أوتى Auty .

هذا بالإضافة إلى أن المدى الزمني المتوقع لظهور آثار مكانية لسياسة أقطاب النمو ينبغى أن يكون أكبر قطعًا من أربع سنوات . وتهدف الدراسة الحالية لتغطية نواحي النقص المذكورة عبر فحص وتتبع التجربة على طول فترة زمنية أطول تمتد منذ إنشاءالجبيل وينبع حتى عام ١٩٩٧ م .

مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين كقطبا نمو في سياق سياسة التنمية الإقليمية السعودية

مع توجه خطة التنمية السعودية الثانية (١٩٧٥ - ١٩٨٠ م) نحو الاهتمام بقضية التنمية الإقليمية ، فقد تم تقسيم المملكة إلى خمس مناطق تخطيطية وحددت لكل منها مجموعة استثمارات ومشاريع يتسق كل منها مع الخصائص الجغرافية والاقتصادية لكل منطقة . فقد نصت الخطة المذكورة في هذا الشأن على أن تتم " التنمية الاقتصادية لمناطق المملكة عن طريق :

أ - توزيع الاستثمارات الإنتاجية على أساس الموارد الطبيعية والبشرية الخاصة بكل منطقة .

ب - تطبيق البرامج الاجتماعية حسب الحاجة " . (وزارة التخطيط ١٩٧٥ ، ص ١٠٠) .

وفيما يخص كل من المنطقتين الشرقية والغربية[٥] فقد نصت الخطة على المشاريع الصناعية التالية :

أ - المنطقة الشرقية : تنمية الصناعة اعتماداً على موارد الهيدروكربون .

ب - المنطقة الغربية : تكوين قاعدة صناعية ثانية ، عدا جدة ، عبر نقل الهدروكربون لهذه المنطقة بواسطة الأنابيب . (المصدر السابق ، ص ١٠١) .

وقد صدر ، مع بداية تنفيذ الخطة الثانية ، مرسوم ملكي في عام ١٩٧٥ نص على تخطيط وتشييد مجمعين صناعيين رئيسيين في مدينتي الجبيل وينبع في كل من المنطقة الشرقية والغربية على التوالي (Ministry Of Plamming, 1980, P 66) .

ومن ناحية أخرى فمع صدور الخطة السادسة للتنمية بالمملكة (١٩٩٥-٢٠٠٠ م) فقد تم استبدال التقسيم الخماسي للتخطيط بثلاث عشرة منطقة . وبصدر نظام المناطق في المملكة فقد تم وضع الأسس التنظيمية لقيام تخطيط إقليمي قطاعي جديد (وزارة التخطيط ، ١٩٩٥ ، ص ٤١٣) . وبالتالي فقد انتقل الدور الإقليمي للتنمية الموكل لمدينتي الجبيل وينبع إلى إطار منطقتيهما الإداريتين بدلاً من التخطيطيتين . هذا مع ملاحظة أنه في حالة ينبع فقد تقلص إطارها الإقليمي ليقتصر على منطقة المدينة المنورة بدلاً من الإطار السابق ، الذي جمع بين منطقة المدينة المنورة ومنطقة مكة المكرمة (المنطقة الغربية) . ومع أن خطتي التنمية السابق ذكرهما لم تنصا صراحة على استخدام مدينتي الجبيل وينبع كقطبي نمو إلا أن مخططي المدينتين قد أوضحا هذا الأمر بجلاء ، فقد احتوى المخططان على تخصيص مساحات أرضية ، مزودة بكافة المرافق والخدمات ، للقطاع الخاص لإقامة الصناعات الثانوية المعتمدة على منتجات الصناعات الأساسية (الرئيسة) الحكومية (كيماوية وغيرها) كمواد خام لها .

والواقع أن إغفال خطة التنمية ، السابق ذكرها ، تحديد وتفصيل النقطة الخاصة

بخطة مساحات أرضية مخصصة لصناعات القطاع الخاص ، في مدينتي الجبيل وينبع ، قد أدى لعدم وجود تصور كامل لكيفية أداء القطاع الخاص لدوره في إنجاح تجربة أقطاب النمو الصناعية . هذا فضلاً عن عدم التطرق لنوعية التشريعات الواجب اتباعها حكوميًا في هذا الشأن ، خاصة مع احتمال عدم وجود التجاوب المطلوب من القطاع الخاص . وهذا ما حصل بالفعل كما سيتضح عند مناقشة قضايا التطور التاريخي للتوزيع الجغرافي للصناعات الكيماوية غير الأساسية في المملكة والتقويم الشامل لدور مجموع الصناعات الكيماوية في التنمية الإقليمية في كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة .

مدينتي الجبيل وينبع الصاعيتين كقطبي نمو في سياق المظهر الجغرافي الاقتصادي العام لكل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة

يتجلى المبرر القوى لإنشاء مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين كقطبى نمو ذا دور مطلوب في التنمية الإقليمية بالمملكة بالنظر لطبيعة وأهم خصائص المظهر الجغرافي الاقتصادي العام لمنطقتي المدينتين (المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة) . إن المظهر المذكور للمنطقتين يتسم بحالة مركزية واستقطاب حادين . ففي حالة كلتا المنطقتين توجد مدينة أو منطقة حضرية مهيمنة على النشاط الاقتصادي والحجم السكاني ، تاركة بقية الأجزاءكهوامش وأطراف للمركز الحضري - الاقتصادي الرئيسى ، وما يعنى هذا الوضع من سلبيات لبقية أنحاءالمنطقة المعنية . وعمومًا فسمة المركزية - الاستقطاب - هذه هي سمة غالبة على عموم المظهر الجغرافي الاقتصادي العام للملكة . فهنالك مدن بعينها (جدة ، الرياض ، الدمام بالدرجة الأولى) تمثل مراكز الثقل الاقتصادي والسكاني على جملة الرقعة الجغرافية للمملكة . ومن ناحية أخرى فكل منطقة إدارية بالمملكة إنما تتسم ببروز مركز حضري - اقتصادي رئيسي بها مهيمن على جملة مظهرها الجغرافي الاقتصادي العام . ويدلل على سمتي المركزية - الاستقطاب هذه ما أظهرته دراسة حديثة عن الجغرافيا البشرية للمملكة (مشخص ، ١٩٩٦) من أن أهم خصائص هذه الجغرافية هي «التركز الجغرافي للسكان والأنشطة الاقتصادية والمرافق والخدمات في مواقع ومناطق محددة » (ص ٢١) .

وبالرجوع لمنطقتي الدراسة تتجلى لنا حالة المركزية - الاستقطاب بمعرفة أنه في حالة المنطقة الشرقية يشكل تجمع مدن الدمام والخبر والظهران منطقة حضرية واحدة تستقطب حوالي ثلث السكان الحضر (٥, ٣٠٪ تحديدًا) [٦] بالمنطقة الشرقية . ومن ناحية أخرى يحظى هذا التجمع الحضري ب ٦٩٪ و٦٢٪ من أعداد منشآت وعمال الصناعة التحويلية في المنطقة على التوالي وذلك وفقًا لبيانات عام ١٩٩٤م [٧] . ومن ناحية ثالثة ، فبفعل كون مدينة الدمام ، أهم أجزاء منطقة الدمام الحضرية ، الميناء الأول للمنطقة الشرقية وعاصمتها الإدارية ، فإن هذه المدينة تستحوز على الحجم الآكبر من الخدمات العامة والتجارية لعموم المنطقة . وفي الجانب الآخر نجد بقية مدن المنطقة تتدرج في معظمها في فئتي المدن المتوسطة (١١ مدينة) والمدن الصغيرة (٣٣ مدينة) ، وهنالك (٧ مدن) في فئة المدن الكبيرة ، مع ملاحظة أن هاتين المدينتين تقعان في أسفل الفئة المذكورة [٨] ، وذلك بسبب صغر حجم سكانهما . وكل هذه المدن قليلة الأنصبة من الأنشطة الاقتصادية والخدمية كمقابل لكبر أنصبة المنطقة الحضرية الرئيسة بالمنطقة .

وإذا ما انتقلنا إلى منطقة المدينة المنورة فسنجد أن صفتي التركز والاستقطاب مهيمنة بقدر أكبر على خصائص المظهر الجغرافي الاقتصادي العام للمنطقة . فصناعيًا يقتصر وجود الصناعة التحويلية [٩] على مدينتين فقط ، وهما المدينة المنورة وينبع ، دون بقية مدن المنطقة . كما تستحوز مدينة المدينة المنورة على حوالي ٧١٪ من منشآت المنطقة ككل ، بينما يوجد في ينبع عدد أقل من المنشآت لكنها ذات استثمارات مالية أضخم . فيصل نصيب ينبع ، من إجمالي تمويل الصناعة بمنطقة المدينة ، ٥, ٩٦٪ [٧] وفقًا لبيانات عام ١٤١٤هـ. هذا وينبغي ملاحظة أنه إلى ما قبل ظهور مدينة ينبع الصناعية كانت مدينة المدينة المنورة هي الأهم والأكثر استحواذًا على النشاط الصناعي بالمنطقة . ففي عام ١٩٧٠ م كان نصيب مدينة المدينة المنورة من جملة المنشآت الصناعية بالمنطقة يصل إلى ٨, ٨٩٪[١٠] . ومن جانب آخر تمثل مدينة المدينة المنورة أهم وأكبر المراكز الحضرية بمنطقتها . إذ تصل نسبة السكان الحضر بهذه المدينة إلى ٣, ٧٥٪ من جملة السكان الحضر بالمنطقة . أما بقية مدن المنطقة فمعظمها تمثل مدنا صغيرة [١١] .

بينما تقع مدينة ينبع في أسفل فئة المدن الكبيرة (١٩٩,٨١٩) نسمة فقط ، كما أن هذه المدينة هي المدينة الوحيدة المندرجة في فئة المدن كبيرة الحجم في منطقة المدينة المنورة ، وهي الفئة المشتملة على مدينتين فقط [٨] . وأخيرا تمثل مدينة المدينة المنورة أهم مركز اقتصادي عمومًا في المنطقة ، وذلك بحكم دورها كعاصمة إدارية للمنطقة وأهميتها الدينية التي يترتب عليها وجود حركة سياحة دينية معظم أيام السنة وما يترافق معها من حركة تجارية نشطة . ومن ثم تحظى مدينة المدينة المنورة بتركز واضح لمختلف الخدمات العامة بالمنطقة .

مما سبق يتضح وبجلاء الضرورة الكبيرة لدور مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين في التنمية الإقليمية بكل من المنطقتين الإداريتين للمدينتين . فهنالك ضرورة ملحة لإنهاء سمة التركز للأنشطة والسكان في مركز حضري واحد (أو منطقة حضرية واحدة) يعمل على استقطاب العمال ورؤوس الأموال من بقية أرجاء إقليم المركز المعني . فهذا الإنهاء يمكن أن يؤدى ، عبر آليات نظرية قطب النمو ، إلى ما يسميه ريتشردون (1980 , Richaradson p67) بظاهرة عكس الاستقطاب Polarization Reversal ، حيث تصل عملية التنمية بالإقليم المعني لنقطة حاسمة يبدأ عندها إحلال عملية انتشار مكاني ، للنشاط الاقتصادي والحجم السكاني ، محل اتجاهات الاستقطاب المكاني القائم ، وبحيث يبدأ الانتشار المذكور من القلب / المركز نحو الأطراف .

ملامح مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين كقطبي نمو

لقد وضع بيرو PERROUX (1955) ، واضع نظرية قطب النمو ، عدة ملامح عامة افترض وجودها في أي صناعة يمكن أن تقوم بوظيفة قطب النمو (P 182 - 185) . والجدول التالي (رقم ١) يلخص لنا أهم تلك الملامح تطبيقًا على مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين . وعمومًا فبالنظر للجدول المذكور ولعموم أوضاع المدينتين يتضح لنا أنهما تحملان سمات قطب النمو كما توضح النقاط التالية :

١ - المدينتين قطبا نمو بالفعل من حيث ضخامة وحداثة الصناعة (جدول ١ - القسم أ) .

٢ - تتمتع المدينتين بتوحد مصدر رأس المال ، حيث يتمثل هذا المصدر أساسًا في الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) ثم شركة أرامكو السعودية (جدول ١ - القسم جـ) .

٣ - تظهر سمة الميكنة المرتفعة للصناعات الأساسية Basic Industries في مدينتي الجبيل وينبع ، كيماوية وغيرها ، متمثلة في ارتفاع معاملات نسبة العامل - التمويل المالي الصناعي في المدينتين مقارنة بغيرهما من أهم المدن الصناعية السعودية (جدول ١ ، القسم ب) .

جدول رقم (١)

خصائص مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين كقطبي نمو صناعيين في إطار المدن الصناعية الرئيسة في المملكة العربية السعودية

أ - الاستثمار المالي الصناعي (بيانات عام ١٩٩٤م [١])			
المدينة	حجم التمويل المالي لصناعات المدن الصناعية الرئيسة في المملكة (مليون ريال)	نسبة التمويل الإجمالي للصناعة في المدن الصناعية الرئيسة لمجموع التمويل الصناعي السعودي (٪)	نسبة التمويل المالي للصناعة الكيماوية في المدن الصناعية الرئيسة في المملكة لجملة الصناعة السعودية (٪)
الجبيل	٦٤٤٩٤,١	٤٣	٣٩,٩
ينبع	٢١١١١,٨	١٤	١٢,١
الرياض	١٦٧٢٧,٢	١١,١	٢,٠
جدة	١٦١٥٩,٩	١١	٢,٤
الدمام	١٢٦٧٥,٥	٨,٤	٢,١
رابغ	١٠٠٥٤,٢	٦,٧	٥,٥

ب - الميكنة (بيانات عام ١٩٩٤م [٢])		ج - مصدر رأس المال
المدينة	نسبة العامل / التمويل المالي في المدن الصناعية الرئيسة في المملكة	- تمتلك شركة سابك ، ثم أرامكو ، كل الصناعات الرئيسة في مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين ، مع ملكية الدولة لـ ٧٠٪ من أسهم شركة سابك و١٠٠٪ من رأس مال شركة أرامكو .
الجبيل	٣,٩	- نسبة ما يعود لشركتي سابك وأرامكو من إجمالي تمويل الصناعات الكيماوية في مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين (بيانات عام ١٩٧٧ [٣]) تصل إلى :
ينبع	٤,١	
الرياض	٠,٣	
جدة	٠,٣	
الدمام	٠,٤	- الجبيل ٦٨٪
رابغ	٧,٣	- ينبع ٩٩٪

---

(١) انظر إلى هامش رقم (٧) في هوامش الدراسة .

(٢) انظر إلى هامش رقم (١٤) في هوامش الدراسة .

(٣) المصدر : بيانات الدراسة .

٤ - تتمتع المدينتان بوجود روابط أمامية وخلفية قائمة وكامنة (existent and poten-tial for word - backward linkages) . فالصناعات الكيماوية الأساسية بالمدينتين تتلقى موادها الخام من مصافي البترول الموجودة بالمدينتين (اثنتان بينبع وواحدة بالجبيل) . هذا فضلاً عن استخدام تلك الصناعات لمنتجات الغاز الطبيعي الآتية من معامل شركة أرامكو السعودية لتجزئة (Breaking) الغاز الطبيعي السائل في المنطقة الشرقية (فيما يخص الجبيل) أو عبر أنابيب الغاز الطبيعي الممتدة من شرق المملكة لمدينة ينبع (فيما يخص ينبع)[١٢] .

ومن ناحية أخرى تعتمد عديد من منشآت الصناعات الأساسية في مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين تعتمد على بعضها كمصدر للمواد شبه المصنعة[١٣] . ومن ناحية أخرى تنتج كل المنشآت المذكورة حوالي ٣٥ نوعا من المنتجات البتروكيمائية الأساسية (الهيئة الملكية للجبيل وينبع ٢ ، ص ٢٦) ، فضلاً عن عديد من المواد الخام الإضافية الممكن استخدامها كمواد شبه مصنعة للصناعات البتروكيميائية الثانوية Secondary In-dustries هذا مع ملاحظة أن هنالك عدداً من شركات القطاع الخاص قامت بالفعل بإنشاء عدد ، وإن يكن قليلا ، من المصانع في المناطق المخصصة لهذا القطاع ، في المدينتين ، تحت مسمى الصناعات الثانوية (كما سيرد لاحقًا في فقرة البنية المكانية الداخلية لمدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين) . وهذه المصانع تنتج منتجات كيماوية غير أساسية وفقًا لمصطلحات البحث .

٥ - فيما يتعلق بمعايير تميز الأنشطة الاقتصادية في منطقتي قطبي النمو ، الجبيل وينبع ، السعوديتين . فالواقع أن المدينتين قد خلقتا حجم اسثمار صناعي ضخم مقارنة بالأقطاب الصناعية القديمة في المملكة كما يتضح من جدول رقم ١ سابقًا . أما ما حققه هذان القطبان من زيادة في مجموع الأنشطة الاقتصادية في منطقتيهما فهو أمر سيكون موضع مناقشة في قسم آخر من هذا البحث (فقرة التقويم النهائي) .

نخلص مما سبق إلى أن الملامح النموذجية المفترضة لقطب النمو إنما تتمثل لحد بعيد في مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين ولكن مع تفاوت في الدرجة ، وذلك بحكم تفاوت

حجم الاستثمار الحكومي الذي وجه للمدينتين . فقد تركز ذلك الاستثمار بقدر أكبر على مدينة الجبيل . وقد يكون موقع مدينة الجبيل ، في منطقة النفط الرئيسة بالمملكة ، سببًا لما ذكرنا وذلك للموقع المذكور من مؤشرات مهمة فيما يتصل بالإمكانات المتاحة للإنتاج الصناعي من البتروكيماويات على وجه الخصوص .

مؤشرات النمط المكاني للصناعات الكيماوية في المملكة العربية السعودية للتنمية الإقليمية في كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة .

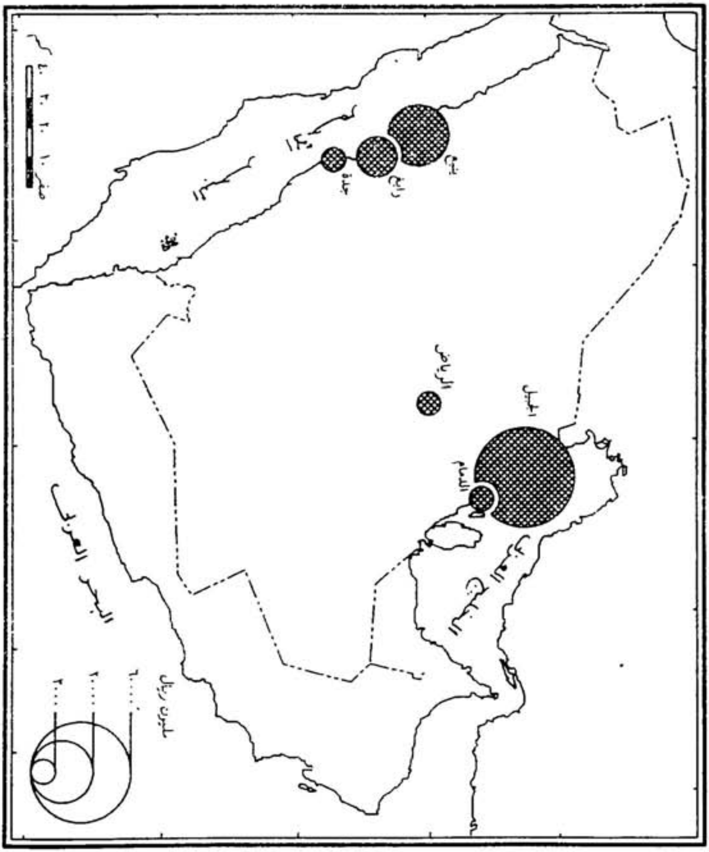
توجد منشآت الصناعة الكيماوية في ٢٨ مدينة منتشرة في نواحي عدة من المملكة على أن هنالك ٥ , ٨٣٪ و ٥ , ٩٢٪ و ٩١٪ من منشآت وعمالة وإجمالي تمويل الصناعة المذكورة ، طبقًا لبيانات عام ١٩٩٧م، موجودة في ٥ فقط من المدن الـ ٢٨ .(١٤) وهذه المدن هي الجبيل ، ينبع ، جدة ، الرياض والدمام . ومن جانب آخر تتقدم مدينتي الجبيل وينبع على المدن الخمسة المذكورة من حيث حجم مجموع التمويل المالي الصناعي ، حيث تصل نسبتا المدينتين من التمويل إلى ٥ , ٦١٪ و٦ , ١٨٪ على التوالي، وذلك في مقابل نسب ٩ , ٣٪ و٥ , ٣٪ و٢ , ٣٪ لمدن جدة والرياض والدمام على التوالي وذلك وفقًا لبيانات عام ١٩٩٧م. ومن جانب ثالث تتميز مدن الجبيل ، جدة ، الرياض والدمام بارتفاع أنصبتها من عمالة الصناعة الكيماوية مقارنة بمدينة ينبع . فقد وصلت الأنصبة المذكورة إلى ٢ , ٢٢٪ ، ٩ , ٢٤٪ ، ٢٥٪ ، ٧ , ١٣٪ للمدن الأربع الأولى و٧ , ٦٪ لمدينة ينبع بالمقابل . (خريطة رقم - ١) . ويرجع انخفاض عمالة مدينة ينبع اتصالاً بالصناعة الكيماوية لقلة منشآت الصناعة الكيماوية بهذه المدينة (تسعة) مقارنة بالمدن الأخرى خاصة الرياض ، جدة ، والدمام . فهذه المدن الثلاث الأخيرة تتسم بالتوجه المحدود للصناعات ذات الاستخدام المكثف لرأس المال Capital Oriented Industries ، والقليل من العمالة ، عكس الحال مع مدينة ينبع ، فضلاً عن الجبيل .

نخلص مما سبق أن النمط المكاني للصناعة الكيماوية السعودية هو نمط تركزي بالدرجة الأولى مع وجود قدر من التناثر لمواقع الصناعة المذكورة عبر مناطق البلاد . وكل هذا يتسق مع خصائص النمط المكاني العام لجملة الصناعة السعودية ، وهو النمط الذي أفرزته مجموعة من العمليات المكانية عبر التاريخ الاقتصادي للمملكة (١٥) .

خريطة رقم (١)

التوزيع الجغرافي لإجمالي تمويل الصناعات الكيماوية في المدن الصناعية الرئيسة

المملكة العربية السعودية - ١٩٩٧م



خريطة رقم (١)

- تم رسم الخريطة باستخدام بيانات الدراسة

وعموما فقد لعبت السياسات الحكومية الصناعية في المملكة دورا رئيسيا في بلورة النمط المكاني لكل من جملة الصناعة السعودية عامة والكيماوية خاصة . وقد تمثل هذا الدور، بالنسبة للصناعة الأخيرة بشكل رئيسي ، في إنشاء مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين في مواقع طرفية على ساحلي المملكة (الخليج العربي والبحر الأحمر على التوالي) .

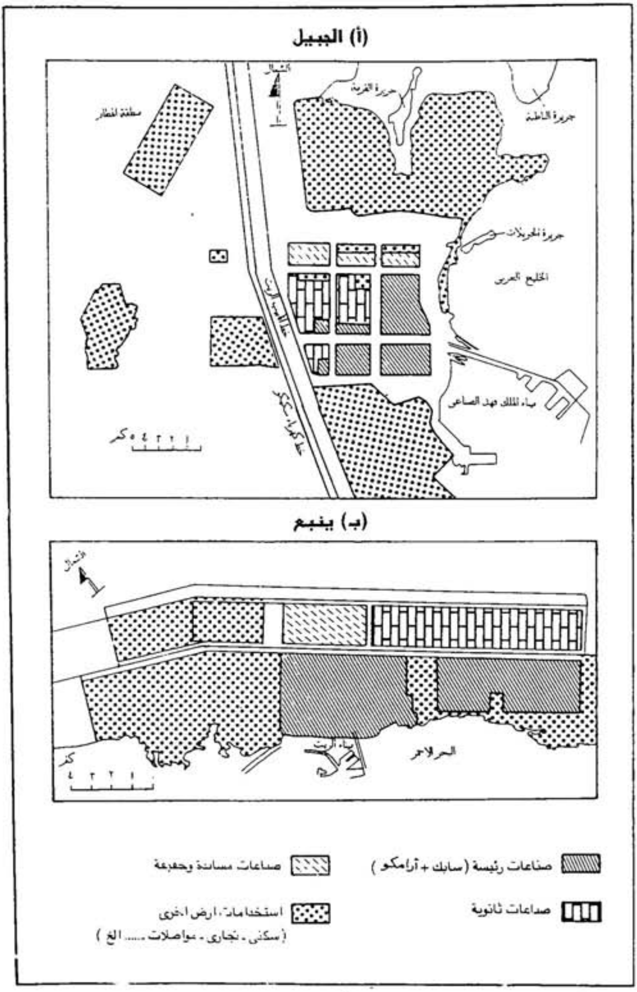
فهذه السياسة أدت إلى تركز الجزء الأكبر من إجمالي تمويل الصناعة السعودية عامة والكيماوية خاصة في سواقع سحددة من البلاد وفي مقدمتها الجبيل وينبع . ومن هنا نبعت علاقة النمط المكاني للصناعات الكيميائية السعودية بالتنمية الإقليمية في منطقتي الدراسة - الشرقية والمدينة المنورة - . فلقد أصبحت مدينتا الجبيل وينبع أداتين محتملتين ومهمتين للتنمية الإقليمية في منطقتيهما الإداريتين وذلك عبر اتباع آليات قطب النمو . فالمدينتان ذات حجم استثماري ضخم ونوعيات لمنتجات صناعية قادرة على توليد الارتباطات الصناعية في النمو الاقتصادي الإقليمي . والواقع أن فحص وتوضيح هذه الأمور إنما يستدعي مناقشة جانبين معنيين على التوالي . فينبغي أولا النظر في البنية المكانية الداخلية لمدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين ، فتحليل هذه البنية يوضح مدى انطباق أولى مراحل نظرية قطب النمو على المدينتين من حيث وجود وحجم الصناعات الرئيسة وتلك التابعة (المتأثرة Effected) . أما الجانب الآخر للمناقشة المنشودة فيجب تركيزه على تطور أنصبة المدن الصناعية الرئيسة بالمملكة من عناصر الصناعة الكيماوية غير الأساسية منذ إنشاء مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين وحتى الآن. فرصد وتحليل هذا التطور هو المدخل الذي سيوضح مدى ظهور المراحل التالية لنظرية قطب النمو . فهذه المراحل (عمليات الاستقطاب Polarization ، الإزدياد المساحي Areal Accretion ، القفز والتجاوز (Leap - Frogging)[١٦] سواءا في داخل المدينتين المذكورتين أو في منطقتيهما الإداريتين (الشرقية - المدينة المنورة) .

البنية المكانية الداخلية (Spatial Structure) لمدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين

تنقسم المنطقة الصناعية بكل سن مدينتي الجبيل وينبع إلى ثلاثة أنواع من المناطق ، كل منها مخصص لفئة معينة من الصناعات . وهذه المناطق والفئات ، كما يتضح من الشكل رقم - ١ ، هي :

شكل رقم (١)

البنية المكانية لمدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين



المصدر : بتصرف عن الهيئة الملكية للجبيل وينبع .

١ - منطقة الصناعات الأساسية : تشمل المنشآت الصناعية المملوكة لشركة الصناعات الأساسية (سابك) وشركة أرامكو السعودية [١٧] .

٢ - منطقة الصناعات الثانوية : أقيمت هذه المنطقة محتوية على مساحات مجهزة بالمرافق والخدمات لإقامة منشآت صناعية من قبل القطاع الخاص . وتلك المواضع والمرافق تمنح لأي مستثمر بأسعار رمزية . والمفترض أن تنشأ هنا ، وفقًا لمخطط المدينتين، صناعات تعتمد في مواردها (الشبه مصنعة) على المنتجات النهائية لمصنع المنطقة - ١ .

٣ - منطقة الصناعات المساندة [١٨] : هي مطقة زودت بالمساحات المجهزة بالمرافق والخدمات لإقامة منشآت صناعية من قبل القطاع الخاص في مجال تصنيع السلع الاستهلاكية اللازمة لمصانع المنطقتين ١ - ٢ . هذا بالإضافة لتوفير خدمات للمصانع الأخيرة . (انظر إلى العصيمي ، ص ٤٦) .

إن التقسيم السابق لمناطق الصناعة ونوعياتها في الجبيل وينبع إنما يرتبط أساسا بمهام التنمية الصناعية، الخاصة بمدينتي الجبيل وينبع ، الموكلة لكل من القطاعين العام والخاص . فمنطقة الصناعات الأساسية ذات استثمار يعود في معظمه للقطاع الحكومي . أما المنطقتان الأخريان ففيها استثمارات تعود للقطاع الخاص . وتقييم مدى قيام كلا القطاعين المذكورين بمهامه المناطة به إنما يتضح بالنظر إلى أحجام النشاط الصناعي في منطقتي الصناعات الأساسية والثانوية . إن حجم النشاط الصناعي في منطقة الصناعات الأساسية ، بمدينة الجبيل ، وفقًا لبيانات عام ١٩٩٧م ، أكبر مقارنة بحجمه في منطقة الصناعات الثانوية . فـ ٤٨,١٪ و ٨١,٧٪ و ٩٨,٦٪ من أعداد منشآت وعمال وإجمالي تمويل الصناعات الكيماوية على التوالي . وينطبق نفس الوضع على مدينة ينبع ، التي تبلغ نسبها المئوية المناظرة ٣٣,٣٪ و ٩٢,٩٪ و ٩٨,٨٪ على التوالي .

إن النسب المذكورة للصناعات الأساسية - الحكومية - إنما تعني أن القطاع الخاص

في منطقة الصناعات الثانوية لذو نصيب أقل من عناصر الاستثمار الصناعي في مدينتي الجبيل وينبع . وبناءا على هذا يظهر أمامنا سؤالان . أول السؤالين يتعلق بالحجم الصغير للاستثمار الصناعي الخاص ومسببات هذا الصغر ، أما السؤال الثاني فيتعلق بالمدى الذي قد تحقق من آليات ومراحل نظرية قطب النمو في كل من الجبيل وينبع ومنطقتيهما الجغرافيتين . والوصول إلى إجابات على السؤالين المذكورين إنما يكمن في معرفة حجم الاستثمار الصناعي الخاص في مجال مجمل الصناعات الكيماوية غير الأساسية - التي تعتمد كما سبق ذكره على منتجات الصناعات الكيماوية الأساسية كمواد خام لها - في مدينتي الجبيل وينبع مقارنة بالمدن الصناعية القديمة في باقي أنحاء المملكة . وتكتمل الإجابات المنشودة عبر عمل تقويم شامل للمدى الذي بلغه تطبيق نظرية قطب النمو وما حققه قطبا النمو السعوديان في التنمية الإقليمية في منطقتي الدراسة .

تطور أنصبة المدن الصناعية الرئيسة في المملكة العربية السعودية من الصناعات الكيماوية غير الأساسية بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٩٧م

يوضح الجدول التالي (رقم - ٢) أن مدينتي الرياض والدمام كانتا تحتويان على معظم نشاط الصناعات الكيماوية غير الأساسية في المملكة عام ١٩٨٢ . فقد وصلت أنصبة المدينتين المذكورتين من منشآت وعمال ورأس المال المستثمر للصناعات المذكورة إلى ٨,٧٧٪ و٧,٨٥٪ و ٤,٨٧٪ على التوالي . بينما نجد أن أنصبة مدينتي الجبيل وينبع قد وصلت في نفس العام إلى ٩,٢٪ و ٣٪ و ٣,٥٪ على التوالي . هذه مع ضرورة تدكر أن مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين كانتا لا تزالان في بداية نشاطهما الصناعي آنذاك ، فلم تكن مشاريع الصناعات الكيماوية الأساسية قد اكتملت كلية بعد . وإذا ما انتقلنا إلى عام ١٩٩٧ فسنجد أن المدينتين الأخيرتين قد قفز نصيبهما من إجمالي تمويل الصناعات الكيماوية غير الأساسية إلى ٣٦,٣٪ في مقابل ٥٨,٣٪ للمدن الصناعة القديمة بالمملكة (جدة - الرياض - الدمام). أما فيما يخص أنصبة المجموعتين من المدن من المنشآت والعمال فيلاحظ أن المدن الصناعية القديمة حافظت على نفس أنصبتها السابقة تقريبًا . على أن ما سبق لا يعني وجود توجه كبير من قبل القطاع الخاص للاستثمار في الصناعات المذكورة بكل من الجبيل وينبع ولكن ما حدث

هو أن الصناعات الكيماوية غير الأساسية في مدينة الجبيل إنما تشمل منشئتين لصناعة

جدول رقم (٢)

جدول رقم (٢)

أعداد مصانع وعمال وإجمالي تمويل صناعة المنتجات الكيماوية غير الأساسية في مدن المملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٩٧م

(رأس المال بملايين الريالات)

المدينة	عـام ١٩٨٢ م						عـام ١٩٩٧ م					
	المصانع		العمال		إجمالي رأس المال المستثمر		المصانع		العمال		اجمالي التمويل (*)	
	العدد	٪	العدد	٪	المقدار	٪	العدد	٪	العدد	٪	المقدار	٪
الجبيل	٤	٢,٣	١٠٨	١,٣	١٢٤,٩	٤,١	١٢	٣,١	٣٠٣١	٩,٩	٥١١٨,٧	٣٥,٨
ينبع	١	٠,٦	١١٤	١,٧	٣٦,٢	١,٢	٣	٠,٨	١٣٢	٠,٤	٦٩	٠,٥
رابغ	١	٠,٦	٢٠	٠,٢	٨	٠,٣	-	-	-	-	-	-
الرياض	٤١	٢٤	٢٠٧٢	٢٥,٢	٧٥٢,١	٢٤,٥	١١٨	٣١	٩٩٢٩	٣٢,٥	٢٦٧٤,٢	١٨,٧
جدة	٦٣	٣٦,٨	٢٩٤١	٣٥,٨	١٢٠٨,٤	٣٩,٣	١٠٣	٢٧	٨٩٩٣	٢٩,٤	٢٨٩٩,٢	٢٠,٣
الدمام	٢٩	١٧	٢٠٢٨	٢٤,٧	٧٢٤,٦	٢٣,٦	٧٦	٢٠	٥٦٣٤	١٨,٤	٢٧٦٠,٤	١٩,٣
المدن الأخرى	٣٢	١٨,٧	٩٠٧	١١	٢١٦,١	٧	٦٩	١٨,١	٢٨٦٨	٩,٤	٧٦٧,٢	٥,٤
المملكة	١٧١	١٠٠	٨٨٢٠	١٠٠	٣٠٧٠,٣	١٠٠	٣٨١	١٠٠	٣٠٥٨٧	١٠٠	١٤٢٨٨,٧	١٠٠

- تم إعداد الجدول بناءاً على بيانات الدراسة .

(*) كلا المصطلحان يشيران لرأس المال المستثمر ، وقد جاء استخدامهما بصيغتهما المختلفتين التزاماً بالصيغ المستعملة في مصدري سنتي الجدول

الأسمدة تابعة لشركة سابك ، وهذه الشركة تمتلك ٧٠٪ من أسهمها الحكومة السعودية كما سبق الذكر في ص ١٥٧ .

وهاتان المنشأتان تمثل عمالتها وتمويلها المالي ما نسبته ٤٣٪ و ٨٥,٥٪ من مجموع عمالة وتمويل كل الصناعات الكيماوية غير الأساسية في مدينة الجبيل وفقا لبيانات عام ١٩٩٧م .

على أنه ، ومن جانب آخر ، فقد حدث بالفعل نمو جيد في حجم استثمارات الصناعات الكيماوية غير الأساسية في عموم المملكة بين عامي ١٩٨٢ ، ١٩٩٧ (من ٣٠٧٠,٣ إلى ١٤٢٨٨ مليون ريال) . وكان لإنشاء الصناعات الكيماوية الأساسية ، وما وفرته من مدى واسع لمواد التصنيع للصناعات الكيماوية غير الأساسية ، دور أساسي في حدوث النمو المذكور . إلا أن هذا النمو لم يأخذ محلاً في مدينتي الجبيل وينبع ، كما هو مخطط ، وفي منطقتي الصناعات الثانوية بهما كما سبق الشرح . فالنمو المُستثار من قبل الصناعات الأساسية قفز لمسافات أبعد نحو بعض المدن الصناعية القديمة بالمملكة متجاوزاً المنطقة الجغرافية الأقرب لمواضع منشآت الصناعات الأساسية . وقد حدث هذا التوجه بسبب الاتجاهات التوطنية للقطاع الصناعي الخاص في مجال الصناعات الكيماوية . هذا مع العلم بأن ٨٥,٧٪ من استثمارات القطاع الخاص في مجال هذه المجموعة من الصناعات موجه نحو فئة الصناعات الكيماوية غير الأساسية وفقا لبيانات عام ١٩٩٧م . وقبل التطرق لهذه الاتجاهات ينبغي أن نحدد ما حدث من قبل هذا القطاع في اختياراته لمواقع استثماراته في الصناعات الكيماوية عامة . لقد زادت استثمارات القطاع الخاص في الصناعات المذكورة في كل من جدة والرياض من ٢٦,٥٪ و ٢٦,٧٪ إلى ٣٠,٥٪ و ٣٠,٩٪ ، من جملة هذه الاستثمارات بالمملكة ، ما بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٩٧ . وفي المقابل فقد زادت استثمارات هذا القطاع في الصناعات المذكورة في كل من الجبيل وينبع من ٩,٥٪ إلى ١٠,٦٪ فقط بين العامين المذكورين . الأكثر من ذلك فإننا نجد أن مدينة الدمام قد تقلص نصيبها من الاستثمارات المذكورة من ٣١,٦٪ إلى ١٩,٩٪ ما بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٩٧ (انظر جدول رقم - ٣) ، هذا مع أن الدمام هي الأقرب جغرافيًا لقطب النمو الصناعي الأكبر في المملكة وهو الجبيل .

جدول رقم (٣)

جدول رقم (٣)

أعداد منشآت وعمال وإجمالي تمويل الصناعات الكيماوية في القطاع الخاص في مدن المملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٩٧ م

المدينة	عام ١٩٨٢ م						عام ١٩٩٧ م					
	المنشآت		العمال		رأس المال المستثمر		المنشآت		العمال		إجمالي التمويل	
	العدد	٪	العدد	٪	المقدار	٪	العدد	٪	العدد	٪	المقدار	٪
الجبيل	٦	٣	١٥٨	١,٧	١٤٠,٧	٤,٧	١٤	٣,٣	١٩٧٣	٦,٢	٨٦٢,٢	٨,٤
ينبع	٢	١	٢٥٢	٢,٨	٣٦,٢	١,٢	٦	١,٤	٢٣٤	٠,٧	٢٢٤,١	٢,٢
رابغ	١	٠,٥	٢٠	٠,٢	٨	٠,٣	–	–	–	–	–	–
جدة	٦٧	٣٣,٧	٢٨٨٧	٣١,٩	٧٩٥,١	٢٦,٥	١١٥	٢٦,٧	٩٤٨٣	٣٠	٣١٣٧,٤٩	٣٠,٥
الرياض	٤٧	٢٣,٦	٢١٤٧	٢٣,٧	٨٠٠	٢٦,٧	١٣٢	٣٠,٧	١٠٧٧٠	٣٤	٣١٧١,٧٨	٣٠,٩
الدمام	٣٤	١٧,١	٢٤٠٥	٢٦,٦	٩٤٩,١	٣١,٦	٨٩	٢٠,٧	٦٠٤٥	١٩,١	٢٠٤٢,٢	١٩,٩
بقية المدن	٤٢	٢١,١	١١٨٦	١٣,١	٢٧١,١	٩	٧٤	١٧,٢	٣١٠٠	١٠	٨٣٧,٤٣	٨,١
المملكة	١٩٩	١٠٠	٩٠٥٥	١٠٠	٣٠٠٠,٢	١٠٠	٤٣٠	١٠٠	٣١٦٠٥	١٠٠	١٠٢٧٥,٢٥	١٠٠

- تم إعداد الجدول بناءاً على بيانات الدراسة .

ويمكن القول بأن القطاع الصناعي الخاص في المملكة تتحكم فيه اعتبارات السوق ووفورات التجمع ، وعنصر عدم التأكدية Uncertainty وعناصر الجذب الخاصة بالبيئات الصناعية لمدينتي جدة والرياض . ويصدق هذا التوجه ، بطبيعة الحال ، على الصناعات الكيماوية وغيرها . على أن الأمر يستدعي بالفعل دراسة قائمة بذاتها لفحص خصائص عملية صنع القرار الصناعي لدى القطاع المذكور .

وعمومًا فهذه التجربة السعودية قد سرت في منطقة أخرى من العالم ، في الولايات المتحدة . فقد حدث وضع القفز التنموي المذكور في الحالة السعودية عند قيام شركة بوينج ، لتصنيع الطائرات ، في منطقة بجت سوند Buget Sound في ولاية واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية . فقد أظهرت دراسة إريكسون Erikson في هذا الصدد (١٩٧٤) أن عديد من الشركات الرئيسة ، التي أشارت هذه الدراسة للواحدة منها بمصطلح Lead Firm ، في هذه المنطقة قد خلقت نمو اقتصادي في مواقع بعيدة عن أقاليم هذه الشركات ، وذلك عبر خلق علاقات ارتباطية خلفية وأمامية ، وحيث ظهرت أنماط لعمليات معقدة للحصول على عناصر الإنتاج أو بيعه في أقاليم مختلفة (P 135) .

على أن ما يجب أن نعيه هنا هو أن شركة بوينج ، كقطب نمو ، لم تظهر كمخطط حكومي للتنمية الإقليمية . فالتداعيات المكانية لظهور هذه الشركة إنما خضعت لحقائق التوزيع الجغرافي للمراكز الحضرية والأسواق في إقليم الشركة والأقاليم المجاورة ، لكن الوضع في التجربة السعودية مختلف . فظهور مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين إنما حصل في إطار سياسة حكومية ترمي بشكل عام لتحفيز التنمية الإقليمية في مناطق بعينها ، وبالتالي فقفز النمو مباشرة من قطبي النمو للمدن الكبرى ، والممثلة للمدن الصناعية القديمة ، بالبلاد إنما يعني ابتسار للنتائج المأمولة للنمو الإقليمي في المنطقتين الإداريتين لمدينتي الجبيل وينبع . فأولاً نجد أن ما حصل لم يتح لقطبي النمو السعوديين الوصول لاكتمال المرحلة الأولى من النظرية (منطقة النمو الأولى بصناعاتها الرئيسة الأولى والمتأثرة الأولى) . ومن جانب ثان فقفز النمو المذكور إنما يحيط مستقبل المرحلة الثانية من النظرية (منطقة النمو الثانية بصناعاتها الرئيسة الثانية والصناعات المتأثرة

الثانية) بالتساؤلات . (انظر إلى : Wheeler et al , 1998, P 48 - 49) .

ومن جانب ثالث فقفز النمو للمدن الكبرى إنما يعني زيادة أوضاعها الاستقطابية ، وهو أمر ينذر بنتائج سلبية مستقبلاً . فهذه المدن يمكن لها ، مع الزيادة المتواصلة للنمو السكاني وأنصبتها من الأنشطة الاقتصادية بالبلاد ، أن تصل لمرحلة اللاوفورات Dise-conomies والتكدس الاقتصادي والسكاني وما لكل ذلك من مؤشرات سلبية لعموم المظهر الجغرافي الاقتصادي العام للمملكة .

يستتبع ما سبق أن التقويم الأولي لما حدث في تجربة قطبي النمو السعودية ينبغي أن ينبني على المقارنة مع الحالات المشابهة . وهنا يمكن النظر لتجربة كوريا الجنوبية . فقد قامت هذه الدولة بوضع أقطاب صناعية للنمو في الإقليم المركزي الثاني في البلاد (بوسان - كايو نجسونج الجنوبية Pusan - South Kyongsong) ، الواقع في جنوبها الشرقي ، بعد الإقليم المركزي (سول - جايونجي Seoul Gyongg) ، الواقع في الشمال الغربي من كوريا ، والذي يمثل الإقليم الأبرز في كوريا . وقد أثبتت هذه التجربة «حدوث تكامل بين أقطاب النمو» المقامة في الإقليم المقصود بالتنمية ، وذلك من خلال العلاقات الارتباطية بين هذه الأقطاب (Auty , 1990 , P.29) . وهذا الأمر قوي التأثير الإقليمي للأقطاب المذكورة . كما أنه بالرغم من أن استثمارات الإقليم الجنوبي الشرقي المذكور قد أثبتت ، حتى الآن ، عدم كفايتها لتحويل النمو من الإقليم المركزي الشمالي الغربي إلى مناطق أخرى ، إلا أن الإقليم الأول قد حقق زيادة ، وإن تكن طفيفة ، في العمالة الصناعية مقارنة بالإقليم الأخير . كما أن هنالك مؤشر إقليمي جيد للتجربة الكورية ، فقد زادت العمالة الصناعية والإنتاج الإقليمي العام في المنطقة المجاورة لإقليم بوسان ، موضع أقطاب نمو الإقليم المركزي الجنوبي الشرقي . أي أن النمو قفز هنا للمنطقة المجاورة لأقطاب النمو وأحدث قدرا من التنمية الإقليمية مما حدا بالباحث الراصد لهذه التجربة ، أوتي Auty ، للقول بأنه كما انتشر التطور من بوسان لما جاورها من أرجاء فسوف تستمر هذه المنطقة في توسيع انتشار الفرص الصناعية على نطاق أكبر (Ibid , p30 - 32) .

التقويم الشامل لدور الصناعات البتروكيماوية في التنمية الإقليمية في المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة

أ - إيجابيات سياسة أقطاب النمو السعودية

١ - مبدئيًا فقد أظهرت دراسة أوتي Auty لتجربة الجبيل وينبع كقطبا نمو (1987) أن الفكرة الأساسية وراء إنشاء المدينتين ، وهي استخدام مواقع المصادر الهيدروكربونية كمواقع للنشاط الاقتصادي مقابل الأقاليم المركزية ، وفي بلد كبير المساحة كالمملكة العربية السعودية لهي فكرة جيدة . فبعض صناعات الموارد الأساسية Resource Base Industries للدولة إنما تعطي الفرصة لإنهاء التركز المكاني المكثف للنشاط الاقتصادي في مواقع محددة (الرياض وجدة والدمام في الدرجة الأولى) . وقد قال أوتي Auty بأن هذه السياسة قريبة من السياسات التي تم اتباعها في دول أخرى كفنزويلا وماليزيا وإندونيسيا ، حيث تتشابه مثل هذه الدول مع المملكة في ظروفها السابقة ذكرها . كما برر أوتي قيام الصناعات المذكورة في المملكة ، من جانب آخر ، بملائمة هذه الصناعات لوضع المملكة من حيث وجود فوائض رأسمالية . فالصناعات المذكورة ذات متطلبات مالية ضخمة كما أنها ذات درجة مخاطرة اقتصادية وبطئ في خلق فرص العمل . وهذا يعني عدم قدرة رأس المال الخاص على الدخول في مثل هذه الصناعات ، مما حدا بالقطاع الحكومي للتصدي لإنشاء المدينتين ، بصناعاتهما الأساسية . وأخيرا فقد لاحظ أوتي في دراسته بأن المشاريع الصناعية المذكورة قد اتسمت بكفاءة إنشائها في المملكة ، ذلك من حيث عنصر الوقت والميزانية المخطط لها (29 و P 21) .

ومن ناحية أخرى فبالنظر إلى نتائج استخدام سياسات أقطاب النمو في أمريكا الجنوبية ، في منتصف السبعينيات ، فقد وُجدَ أنه من الأفضل عدم اتخاذ عدد كبير من أقطاب النمو في أماكن بعيدة عن المراكز الاقتصادية الرئيسة ، ذلك أن مثل هذا الاتجاه إنما يؤدي إلى تبديد الحوافز الإقليمية Regional Stimulus المحتملة للأقطاب ، وبالتالي فالأفضل إقامة قطب نمو كبير ، كما هو في تجربة المملكة حيث أقيم قطب كبير (الجبيل) وبجانبه قطب صغير في موقع آخر (ينبع) . فهذا التوجه جيد خصوصًا للأقاليم ذات

الصناعات المعتمدة على قاعدة الموارد كما هو الحال مع الصناعات البتروكيماوية في المملكة . فهذه صناعات ذات استخدام مكثف لرأس المال وتحتاج لبنية أساسية مجمعة وصناعات مرتبطة بها تستفيد من وفورات التجمع والتوطن (Ibid,p2) . وكل هذا يعني تقويمًا إيجابيًا لسياسة قطبي النمو السعوديين في حد ذاتها .

٢ - مع ظهور مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين في منطقتي الدراسة - الشرقية والمدينة المنورة - حصل قدر ، وإن يكن محدودا ، من الانتشار لعناصر النشاط الصناعي في المنطقتين . فقبل ظهور هاتان المدينتين كان جل النشاط الصناعي بعناصره يتركز تقريبًا في مدينة واحدة في حالة منطقة المدينة المنورة (مدينة المدينة المنورة) ومدينتين في حالة المنطقة الشرقية (وهما مدينتي الدمام والهفوف) . وبعد ذلك برزت مدينتي الجبيل وينبع كمركزين صناعيين ذات ثقل نوعي صناعي بجوار المدن المذكورة . فإذا نظرنا إلى وضع المنطقة الشرقية نجد أنه في عام ١٩٧٠ كانت مدينتي الدمام والهفوف تمثلان المواقع الأهم في مجال النشاط الصناعي حيث كانتا تستحوزان على حوالي ثلثي (٥٧,٤٪) المؤسسات الصناعية في هذه المنطقة (١٩) .

وبالرجوع لما ذكر سابقا في الصفحة رقم (١٥٥) من هذا البحث ، سنجد أن مدينة الدمام أضحت تستحوز ، وفقًا لبيانات عام ١٩٩٤م ، على حوالي ثلثي المصانع والعمال ، وذلك في مقابل استحواز الجبيل على حوالي ٨٠٪ من الاستثمارات المالية الصناعية .

أما فيما يتصل بمنطقة المدينة المنورة فالبيانات التي أوردت في صفحة (١٥٥) سابقا من هذا البحث ، توضح أن مدينة المدينة المنورة كانت تستحوز على معظم عناصر النشاط الصناعي في عام ١٩٧٠م. بينما برز وضع ثنائي في عام ١٩٩٤م ، حيث أصبحت مدينة المدينة المنورة تستحوز على ثلثي المنشأت الصناعية وعمالها في مقابل استحواز ينبع على معظم الاستثمار المالي الصناعي .

ب - مشاكل تطبيق آليات قطب النمو ونواحي القصور في تجربة الجبيل وينبع

١ - إن هنالك تسرب كبير من الفرص الاستثمارية الخاصة في مجال الصناعات

الكيماوية ، غير الأساسية ، من المواقع المخططة كأقطاب نمو ، الجبيل وينبع ، للمواقع الصناعية الأقدم بالمملكة . وقد لاحظ هذا الأمر مبكرا الباحث أوتي Auty في دراسته المذكورة سابقًا عن سياسات أقطاب النمو في عدد من الدول المصدرة للبترول ومنها المملكة . فقد خلص أوتي إلى أن تلك السياسات ، في حالة المملكة ، قد أدت إلى عدة نتائج منها أن الحوافز الاقتصادية Economic Stimulus للصناعة الكيماوية والصناعات الثقيلة الأخرى لم تكن متوافقة مع الأهداف المرسومة لها ، فما تم من نمو في منطقتي الصناعات غير الأساسية في الجبيل وينبع لم يكن بالقدر المطلوب والمأمول . وقد وصف أوتي الحوافز الإقليمية ، التي حصلت إثر إنشاء المدينتين ، بالبطء .

٢ - لقد انعكس بطء الحوافز الإقليمية السابق ذكرها على الانتشار الجغرافي للصناعات الكيماوية في مدن كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة وبالتالي على مدى إيجابية دور مدينتي الجبيل وينبع في التنمية الإقليمية للمنطقتين . ويتضح ذلك من جدول رقم - ٤ ، وخريطة رقم ٢ ، والذي يرصد تطور أنصبة المدن المذكورة من هذه الصناعات ما بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٩٧ . فنصيب مدينة الجبيل من الصناعات الكيماوية زاد مقارنة بأنصبة بقية مدن المنطقة الشرقية بين العامين المذكورين . فقد ارتفعت أنصبة هذه المدينة من أعداد المنشآت والعمال والاستثمار المالي من ٩ , ١١٪ و ٥ , ٣٣٪ و ٤ , ٧٢٪ الى ٣ , ١٩٪ و ٥ , ٥٧٪ و ٦ , ٩٤٪ على التوالي ما بين العامين المذكورين . وينطبق نفس الشئ على مدينة ينبع فقد زادت أنصبتها من العناصر المذكورة، مقارنة بمدينة المدينة المنورة ، من ٢٥٪ و ٨ , ٥٠٪ و ٢ , ٣٦٪ الى ٣ , ٦٤٪ و ٩٣٪ و ٨ , ٩٩٪ ما بين نفس العامين . كما أن عدد المدن التي توجد بها منشآت الصناعة الكيماوية لم يتغير كثيرًا في المنطقتين في الفترة المذكورة . فمقابل ظهور تلك المنشآت في مدينتي رحيمة وسيهات (منشأة واحدة في كل منهما) في عام ١٩٩٧ ، في المنطقة الشرقية ، نجد أن المنشأة الوحيدة التي كانت في مدينة الظهران في عام ١٩٨٢ أقفلت أبوابها ولم تعد قائمة في عام ١٩٩٧م[٢٠] . أما بالنسبة لمنطقة المدينة المنورة فلم يحدث أيّ تغير إطلاقاً .

٣ - إن قيام مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين لم يؤدي إلى توفر فرص عمل عديدة

جدول رقم – ٤

جدول رقم (٤)

تطور أعداد منشأت وعمال واستثمارات الصناعة الكيماوية في منطقتي الشرقية والمدينة المنورة الإدارتين بين عامي ١٩٨٢ – ١٩٩٧ م

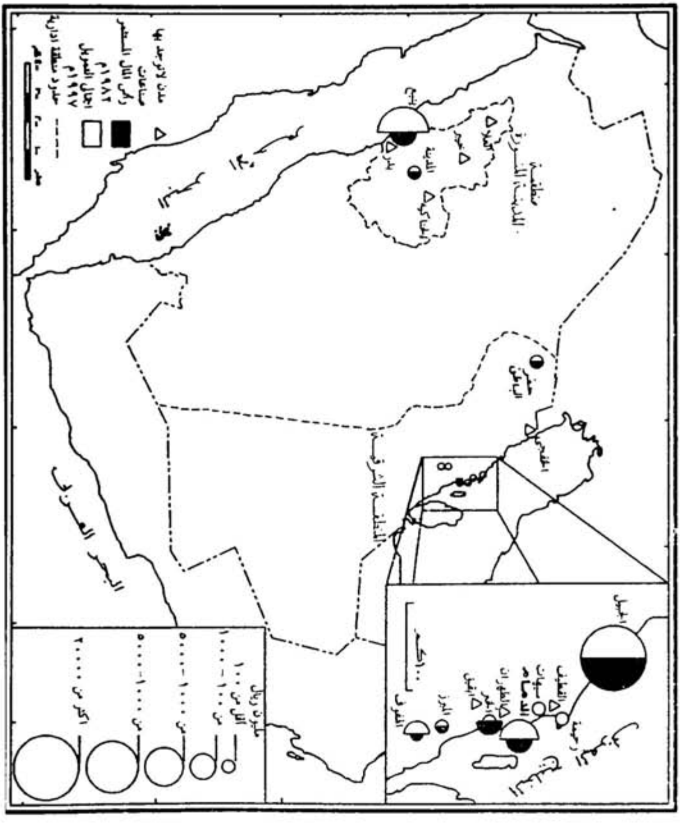
المدينة	عام ١٩٩٧ م						عام ١٩٩٧ م					
	المنشآت		العمال		رأس المال المستثمر (مليون ريال)		المنشآت		العمال		اجمالي التمويل (مليون ريال)	
	العدد	٪	العدد	٪	المقدار	٪	العدد	٪	العدد	٪	المقدار	٪
١ – المنطقة الشرقية												
الجبيل	٧	١١,٩	١٤٨٣	٣٣,٥	٢٩٣٩,٩	٧٢,٤	٢٧	١٩,٣	١٠٨٠٦	٥٧,٥	٦٠٣٦٠,٧	٩٤,٦
الدمام	٣٦	٦١	٢٤٤٥	٥٥,٣	٩٩٣,٧	٢٤,٤	٩٠	٦٤,٣	٦٦٧٢	٣٥,٥	٣١٥٩,٢	٥
الخبر	٨	١٣,٥	٣٧٧	٨,٥	١٠٥	٢,٦	٣	٢,١	٤١	٠,٢	١٣,٧	٠,٠٢
الاحساء *	٣	٥,١	٣٠	٠,٧	١٠	٠,٢	٩	٦,٤	٢٦٥	١,٤	٧٢,٤	٠,١
حفر الباطن	١	١,٧	١٢	٠,٣	٣,٧	٠,١	١	٠,٧	١٤	٠,١	٣,٩	٠,٠١
الظهران	١	١,٧	٤٥	١	**	–	–	–	–	–	–	–
المبرز	١	١,٧	١	٠,٠٢	٢,٣	٠,١	١	٠,٧	١٨٣	١	٢٧,٨	٠,٠٤
رحيمه	–	–	–	–	–	–	١	٠,٧	٩٤	٠,٥	٨,٧	٠,٠١
سيهات	–	–	–	–	–	–	٢	١,٤	٦٩	٠,٤	٥,٩	٠,٠١
الهفوف	٢	٣,٤	٢٩	٠,٦	٧,٧	٠,٢	٦	٤,٣	٦٤٢	٣,٤	١٧٢	٠,٢
مجمل المنطقة	٥٩	١٠٠	٤٤٢٢	١٠٠	٤٠٦٢,٣	١٠٠	١٤٠	١٠٠	١٨٧٨٦	١٠٠	٦٣٨٢٤,٣	١٠٠
٢–منطقة المدينة المنورة												
المدينة المنورة	٦	٧٥	٢٤٤	٤٩,٢	٦٢,٥	٦٣,٣	٥	٣٥,٧	٢٤٦	٧	٤٢,٩	٠,٢
ينبع	٢	٢٥	٢٥٢	٥٠,٨	٣٦,٢	٣٦,٧	٩	٦٤,٣	٣٢٨٤	٩٣	١٨٢٤٦,١	٩٩,٨
مجمل المنطقة	٨	١٠٠	٤٩٦	١٠٠	٩٨,٧	١٠٠	١٤	١٠٠	٣٥٣٠	١٠٠	١٨٢٨٩	١٠٠

– تم إعداد الجدول بناءاً على بيانات الدراسة .

* الاحشاء منطقة تحتوي أكثر من مركز تجمع سكاني على أن مصادر بيانات الدراسة لاتفصل تلك المراكز .

** لا يجود بيان .

خريطة رقم (٢)
تطور أنصبة مدن كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية من استثمارات الصناعة الكيماوية ما بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٩٧م



خريطة رقم (٢)

- تم رسم الخريطة باستخدام بيانات الدراسة

للسعوديين في المدينتين ، سواءًا في مناطق الصناعات الأساسية أو الثانوية . ويتضح ما قلناه من مناقشة **بيانات مدية الجبيل ، القطب الأكبر ، في هذا الصدد** . ففي عام ١٩٩٢ بلغ عدد العاملين السعوديين في مدينة الجبيل الصناعية ١٣٣١٥ فرد وهو ما يمثل ما نسبته ٢٦٪ من مجموع العمالة في المدينة آنذاك (٥١١٤٤) . وهذه نسبة منخفضة بلاشك . كما أن النظرة التحليلية للبيانات المذكورة توضح أن الجزء الأكبر من العمالة السعودية بعامة في الجبيل هي عمالة حكومية ، حيث وصل حجم هذه العمالة إلى ٦٧٢٢ وهو ما يمثل نسبة ٥٠٪ من مجموع العمالة السعودية في هذه المدينة . وفضلا عن ذلك فإن ٩٦,٣٪ من العمالة الصناعية في المدينة هي عمالة في مشاريع شركتي سابك وأرامكو الحكوميتين في سجال الصناعات الأساسية . فالقطاع الخاص لا يستثمر بشكل جيد في الجبيل ولا يوفر إلا فرص عمل محدودة جدًا للسعوديين في مشاريعه . فوفقًا للبيانات المذكورة وصل عدد السعوديين في الصناعات الثانوية ٥٩ عامل فقط ، وهو ما نسبته ١٨,٨٪ من عمالة هذه الصناعات في مدينة الجبيل في السنة المذكورة [٢١] .

ولا يختلف الوضع في مدينة ينبع الصناعية التي لا يوجد بها إلا ٦ منشآت فقط تتبع القطاع الخاص في مجال الصناعات الكيماوية (كما يوضح جدول (٣) ، الوارد في صفحة (١٦٧) . وهذه المنشأت تشغل ٢٣٤ عاملا فقط) .

ج – الآفاق المتاحة لتلافي نواحي القصور في تطبيق آليات قطب النمو في المملكة العربية السعودية

لقد أدى ابتعاد القطاع الخاص باستثماراته ، عن مجال الصناعات الكيماوية غير الأساسية في الجبيل وينبع وتركيزه على المدن الصناعية القديمة إلى أن تقوم شركة سابك بالاتجاه نحو الاستثمار في مشاريع إنتاج السلع الكيماوية النهائية في داخل الجبيل وينبع . فقد ساهمت شركة سابك في إنشاء شركة للمنتجات البلاستيكية ، تحت مسمى شركة ابن حيان ، في مدينة الجبيل في منطقة الصناعات الثانوية ومن المتوقع أن يبدأ إنتاج المصنع في عام ١٩٩٨م (جريدة الرياض، ١٩٩٦ ، ص ٢٦) . وبطبيعة الحال فمثل هذا الاتجاه لا يمثل حلا جذريا لقضية تحفيز وإنماء حجم الصناعات الثانوية سواءًا

في الجبيل أو ينبع . فالمطلوب هو استقطاب استثمارات القطاع الخاص من المدن الصناعية القديمة نحو الجبيل وينبع . فشركة سابك مهما بلغ حجم أرصدتها تظل شركة مفردة لا تستطيع ، وليس المطلوب منها ، القيام بالدور الإقليمي للتنمية في منطقتي الجبيل وينبع . فهذا دور مناط بالقطاع الخاص الذي يمثل الركيزة الأساسية في النشاط الاقتصادي في المملكة وفقًا للسياسات والتوجهات الاقتصادية لهذا البلد .

والحل الأمثل لتلافي نواحي القصور في تطبيق آليات قطب النمو في المملكة إنما يكمن ، في رأينا ، في توفير عدد من الحوافز المالية والتشريعية التي تجلب مزيدا من استثمارات القطاع الخاص إلى مجال الصناعات الكيماوية بمدينتي الجبيل وينبع . فهذا الأمر يساعد على سرعة نضوج دور المدينتين في التنمية الإقليمية بمنطقتي الشرقية والمدينة المنورة الإداريتين . كما يقترح هنا إيقاف كافة المزايا[٢٢] التي تمنح في المناطق الصناعية ، والموجودة في عدد من المدن السعودية ، عن المستثمرين في مجال الصناعات الكيماوية إلا لمن يستثمر في الجبيل وينبع . ويمكن في مرحلة لاحقة إيقاف كافة التراخيص للصناعات الكيماوية غير الأساسية في مدن المملكة عدا الجبيل وينبع . هذا فضلا عن ضرورة إعطاء مزيد من الحوافز لمستثمري القطاع الخاص في المدينتين في مجال رفع نسبة العمالة السعودية بهما . وبطبيعة الحال فمن الأفضل أن يكون هذا التوجه المقترح ضمن توجه أعم لرفع نسبة العمالة السعودية في مجمل الصناعة السعودية ، وذلك سواءًا عبر الحوافز أو التشريعات المقيدة لأعداد ونوعيات العمالة الأجنبية في الصناعات مع ربط كل ذلك بمخرجات التعليم والتدريب الصناعيين .

نتائج الدراسة

١ – يمثل كل من مدنتي الجبيل وينبع الصناعيتين قطبي نمو صناعيين ، تتوفر فيهما كافة الخصائص الرئيسة المفترض وجودها في أي قطب للنمو وفقا لواضع نظرية قطب النمو بيرو Perroux .

٢ – تتسم البنية المكانية الداخلية لمدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين بوجود منطقتين رئيستين للصناعات ، أساسية وثانوية ، بالإضافة لمنطقة ثالثة للصناعات المساندة

للصناعات السابقة . وتتدرج الصناعات الأساسية تحت إطار شركة سابك التي تمتلك الحكومة السعودية ٧٠٪ من أسهمها . فضلاً عن شركة أرامكو الحكومية . أما الصناعات الثانوية فتعود للقطاع الخاص . هذا وتتسم الصناعات الأساسية بنصيبها المرتفع من مجموع حجم صناعات المدينتين .

٣ - في التقويم الشامل لتجربة الجبيل وينبع يظهر أن استخدامهما كقطبي نمو رئيسيين في المملكة هو استخدام صحيح في ظل طبيعة قاعدة الموارد والاقتصاد السعودي من ناحية ، وفي ظل تجارب الدول الأخرى كدول أمريكا الجنوبية وبعض دول جنوب شرق آسيا من ناحية أخرى .

٤ - لا تزال مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين في المرحلة الأولى من مراحل تطبيق نظرية قطب النمو ، وهي مرحلة تكون مركز النمو الأول بصناعاته الرئيسة والثانوية . كما أن الصناعات الثانوية لم تصل إلى الحجم المطلوب بعد نظرا لقلة إقبال القطاع الخاص نحو الاستثمار في منطقة الصناعات المذكورة بالمدينتين .

وبالتالي فبدلا من أن تستثير الصناعات الرئيسة نموا صناعيا في منطقة الصناعات الثانوية فقد قفز النمو المُستثار إلى المدن الصناعية القديمة بالمملكة . ويلاحظ هنا أن بيانات بحثنا هذا (١٩٨٢ - ١٩٩٧) قد أظهرت أن نتائج دراسة أوتي Auty ، التي تعرضت لتجربة الجبيل وينبع في فترتها الأولى ، تصدق بشكل عام على الفترة الزمنية لبحثنا الحالي .

٥ - ترتب على ما سبق قلة الانتشار الجغرافي للصناعات الكيماوية في مدن كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة وما ترتب على ذلك من عدم تبلور دورا الجبيل وينبع في التنمية الإقليمية بمنطقتيهما . وهذه النتيجة تستدعي مزيجا من التشريعات والحوافز الحكومية لتحفيز القطاع الخاص على ضخ استثماراته في منطقتي الصناعات الثانوية بالجبيل وينبع ، وذلك كمرحلة أولى يمكن أن تؤدي إلى مزيد من الانتشار للصناعات الكيماوية في المدن الأخرى بالمنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة . هذا فضلا عن اتخاذ إجراءات مماثلة لرفع نسبة سعودة العمالة بالصناعات الكيماوية لتفعيل

دورها في التنمية الإقليمية المذكورة .

هوامش الدراسة

١ – تم حساب هذه النسب بناءا على بيانات الدراسة الموضحة في قسم منهجية الدراسة (د. بيانات الدراسة) .

٢ – وهو ما يقابل مصطلح Key Industry (الشركة الرئيسة أو الشركة المفتاح) وفقًا لكل من ويلر وآخرين Wheeler (1998 , P47)

٣ – نيجيريا ، الكاميرون ، فنزويلا ، المملكة العربية السعودية، ماليزيا ، إندونيسيا .

٤ – إن أول شركة صناعية من شركات سابك دخلت في مجال الإنتاج هي الشركة السعودية للميثانول حيث بدأت في الإنتاج عام ١٩٨٣م (مجلة العلوم والتقنية ، ص ٢) .

٥ – لمعرفة حدود المناطق التخطيطية الخمسة المذكورة والمساحات التي تغطيها في المملكة يمكن الرجوع إلى خطة التنمية الثانية للمملكة العربية السعودية (وزارة التخطيط، ١٩٧٥م) .

٦ – تم حساب هذه النسبة اعتماداً على بيانات النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن في المملكة لعام ١٤١٣هـ. (وزارة المالية والاقتصاد الوطني) .

– ويلاحظ في هذا الصدد أن التعداد المذكور اعتبر أن المدينة هي المسمى السكاني الذي يوجد به أكثر من ٥٠٠٠ نسمة أو به بلدية . وقد تم الاعتماد فيما يخص عنصر السكان لمدن منطقتي الدراسة – ببحثنا هذا – على التعداد . كما تم الرجوع لوزارة الشؤون البلدية والقروية لتحديد البلديات التي يصل عدد سكانها لـ ٥٠٠٠ فأقل (١٤١٧هـ) .

٧ – تم حساب هذه النسبة بناءاً على بيانات دراسة : الأنماط المكانية للصناعة التحويلية السعودية ودلالاتها التنموية (مشخص ، ١٩٩٧) . هذا مع ملاحظة أن

بيانات الدراسة المذكورة تم استقاء مادتها الأولية من بيانات وزارة الصناعة والكهرباء السعودية (قوائم المصانع المنتجة المرخصة في المملكة حتى نهاية عام ١٩٩٤) .

٨ – تم الاعتماد أساسا في هذا الشأن على تصنيفات مشخص ، في دراسته عن المدن السعودية الواردة في كتاب الجغرافية البشرية المعاصرة للمملكة العربية السعودية (١٩٩٥ ، ص ٣٢٦) . هذا ونوضح هنا أن المدن المذكورة في النص ، اتصالا بهذا الهامش ، يمكن تحديدها بناءاً على التصنيفات المذكورة كما يلي :

أ – فئة المدن الصغيرة (٥٠٠٠ – ١٩٠٠٠ نسمة) : ثلاثة وثلاثون مدينة يتراوح أعداد سكانها بين ٥٠٧٥ و ١٨,٠٠٦ نسمة .

ب – فئة المدن المتوسطة (٢٠٠٠٠ – ٩٩٠٠٠ نسمة) ، إحدى عشر مدينة يتراوح أعداد سكانها ما بين ٢١,٧٩٥ و ٩٨,٩٢٠ نسمة .

ج – فئة المدن الكبيرة (١٠٠٠٠٠ – ٩٩٩٠٠٠ نسمة) :

الدمام	٤٨٢,٣٢١	نسمة
الهفوف	٢٢٥,٨٤٧	نسمة
المبرز	٢١٩,١٢٣	نسمة
الخبر	١٤١,٦٨٣	نسمة
الجبيل	١٤٠,٨٢٨	نسمة
حفر الباطن	١٣٧,٧٩٣	نسمة
الثقبة	١٢٥,٦٥٠	نسمة

وفيما يتعلق بمنطقة المدينة المنورة نجد أن أوضاع مدنها في هذا الشأن كما يلي :

أ – فئة المدن الصغيرة : مهد الذهب ٧٤٣٦ ، خيبر ١٠٥٢٨ الحناكية ٧٩٠٦ ، الثمد ٥٦٣٥ ، العيص ٦١٢٧ .

ب – فئة المدن المتوسطة : لا يوجد .

ج - فئة المدن الكبيرة : المدينة المنورة ٦٠٨٢٩٥ ينبع ١١٩,٨١٩ (مصدر أعداد السكان : انظر هامش ٦ سابقًا) .

٩ - وذلك اعتمادا على بيانات وزارة الصناعة والكهرباء (انظر إلى فقرة بيانات الدراسة سابقًا - ص ١٤٩) . هذا مع ملاحظة أن هذه البيانات تشمل فقط الشركات الصناعية التي يصل رأسمالها إلى مليون ريال فأكثر ، وبالتالي فأي منشأة صناعية صغيرة ، وتلك الداخلة ضمن إطار الورش ، لا تُشمل في البيانات المذكورة .

١٠ - تم حساب هذه النسبة بالرجوع إلى بيانات وزارة المالية والاقتصاد الوطني (١٩٧٠ ، ص ٢١٧) .

- وبالرغم من أن البيانات التاريخية المتاحة لا تبين حجم الصناعة في مدن منطقة المدينة المنورة بكل عناصرها المتاح عنها بيانات حاليا (المنشآت ، العمال ، رأس المال) إلا أن مؤشراتها قوية فيما يتصل بمكانة مدينة المدينة المنورة صناعيا في منطقتها الإدارية . (هذا مع ملاحظة أن البيانات المذكورة تشمل الصناعات التحويلية الحديثة وحرف أخرى) . وعمومًا فطبقًا لهذه البيانات فإن عدد المنشآت التي كانت تستخدم مواد خام ومحروقات وكهرباء كانت تصل إلى ٣٦٢ و ٢١٦ و ٨٤ منشأة على التوالي في مدينة المدينة المنورة مقارنة ب ٤٤ و ١٤ و ٤ منشأة على التوالي في ينبع . (المصدر السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٩) .

١١ - تصل نسبة المدن الصغيرة لمجموع المدن بالمنطقة إلى ٥٦٪ وقد تم حساب هذه النسبة باستخدام بيانات ومعايير تعداد ١٤١٣هـ واعتماداً على التصنيف الفئوي لمدن المملكة السابق ذكره في الهامش (٨) .

١٢ - فمنتجات البروتين والبيوتين والنفثا ، مثلا ، تحصل عليها شركات الصناعات الكيماوية الأساسية التابعة لشركة سابك من معملي شركة أرامكو لتجزئة الغاز الطبيعي السائل في الجعيمة وينبع فضلا عن مصافي البترول في مدينتي الجبيل وينبع(انظر إلى : الهيئة الملكية للجبيل وينبع - ٣ ، ص ٨ ؛ الشريف ، ١٩٩٥ ص ٣١٩) .

١٣ - فمثلاً نجد أن شركات كيمياء ، صدف ، بتروكيما ، ابن زهر ، سافكو بالجبيل تعتمد على بعضها للحصول على الاثيلين ، بيوتن - ١ ، الميثانول . . . فشركة كيميا ، المنتجة للبولي الاثيلين ، تتحصل على خام الاثيلين من شركة صدف وعلى خام البيوتن - ١ من شركة بتروكيميا . كما أن شركة شرق ، المنتجة للبولي اثيلين المنخفض الكثافة الخطى ولجلايكول الاثيلين ، تحصل على خامات الاثيلين والهيدروجين والأوكسجين والبيوتن - ١ من شركات بتروكيميا وغازوكيميا (انظر الى : الهيئة الملكية للجبيل وينبع - ١) .

١٤ - ينبغي لنا أن نلاحظ في هذا الصدد ارتفاع نصيب مدينة رابغ من التمويل المالي للصناعات الكيماوية في المملكة (٨,٥٪) مقارنة بأنصبة المدن الصناعية القديمة (جدة ٣,٩٪ ، الرياض ٣,٥٪ ، الدمام ٣,٢٪) ، مع ارتفاع أنصبة هذه المدن الأخيرة من العمالة الصناعية بالصناعات الكيماوية (٢٤,٩٪ ، ٢٥٪، ١٣,٧٪ على التوالي) مقارنة بنصيب رابغ (١,١٪) في هذا الصدد . ويرجع هذا الوضع لتمتع مدينة رابغ بوجود مصفاة لتكرير البترول بها ، والمصفاة كمنشأة تتسم بأنها ذات استثمار مالي ضخم واستخدام منخفض لعنصر العمالة . ويتضح الموضوع أكثر بمعرفة أن نسبة إجمالي التمويل المالي للمصفاة المذكورة يبلغ ٨٢,٦٪ من إجمال تمويل جملة النشاط الصناعي بمدينة رابغ وفقًا لبيانات عام ١٩٩٤ (تم حساب هذه النسبة بالرجوع لبيانات بحث الأنماط المكانية للصناعات السعودية الوارد ذكره في هامش ٧ سابقًا) .

١٥ - وهذا بناءًا على نتائج الدراسة الوارد ذكرها في هامش ٧ سابقًا .

١٦ - يمكن النظر إلى ويلر Wheeler ، وآخرين ، (1998, P47 - 49) لمن أراد إيضاحا وافيا لمراحل نظرية قطب النمو . كما يمكن النظر إلى مشخص (١٩٩٦ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧) ، حيث ناقش هذه النظرية باختصار ارتباطًا بتجربة المملكة في التنمية الإقليمية تأسيسًا على مفاهيم النظرية ذاتها .

- ويلاحظ هنا أن الملامح الحالية لنظرية قطب النمو ، والمستخدم مؤشراتها في سبر جوانب البحث الحالي ، إنما هي نتاج إسهامات جغرافيين عديدين ، لجانب واضع

النظرية ، وفي مقدمتهم هيرشمان Hirshman ، ميدرال Mydral وفرايدمان Friedman . ومرجع ويلر (وآخرين) ، الموصى بالرجوع إليه أعلاه ، إنما يذكر مساهمات هؤلاء العلماء في هذا الصدد .

١٧ - يوجد في منطقتي الصناعات الأساسية في كل من الجبيل وينبع ما يلي :

أ - الجبيل : ١٣ مجمع صناعي تمتلكه شركة سابك بالإضافة إلى مصفاة للبترول تمتلكها شركة أرامكو .

ب - ينبع : مجمعين صناعيين تمتلكهما شركة سابك بالإضافة إلى مصفاتين للبترول تمتلكها شركة أرامكو .

١٨ - الذي يهمنا في سياق بحثنا هذا هي منطقتي الصناعات الأساسية والثانوية ، فبينهما ينبغي أن تقوم علاقات ارتباطية تؤدي إلى نمو الصناعات الثانوية (كمتلقي لمواد شبه مصنعة من الصناعات الأساسية «الكيماوية») ، ومن ثم كبر حجم هذه الصناعات . وبعد ذلك يمكن أن تتوالى خطوات النمو ، وفقًا للنظرية ، بظهور صناعات رئيسة ثانية حولها صناعات ثانوية ثانية . وبالتالي فلم يتم الاهتمام في هذا البحث بحجم النشاط الصناعي في منطقة الصناعات المساندة . فرصد هذا الأمر خارج أهداف هذه الدراسة .

١٩ - تم حساب هذه النسبة اعتماداً على بيانات وزارة المالية والاقتصاد الوطني (١٩٧٠ ، ص ٢١٧) .

- ينطبق ما قلنا في هامش رقم ١٠ سابقًا ، اتصالاً بالبيانات التاريخية للصناعة في منطقة المدينة المنورة ، على وضع المنطقة الشرقية في هذا الصدد . فمؤشرات هذه البيانات قوية اتصالاً بمكانة مدينتي الدمام والهفوف صناعيًا في المنطقة الشرقية في بداية السبعينيات الميلادية . فطبقًا لهذه البيانات فإن نسب المؤسسات الصناعية التي كانت تستخدم مواد خام ومحروقات وكهرباء في مدينتي الدمام والهفوف ، لمجموع مؤسسات المنطقة الشرقية ، في عام ١٩٧٠ كانت تصل إلى ٥٨,٥٪ و ٥٧,٨٪

و٢ ,٦٠٪ على التوالي . (تم عمل هذه النسب اعتماداً على بيانات المصدر السابق ، ص ٢١٧ - ٢١٩).

٢٠ - ينبغي أن نلاحظ أن جدول رقم - ٤ قد أشار لمنطقة الأحساء ككل دون مدنها وذلك لأن وزارة الصناعة والكهرباء ، مصدر بيانات الدراسة ، لا تفصل في هذا الشأن. وبالتالي فلا يمكن معرفة إذا ما كانت الزيادة التي حدثت في منطقة الأحساء ما بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٩٧ قد انصبت في مدينة أو مساحة جغرافية واحدة أو توزعت بين أرجاء هذه المنطقة . على أنه في كل الأحوال تظل الزيادة التي حصلت في منطقة الأحساء زيادة محدودة بعدد المنشآت والعمال بينما انخفض نصيبها من التمويل المالي من ٢ ,٠٪ إلى ١ ,٠٪ بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٩٧م.

٢١ - مصدر أرقام هذه الفقرة (٣) هو : الهيئة الملكية للجبيل وينبع (١٩٩٣ ، ص ٦) . كما تم حساب النسب الواردة في الفقرة المذكورة بناءًا على أرقام نفس المصدر .

٢٢ - يمكن تلخيص هذه المزايا في النقاط التالية :

أ - منح أراضي لإقامة المنشآت الصناعية في عدد سن المناطق الصناعية المجهزة بكافة المرافق والخدمات ، والتي أقامتها الدولة في عدد من المدن . ويتم منح هذا القطع من الأراضي لأصحاب المشاريع الصناعية المرخصة بأسعار اسمية .

ب - إعطاء أصحاب المشاريع المقامة في المناطق السابق ذكرها ، في الفقرة أ ، خدمات الكهرباء والماء بأسعار تقل عن أسعارها المتاحة لبقية الأنشطة الاقتصادية وعموم الجمهور .

ج - إعفاء جميع المواد الداخلة في عناصر الإنتاج الصناعي بالمملكة من الرسوم الجمركية .

د - إعفاء الشركات الصناعية السعودية ، كغيرها من الشركات السعودية الأخرى، من ضرائب الشركات .

هـ - منح الشركات الصناعية قروضا ، تصل إلى ٥٠٪ من إجمالي تكاليف

مشاريعها . من صندوق التنمية الصناعية السعودي الحكومي . وهذه القروض بدون فوائد .

و – منح المنتجات الصناعية السعودية أفضلية ١٠٪ على مثيلاتها الأجنبية من قبل المؤسسات الحكومية المختلفة عند التعاقد لتأمين مشترواتها . كما تنطبق هذه الأفضلية على تعاقدات المؤسسات والشركات المختلفة والتي تعمل مع المؤسسات الحكومية .

ز – يمكن للجهات الحكومية المعنية منح الشركات الصناعية السعودية ، والتي تعاني من ممارسات تنافسية غير عادلة من قبل الشركات الأجنبية ، حماية جمركية تسري على السلع المستوردة والمماثلة للسلع المصنعة السعودية .

(Jeddah Chamber Of Commerce & Industry , 1986 , P26).

المراجع

أولاً : المراجع العربية

جريدة الرياض ، (١٩٩٦) . *سابك تعمل على تشجيع الصناعات التكاملية لإشباع الطلب المحلي والانتقال إلى العالمية* ، العدد ١٠٢٠٨ ، ٥ يونيه ١٩٩٦ ، السنة ٣٣ .

الشريف ، عبدالرحمن صادق ، (١٩٩٥) . *جغرافية المملكة العربية السعودية* ، الطبعة الخامسة ، الرياض ، دار المريخ .

العصيمي ، محمد ، (١٩٩١) . مدن النفط – الجبيل ، *مجلة سمارك* ، العدد ١٥ ، السنة ٢ ، ص : ٤٢ – ٤٧ .

مجلة العلوم التقنية ، (١٩٩٤) . *الشركة السعودية الأساسية* ، العدد ٢٩ ، السنة ٨ ، ص : ٢ – ٤ .

مشخص ، محمد عبدالحميد ، (١٩٩٥) . *الجغرافيا البشرية المعاصرة للمملكة العربية السعودية* ، الطبعة الأولى ، جدة ، دار زهران .

مشخص ، محمد عبدالحميد (١٩٩٧) . الأنماط المكانية للصناعة التحويلية السعودية ودلالاتها التنموية ، *مجلة البحوث والدراسات العربية* ، العدد ٢٨ ، ص ص ٢٤٩ - ٣١٠ .

الهيئة الملكية للجبيل وينبع (١٩٩٣) . *الإحصاء السكاني الثاني* - تقرير ١٩٩٢ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

الهيئة الملكية للجبيل وينبع - ١ ، د. ت ، *مدينة الجبيل الصناعية* - الصناعات ، المملكة العربية السعودية، الرياض .

الهيئة الملكية للجبيل وينبع - ٢ (د. ت) ، مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين ، *المملكة العربية السعودية ، الرياض* .

الهيئة الملكية للجبيل وينبع - ٣ (د. ت) ، مشروع *الهيئة الملكية للجبيل وينبع* ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

وزارة التخطيط ، (١٩٧٥) . *خطة التنمية الثانية* (١٩٧٥ - ١٩٨٠) ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

وزارة التخطيط ، (١٩٩٥) . *خطة التنمية السادسة* (١٩٩٥ - ٢٠٠٠) ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

وزارة الشؤون البلدية والقروية ، (١٤١٧) . *إحصائيات البلديات لعام ١٤١٧هـ* . العدد ٤٧ ، السنة ٣١ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

وزارة الصناعة والكهرباء ، (د. ت) . *التصنيف الدولي للنشاطات الصناعية - فهرس الإنتاج الصناعي* ، وكالة الوزارة لشؤون الصناعة ، المملكة العربية السعودية، الرياض .

وزارة الصناعة والكهرباء ، (١٩٩٥) . *قائمة المصانع المنتجة المرخصة بموجب نظامي حماية وتشجيع الصناعات الوطنية واستثمار رأس المال الأجنبي حتى نهاية*

عام ١٤١٤هـ . (١٩٩٤م) ، المملكة العربية السعودية ، الرياض .

وزارة الصناعة والكهرباء ، (١٩٩٧) . *قائمة المصانع المنتجة المرخصة بموجب نظامي حماية وتشجيع الصناعات الوطنية واستثمار رأس المال الأجنبي حتى* ١٤١٧/٣/٣٠ هـ. (٥ / ٢ / ١٩٩٧م) المملكة العربية السعودية ، الرياض .

وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، (١٩٧٠) . *الكتاب الإحصائي السنوي* ، العدد ٦ ، مصلحة الإحصاءات العامة المملكة العربية السعودية ، الرياض .

وزارة المالية والاقتصاد الوطني (د. ت) *نتائج التعداد العام للسكان والمساكن لعام* ١٤١٣هـ. مصلحة الإحصاءات العامة ، مشروع التعداد ، المملكة العربية السعودية الرياض :

أ - النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن لعام ١٤١٣ هـ .

ب - النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن في منطقة الرياض لعام ١٤١٣هـ.

ثانيًا : المراجع الأجنبية

Auty, Richard M. (1987) Resource-based industry, spatial impact. *Development discussion paper*. No. **245,** Harvard institute for international development, Harvard University, Cambridge.

——— (1990) *The impact of heavy industry growth poles on South Korean spatial culture, geoforum*. Vol. 21(1): 23-33.

Darwent, D.F. (1975) Growth poles centers in regional planning, (in) **Friedmann John** and **Alonso William** (eds). *A review in regional policy – Reading in the Theory and Applications*. MIT Press, Cambridge. pp. 539-565.

Erickson, Rodney, A. (1974) The regional impact of growth firms: the case of Boeing 1963-1968, land economies, Vol. **50:** 127-136.

Holtta, R. (1994) *Kaakkois-Asian Kasvu eskukset Kehit yksen dynamoina Ja Teknologian, Terra*. Vol. 2 (106): 89-95 (*English abstract*).

Jeddah Chamber of Commerce and Industry (1986) *A Guide to Industrial Investment*. 7th edition. Saudi Consulting House, Saudi Arabia, Riyadh.

Mair, A. (1993) New growth poles? Just-in-time manufacturing and local economic development strategy, *Original studies*. Vol. 3(27): 207-221.

Matallah, K. and **Props, J.L.R.** (1992) Algerian economic development, 1968-1979: a multiplier and linkage analysis, *Economic systems research*, Vol. 4(3): 257-267.

Ministry of Industry and Electricity (1983) List of licensed factories and industrial licenses issued under the national industries protection and encouragement law and foreign capital investment law up to 1982, Saudi Arabia, Riyadh.

——— (1985) Fourth development plan (1985-1990), Saudi Arabia, Riyadh.

Nichikowa, J. (1992) The economy of the Asian-Pacific region and the new international division of labour. *Mondes-en-development*, Vol. **20**(79): 183-195 (*English abstract*).

Perroux, F. (1981) *Note the concept of growth poles.* In: **Livingston, Ian** (ed), Development economics and policy reading, George Allen and Unwin Ltd, London, pp. 182-187.

Richardson, Harry W. (1980) Polarization reversal in developing countries, *Papers of the regional science association*, Vol. **45:** 67-85.

Wheeler, James O., Muller, Peter O., Thrall, Grant I. and **Fik, Timothy, J.** (1998) *Economic Geography*, Third edition, John Wiley and Sons, Inc., New York.

The Role of Petrochemical Industries in Regional Development in Eastern and Medina Districts in Saudi Arabia: An Evaluated Study of Yanbu and Jubail Project on Light of Growth Pole Theory

MOHAMMED A. MISHKHES
Assistant Professor, Faculty of Arts & Humanities, King Abdulaziz University

ABSTRACT. Saudi Arabia has used growth pole policy to accomplish her regional and economic development targets through erecting and developing Jubail and Yanbu industrial cities. Most investments in the two city is devoted to petrochemical industries. Both of Jubail and Yanbu is to be judged, mostly, as an ideal growth pole especially in relation to their internal spatial structure. The two city encompass two main sections for industrial uses, both sections are provided with needed infrastructure and various services. One of the mentioned sections is accommodating governmental basic petrochemical and other industries. The other section was planned to accommodate downstream industries using the output of governmental projects as feedstocks. The private enterprises responses to carry out the mentioned projects is still very limited. Instead such projects has been carried out by private sector in remote old industrial cities in Saudi Arabia, especially Riyadh and Jeddah. These private locational choices meant growth leap-frogging to remote sites instead of growth-jumping to adjacent sites to Jubail and Yanbu poles. Such locational trend need adjusting through new governmental legislations and incentives to attract private investment to Jubail and Yanbu areas.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الانسانية ، م ١٠ ، ص ص ١٨٩ - ٢٥٧ (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)

نمط حياة شبه الاسقرار في منطقة التيسية ، منطقة حائل الإدارية : دراسة في الجغرافيا الاقتصادية عن التغير في استغلال الموارد ونظام الترحل في وظيفة الرعي البدوي

محمد عبدالكريم علي حبيب

قسم الجغرافيا - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الملك عبدالعزيز

المستخلص . مرت وظيفة الرعي البدوي منذ بداية هذا القرن بتغيرات أدت إلى اختلافها جذريا عن الشكل التقليدي لها . حدثت هذه التغيرات كنتيجة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية في الدول التي تعيش فيها جماعات بدوية . وجاءت هذه التحولات في حالة المملكة العربية السعودية كنتيجة لظهور دولة مركزية ولاكتشاف النفط . وأثر هذان العاملان بطرق مباشرة وغير مباشرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للجماعات البدوية بشكل عام . وأدت فترات الجدب مع بداية فترة الخمسينيات على تعزيز فعالية هذين العاملين مما أدى إلى التسريع في عملية التغيير لدى هذه الجماعات بسبب دفعها للكثير منهم إما للاستقرار نهائيا أو الالتحاق بوظائف مؤقتة خارج نطاق اقتصاد الرعي البدوي . وقد ترتب على هذا الأمر الأخير تغيرات أخرى ساهمت في تحول الكثير من البدو إلى تبني نمط حياة شبه الاستقرار .

قام الباحث بالتركيز على تحليل أسباب التحول إلى نمط حياة شبه الاستقرار والمراحل التي مر بها هذا التحول ومظاهر هذا التحول ونتائجه . وتم هذا التحليل على مستوى المملكة العربية السعودية بشكل

عام وعلى مستوى منطقة التيسية في منطقة حائل الإدارية بشكل خاص . وتم استعراض الأساس البيئي والبشري لوظيفة الرعي البدوي كإطار لهذا التحليل . كما وظف الباحث هذا الاساس لأجل التعرف على عوامل نجاح هذه الوظيفة قديما وعلاقته بنمط حياة شبه الاستقرار حاليا . وتم في الختام دراسة ما ترتب على ظهور هذا النمط من نتائج اقتصادية وبيئية واجتماعية في منطقة الدراسة .

مقدمــة

تتسم وظيفة الرعي البدوي كما تمارس الآن باختلافها الكبير عن الشكل التقليدي الذي كانت عليه في مستهل القرن العشرين . ويعزى هذا الاختلاف إلى حدوث تغيرات في هذه الوظيفة تسببت فيها التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها الدول التي تقطنها جماعات تمارس وظيفة الرعي البدوي . وقد تباينت التغيرات التي حدثت في هذه الوظيفة وذلك من جماعة بدوية لأخرى حتى داخل الدولة الواحدة . ويعكس هذا التباين وجود اختلاف في الظروف العامة بين الدول التي تحتوي على جماعات بدوية وكذلك لوجود اختلاف في وجهة النظر الخاصة بكل جماعة بدوية فيما يختص بالمفاضلة بين الرغبة في الاستفادة من الموارد الرعوية المتاحة وبين الاستفادة من مزايا القرب من مناطق الخدمات وذلك كما سيتضح فيما بعد .

موضوع الدراسة وأهدافها

يسعى الباحث في هذه الدراسة إلى وصف وتحليل نمط حياة شبه الاستقرار في المملكة العربية السعودية بشكل عام وفي منطقة التيسية من منطقة حائل الإدارية بشكل خاص . ويتطلب هذا المسعى في البداية ضرورة التقصي عن طبيعة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت مع مطلع القرن العشرين والتي أدت إلى إحداث تغير في وظيفة الرعي البدوي ضمن الجماعات التي استمرت في مزاولة هذه المهنة . ويعني هذا أن قضية توطن البدو والمشاريع الحكومية المخصصة للتوطن لن تناقش بسبب اختلاف أهدافها ومجالها عن أبعاد هذه الدراسة . ولا يعني هذا عدم مناقشة الدور الحكومي ، وهو دور حيوي - كما سنرى - في إحداث تغيرات في وظيفة الرعي

البدوي . وسيخصص الجزء الأكبر من هذه الدراسة لمناقشة أبعاد وأنواع التغيرات التي حدثت كنتيجة لهذه التحولات في وظيفة الرعي البدوي . وسيركز الباحث هنا على دراسة التغيرات التي حدثت في عناصر وأهداف وظيفة الرعي البدوي وطريقة ممارستها حاليًا وخصوصًا ما يتعلق بنظام الترحل وأساليب استخدام الموارد . وستتم دراسة التعديلات ذات البعد المكاني التي حدثت في أنماط الحياة الاجتماعية والسلوكية لدى المجتمعات التي تمارس وظيفة الرعي البدوي .

منهج الدراسة

يقع الإطار العام لهذه الدراسة ضمن موضوع العلاقة بين الإنسان والبيئة . ويعالج الباحث هذا الموضوع من زاوية التغيرات التي حدثت في كيفية استخدام الإنسان للموارد البيئية في منطقة جافة . ولأن هذه التغيرات جاءت نتيجة لظروف خارجية ذات علاقة بالمجتمع الكبير الذي تعيش بينه الجماعات التي تمارس وظيفة الرعي البدوي لذلك يرى الباحث ضرورة دراسة التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في هذا المجتمع وأدت بالتالي إلى تغير في وظيفة الرعي البدوي .

ولتحقيق هذا سيعمد الباحث إلى استعراض الأدبيات المختصة بدراسة وظيفة الرعي البدوي وذلك لإعطاء فكرة عن النموذج التقليدي لهذه الوظيفة بشكل عام قبل أن تحدث بها التغيرات الحديثة . وسيتم بعد هذا تقديم فكرة عامة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت على مستوى المملكة العربية السعودية والتي أدت إلى اختفاء هذا النموذج . وسيعتمد الباحث في هذه المرحلة من الدراسة على أسلوب التقصي التاريخي وذلك للتمكن من إعطاء دراسة مستفيضة عن عوامل ظهور هذا النمط والمراحل التي تم بموجبها هذا الظهور في منطقة الدراسة .

أما فيما يختص بدراسة المظاهر الاقتصادية والاجتماعية لنمط حياة شبه الاستقرار الذي يسود في منطقة الدراسة فقد اعتمد الباحث على الدراسة الميدانية القائمة على الملاحظة وإجراء المقابلات الشخصية المتعمقة مع عينة من رؤوس الأسر البدوية في منطقة الدراسة . ولقد استخدم الباحث أسلوب المسح الاجتماعي للحصول على

البيانات الأساسية الخاصة بأساليب الرعي وحجم القطعان وكذلك عن الخصائص الاقتصادية والاجتماعية لعينة الدراسة سابقًا وحاليًا . ولقد قام الباحث بإجراء المقابلات وتعبئة نماذج الاستبانات مباشرة مع عينة الدراسة . وسيتم في هذا الصدد اتخاذ الأسرة البدوية كوحدة للتحليل . وسيتم التعامل مع وحدة التحليل هذه بشكل أساسي كوحدة إنتاجية ضمن الإطار المكاني لمنطقة التيسية .

تتميز منطقة الدراسة بصلاحيتها لمثل هذه الدراسة وذلك بسبب سيادة وظيفة الرعي البدوي فيها وبسبب عزلتها النسبية والتي جعلت منها نموذجًا جيدًا لمجتمعات البداوة الرعوية في المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية .

الدراسة الميدانية

يستند هذا البحث على دراستين حقليتين لبادية منطقة حائل الإدارية قام بهما الباحث في فترتين مختلفتين من عام ١٤١٥ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . وقد تمكن الباحث من القيام بالدراستين من خلال مشروع الدعم البيئي للبادية (١) الذي مولته وأشرفت عليه مصلحة الأرصاد وحماية البيئة التابعة لوزارة الدفاع والطيران بالمملكة العربية السعودية .

(١) تكونت الدراسة الأولى من مسح حقلي لأجزاء عدة من منطقة حائل جرى خلال شهر يناير ١٩٩٥ . وقام الباحث بهذا المسح ضمن فريق عمل من المصلحة . وقد اشتمل هذا المسح على أجزاء عدة من المنطقة تضمنت بعض مناطق النفوذ الرملية . وقد اعتمد هذا المسح الحقلي على إجراء مقابلات مع رؤوس بعض الأسر البدوية بهدف التعرف على الظروف العامة لنشاطهم الاقتصادي ونوع التغيرات التي طرأت على هذا النشاط . وظهرت نتائج هذا المسح في تقرير غير منشور شارك فيه الباحث بنصيب بسيط في الجزء الخاص ببادية منطقة حائل الإدارية فقط (٢) .

(٢) قام الباحث بدراسته الحقلية الثانية لمنطقة حائل وذلك ضمن نفس المشروع المذكور أعلاه خلال صيف عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . وقد اقتصر العمل الحقلي للباحث في هذه المرة على الجزء الأقصى من شرق منطقة حائل . ويقع هذا الجزء ضمن حدود مركز الزبيرة الإداري والذي يشتمل على النصف الشمالي من هضبة التيسية والعروق الرملية الواقعة إلى الغرب من الهضبة . كما يشتمل على المنخفض الموازي

لهضبة التيسية من الغرب والذي يفصل بينها وبين العروق الرملية . واعتمد العمل الحقلي في هذه الدراسة على استخدام نماذج من استبيان طرحت أسئلته على عينة من رؤوس الأسر البدوية في منطقة الدراسة . وقد ظهرت بعض نتائج هذه الدراسة الحقلية في تقرير غير منشور للباحث اقتصر فيه على تحليل نتائج المسح الحقلي لمنطقة هضبة التيسية فقط (٣) .

يختلف هذا البحث جذريًا عن التقرير المشار إليه أعلاه وذلك من حيث المضمون والأهداف ومن حيث اتساع المنطقة التي يدرسها . ويختلف هذا البحث أيضا في اعتماده على تحليل إجابات واحد وثلاثين فردًا من رؤوس الأسر البدوية الذين تمت مقابلتهم لغرض الاستبيان في خلال فترة الدراسة الحقلية الثانية بينما اعتمد التقرير السابق على تحليل إجابات ستة عشر فردًا فقط . ويختلف البحث الحالي أيضا عن التقرير المشار اليه أعلاه باستخدامه لعدد أكبر من أسئلة هذا الاستبيان . وقد تم توظيف الجزء الرئيسي من النتائج الموسعة لهذا الاستبيان بشكل مباشر في وضع عدد من الجداول الخاصة بهذا البحث أما الجزء الآخر من هذه النتائج فقد تم توظيفه في وضع استشهادات ومؤشرات لنفس هذا البحث . يعتمد هذا البحث أيضًا وبشكل كبير على الملاحظات الحقلية ونتائج المقابلات التي أجراها الباحث مع بعض الأشخاص ذوي المعرفة في منطقة البحث خلال فترتي الدراسة الحقلية الأولى والثانية .

يتقدم الباحث بالشكر لمصلحة الأرصاد وحماية البيئة لإتاحتها الفرصة له بالمشاركة في برنامج الدعم البيئي للبادية . كما يشكر أمارة منطقة حائل وعلى رأسها صاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبدالعزيز والذي تابع بنفسه عملية المسح الحقلي في منطقة حائل . أشكر أيضًا القائمين على مركز الزبيرة الذي يشرف إداريًا على منطقة الدراسة وأخص بالشكر رئيس المركز الشيخ مناور رشيد الفاحس الحربي كما أشكر السيد فهيد الوهبي الذي رافقني في التجول بالمنطقة وساهم كثيرًا في تعريفي بها . أشكر أيضا السيد عبيد بن عيد بن ربيق الوهبي الذي عرفني بالكثير عن منطقة التيسية . وأشكر رؤوس الأسر البدوية الذين استضافوني في بيوتهم وتعاونوا معي في الإجابة على أسئلة الاستبيان الخاصة بهذه الدراسة .

أقدم شكري أيضًا للدكتور عيسى الحرتاني كما أشكر الدكتور محمد مشخص لمراجعته مسودة هذا البحث وتقديمه لملاحظات قيمة ساهمت في إخراجه بشكله الحالي . كما أشكر الزميل الأستاذ إبراهيم وداعة الله على مساهمته في وضع خرائط هذا البحث .

مصطلحات البحث

تم في هذا البحث إطلاق مسمى **أسر بدوية** على الأسر التي تقطن منطقة الدراسة وذلك بالرغم من أن هذه الأسر تتبع نمط حياة شبه الاستقرار . ويبرر استخدام هذا المصطلح استمرار هذه الأسر جميعها في مزاولة العمل الرعوي كمهنة أساسية . كما أن الغالبية العظمى من هذه الأسر لا تزال تسكن في خيام خارج المستوطنة الوحيدة في منطقة الدراسة ويجرى نقل هذه الخيام من موقع لآخر على فترات متباعدة . ويقتصر مسمى **جماعات بدوية** في هذا البحث على البدو في خارج منطقة الدراسة بينما يستخدم مسمى بدو كمصطلح عام . ويخصص الباحث مصطلح **نمط حياة شبه الاستقرار** لوصف نمط من الحياة المرتبطة بموقع ثابت أو شبه ثابت للسكن . وبالرغم مما يحمله هذا المصطلح من مفهوم اجتماعي إلا أنه يستخدم في هذا البحث لوصف نمط الحياة الاقتصادية التي تتبعها الأسر البدوية في منطقة الدراسة . فيوضح هذا المصطلح مدى الارتباط بين أشكال حركة التنقل والترحال الموسمي وبين الكيفية التي تستغل بموجبها هذه الأسر الموارد البيئية المتوفرة في منطقتهم .

كما يطلق الباحث مسمى **التيسية** على منطقة الدراسة وذلك بسبب شيوع استخدام هذا المسمى . ولكن سيتم استخدام مسميات أخرى مثل سركز الزبيرة وذلك عند الضرورة .

الأساس البيئي لوظيفة الرعي البدوي والنموذج التقليدي لها

يحتل البدو عادة الأماكن الأقل إنتاجية من المناطق الجافة في العالم القديم حيث لا تسمح ظروف التربة والأمطار إلا بوجود حياة نباتية تتصف بالندرة والتبعثر . ولا يمكن للإنسان أن يستغل هذه الحياة النباتية إلا بطريقة غير مباشرة وذلك بتربيته لأنواع خاصة من الحيوانات المجترة التي يمكن أن تستغل الغطاء النباتي المتوفر . ويمكن للإنسان أن يعيش بدوره على ألبان ولحوم وصوف هذه الحيوانات . وبسبب تبعثر الغطاء النباتي وقلة موارد مياه الشرب فإن الحيوانات التي يربيها الإنسان في هذه البيئة يجب أن تنتقل من مكان لآخر بصفة دائمة . ويفرض هذا المتطلب من العاملين في وظيفة الرعي البدوي دوام الترحل وعدم القدرة على اتخاذ مأوى ثابت في معظم أيام السنة . ويتطلب النجاح في مثل هذه الوظيفة أن يتوفر للعاملين فيها إلمام كبير بالحيوانات التي يربونها وطرق العناية بها وعن المناخ والحياة النباتية في مناطق ترحلهم . كما أنه يجب عليهم أن يتمتعوا بمهارات عالية في الاهتداء ومعرفة الطريق وسط البرية ، إضافة إلى مجموعة أخرى من المهارات الضرورية . وتنتقل هذه المهارات من الآباء للأبناء عن طريق مشاركة الأبناء لآبائهم في مشاق هذه الوظيفة .

ترتكز وظيفة الرعي البدوي أساساً على توفر الماء والكلأ ، وهما موردان يتصفان بالندرة والتبعثر في المناطق الجافة حيث تسود هذه الوظيفة . لذلك فإن وظيفة الرعي البدوي في شكلها التقليدي الذي اختفى أو يكاد أن يختفي تستند على نظام دقيق للترحل وراء هذين الموردين . ويتكون نظام الترحل هذا من حركتين إحداهما ذات مدى قصير تتم خلال الفصل المطير . تتطلب هذه الحركة التنقل كل بضعة أيام أو حتى كل يوم من مكان لآخر وراء الكلأ وبرك الماء التي خلفتها الأمطار . أما الحركة ذات المدى الطويل فهي التي تتطلب الترحال الموسمي إلى مكان القاعدة الصيفية حيث يتوفر مصدر ثابت لمياه الشرب يقضي به البدو فصل الصيف ثم يغادرونه مع ابتداء فصل الأمطار . وقد تبلغ المسافة التي تقطعها أي مجموعة بدوية في رحلتها من قاعدتها الصيفية إلى المراعي الشتوية ثم عودتها إلى هذه القاعدة مئات الكيلومترات . ويعتبر رعاة الإبل مثل الروله وبني مرة في المملكة العربية السعودية والرقيبات في موريتانيا

والكبابيش في السودان الأبعد نجعة في هذا الخصوص حيث يمكن أن تقطع هذه القبائل مسافة ألف وخمسمائة كيلومتر مشيًا في حركة تنقلها الموصوف أعلاه .

وقد تطلبت ضرورة التنقل المستديم أن يكتفي البدو بالقليل جدا من الأثاث والأدوات المنزلية مما يمكن أن يحمل كله على ظهر جمل واحد مخصص للحمل «الزُمل» ، أو اثنين منهما . أما بالنسبة للغذاء فإن حليب النياق أو حليب الشياه كان يمدهم بقسط كبير من حاجاتهم الغذائية . ولذلك لم تكن لديهم حاجة إلا لحمل القليل من الزاد والذي يكون في الغالب من التمر وربما القليل من الحبوب أو الطحين . وتنحصر حركة التنقل التي تمارسها أي مجموعة رعوية ، سواء أكانت هذه المجموعة تمثل قبيلة أو جزءًا منها ، ضمن منطقة معروفة ذات حدود هي أرض القبيلة «الديرة» . وقد تضطر هذه القبيلة إلى ترك أرضها التي تعرضت لانحباس الأمطار الى أرض أي قبيلة مجاورة ، سلما أو حربا ، لاستخدامها مؤقتًا . كما أن أرض هذه القبيلة نفسها قد تصبح موضعًا لإقامة القبائل المجاورة في حالة تعرض أرض هذه القبائل للجفاف . ونجد لهذا أن حركة تنقل البدو وراء الكلأ والماء يتحكم فيها كلاً من عامل الفصلية وعامل الالتزام بحدود أرض القبيلة ولذلك فإن ما يفرضه هذان العاملان من ضرورة التقيد بحركة ذات غاية وتوقيت محدودين يجعل من الدورة الرعوية التي يتبعها البدو عملاً منظمًا ليس فيه مجال للعشوائية . ويتضح هذا الانتظام خصوصًا في حقيقة أن الهجرة الفصلية التي يقوم بها البدو تستند إلى أساس منطقي . وهذا الأساس هو الرغبة في توظيف قابليتهم على الحركة لاستغلال الفروقات الفصلية في مدى توفر النبات ولأجل التمكن من استغلال بيئات مختلفة .

تتم عملية استخدام موارد المرعى من نبات طبيعي عن طريق تنقل البدو في شكل مجموعات صغيرة يسمى كل منها وحدة رعوية Herding Unit . وتتكون الوحدة الرعوية في المناطق الأكثر جفافًا من عدد قليل من الأسر البدوية (Johnson , 1969,9) والتي تهاجر معًا وتشترك في استغلال نفس المرعى . وتشير دراسة كول (Cole , 1975,48) إلى أن هذا العدد لا يزيد إلا نادرًا عن أربع أسر في مثل هذه المناطق . ويتسم نمط توزيع الوحدات الرعوية في هذه الحالة بوجود مساحات كبيرة تفصل بين الوحدة

والأخرى (Ibid, 41 and 42) . وقد يختلف الأمر في المناطق الأغنى بالحياة النباتية مثل بعض مناطق شمال الجزيرة العربية وبادية الشام حيث يمكن أن نجد عدداً أكبر من الأسر في كل وحدة رعوية . ولكن لا يحدث أي تجمع لعدد كبير من الأسر البدوية إلا في فصل الجفاف «القيظ» عندما يلجأ هؤلاء إلى حط رحالهم في قاعدتهم الصيفية عند أي واحة أو عند أي مكان به معين دائم من الماء . لم يعنِ هذا الاستقرار الصيفي انعدام الحركة . فلاشك أن تجمع عدد كبير من الأسر البدوية بقطعانها كان سيؤدي إلى استنزاف للغطاء النباتي في المنطقة المحيطة مباشرة بمصدر الماء . ولتلافي هذا الأمر كانت تؤخذ الحيوانات صباحًا إلى أبعد نقطة يمكن أن تصلها لأجل استغلال الغطاء النباتي البعيد عن هذا المصدر . ويمكن الاعتماد على ملاحظة كول (Cole, 1975,52) للتأكيد على أن الجمال كانت تطلق بدون راع ، على الأقل في بعض الحالات ، للبحث عن الكلأ بنفسها على أن تعود إلى مورد الماء كل أربعة أيام . ولكن من المؤكد أنه في حالة الماعز والضأن أن كل أسرة بدوية كانت ترسل قطيعها بصحبة أحد ذكور الأسرة عند الفجر ليعود بها آخر النهار . وقد وجد الباحث أن البدو في منطقة الدراسة كانوا يعمدون في بعض الأحيان ، وذلك للتخلص من مشكلة ضعف المرعى حول مصدر الماء ، إلى اتباع نظام ما يسمى «غُب وعريجه» . فقد كانوا يرسلون أغنامهم بموجب هذا النظام لترعى مدة يوم ونصف ثم تعود في منتصف اليوم الثاني لتشرب (٤) . ولا شك في أن مثل هذا النظام كان يمكن كل أسرة من إرسال أغنامها إلى أبعد مسافة ممكنة عن القاعدة الصيفية حتى تتمكن من استغلال مراعٍ غير مستخدمة . ويمكن الافتراض أن مثل هذا النظام شاع في منطقة الدراسة في بداية تأسيس الدولة السعودية وذلك بسبب اختفاء الحروب القبلية والتي لم تكن تشجع على نجاحه سابقا (٥) . ولا تمكث أي وحدة رعوية مهما كان حجمها في أي بقعة لفترة طويلة في خلال الفصل المطير . ويبدو أن فترة الإقامة هذه قد تصل إلى عشرة أيام في المناطق الأغنى في حياتها النباتية (Dickson , 1949,51) ولكنها تقل بكثير عن هذه المدة في المناطق الأقل غنى .

يشير الكثير من الباحثين إلى أن متطلبات العمل الرعوية من عناية بالحيوانات تجعل من الضروري أن يكون هنالك حد أعلى لما يمتلكه البدو منها

. ((Gefu and Gilles , 1990 , 36 ; Johnsos , 1969 , 11 ; Spooner , 1973 , 9 and 11) ويمكن أن يضاف إلى هذا أن عامل دوام الترحل يعطي أصحاب القطعان الصغيرة مرونة أكبر عند التنقل من مكان لآخر ولذلك فإن أكثرية البدو كانوا يميلون إلى امتلاك قطعان صغيرة (٦) .

يمكن التأكيد على أن وظيفة الرعي البدوي في شكلها التقليدي بنيت فيها آليات تعمل على منع حدوث أي استغلال استنزافي للموارد الرعوية . فنجد أن تنظيم عملية الرعي من حيث الهجرة الموسمية والتنقل بين مناطق مختلفة، كما وصف أعلاه ، أدى إلى تقليل عمليات الجور على المرعى . فتوقيت حركة الهجرة واتجاهها ، سواء أكانت حركة ذات مدى قصير أو مدى طويل ، تقرره لدى البدو اعتبارات لها علاقة بالرغبة في المحافظة على نباتات المرعى لأجل الاستخدام في المستقبل انظر Johnson) (1993, 52 ; Sweet, 1969 , 177 . كما أن مفهوم الديرة نفسه والذي يعني وجود أرض خاصة بكل قبيلة ، أدى إلى حماية المراعي من الاستخدام الاستنزافي وذلك بالإقلال من استغلالها إلى أدنى حد ممكن بحيث يكون هذا الاستخدام قاصراً على أفراد القبيلة صاحبة الديرة. ويؤدي صغر الوحدات الرعوية وصغر أحجام القطعان التي تمتلكها كل أسرة بدوية إلى الإقلال أيضًا من حدوث أي استنزاف للمرعى . كما تساهم حركة الترحل الدائمة للبدو إلى منع حدوث أي إزالة تامة للنباتات الرعوية . ويؤدي هذا إلى إعطاء بقايا هذه النباتات القدرة على استمرار النمو وإعطاء بذور تساهم في إغناء الحياة النباتية في السنة التالية .

أسباب التغير ومظاهره في وظيفة الرعي البدوي

يكشف الوصف السابق ذكره أن وظيفة الرعي البدوي تختلف جذريًا في شكلها التقليدي عما هي عليه الآن . فأي نموذج معاصر للبدو الرعاة يظهر أن هؤلاء أقل حركة ولديهم قطعان أكبر سن الأغنام عما كان لدى من سبقهم كما أن تأثير نشاطهم الرعوي على البيئة هو أشد ضرراً عما كان عليه في أي وقت مضى . ويقف وراء هذا الاختلاف عوامل عديدة ذات صلة بتطورات خارجة عن إرادة البدو . وتتمثل هذه التطورات في حدوث تحولات اجتماعية واقتصادية في الدول التي تضمهم .

ويمكن وصف الموقف الذي يواجه وظيفة الرعي البدوي ويتطلب منها أن تتغير بأنه يمثل أزمة حقيقية تمر بها هذه الوظيفة وذلك كما تشير الكثير من الدراسات المتوفرة عن هذا الموضوع (Johnson , 1993 , 58 - 61 ; Salzman , 1981 , x - xii ; UNESCO , 1977 , 14 - 15) . وقد ساهمت كارثة الجفاف التي تعرضت لها منطقة الساحل من غرب إفريقيا خلال الأعوام ١٩٦٨ - ١٩٧٢ في تعزيز وجهة النظر القائلة بوجود هذه الأزمة وذلك بسبب ما أدت إليه هذه الكارثة من مجاعة وهجرة جماعية وفقدان أرواح ونفوق حيوانات . ويمكن ملاحظة نفس هذا الإحساس بوجود أزمة حقيقية تواجه البادية على مستوى دولة كالمملكة العربية السعودية في وثيقة الخطة الخمسية الثانية للتنمية (وزارة التخطيط ١٣٩٥ ، ٦١١ - ٦١٢) والتي نصت على أن «معدل التغير في باقي أجزاء المملكة كان سريعًا جدًا في الآونة الأخيرة مما أدى إلى ازدياد التفاوت الاقتصادي والاجتماعي بين البدو الرحل وبقية السكان في المملكة» . ويمكن توضيح أبعاد هذه الأزمة بشكل عام من خلال عرض النقاط التالية :

يؤكد الباحثون في موضوع البداوة الرعوية على أن وظيفة الرعي البدوي تعرضت إلى التدهور مع مطلع القرن العشرين . ففيما يختص بالناحية الاقتصادية لهذه الوظيفة فقد تناقصت القيمة المالية للأنعام التي يربيها البدو مقابل السلع التي يحتاجون لشرائها من المجتمعات غير الرعوية (٧) . وفقد البدو أيضًا احتكارهم لنشاط النقل على طرق السفر والتجارة كما فقدت إبلهم بسبب ذلك قيمتها الاقتصادية نتيجة لتطور وسائل المواصلات . ويمكن القول أن الوضع الاقتصادي للبدو ازداد صعوبة مع فقدان هؤلاء لمركزهم السابق كقوة حربية يعتد بها وذلك نتيجة لظهور الدول المركزية الحديثة والقوية . أما فيما يختص بالناحية الاجتماعية فإن حياة التنقل التي تفرضها طبيعة اقتصاد الرعي البدوي أدت إلى صعوبة استفادة البدو من الخدمات الصحية والتعليمية والخدمات الاجتماعية الأخرى التي بدأت الحكومات الحديثة بتقديمها للمواطنين .

أدت التطورات المشار إليها أعلاه إلى ازدياد الهوة بين مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات المستقرة وبين مستواها لدى المجتمعات البدوية داخل الوطن الواحد . ويعني هذا أن البدو كان لابد عليهم أن يمروا بعدد من التغيرات التي تمكنهم

من التلاؤم مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الجديدة ، ويجعل من هذه التغيرات ضرورة لابد منها حقيقة أن البدو لم يعيشوا بمعزل عن المجتمع الكبير المستقر الذي يحيط بهم ، ولذلك فإنهم يتأثرون - كما تأثروا سابقًا - بأي تغير يحدث في هذا المجتمع . ويعود هذا الارتباط إلى حقيقة أن البدو - بحكم تخصصهم وحاجتهم للتبادل التجاري مع المجتمعات المستقرة - قد ارتبطوا مع هذه المجتمعات منذ قديم الأزل بعلاقات تجارية تسودها المنافع المتبادلة "Simbiotic Relationships" . ويتضح من هذا أن التعديلات التي حدثت في اقتصاد الرعي البدوي جاءت كمحاولة للتكيف مع حالة الأزمة المشار اليها أعلاه . فقد أحدثت مثل هذه التعديلات لضمان أن لا يكون البدو طرفًا خاسرًا في أي علاقة تجارية مع المجتمعات المستقرة .

التغيرات في وظيفة الرعي البدوي بالمملكة العربية السعودية

تمت الإشارة إلى أن التغير في وظيفة الرعي البدوي جاء كنتيجة لتحولات اقتصادية واجتماعية في الدول التي يعيشون داخلها . ونجد في حالة المملكة العربة السعودية أن هذه التحولات جاءت كنتيجة لتطورين مهمين وهما :

(أ) تأسيس الدولة السعودية كدولة مركزية وقوية في بداية هذا القرن والتي استطاعت أن تفرض واقعا اقتصاديا واجتماعيا جديدا .

(ب) تدفق دخل وطني وفير عن طريق صادرات البترول .

وقد تسبب هذان التطوران في بروز ظروف عمل جديدة كان ولابد وأن تتكيف معها وظيفة الرعي البدوي حتى يمكن أن تقوم بدورها كمصدر رزق للعاملين فيها . ويمكن التمييز هنا بين ثلاثة مراحل من التغيرات التي طرأت على وظيفة الرعي البدوي نتيجة لهذه التحولات .

المرحلة الأولى : وبدأت المرحلة الأولى لهذه التحولات مع بداية تأسيس الدولة السعودية الثالثة في مطلع القرن العشرين واستمرت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . وتميزت هذه المرحلة بانتهاء الحروب القبلية وسقوط البدو كقوة حربية وبدء فترة التحديث في الاقتصاد والمجتمع السعودي . تسببت هذه العوامل في حدوث تطورات

منها تدهور القيمة المالية للإبل . وترتب على هذه التطورات حدوث تغير في حياة الجماعات البدوية ومن أهم أوجه هذا التغير بدء كثير من البدو في الاستقرار .

المرحلة الثانية : وبدأت هذه المرحلة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتهت عام ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م . وتتصف هذه المرحلة بحدوث زيادة كبيرة في الدخل الوطني من صادرات البترول وخصوصا بعد عام ١٩٥٠م . وقد مكنت هذه الزيادة من البدء في مشاريع مخصصة لخدمة البدو ومنها حفر آبار حكومية لسقيا البادية في مناطق عديدة . اتصفت هذه المرحلة أيضًا بحدوث فترة من الجدب للمناطق الشمالية من البلاد وسقوط الحدود القبلية بقرار إلغاء نظام الحمى في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م وقد أدت هذه التطورات مجتمعة إلى حدوث تغيرات في الحياة الاقتصادية للبدو من أهمها انخراط الكثير منهم في أعمال خارج نطاق اقتصاد الرعي البدوي وبدء استخدامهم للسيارة وانقاصهم لأعداد الجمال التي يربونها . وقد ترتب على هذا حدوث تغير في حركة الترحل للبدو حيث إن استخدام السيارات وتوافر الماء مكن الكثير منهم من اتخاذ نظام للرعي أقل حركة عن النمط التقليدي للبداوة الرعوية . كما أن نفس هذين العاملين بالإضافة إلى عامل إزالة الحدود القبلية مكن البعض الآخر من القيام بهجرات فصلية ذات مدى أبعد مما اعتادوا عليه سابقا .

المرحلة الثالثة : أطلت هذه المرحلة مع عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م . وقد آذنت الزيادة الكبيرة في أسعار البترول ببداية هذه المرحلة . وتتصف هذه المرحلة بوجود توسع كبير في الإنفاق الحكومي صاحبه توسع مماثل في الاقتصاد الوطني . ويميز هذه المرحلة ظهور برامج حكومية جديدة من المساعدات المالية السخية المخصصة للبدو . كما تتصف هذه المرحلة بظهور فرص للتوظيف والأعمال الحرة أكبر مما سبق لهؤلاء البدو . وقد أدت هذه التطورات إلى تغيرات مهمة من أهمها بدء اتخاذ الكثير من البدو لنمط حياة شبه الاستقرار وذلك كما سيفصل لاحقا . وقد خصصت الصفحات التالية لإعطاء نقاش مبسط للآلية التي حدثت بموجبها التغيرات المختلفة خلال المراحل الثلاثة وذلك على الوجه التالي :

حدثت التغيرات في وظيفة الرعي البدوي في حالة المملكة العربية السعودية كنتيجة لتأثير عوامل التحديث التي بدأت مع بداية المراحل الأولى لتأسيس هذه الدولة. وكما هو الحال في الدول العربية الأخرى وخصوصًا الدول التي ظهر فيها البترول بكميات تجارية فإن التوسع في الإنفاق الحكومي وما صاحبه من توسع في الاقتصاد الوطني كان لهما الدور الأكبر في إحداث هذه التغيرات . ويمكن القول أنه مع كل مرحلة جديدة من التوسع الاقتصادي في هذه الدول تسارعت أيضًا حركة التغير في حياة البدو القاطنين بها. ولا شك بأن التوسع الاقتصادي الكبير الذي تلا الزيادة الكبرى في أسعار البترول بعد عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م أدى إلى تغيرات ذات أثر أعمق في حياة هؤلاء . ويمكن افتراض أن الآلية التي حدثت بموجبها هذه التغيرات اعتمدت على عوامل المقدرة المالية الكبيرة التي تمتعت بها هذه الدول للإنفاق على برامج التنمية الاقتصادية وتطوير الخدمات الاجتماعية وما أدى إليه هذا الإنفاق من ظهور فرص توظيف كبيرة . كما أن التوسع الاقتصادي خارج القطاعات الحكومية أدى نفسه إلى خلق فرص اقتصادية أخرى في مجال الاستثمار والتوظيف .

ويلاحظ أن هذه التطورات الاقتصادية حدثت في مناطق خارج إطار اقتصاد الرعي البدوي وخارج المناطق التقليدية للبدو. ولكن وصل تأثيرها إلى اقتصاد الرعي البدوي بطريقة غير مباشرة عن طريق اجتذاب أعداد من البدو للعمل في الوظائف التي حدثت نتيجة لهذه التطورات . ويمكن القول أن الكثير من هؤلاء البدو ذهبوا للعمل في شركات البترول ومنها شركة أرامكو والتي جذبت منذ قيامها أعدادا كبيرة من أبناء البادية . كما أن البعض ذهب للعمل في وظائف عسكرية أو في وظائف مدنية أخرى . وبالرغم من أن عددا كبيرا من هؤلاء البدو استعذبوا حياة الاستقرار وتركوا العمل في وظيفة الرعي إلا أن عددا كبيرا منهم استخدم هذه الوظائف كمصدر ثان للدخل ساعدهم على شراء مواد استهلاكية جديدة ولزيادة حجم قطعانهم من الحيوانات . ويتضح مثل هذا الاتجاه في دراسة كول (COLE , 1975 , 106) والتي يشير فيها إلى أهمية الدخل من خارج نشاط الرعي البدوي في تمكين البدو من شراء لوازم استهلاكية . وكما كشف العمل الحقلي فإن الكثير من البدو في منطقة الدراسة قاموا بهجرات عقب

بعض فترات الجفاف للبحث عن عمل آخر . وتوجهت إحدى هذه الهجرات في حوالي عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م ، خلال ما عرف محليًا بسنة الكسوف ، إلى الرياض والدمام والكويت لغرض الحصول على دخل لشراء قطعان جديدة تعوض ما فقدوه من حيوانات خلال فترة الجفاف . ويتضح هذا الاتجاه أيضا في حالة دول عربية أخرى بها مجموعات بدوية مثل ليبيا (Behnke , 1980 , 86) . كما يتضح وبشكل أقوى في حالة كل من الإمارات العربية المتحدة وعمان (Cordes and Scholz , 1980 , 59 ; Peterson 1973,308)

لاشك في أن الدخل المتولد من خارج اقتصاد الرعي البدوي ساعد الكثيرين من البدو على الاحتفاظ بوظيفتهم كمربين للأنعام . فقد مكنهم هذا الدخل من التغلب على ظاهرة الاختلال في الميزان التجاري الخاص بهم ، والتي طرأت على العلاقة التجارية بينهم وبين المجتمع المحيط بهم مع بداية القرن العشرين . فالتغير الاقتصادي داخل الدول التي يعيشون فيها أدى إلى ارتفاع أسعار البضائع التي يشترونها مقارنة بأسعار الأنعام التي يبيعونها . وقد تسبب عاملان في حدوث هذا الاختلال في الميزان التجاري . وينطبق أول هذين العاملين على الدول المصدرة للبترول . وحدث بمقتضاه أن التوسع الاقتصادي في هذه الدول وما تلاه من توسع في حركة الاستيراد أدى إلى وضع حد لأي ارتفاع في أسعار حيوانات الذبح وخصوصا الجمال الأمر الذي قلل من استفادة البدو من حركة الارتفاع العام في الأسعار بهذه الدول . أما العامل الثاني فهو عام ويتعلق بانتهاء دور الجمل كوسيلة للنقل الأمر الذي أدى إلى انخفاض شديد في أسعاره وذلك كما أشير إليه سابقًا . ولهذا فإن البحث عن مصدر إضافي للدخل أصبح ضرورة لدى الكثير من البدو لكي يتمكنوا من سد العجز الذي حدث في دخلهم بسبب انخفاض أسعار الحيوانات . ولابد من الإشارة هنا إلى فترات الجفاف التي ضربت المملكة العربية السعودية خصوصًا في فترة الخمسينيات والتي أدت إلى فقدان الكثير من البدو إلى ما يصل إلى ٩٠٪ من حجم قطعانهم من الإبل والأغنام ، وذلك طبقا لما كشفته نتائج العمل الحقلي في منطقة الدراسة وما كشفته دراسة ألريد (١٩٦٨ ، ص ١٤) عن المنطقة الشمالية والشرقية بشكل عام . قدمت هذه الوظائف البديل المناسب للبدو ليس فقط لتغطية العجز الذي حدث بسبب الانخفاض النسبي في أسعار

الحيوانات ولكن ، وبصورة أساسية في حالة الجماعات البدوية التي تضررت بالجفاف ، لتعويض فقدان هؤلاء لمورد رزقهم الوحيد والذي تشكله الحيوانات التي يربونها .

عمل الدخل الإضافي الذي بدأ يكسبه بعض البدو على إحداث تغيرات عميقة الأثر في حياتهم الاقتصادية والاجتماعية . فقد أدى هذا الدخل من ناحية إلى تغيير أنماط الاستهلاك لدى البدو كما ساعد الكثيرين منهم على شراء مدخلات إنتاج حديثة مثل السيارات لتساهم في تحسين ظروف العمل من ناحية أخرى . وقد تسببت الرغبة في الحصول على دخل خارجي إلى خلق أزمة عمالة بسبب غياب اليد العاملة الشابة والتي هاجرت لتبحث عن فرص عمل خارج نطاق اقتصاد الرعي البدوي . وأدى هذا بدوره إلى فرض ظروف عمل تطلبت تغيرات أخرى في وظيفة الرعي البدوي وذلك كما سيتضح لاحقًا .

حدثت التغيرات المشار اليها أعلاه ، ومنها إمكانية الحصول على دخل إضافي ، كنتيجة لتطورات خارج نطاق اقتصاد الرعي البدوي وخارج المناطق التقليدية للبادية . ولكن صاحب هذه التغيرات تغيرات أخرى حدثت كنتيجة لعوامل أثرت في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبادية بطريقة مباشرة . وتتمثل هذه العوامل في البرامج الحكومية الموجهة لخدمة البادية في مناطقهم . ويمكن الإشارة إلى التالي كأمثلة على هذه البرامج : قيام مشروعات مثل المدارس والمستوصفات التي أقيمت في مناطق سقيا البادية ، حفر آبار للسقيا ، صرف معونات على شكل هبات مالية تصرف في أوقات العسر والشدة (٨) ، صرف إعانات إنتاج تعطى على الأغنام والإبل (٩) وأخيرًا المعونة المالية على مشتريات الشعير والتي بدأ العمل بها منذ عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م. ويمكن التعرف على تأثير هذه البرامج من حقيقة أنها تسببت في تقبل الكثير من البدو لأنماط جديدة من وظيفة الرعي البدوي تعتمد على قدر أقل من الحركة عما اعتادوا عليه في نمطهم التقليدي سابقًا ، وذلك كما تم وصفه من قبل بعض الباحثين (Economides, 1987, 8; Finan et al., 9-10) . كما أنها شجعت الميل لدى البدو على زيادة أحجام قطعانهم من الحيوانات (Economides, 1987, 13) .

ونجد أن هذا التأثير لا يختلف كثيرا في دولة الإمارات العربية المتحدة والتي يوجد بها عدد كبير من البدو . فقد أدى نظام مماثل للبرامج التشجيعية المتوفرة في المملكة العربية السعودية إلى نفس النتائج وذلك بتمكينه للبدو في هذه الدولة من الاحتفاظ بعدد كبير من الحيوانات في نفس الوقت الذي تمكنوا فيه أيضًا من أن يعيشوا حياة مستقرة في مستوطنات ريفية (Cordes and Scholz, 1980, 42) . وقد أدى التوسع في حفر الآبار الحكومية وتقديم خدمات بيطرية إلى نفس نتيجة الزيادة في أعداد الحيوانات التي يملكها البدو الرعاة في السودان (Khogali, 1981 , 305) وفي كثير من دول الساحل من غرب أفريقيا (UNESCO,1977,15) .

تضافرت العوامل المشار اليها أعلاه والتي عملت بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، في فرض ظروف اقتصادية واجتماعية جديدة تطلبت سلسلة من التغيرات في وظيفة الرعي البدوي . وكما هو واضح في حالة المملكة العربية السعودية بشكل عام ومنطقة الدراسة بشكل خاص فإن هذه التغيرات أدت إلى ظهور أنماط حديثة لوظيفة الرعي البدوي أدت إلى جعل هذه الوظيفة في وضعها الحالي مختلفة جذريا عن الشكل التقليدي لها . ويمكن تلخيص هذه التغيرات في التالي :

١ - تغيرات في أسلوب مزاولة وظيفة الرعي البدوي .
٢ - تغيرات في نوع العمالة .
٣ - تغيرات في أنماط الاستهلاك .
٤ - زيادة في نسبة التوجه في الإنتاج نحو السوق .
٥ - تغيرات في حجم القطعان ونوع الحيوانات التي تربى .
٦ - تغير في مصادر الدخل التقليدي .
٧ - تغير في مدخلات الإنتاج وذلك مثل الاستخدام الموسع للسيارات .
٨ - زيادة الاعتماد على الخدمات والمعونات الحكومية .
٩ - تغير في نظام الترحل والذي أصبحت تمارس بموجبه وظيفة الرعي البدوي اعتمادًا على أقل قدر ممكن من الهجرة الفصلية والحركة . ويمثل هذا التغير أحد أهم التغيرات . وقد نتج عن هذا التغير أن الجماعات البدوية التي تمارس هذه الوظيفة

تحولت من نمط حياة البداوة إلى نمط حياة شبه الاستقرار . ولذلك فإن هذا التغير سيعالج بصفة خاصة في السطور التالية وذلك نظرا لما تبعه من تطورات أخرى .

التغير نحو نمط حياة شبه الاستقرار في المملكة العربية السعودية

عمدت الكثير من الأسر البدوية إلى تعويض النقص في الأيدي العاملة ، وهو نقص تسببت فيه هجرة الشباب إلى المدن ، بتوظيف السيارة في مهمات رعوية أهمها حمل الماء إلى مواقع مخيماتها . ويمكن الافتراض أن هذا الاستخدام للسيارات كان يمكن أن يساهم في جعل هذه الأسر البدوية أكثر حركة عن ذي قبل ، من الناحية النظرية على الأقل . فقد أدى استخدام السيارات لجلب الماء إلى تمكين الأسر البدوية من أن لا تلتزم بأن يكون موقع مخيمها في فصل الصيف مرتبطًا بموقع مصدر للماء . وقد أدى هذا الاستخدام نفسه إلى تقليل أهمية عنصر الماء في تحديد المناطق التي يمكن أن يأخذ إليها البدو حيواناتهم ليرعوها في باقي فصول السنة . فبسبب قدرتهم الجديدة على حمل الماء بالسيارات إلى أي مكان لذلك فإنه أصبح بإمكانهم أن يستغلوا مناطق لم يكونوا قادرين على المكوث أو حتى الدخول فيها سابقًا . ومما ساعد على جعل البدو أكثر حركة في حالة المملكة العربية السعودية أن الآبار التي قامت الحكومة بحفرها لاستخدام البادية في كثير من البقاع النائية جعلت من عنصر الماء أكثر انتشاراً عن ذي قبل .

لقد حدث عكس ما كان متوقعا . فلاشك في أن المزايا المشار إليها اعلاه والتي وفرها استخدام السيارات أدت إلى تغير في نظام الترحل الذي يتبعه البدو في ممارسة وظيفة الرعي البدوي . ولكن التغير الذي حدث في هذا النظام لم يعن أن هؤلاء أصبحوا أكثر حركة بل حدث العكس إذ أصبحوا أقل حركة عن ذي قبل . فبدأت كثير من الجماعات البدوية في المملكة العربية السعودية بشكل عام ، ومنها الجماعات التي تقع ديرتها في منطقة الدراسة ، في ممارسة وظيفة الرعي البدوي بأسلوب يعتمد على أقل قدر ممكن من الحركة . ويمكن اعتماداً على هذا وصف هذه الجماعات بأنها

جماعات شبه بدوية "Semi-nomads" وشبه مستقرة "Semi-sedentarized" أكثر مما هي جماعات بدو حقيقية . وسيتم في هذا البحث وصف نمط حياة شبه الاستقرار والنتائج التي ترتبت على ظهوره في منطقة الدراسة اعتماداً على بيانات العمل الحقلي بالإضافة إلى بيانات من مراجع متخصصة سيشار إليها في حينه . وسيتم توظيف هذه البيانات أيضًا كمؤشرات لتحليل هذا النمط على مستوى المملكة العربية السعودية .

نمط حياة شبه الاستقرار (Semi - sedentary Life)

يهدف هذا البحث إلى وصف نمط حياة شبه الاستقرار والذي يشكل نمط الحياة السائد في منطقة الدراسة . ويمكن ، اعتماداً على فينان وزملائه (Finan et.al. 1995, 9) وصف هذا النمط بمحدودية حركة الأسر التي تتبعه وأنه قد يجرى تغيير لموقع مخيم الأسرة مرة واحدة فقط في كل بضعة أشهر وذلك بنقله إلى موقع يبعد بضع كيلومترات عن الموقع القديم . ويتم هذا التغيير لأسباب صحية . ويتصف هذا النمط أيضا بأن الأسر التي تتبعه تقيم على مسافة قريبة من مستوطنة وذلك لأجل تحقيق الاستفادة من الخدمات الحكومية مثل المدارس ومن السوق الموجود داخل هذه المستوطنة . وتقيم هذه الأسر عادة ضمن تجمعات بحيث لا تزيد المسافة بين مكان إقامة كل أسرة وأخرى داخل أي تجمع عن كيلو متر واحد فقط . وينبغي التأكيد هنا على أن مصطلح «نمط حياة شبه الاستقرار» له مدلول اقتصادي إذ يهتم بوصف العلاقة بين أشكال حركة الترحل لدى الأسر البدوية في منطقة الدراسة وبين كيفية استغلال هذه الأسر للموارد البيئية المتوفرة . وقد وصف هذا النشاط الاقتصادي ، الذي تحولت إليه هذه الأسر ، في أحد الدراسات (Habib, 1995, 17) بأنه يماثل كثيرا نشاط التربية المستقرة للحيوانات "Ranching" الذي يقوم في الجزء الجنوبي الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية . ولا تنفرد منطقة الدراسة بهذا التحول الاقتصادي إذ تؤكد دراسة عن ليبيا على أن الأسر البدوية في منطقة الجبل الأخضر تحولت إلى ممارسة هذا النوع من النشاط بعد أن تخلت عن حياة الترحل (Behnke, 1980, 88) .

ويمكن التمييز هنا بين شكلين مختلفين لنمط حياة شبه الاستقرار يعكسان هذا

التغير في الشكل التقليدي لوظيفة الرعي البدوي . ويتصف كل من هذين الشكلين بأسلوب معين من الترحل والاستقرار . كما أن كلا منهما يعتمد على توظيف مختلف للسيارة . ويتبع الشكل الأول على مدار السنة بينما يتبع الشكل الثاني في جزء من السنة . ولذلك فإن أي مجموعة بدوية تستطيع أن تتبع كلا الشكلين واللذين لا يوجد تناقض بينهما من حيث التوقيت . ويمكن نعت الشكل الأول بأنه الرئيسي بينما يمكن نعت الشكل الثاني بأنه ثانوي .

يعتمد كل من الشكلين على أسلوب معين من استغلال الموارد الرعوية المتوفرة . ومن المرجح أن الاختلاف في مدى توفر الإمكانات المادية والاختلاف في التقدير الشخصي حيال الموارد الرعوية أدى إلى تبني أي مجموعة لأي من الشكلين أو كليهما . كما أن مدى الرغبة في الاستفادة من الخدمات الاجتماعية الحكومية - وذلك كما سيتضح لاحقًا - قد أثر على قرار تبنّي أي من الشكلين . ويجب الإشارة هنا إلى أن انتشار هذين الشكلين أدى إلى نتائج بيئية سلبية سيتم استعراضها لاحقًا .

الشكل الأول : يرتبط هذا الشكل بحياة الاستقرار إما في مستوطنات صغيرة تمت الهجرة إليها حديثًا أو في خيام قلما يتغير موقعها وتكون قريبة من المستوطنات الريفية . ويتألف النشاط الرعوي الذي تقوم به الأسر شبه المستقرة من حركة يومية قصيرة تؤخذ بموجبها الحيوانات لترعى في مواقع قريبة من مكان السكن بحيث تعود إلى هذا المكان عصراً أو في نهاية اليوم . ويغلب أن تتراوح المسافة التي تؤخذ إليها الحيوانات بين ٢-٥ كيلو مترات بعيداً عن مكان السكن . ونجد في غالب الأمر أن مهمات الرعي الفعلية يقوم بها رعاة مستأجرون وذلك لعدم توفر أيد عاملة كافية من نفس الأسر البدوية التي تمتلك الحيوانات . ويحدث هذا بسبب ذهاب الأولاد إلى المدارس أو بسبب إنشغال رؤوس هذه الأسر أو أولادهم الكبار بوظائف حكومية أو أنشطة تجارية خاصة . ويشكل عامل السن ضرورة أخرى تتطلب استخدام رعاة مستأجرين . فارتفاع أعمار رؤوس هذه الأسر يقلل كثيرا من قدرات هؤلاء على العمل في وظيفة مثل وظيفة الرعي البدوي التي تتطلب الكثير من الحركة . وتنعدم الحركة الفصلية حيث إن الارتباط بمكان السكن يؤدي إلى عدم حدوث أي ترحل موسمي بعيد المدى للأسر البدوية التي تتبع هذا النمط .

تعود أسباب ظهور هذا الشكل من نمط حياة شبه الاستقرار إلى عدة اعتبارات اقتصادية واجتماعية تؤدي إلى ارتباط البدو بالمستوطنات الريفية التي يعشون بداخلها أو يضربون خيامهم بالقرب منها . فقد أدت الرغبة في الاستفادة من الخدمات الحكومية المجانية ، مثل المدارس والمستوصفات ، التي تقوم في هذه المستوطنات إلى ضرورة التزام البدو بنمط حياة هو أقرب إلى الاستقرار عن الترحل . وقد شجع على هذا الالتزام وجود مصدر ثابت لمياه شرب الحيوانات في هذه المستوطنات والتي تتوفر فيها أيضا محلات لبيع الشعير المدعم ماليا من قبل الحكومة إضافة إلى توفر محلات تجارية يشترون منها ما يلزمهم من محروقات ومواد استهلاكية أخرى . كما تقدم فرص التوظيف والاستثمار الموجودة في هذه المستوطنات حوافز مادية تغرى بعدم الابتعاد عنها .

الشكل الثاني : لا يختلف هذا الشكل عن الشكل الأول إلا في وجود حركة فصلية ذات مدى بعيد تتم في فصل الربيع في الغالب . ويتم نقل الحيوانات بموجب هذه الحركة في سيارات شحن كبيرة ، مستأجرة في العادة إلى منطقة بعيدة تقع في نفس ديرة صاحب هذه الحيوانات لأجل الاستفادة من تحسن حالة المرعى بها . ويحدث في السنوات التي تشح فيها الأمطار على هذه الديرة أن تنقل الأغنام بنفس الطريقة إلى المناطق التي تقع خارج حدود الديرة الأصلية . أما بالنسبة للجمال فإنها تساق سيراً إلى نفس المنطقة مع راع مستأجر في أغلب الحالات . أما صاحب الأغنام نفسه فإنه قد يسافر في نفس الشاحنة مع الأغنام أو يرسلها مع راع مستأجر بينما يصل هو إلى المنطقة نفسها في سيارة صغيرة مصحوباً بعائلته أو جزء منها فقط . وترسل الحيوانات بعد استنزاف المرعى في المنطقة التي أرسلت إليها إلى منطقة أخرى بعيدة بنفس الطريقة . وهكذا يتم التنقل من منطقة إلى منطقة أخرى حتى يتم انتهاء موسم الأمطار أو يتم إرسال الحيوانات مباشرة إلى المكان الذي أتت منه . وقد تتم هذه العودة ، بالنسبة للقادمين إلى المناطق الشمالية من مناطق السفوح الشرقية لجبال عسير والحجاز ، لأجل اللحاق بموسم الأمطار الصيفية في هذه المناطق الأخيرة . وقد مكن هذا الاستخدام للسيارة من استخدام الكثير من مراعي المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية في

سنوات وفرة الأمطار بها بواسطة قبائل كثيرة من خارج هذه المنطقة وذلك مثل قبائل الدواسر وبني مرة وعتيبة وقحطان والرشايدة .

يستدل من الوصف السابق أن هذا الشكل من نمط حياة شبه الاستقرار يعتمد على حركة سريعة وبعيدة المدى في نفس الوقت والذي يهدف فيه إلى أخذ القطعان إلى بقاع محددة . ولكن لا يتطلب هذا الشكل إلا الحد الأدنى من تحرك الأسر البدوية والتي تنتقل مع القطعان في جزء من السنة فقط . ولا تشارك هذه الأسر - ويشمل هذا رؤوسها - إلا بجزء صغير من النشاط الرعوي الذي أصبح يوكل به الآن إلى رعاة مستأجرين . ويضاف إلى هذا أن بعض أصحاب القطعان التي شوهدت في منطقة حائل أفادوا بأنهم عندما يعودون إلى ديرتهم الأصلية مع قطعانهم فإنهم يعتمدون كثيراً على الشعير كعلف لهذه القطعان . كما أفادوا أيضًا أن هذه القطعان لا تؤخذ بعيداً عن مقر الأسرة أو أن حركتها تقل كثيراً عما كانت عليه القطعان في السابق . ويجب الإشارة إلى أن هذا الشكل أقل انتشاراً عن الشكل الأول لنمط حياة شبه الاستقرار ويبدو أن مزاولته تقتصر على الأفراد الأكثر مقدرة من الناحية المالية .

ساهم في انتشار هذا الشكل بالمملكة العربية السعودية بشكل عام توفر عدة عوامل مساعدة أولها اتساع رقعة هذه الدولة . فقد أدى هذا الاتساع إلى توفر بيئات رعوية مختلفة يمكن أن يستغل أي منها في وقت مختلف من السنة عن أوقات استغلال البيئات الرعوية الأخرى . ويشكل قرار إلغاء نظام الحمى في عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م العامل الثاني الذي ساهم في انتشار هذا الشكل . فقد مكن هذا القرار من فتح ديرة كل قبيلة للاستخدام بواسطة قبائل أخرى من خارج ديرتها . وقدم كل سن هذين العاملين قيمة جديدة للسيارات من حيث منفعتها لوظيفة الرعي البدوي حيث إنها مكنت الكثير من البدو سن اختراق مناطق جديدة لم يكونوا قادرين على استغلالها من قبل . ولا شك في أن توسع شبكة المواصلات البرية قد ساعد على الوصول إلى هذه المناطق الجديدة . ويشكل توفر موارد جديدة للشرب في صفة آبار حكومية في هذه المناطق عاملاً رابعًا ساهم في ظهور هذا الشكل .

يتضح إذًا أن النمط الحديث لوظيفة الرعي البدوي لا يشبه من حيث الحركة والترحل الموسمي النمط التقليدي لهذه الوظيفة. فيتصف هذا النمط بأنه أقل حركة عن النمط التقليدي وأن الترحل للبحث عن المرعى ضمن هذا النمط يشكل تحركًا مؤقتًا فقط للقطعان والأسر البدوية صاحبة هذه القطعان . ويضاف إلى هذا أن أساليب استخدام الموارد الرعوية وحجم القطعان وتركيبها ودور الأسرة في عملية الإنتاج تجعل هذا النمط الحديث أبعد ما يكون عن النمط التقليدي لوظيفة الرعي البدوي. ولعل ما يعزز هذه الفكرة هو أن النمط أصبح يمارس الآن بواسطة الكثيرين من المستثمرين الذين يعملون بوظائف مختلفة وينظرون إلى تربية الحيوانات كجزء من نشاطهم التجاري . فقد شوهد في منطقة حائل عدد من القطعان التي يملكها تجار من الرياض ومنطقة القصيم والذين أرسلوها مع رعاة مستأجرين .

النتائج التي ترتبت على ظهور نمط حياة شبه الاستقرار

ترتب على ظهور نمط حياة شبه الاستقرار بروز عدة نتائج اقتصادية وبيئية واجتماعية وقد تمت الإشارة من قبل لبعض هذه النتائج والتي تمثلت في المزايا الاجتماعية ومزايا التمتع بالخدمات بواسطة البدو الذين تقبلوا نمط حياة شبه الاستقرار . ويمكن هنا إيجاز بعض النتائج الأخرى فيما يلي :

١ - حدث هنالك تغير في حجم وتركيب القطعان التي يربيها البدو الذين تقبلوا نمط حياة شبه الاستقرار . فقد أدت عوامل توفر مصدر قريب للمياه وسهولة نقلها باستخدام السيارات وتوفر أعلاف بأسعار رخيصة نسبيًا حتى وقت قريب إلى إمكانية زيادة أعداد الحيوانات التي يربيها هؤلاء البدو . وقد حدثت هذه الزيادة بشكل عام في أعداد الأغنام . ويقابل هذه الزيادة في أعداد الأغنام نقص في أعداد الجمال التي يربيها هؤلاء البدو . وحدث هذا بسبب انخفاض المنفعة الاقتصادية للجمال وعدم القدرة على العناية بها خصوصًا وأن عملية نقل الجمال إلى مناطق بعيدة للرعي أصبحت تتطلب وقتًا وعبئًا كبيرًا (Finan et al., 1995, 11 ; Economides, 1987 , 14) . ويلاحظ أنه بالنسبة للأغنام أن البدو شبه المستقرين في المناطق الشمالية يميلون إلى اقتناء صنف أغنام

النعيمي وهو صنف تم إدخاله حديثًا . وتقبل البدو هذا الصنف بسبب قدرته الكبيرة على التأقلم مع نمط حياة شبه الاستقرار . وقم تم إدخال هذا الصنف في نفس الوقت الذي قلت فيه أعداد صنف الأغنام النجدية ضمن قطعان البدو شبه المستقرين . كما يلاحظ أن عددًا كبيرًا من هؤلاء البدو أصبحوا يربون أعدادًا أكبر من الماعز ضمن قطعانهم وذلك بسبب ملاءمته لنمط حياة شبه الاستقرار وبسبب سهولة تسويقه ، وذلك حسب إفادة رؤوس الأسر البدوية الذين تمت مقابلتهم في منطقة الدراسة .

وتشير إحدى الدراسات (Abdalla et al., 1990, 10-11) إلى أن الزيادة في حجم القطعان تستند على مبدأ اقتصادي مهم وهو اقتصاد الحجوم "Economy of scale" . فقد أدى توفر علف رخيص نسبيًا إلى جعل تكاليف السيارات واليد العاملة أهم العوامل في تكاليف الإنتاج ولهذا فإن زيادة حجم القطعان يؤدي إلى جعل استخدام هذين العاملين أقل كلفة عن حالة إذا كان حجم القطيع صغيراً .

٢ - أدت الزيادة في أحجام القطعان إلى زيادة الوحدات الحيوانية عن الطاقة الرعوية المسموح بها للمراعي . كما أن محدودية المسافة التي تنتقل بموجبها هذه القطعان يوميا عن مناطق سكنى البدو أدت إلى زيادة الإضرار بالغطاء النباتي في المناطق المحيطة مباشرة بمناطق السكن هذه . ونجد أيضا أن تكدس أعداد كبيرة من الحيوانات حول مواقع السقيا المعدة لها أدى إلى إزالة الغطاء النباتي تماما من المناطق المحيطة بمواقع هذه الآبار . وقد لوحظ هذا التدهور في الغطاء النباتي وشُخصت أسبابه منذ بداية الخمسينيات في كثير من المناطق الشمالية (Cheney, 1958, 170; Heady , 1972 , 688 and 689) . كما يلاحظ حاليا ولنفس الأسباب السالف ذكرها (Finan et al., 1995, 20) .

لا يقتصر هذا التدهور في الغطاء النباتي على حالة المملكة العربية السعودية فقط فقد لوحظ هذا التدهور في مناطق أخرى من العالم حيث يحدث تجمع لأعداد كبيرة من البدو مع حيواناتهم في مستوطنات خاصة بهم (Johnson, 1993, 57) وحيث مواقع الآبار المخصصة لسقيا حيوانات هؤلاء البدو (Boudet, 1973, 33; Khogali, 1981, 305) .

٣ - أدت الحركة المحدودة للحيوانات وما تلى هذا من تدهور في حالة المرعى في

المنطقة المحيطة بموقع السكن مباشرة إلى زيادة الاعتماد على الشعير لسد حاجات هذه الحيوانات من الأعلاف (Finan et al., 1995, 10-11) . وتكشف الكثير من الدراسات أن الشعير أصبح يشكل نسبة عالية من الحاجات الغذائية للحيوانات بسبب عدم قدرة المراعي المجاورة على سد هذه الحاجات وبسبب عدم أخذ هذه الحيوانات من قبل أصحابها الى المراعي البعيدة . وتشير إحدى هذه الدراسات (Abdalla et al., 1990, 5) إلى أن درجة الاعتماد على الشعير في هذه الحالة تتراوح بين ٣٦٪ و ٨٩٪ من احتياجات الحيوانات السنوية للغذاء .

٤ - أدت حياة شبه الاستقرار والاحتكاك بالجماعات المستقرة بالإضافة إلى توفر دخل إضافيٍ إلى إحداثِ تغير في أنماط الاستهلاك لدى البدو بشكل عام . ويلاحظ هذا التغير في طبيعة المواد الاستهلاكية ، من غذائية وغيرها ، والتي يتحصلون عليها بالشراء من خارج اقتصاد الرعي البدوي (Cole, 1975, 106 - 7 ; Habib, 1995, 18) .

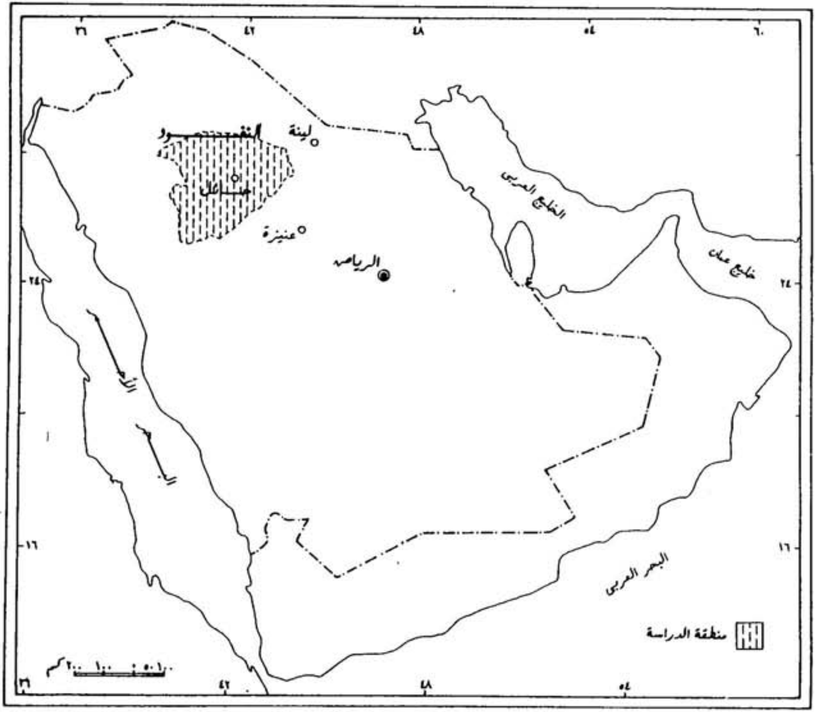
٥ - تسببت حياة شبه الاستقرار في ظهور الكثير من المشاكل البيطرية التي تؤثر سلبيًا على صحة الحيوانات التي يربيها البدو شبه المستقرين . فقد أدى تجمع أعداد كبيرة من الحيوانات في مناطق صغيرة ، حول المستوطنات ومواقع الآبار ، الى سرعة انتشار الأمراض بين هذه الحيوانات الأمر الذي أدى إلى زيادة حالات النفوق بينها (Heady , 1972, 688) . ويضاف إلى هذا أن محدودية حركة الحيوانات يؤدي إلى احتمالية عدم حصول هذه الحيوانات على بعض احتياجاتها من معادن وعناصر غذائية أخرى مهمة لصحتها العامة . وقد أثبت الباحث وجود مثل هذا الاحتمال في منطقة الدراسة وذلك كما سيناقش في حينه .

الإطار الطبيعي والبشري لمنطقة الدراسة

الإطار البشري

تقع منطقة الدراسة في إمارة منطقة حائل ضمن الإقليم الذي يعرف باسم المنطقة الشمالية (الشكل رقم ١) والذي يوصف بأنه يحتل الدرجة الأولى في المملكة العربية

شكل رقم (١) موقع منطقة الدراسة



المصدر : إدارة المساحة العسكرية ١٤٠٧هـ

السعودية من حيث نسبة البدو الرحل الذين يقطنونه إلى مجموع سكانه . وبالرغم من انخفاض هذه النسبة مؤخرًا إلا أن طابع البداوة الرعوية لا يزال واضحًا في هذه المنطقة . وتتصف هذه المنطقة أيضًا بانخفاض الكثافة السكانية بها وقلة عدد السكان بشكل عام حيث يقطن بها حوالي ٨,٣٪ فقط من مجموع سكان المملكة (١٠) .

ويمكن الاسترشاد بأرقام تعداد عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م في وضع تقدير مفاده أن ما يزيد عن ١٢,٥٪ من سكان منطقة حائل الإدارية ، والتي تقع فيها منطقة الدراسة ، يمكن تصنيفهم على أنهم من سكان البادية أو أنهم يزاولون وظيفة الرعى البدوي بشكل أو بآخر (١١) .

ويتصف نمط توزيع السكان في حائل بعدم انتظامه . فطبقا لنتائج نفس التعداد فإن مدينة حائل وحدها تضم حوالي ٤٣٪ من السكان (١٢) بينما يتوزع الباقي على مدن ومستوطنات صغيرة . وتعكس كثير من هذه المستوطنات الصغيرة طابع البداوة الرعوية حيث يستقر الكثير من البدو شبه المستقرين مع أغنامهم وإبلهم بها أو في محيطها . وكانت بعض هذه المستوطنات ، مثل الزبيره وقباء وعريجاء والعدوه ، أصلا مواقع لآبار كان يقضي بها البدو فصل القيظ ولكنها تحولت إلى مستوطنات بفضل استقرار الكثير من البدو الرحل فيها .

تشغل قبيلة شمر بعشائرها المختلفة معظم أجزاء منطقة حائل بينما تقطن قبيلة الرشايدة في الأطراف الغربية منها . وتحتل بعض عشائر قبيلة حرب الجزء الشرقي الأقصى من المنطقة والذي يكون النصف الشمالي من هضبة التيسية وبعض العروق الرملية التي تمتد جنوبًا من النفوذ الكبير موازية لهذه الهضبة . ويعتبر وجود عشائر حرب حديثًا في هذه المنطقة من حائل بالذات . فمن المؤكد أن عشيرة الوهوب التي تقطن في هضبة التيسيه قد بدأت سكنى هذه المنطقة بعد معركة يوم الفلج وذلك بموافقة أمير منطقة حائل السابق عبدالعزيز بن مساعد (١٣) .

الإطار الطبيعي

تمتد منطقة حائل إلى حوالي ٤٠٠ كيلو متر من الشمال إلى الجنوب وحوالي ٥٠٠

كيلو متر من الشرق إلى الغرب . وتبلغ المساحة الكلية لها حوالي ١١٣٠٠٠ كيلو متر مربع (وزارة الشئون البلدية والقروية، ١٩٨٣، ص ٣٥) . وتتصف منطقة حائل من حيث التضاريس بأنها هضبة متوسطة الارتفاع يتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠ و٩٠٠ متر فوق سطح البحر . وتنتشر على سطح هذه الهضبة مجموعات من الكتل الجبلية المنعزلة مثل جبلي أجا وسلمى وجبال الرمان . كما تتوفر هذه الهضبة على بعض الحواف الصخرية وذلك مثل هضبة التيسية التي تكون الجزء الشرقي من المنطقة . ويتكون الجزء الشمال من حائل من مسطحات رملية هي جزء من تكوينات النفوذ الكبير . ويمتد من هذه التكوينات بعض العروض الرملية التي تتوغل جنوبًا لتكون شريطًا يمتد بمحاذاة هضبة التيسيه من الغرب (انظر الشكل رقم ٢) .

يتكون نظام التصريف المائي في منطقة حائل من عدد من الأودية والتي يصب بعضها في مجرى وادي الرمه . كما توجد الكثير من المنخفضات والتي تتصرف إليها مياه الأمطار مشكلة ما يسمى «فيضات» . وتتواجد هذه الفيضات بأحجام مختلفة في منطقة حائل حيث يعرف كل حجم منها بمسمى خاص . وتشكل مناطق التصريف هذه - سواء أكانت أودية أو فيضات- بيئات رعوية مناسبة تحتوي على تربة جيدة وحياة نباتية غنية .

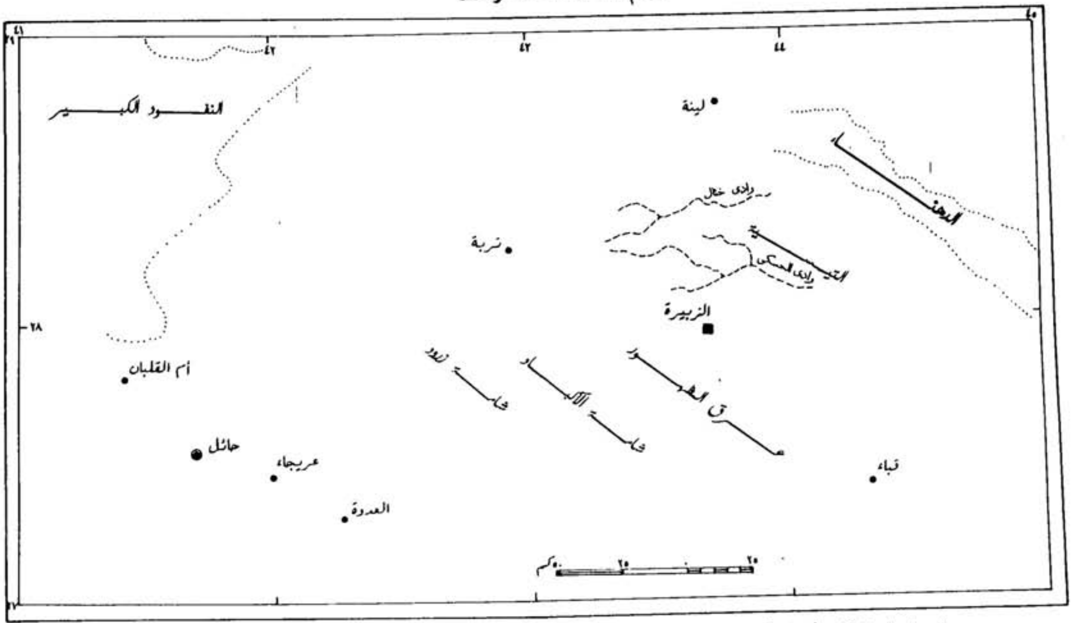
المنـاخ

يتصف مناخ حائل بأنه قاري جاف . وتنخفض معدلات الرطوبة النسبية صيفًا ولكنها ترتفع بصورة ملحوظة في أشهر الشتاء . وتتراوح كمية الأمطار الساقطة على حائل بين ٧٠ و ١٠٠ ملم سنويًا . ويلاحظ هنا أن معدلات هذه الأمطار تتناقص من الشرق إلى الغرب . وتبلغ هذه المعدلات أقصاها في منطقة تتواجد على شكل حزام يمتد من جنوب شرقي مدينة حائل إلى الشمال الشرقي من المنطقة (المرجع السابق) .

الغطاء النباتي

أدت الظروف المناخية المشار إليها أعلاه إلى ظهور غطاء نباتي يتصف بقلة كثافته . ونجد من ناحية أخرى أن عامل عدم الانتظام في توزيع الأمطار بمنطقة حائل ينعكس على الغطاء النباتي في المنطقة والذي يتصف بتركزه في بقاع دون أخرى . كما نجد أن

شكل رقم (٢) **منطقة الدراسة**



المصدر: ١- وزارة البترول والثروة المعدنية ١٩٨٣م.
٢- ١/٥٠٠,٠٠٠ خريطة جغرافية رقم I-202 B ١٩٦٠م.

توفر حائل على بيئتين إنتاجيتين رئيسيتين وبيئات أخرى ثانوية ، كما سيوصف في الصفحة التالية ، أدى إلى وجود تباين في الغطاء النباتي بين هاتين البيئتين وذلك فيما يختص بالنوعية والفصلية .

البيئات الرعوية في حائل

أدى اتساع منطقة حائل وتنوع مظاهر السطح والتربة بها وكذلك وجود تنوع مناخي إلى ظهور بيئات إنتاجية مختلفة . ولهذا التنوع البيئي قيمة اقتصادية وذلك من وجهة نظر اقتصاد الرعي البدوي . فقد أدى من جهة إلى توفر مصادر أعلاف للحيوانات على مدار السنة تقريبًا . كما أدى من جهة أخرى إلى إمكانية تربية أنواع مختلفة من الحيوانات والتي يمكن لأي نوع منها أن يستغل بيئة مختلفة عن الأنواع الأخرى التي يعيش معها في نفس الوقت . ويمكن التمييز هنا بين بيئتين رئيسيتين وهما بيئة الدكاكة أو النفوذ والجلد وبيئة ثانوية هي بيئة الخيران . وتمكن الباحث من التعرف على هذه البيئات من مشاهداته الحقلية ومن إفادات بدو منطقة الدراسة .

١ - **بيئة الدكاكة** : وتتشكل هذه البيئة من مناطق التكوينات الرملية في النفوذ الكبير الواقع إلى الشمال وفي العروق الرملية الممتدة منها والواقعة غرب هضبة التيسيّه . كما تتمثل في رمال الدهناء التي تقع على الأطراف الشرقية لحائل . وبالرغم من المظهر المقفر لبيئة الدكاكة إلا أن هذه البيئة تحمل إمكانيات رعوية جيدة في أوقات سقوط الأمطار عليها . فالقدرة الكبيرة للرمال على امتصاص مياه الأمطار تؤدي إلى قلة الجريان السطحي وبالتالي إلى اختراق هذه المياه للرمال بحيث يجري تخزينها كلها . ويؤدي هذا إلى ظهور حياة نباتية غنية في هذه البيئة يصفها أحد الباحثين (Heady, 1972, 687) بأنها أغنى مما يمكن أن يتوقع من كميات الأمطار القليلة التي تسقط عليها سنويا .

٢ - **بيئة الجلد** : هذه البيئة هي الأكثر انتشاراً في منطقة حائل . وتتكون من السهول الحصوية ومناطق الحواف الصخرية والمناطق الجبلية الأخرى . وقد أدى وجود مناطق مرتفعة إلى إيجاد ظروف تعمل على ارتفاع نسبي في معدلات الأمطار السنوية بهذه المناطق . وتنعكس هذه المعدلات العالية نسبيا في وجود حياة نباتية غنية خصوصًا

في المنطقـة المحيطة بمدينة حائل وفي منطقة هضبة التيسية . وتشمل هذه البيئة أيضًا مناطق الأودية والفيضات المختلفة التي تشكل مناطق لتجمع المياه والتي تحتوي على تربات حقيقية . ولذلك فإن مناطق التصريف هذه من بيئة الجلد تختص بإمكانياتها العالية من حيث توفرها على حياة نباتية غنية وموارد مياه باطنية وسطحية تجعلها مناطق مناسبة لتجمع البادية في فصل الجفاف . وتصنف هذه البيئة نفسها إلى بيئتين ثانويتين هما الظهرة والقاع . وتمثل بيئة القاع مناطق مجاري الأودية بينما تمثل بيئة الظهرة المناطق المرتفعة المحيطة بالأودية . ويفضل البدو الإقامة في مناطق بيئة القاع بسبب غناها الأكثر في الحياة النباتية .

٣ - **بيئة الخيران** : تتكون هذه البيئة من مناطق مجاري الأودية التي تغطيها رمال وتتصف بأن مياه الأمطار تمكث بها لفترة طويلة وذلك لأنها تغور فيها سريعا حال نزولها لتستقر فوق أرضية الوادي التي تشكل في كثير من الحالات طبقة قليلة النفاذية للمياه . وتقدم هذه الظروف فرصة جيدة للحياة النباتية في أن يستمر نموها الخضري حتى مع قدوم فصل الصيف . وتنتشر في هذه البيئة لهذا السبب كثير من النباتات مثل السعدان والتي تبدأ نموها في هذا الفصل . كما يتوفر في بيئة الخيران كثير من النباتات الأخرى ذات القيمة الرعوية الجيدة التي تنمو في بيئتي الدكاكة والجلد وذلك مثل العرفج والأرطة والنتش والمكر والنصى .

شكلت صفات المناخ والتنوع البيئي في منطقة حائل ظروفًا لتوفر موارد طبيعية تناسب وظيفة الرعي البدوي . وقد استغلت المجموعات البدوية المختلفة في المنطقة هذه الموارد منذ فترة تاريخية بعيدة لإقامة نظام ناجح لهذه المهنة . وقد وظفت ميزات الحركة والهجرة الفصلية ، التي تقوم على أساسها وظيفة الرعي البدوي لأجل تسهيل استغلال هذه الجماعات للغطاء النباتي الذي يتصف في المنطقة بضعف كثافته وتبعثره على مناطق شاسعة . كما وظفت هذه الميزات لتمكين نفس هذه الجماعات للتغلب على عامل التباين الموجود بين بيئتي الدكاكة والجلد في نوعية وفصلية توفر الغطاء النباتي . وتم هذا الاستغلال بكفاءة ونجاح يفوقا إمكانية أي وظيفة اقتصادية أخرى على استغلال

الغطاء النباتي المتوفر في المنطقة . ويمكن أن نتعرف على مدى هذا النجاح من حقيقة شهرة منطقة حائل بشكل خاص والمنطقة الشمالية بشكل عام كإقليم تخصص في تصدير الخيول والضأن والجمال وكإقليم تميز أيضًا في إنتاج سلالات معروفة منها . ونجد أنه بالرغم من إمكانيات التأقلم هذه إلا أن وظيفة الرعي البدوي فشلت بشكل عام في الإبقاء على نمطها التقليدي . فلم تستطع هذه الوظيفة ، وذلك كما ذكر سالفًا في بداية هذا البحث ، أن تستمر بدون أن تمر بتغيرات فرضتها ظروف التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي جاءت مع بداية القرن . ويمكن أن نتعرف عن كثب على أسباب ومظاهر هذه التغيرات عن طريق دراسة هذه التغيرات بين جماعة بدوية صغيرة تقطن منطقة التيسية التي تقع في الطرف الشرقي لأمارة منطقة حائل .

التحول إلى نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة التيسية

تقع منطقة التيسية في الطرف الشرقي من أمارة منطقة حائل . وتتشكل هذه المنطقة في معظمها من هضبة منخفضة الارتفاع هي هضبة التيسية . ويقطع هذه الهضبة عدة أودية أهمها الحسكي وخشال والتي تتجه من الغرب إلى الشرق . وفيما عدا الجزء الجنوبي فإن هذه الهضبة تحيط بها تكوينات رملية تتمثل في صحراء النفوذ من الشمال وصحراء الدهناء من الشرق وعرق المظهور ، والذي هو امتداد جنوبي لصحراء النفوذ ، من جهة الغرب (١٤) .

تقدم منطقة التيسية مثالاً جيدًا عن وظيفة الرعي البدوي والتغيرات التي طرأت عليها في منطقة حائل بشكل خاص والمنطقة الشمالية بشكل عام . فالظروف الطبيعية والسكانية في منطقة الدراسة تتشابه كثيرًا مع نفس الظروف في باقي منطقة حائل . فإضافة إلى تشابه ظروف المناخ والغطاء النباتي الطبيعي فإن منطقة الدراسة تتمثل فيها البيئتان الرعويتان الرئيسيتان ، وهما بيئة الدكاكة وبيئة الجلد ، اللتان تتواجدان في منطقة حائل . كما تتواجد بيئة الخيران في مناطق عدة من هضبة التيسية مثل الرميلة والرميلان . ونجد من ناحية الظروف البشرية تشابها كبيرا بين المنطقتين . فتؤكد نتيجة

المقابلات التي أجراها الباحث مع رؤوس الأسر البدوية في منطقة حائل بشكل عام على وجود تشابه كبير في عوامل ومظاهر التغير في وظيفة الرعي البدوي في كلتا المنطقتين .

النمط التقليدي للبداوة الرعوية في منطقة الدراسة حتى عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م (١٥)

يتألف سكان منطقة الدراسة من عشائر مختلفة من قبيلة حرب . ويشكل أفراد عشيرة الوهوب الغالبية العظمى من هؤلاء السكان. وقدمت هذه العشائر إلى المنطقة سن القصيم من مكان بالقرب من منطقة الأسياح ، ويمكن وصف سكان هذه المنطقة بأنهم كانوا أساسا رعاة جمال. فتشير نتائج الدراسة ، التي سيتم تحليلها لاحقا ، إلى أن متوسط الملكية الفردية من الجمال لديهم كانت عالية، الأمر الذي جعلهم أكثر غنى نسبياً عن غيرهم من البدو. ويضاف إلى هذا أن الكثير منهم كانوا يمتلكون سابقًا أعدادًا كبيرة من الضأن بالإضافة إلى ما امتلكوه من الجمال . ولابد أن عدد سكان منطقة الدراسة كان أكبر مما هو عليه في الوقت الحاضر. فقد أفاد الكثير ممن تمت مقابلتهم أن عدد الأسر التي كانت تقضي فصل القيظ عند آبار الزبيرة كان يتراوح بين ٣٠٠ - ٥٠٠ أسرة بدوية . وكان عدد من هذه الأسر يفضل في بعض السنوات قضاء هذا الفصل في بقاع أخرى من منطقة الدراسة حيث كانت توجد آبار كمنطقة وادي الحسكي ومنطقة الحفنة .

وقد استغل هؤلاء السكان التنوع البيئي المتوفر في منطقتهم استغلالا جيدا. وساعدهم في هذا أن سكناهم على أطراف المنطقة الفاصلة بين بيئتي الدكاكة والجلد جعلت من غير الضروري عليهم أن يبتعدوا لمسافات طويلة خلال الهجرة الفصلية المعتادة التي كانت تتم لأجل استغلال التغيرات الفصلية في الغطاء النباتي بين بيئتين مختلفتين . وقد يكون هذا هو سبب نجاحهم في الاحتفاظ بأعداد كبيرة من الضأن في نفس الوقت الذي تخصصوا فيه بتربية الجمال .

شكل موقع الزبيرة المقر الصيفي الأساسي للسكان في منطقة الدراسة وذلك بسبب توفره على مياه باطنية قريبة من السطح . وقد استغل السكان هذه المياه بحفر آبار

سطحية «قلبان» لم تزد أعماقها عن عشرة أمتار . ولم تكن حياة هؤلاء خلال إقامتهم في المقر الصيفي بدون مشاكل أو معاناة. فقد أدى تجمع عدد كبير من الأسر البدوية في منطقة صغيرة حول آبار الزبيرة إلى كثير من المضايقات والمشاحنات خصوصا في فترات نقص مياه الآبار . كما تعرض الكثير من الحيوانات للنفوق بسبب ضعفها نتيجة لتدهور الغطاء النباتي في المنطقة المحيطة بآبار الزبيرة . وتعرض البشر أيضا بسبب الازدحام خلال تلك الإقامة لعدد من الأمراض المعدية منها الرمد والجدري والحصبة . وكانت حركة الترحل الفصلي لهؤلاء السكان تبدأ مع موسم الأمطار من قاعدتهم عند آبار الزبيرة وأواسط وادي الحسكى إلى مناطق سطح هضبة التيسية «الظهرة» وإلى مناطق الدكاكة المحاذية لهم وخصوصا الدهناء ومناطق عرق المظهور وشامة زرود وشامة الأكباد . وقد اضطر هؤلاء مع ذلك إلى الهجرة لمناطق بعيدة جريًا وراء مناطق الأمطار وذلك خلال سنوات الجدب التي مرت على منطقة الدراسة . فقد هاجرت أعداد كبيرة منهم حتى منطقة الطائف وبلاد قحطان جنوبا وحتى سكاكا والأردن شمالاً خلال تلك السنوات .

فقد سكان منطقة الدراسة أعدادا كبيرة من جمالهم وأغنامهم خلال فترات الجدب العنيفة التي مرت على المنطقة . وتسببت هذه الكوارث مع عوامل أخرى في إحداث تغيرات عميقة الأثر في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لهؤلاء السكان وذلك كما سيفصل لاحقا . وأفاد أكثر من فرد من سكان المنطقة أن تحول السكان إلى نمط حياتهم الحالي ، أي نمط حياة شبه الاستقرار ، كان سببه فقدانهم لكل أو معظم جمالهم خلال فترات تلك الكوارث .

نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة التيسية

بالرغم من التغير الذي حدث في حياة الأسر البدوية بمنطقة الدراسة إلا أن حرفة تربية الحيوانات لا تزال تشكل المهنة الأساسية لمعظم السكان في هذه المنطقة وذلك حسب ما كشف عنه المسح الحقلي . على أن عدد الأسر البدوية في هذه المنطقة لا يتجاوز مائتي أسرة وذلك بسبب الهجرة . وقد كشف نفس المسح الحقلي على أن ما لا

يزيد عن مائة وخمسة وعشرين من هذه الأسر تعيش في خيام. ويقطن باقي هذه الأسر في بيوت داخل مستوطنة الزبيرة، بينما، يقوم بالإشراف على حيواناتها في خارج المستوطنة رعاة مستأجرون . وتقيم نسبة كبيرة من الأسر التي تعيش خارج هذه المستوطنة في المناطق المحيطة بها وفي منطقة الحوض الأوسط لوادي الحسكى .

تتصف مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية للأسر التي تقطن في منطقة الدراسة باختلافها عن المظاهر التي كانت تتصف بها المجتمعات البدوية في شكلها التقليدي . فبالرغم من أن تربية الأنعام تشكل المهنة الأساسية لهذه الأسر إلا أنها تمارس هذه المهنة في الوقت الحالي بأسلوب يختلف عما اعتادت عليه سابقًا . فالأسلوب الذي تتبعه

حاليا في استغلال الموارد يعتمد على حركة يومية قصيرة تؤخذ بموجبها الحيوانات إلى المرعى القريب المحيط بمكان إقامة هذه الأسر فقط وذلك لمسافة لا تزيد عن ٣ – ٥ كيلو مترات . ويزاول هذا الأسلوب على مدار السنة بدون أي اعتبار لتقلب الفصول وتغير حالة المرعى . ويعني هذا أن هذه الأسر لا تقوم أبدا بأي ترحل فصلي مع حيواناتها .

ولا يمثل ما ذكر أعلاه الاختلاف الوحيد الذي يميز الجانب المهني لنمط حياة شبه الاستقرار في منطقة الدراسة عن النمط التقليدي لوظيفة الرعي البدوي . فكما يشير الجدول رقم (١) فإن عدد الوحدات الحيوانية التي تمتلكها أي أسرة في الوقت الحالي يفوق في المتوسط ما كانت تمتلكه عندما كانت تزاول وظيفة الرعي البدوي بشكلها التقليدي . وكشفت نتيجة العمل الحقلي أن عددا من الأسر في عينة الدراسة يمتلك قطعانا من الأغنام يصل حجم كل منها من ألف إلى ألف وخمسمائة رأس من الضأن . ويكشف نفس هذا الجدول اختلافًا آخر بين النمطين المذكورين وهو الانخفاض في أعداد ما تمتلكه هذه الأسر من الجمال والذي يقابله من الناحية الأخرى ارتفاع أعداد الضأن التي تمتلكها هذه الأسر بمقدار الضعف عما كانت تمتلكه سابقا . كما أنه على عكس ما كان سابقا – وذلك كما يكشف نفس الجدول من تملك الجميع للجمال – فإن عددا كبيرا من الأسر لا تمتلك في الوقت الحالي أي جمال هذا في نفس الوقت الذي

الجدول رقم (١)

متوسطات عدد الحيوانات من حيث النوع والوحدات الحيوانية لأسر عينة الدراسة*

النوع	متوسط العدد لكل أسرة سابقا	الأسر التي امتلكت هذا النوع سابقا		متوسط العدد لكل أسرة حاليا	الأسر التي تمتلك هذا النوع حاليا	
		العدد	٪		العدد	٪
الجمـــال	٥٤	٣١	١٠٠	٢٥	٢٠	٦٥
الضـــأن	٢١٥	٣٠	٩٧	٤٤٩	٣١	١٠٠
المـــاعـــز	١٤	١٠	٣٢	٦٤	٢٦	٨٤
مجموع متوسط الوحدات الحيوانية لكل أسرة **	١٠٠			١٢٧		

* تتكون عينة الدراسة من واحد وثلاثين أسرة .

** تتألف الوحدة الحيوانية من جمل واحد أو خمسة رؤوس من الضأن أو من الماعز .

المصدر : تم إعداد هذا الجدول بناء على بيانات الاستبيان الذي قام به الباحث أثناء عمله الحقلي في منطقة الدراسة خلال صيف ١٩٩٥م

أصبحت فيه غالبية الأسر تربي الماعز ، وذلك بعد أن كان هذا الأمر يقتصر سابقا على عدة أسر فقط . وسوف تتم معالجة أسباب هذا التغير في الجزء التالي من هذا البحث .

ويجب التأكيد على أن الرغبة في زيادة أعداد الحيوانات تستند على مبررات اقتصادية . فالدخل الضروري للأسر البدوية في منطقة الدراسة لا يمكن أن يوفره العدد الذي اعتادت هذه الأسر على امتلاكه سابقا . وقد أفاد عدد كبير من رؤوس الأسر البدوية الذين تمت مقابلتهم في مناطق مختلفة من حائل أثناء فترتي الدراسة الحقلية الأولى والثانيةأن الحد الأدنى سن الضأن الذي يمكن أن يوفر دخلاً يفي بحاجات أي أسرة بدوية في الوقت الحالي يجب أن لا يقل عن ٢٥٠ رأسًا ويفضل أن يكون هذا العدد بين ٣٥٠ - ٤٥٠ .

تعتبر الإقامة في موقع ثابت أو شبه ثابت لا يتغير إلا على فترات متباعدة من أهم الخصائص التي تتصف بها الأسر البدوية في منطقة الدراسة . فقد كشفت نتيجة الاستبيان أن فترة الإقامة لهذه الأسر في أي مكان قد تمتد إلى سنة كاملة أو أكثر من سنة عند أغلب هذه الأسر . وقد أفاد أحد رؤوس هذه الأسر أن مكان مخيمه الذي تمت فيه المقابلة لم يتغير أبدًا لمدة خمس عشرة سنة !

ويحدث التغيير في مكان الإقامة لهذه الأسر في غالب الأمر ، لأسباب صحية أساسها الرغبة في الانتقال إلى مكان آخر نظيف . وقد تبين أن قلة تمثل ٢٩٪ (تسع أسر) ، من أسر عينة الدراسة والتي تسكن في خيام خارج مستوطنة الزبيرة، تقوم بتغيير مكان الإقامة لأجل الاستفادة من مرعى جديد بدلا من المرعى المحيط بمكان الإقامة القديم والذي تدهورت حالته الإنتاجية . وتجب الإشارة إلى أنه حتى في هذه الحالة فإن تغيير مكان الإقامة لا يحدث إلا على فترات متباعدة يفصل بين كل منها ٢ - ٥ أشهر عند بعض الأسر أو ١ - ٣ سنوات عند البعض الآخر (انظر الجدول رقم ٢) .

بالإضافة إلى طول فترة الإقامة بأي مكان فإن الحياة الاجتماعية للأسر البدوية في منطقة الدراسة تتصف أيضا باختلافها في جوانب أخرى عن النمط التقليدي لحياة البداوة الرعوية . ومن أهم هذه الجوانب هو ميل هذه الأسر للسكن في مواقع متقاربة في نفس الوقت الذي تتوفر فيه مساحات كبيرة تتركها هذه الأسر شاغرة على أطراف مناطق تجمعها . ونجد هذا الميل خصوصًا في المناطق المحيطة بمستوطنة الزبيرة ومنطقة الحوض الأوسط لوادي الحسكى . ونجد في هذه المنطقة الأخيرة بالذات أن المسافة التي تفصل بين أي أسرة وأخرى لا تتعدى ٢ - ٣ كيلو مترات وحيث نجد أن ما يزيد على ٦٠ أسرة بدوية تقيم في خيام بهذا الجزء من الوادي والشعاب المتصلة به . وليس من النادر أن نجد أسرتين متقاربتين بحيث لا يفصل بين مكان إقامتهما أكثر من أربعمائة متر . ويمكن تفسير هذا بأن الأسر التي تسكن هذا الجزء من الوادي ينتسب أغلبها إلى عشيرة واحدة هي عشيرة الوهوب .

الجدول رقم (٢)

أشكال الإقامة للأسر شبه المستقرة في منطقة الدراسة وأسباب النقل

الفترة الزمنية التي تقضيها الأسرة في أي موقع	٢ - ٥ أشهر	سنة إلى ثلاث سنوات	أكثر من ثلاث سنوات	يسكن في الزبيرة*	المجموع
أسباب النقل :					
صحي	١	١١	٦	صفر	١٨
لتجديد المرعى	٦	٣	صفر	٤	١٣
عدد الأسر	٧	١٤	٦	٤	٣١

* تسكن الأسرة في هذه الحالة في الزبيرة ولكن يوجد لها موقع إقامة يسكن به راع مستأجر .

المصدر : تم إعداد هذا الجدول بناء على بيانات الاستبيان الذي قام به الباحث أثناء عمله الحقلي في منطقة الدراسة خلال صيف ١٩٩٥ .

وتسكن جميع الأسر البدوية في خيام تختلف عن الخيام التقليدية للبدو بأنها كبيرة الحجم وبأنها مصنوعة في غالب الأمر من مواد مستوردة . ونجد كذلك أنه على عكس ما كان متوفراً لدى الأسر البدوية قديما فإن هذه الخيام تغص بأثاث ومواد استهلاكية متنوعة تحتاج إلى شاحنة كبيرة لحملها . وكمثال على هذا فإن كثيرا من هذه الأسر تمتلك ثلاجة تعمل على الغاز . كما أن كل أسرة تخصص أماكن خارج خيامها لخزن الشعير وبراميل ضخمة لحفظ الماء . وقد أفادت نتيجة العمل الحقلي أن كل أسرة في منطقة الدراسة تمتلك في المتوسط سيارتين أحدهما شاحنة صغيرة «وانيت» والأخرى شاحنة لنقل الماء «وايت» . وليس من الغريب أن نجد بعض الأسر التي تمتلك أربعة سيارات شحن من أنواع وأحجام مختلفة .

كشفت نتيجة العمل الحقلي أيضا أن الأسر البدوية في منطقة الدراسة تعتمد كثيرا على الخدمات الحكومية المجانية مثل التعليم والرعاية الصحية الأولية . كما تعتمد هذه الأسر على مُدخلات إنتاج مدعمة من قبل الحكومة وذلك مثل الشعير أو أنها تعطى مجانا وذلك في حالة الماء الذي تشربه الحيوانات . وتقدم هذه الخدمات من مستوطنة

الزبيرة التي تمثل المركز الإداري لمنطقة الدراسة . وتجب ملاحظة أن مدى الاستفادة من هذه الخدمات يتفاوت من أسرة لأخرى وذلك لأسباب تتعلق بالمسافة التي تفصلها عن الزبيرة وذلك كما سيفصل لاحقا . أما بالنسبة للخدمات الحكومية التي لا تتوفر في الزبيرة فإنه يتم الحصول عليها من مستوطنات الأجفر وقباء ولينه التي تحيط تماما بمنطقة الدراسة على بعد ثمانين كيلو متر منها . كما أن هؤلاء السكان يترددون على بريدة وحائل للحصول على الخدمات ذات الرتبة الأعلى . وسوف تجرى لاحقًا مناقشة دور عامل توفر الخدمات والرغبة في استخدامها في تحول الأسر البدوية في منطقة الدراسة إلى نمط حياة شبه الاستقرار .

تضم منطقة الدراسة مستوطنة واحدة هي الزبيرة والتي تمثل المقر الإداري لمركز الزبيرة الذي تقع منطقة الدراسة ضمن حدوده . وتبعد هذه المستوطنة عن أقرب مستوطنة لها بطريق طوله حوالي ثمانين كيلو مترا وغير ممهد في معظم قطاعاته . ولذلك نجد أن سكان هذه المستوطنة ومنطقة الدراسة بوجه عام يعيشون في عزلة كما أنهم يتكبدون مصاريف نقل عالية لأجل الحصول على حاجياتهم من خارج المركز ولبيع فائض إنتاجهم في المناطق التي تقع خارجه (Habib, 1995, 18) .

يقطن مستوطنة الزبيرة عدد يتراوح بين ٨٠٠ و ٩٠٠ نسمة ، وذلك كما تشير نتائج العمل الحقلي . ونجد أن نسبة عالية من سكان هذه المستوطنة تتألف من أسر بدوية تحتفظ بقطعان من الحيوانات خارجها حيث يقوم بالإشراف عليها رعاة مستأجرون من جنسيات غير سعودية . ويتألف باقي سكان المستوطنة من أسر لأصحاب محلات تجارية أو موظفين حكوميين . ويشكل غير السعوديين نسبة تصل إلى ١٠٪ من سكان مستوطنة الزبيرة ويعمل هؤلاء في إدارة محال البيع والخدمات التي تتوفر في هذه المستوطنة .

تحتوي مستوطنة الزبيرة على عدد محدود من الخدمات الحكومية . وتشمل هذه الخدمات مدرستين ابتدائيتين إحداهما للبنين والأخرى للبنات ومدرسة متوسطة للبنين . كما تحتوي هذه المستوطنة على مستوصف حكومي ومكتب إداري تابع لأمارة منطقة

حائل وظيفته متابعة شئون مركز الزبيرة . وتتوفر في هذه المستوطنة أيضا بئر عميقة تابعة للحكومة تعطي مياهها مجانا لشرب الحيوانات التي يربيها البدو في منطقة المركز . أما بالنسبة للخدمات غير الحكومية فإن مستوطنة الزبيرة تحتوى على مستودعين لبيع المواد الغذائية وبعض اللوازم المنزلية . ويضاف إلى هذا بعض الدكاكين الصغيرة التي تتخصص في بيع سلع مختلفة تشمل مواد البناء والشعير ولوازم الرعاة والبن والهيل وبعض الملابس . وتتوفر بالمستوطنة أربعة محال لإصلاح السيارات ومغسلة واحدة للثياب ومحطة بنزين ومطعم يعمل في جزء من النهار فقط ومخبز واحد . ويتضاعف نشاط المحلات المذكورة أعلاه خلال يوم الجمعة الذي يخصص للسوق في كل مركز الزبيرة . ويوم السوق هذا يعني قدوم بائعي الشعير والأعلاف الخضراء كما يعني قدوم خضروات وفواكه طازجة إلى المستوطنة وفتح محل الجزارة الوحيد بها . وتنبغي الاشارة إلى أن جميع الأنشطة الاقتصادية غير الرعوية في مركز الزبيرة تقوم في داخل هذه المستوطنة فقط .

عوامل التغير ومراحله في منطقة التيسية

يعتبر من الصعوبة بمكان وضع تاريخ محدد لبدء التغير في مجتمع البداوة الرعوية في منطقة الدراسة كما أنه من غير الممكن تخصيص عامل واحد كسبب لهذا التغير . ويمكن مع هذا اعتبار عوامل الجفاف وتوفر فرص عمل خارج نطاق اقتصاد الرعي البدوي والبدء في استخدام السيارات كأسباب مباشرة أدت إلى حدوث التغير .

(١) عامل الجفاف : أدى عامل الجفاف ، والذي ضرب مناطق شمال المملكة العربية السعودية كلها في بداية فترة الخمسينيات ، إلى فقدان بدو منطقة الدراسة معظم أو كل ثرواتهم من الحيوانات . وطبقا لإفادات من تمت مقابلتهم من رؤوس الأسر البدوية لأجل تعبئة الاستبيانات الخاصة بهذا البحث فإن الغالبية منهم فقدوا من ٧٠٪ إلى ٩٠٪ من أغنامهم وإبلهم خلال سنوات فترة الجفاف هذه . وقد ذكر البعض منهم أنهم فقدوا كل حيواناتهم في سنة الجفاف المعروفة باسم سنة الكسوف التي سرت بالمنطقة عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م أو في سنوات الجفاف التي تلتها ومنها سنة الجفاف

المعروفة في المنطقة باسم سنة عشيرة . تسبب هذا الفقدان الكبير لقطعان الحيوانات في صعوبة الاستمرار في حرفة الرعي البدوي الأمر الذي دفع الكثير من بدو منطقة الدراسة للهجرة إلى الرياض والمنطقة الشرقية للبحث عن أعمال . وقد تمت عودة هؤلاء المهاجرين بعد أن تحصلوا على دخل مكنهم من شراء قطعان جديدة من الحيوانات مكنتهم من العودة إلى ممارسة حرفة الرعي البدوي من جديد. ومن المؤسف أن البعض من هؤلاء المهاجرين قضوا نحبهم في الرياض والمنطقة الشرقية (١٦) . كما أن البعض منهم فضلوا الاستقرار في مناطق هجرتهم على العودة إلى ديارهم .

(٢) **عامل الحصول على وظائف :** شكلت فرص العمل المشار إليها أعلاه العامل الثاني الذي تسبب في إحداث تغير في وظيفة الرعي البدوي بمنطقة الدراسة. ويمكن الافتراض هنا أن الدخل الذي وفرته فرص العمل هذه وصل تأثيره إلى أبعد من مجرد تمكين البدو الذين فقدوا حيواناتهم خلال سنوات الجفاف من شراء قطعان جديدة . فقد مكنهم هذا الدخل في نفس الوقت من شراء سلع استهلاكية مختلفة . ويمكن الافتراض أيضًا أن الرغبة في الحصول على هذه السلع شجع هؤلاء البدو على أن لا يقتصر بحثهم عن عمل خارج نطاق وظيفة الرعي البدوي فقط على فترات السنين التي قاست فيها منطقة الدراسة من مشاكل الجفاف . ولابد من الإشارة هنا إلى أن البحث عن عمل كان يقابله من الجانب الآخر عوامل جذب تمثلت في توفر فرص جديدة للتوظيف خارج نطاق وظيفة الرعي البدوي. وتوفرت هذه الفرص كنتيجة للانتعاش الاقتصادي في المملكة العربية السعودية على أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية واستئناف تصدير البترول السعودي بكميات كبيرة في بداية فترة الخمسينيات (١٣٧٠هـ / ١٩٥١م) .

تسببت فرص العمل ، وما تولد عنها من دخل ، في إحداث تغيرات كبيرة في منطقة الدراسة . وتمثلت هذه التغيرات في توسع وتغير في أنماط الاستهلاك وظهور اقتصاد نقدي مما أدى إلى تغيرات إقتصادية واجتماعية ذات أثر عميق في منطقة الدراسة (٣٢). على أنه ينبغي التدليل أولا على التغير المذكور من حقيقة أن منطقة الدراسة أصبحت مقصدًا في بداية فترة الخمسينيات ، وربما منذ نهاية فترة الأربعينيات للكثير من التجار المتجولين . وكان يأتي هؤلاء إلى مستوطنة الزبيرة في فصل القيظ وإلى الشعاب

المحيطة بها في فصلي الشتاء والربيع لبيع سلع شملت أقمشة وبنًا وهيلاً إلى السكان . وكانت تتم جميع مبيعات هؤلاء التجار نقداً ، بواسطة ما عرف بالريال الفرنسي ثم الجنيه الجورج في بداية الأمر ، وليس عن طريق المقايضة (١٧) . ولا ريب في أن فرص العمل والحصول على دخل سهل أمر انتشار النقود في المنطقة وبالرغم من أهمية هذه التغيرات إلا أن الأثر الأكبر لفرص العمل خارج نطاق اقتصاد الرعي البدوي تمثل في إحداث نقص في أعداد اليد العاملة المتاحة للعناية بالحيوانات التي تمتلكها الأسر البدوية في منطقة الدراسة . ولكن أدت نفس هذه الفرص من ناحية أخرى إلى تمكين هذه الأسر من شراء سيارات تسهل عليهم مهام وظيفتهم الرعوية . وقد ترتب على النقص في اليد العاملة واستخدام السيارات تغيرات عميقة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمجتمع البدو في منطقة الدراسة وذلك كما سيناقش في الصفحات التالية . ويجب التأكيد هنا على طبيعة التغير في الاقتصاد الرعوي في منطقة الدراسة في خلال الفترة التي تلت مباشرة تاريخ بدء توظف الكثير من بدو المنطقة في أعمال خارج نطاق اقتصاد الرعي البدوي في عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م . فلابد من الافتراض أن العجز في اليد العاملة بسبب هذا التوظف أجبر الكثير من الأسر البدوية في المنطقة ، والتي فضلت الاستمرار في وظيفة الرعي البدوي ولم تستقر نهائيًا ، على اعتماد نظام رعوي أقل حركة في خلال تلك الفترة .

(٣) استخدام السيارات : تنبغي الإشارة هنا إلى تاريخ بدء استخدام السيارات في منطقة الدراسة وذلك لما لهذا التاريخ من دلالات مهمة للتغيرات التي أحدثها هذا الاستخدام . ويمكن التأكيد على أن استخدام السكان للسيارات بدأ في منطقة الدراسة في عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م عندما قاد أحد أبنائها (١٨) سيارته في صيف تلك السنة إلى داخل الزبيرة عندما كانت هذه المستوطنة مجرد مكان يقضي به بدو المنطقة فصل القيظ فقط وكان خاليا من أي مبنى ثابت . وينبغي التأكيد هنا على أن تاريخ بدء استخدام السيارات في منطقة الدراسة جاء بعد أن كانت هذه المنطقة قد شاهدت فعليا في وقت سابق تحول الكثير من الأسر البدوية فيها ، بدءاً من عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م وذلك كما تم وصفه في الفقرة السابقة ، من رعاة جمال إلى أصحاب أغنام اتخذوا نظام

رعي جديد يتصف بأنه أقل حركة وتنقلا عن النظام الرعوي التقليدي السابق . وقد ساهم إدخال السيارات في منطقة الدراسة بدور أساسي في تشجيع هذا الميل وذلك بتمكينه للأسر البدوية في هذه المنطقة من الاعتماد على السيارات في جلب الماء إلى مواقع مخيماتها . ويمكن التعرف على أهمية دور السيارات في إحداث تغيرات من الأهمية الحالية لها كأساس يعتمد عليه نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة الدراسة .

ويمكن وصف الآلية التي تم بموجبها تأثير العوامل الثلاثة المشار اليها أعلاه في إحداث عملية تحول الأسر البدوية في منطقة الدراسة إلى نمط حياة شبه الاستقرار على الوجه التالي :

أدت سنوات الجفاف التي مرت على منطقة الدراسة إلى فقد الكثير من بدو المنطقة لحيواناتهم وقد تمت عملية التعويض لهذه الخسارة على أساس الاستكثار من أعداد الضأن والتقليل في نفس الوقت من أعداد الجمال . ويجب ملاحظة أن التخلي عن الجمال لصالح الأغنام كان هو الاتجاه السائد لدى البدو في المملكة العربية السعودية بشكل عام خلال تلك الفترة وذلك كما تمت الإشارة إليه سابقا . وكان الدافع الرئيسي لهذا هو ما ذكر سابقا في بداية هذا البحث من أن الجمال بدأت تفقد قيمتها الاقتصادية بشكل عام . كما أن عدم توفر يد عاملة كافية للعناية بالجمال شكل سببا رئيسيا للتخلي عن الاحتفاظ بها . وكذلك فإن البدء في استخدام البدو للسيارات جعل من غير الضروري إبقاء الجمال المخصصة للنقل والركوب . ويدل على وجود اتجاه لاستبدال الجمال بالأغنام في منطقة الدراسة ما كشفت عنه نتائج الاستبيان الذي قام به الباحث في نفس المنطقة . فتدل إجابات رؤوس الأسر البدوية الذين تمكنوا من تذكر أعداد الجمال التي كانوا يمتلكونها أو التي كانت تمتلكها أسرهم ، قبيل فترات الجفاف المعروفة لديهم على أن متوسط أعداد الجمال لكل أسرة من هذه الأسر كان يزيد في الفترة السابقة للجفاف الذي حدث عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م أي سنة الكسوف ، عن المتوسط لنفس الأسر خلال الفترة السابقة للجفاف التالي الذي حدث بعده وهو الجفاف الذي عرف في المنطقة بمسمى سنة عشيرة . فقد بلغ هذا المتوسط ٤٨,٣ جملا لكل اسرة بدوية قبيل جفاف سنة الكسوف ولكنه هبط بعد هذا التاريخ إلى حوالي ٣٥,٢ جملا

في الفترة التالية التي وقعت قبيل جفاف سنة عشيرة مباشرة .

أدى هذا التغير في تركيب قطعان الحيوانات التي تمتلكها الأسر البدوية في منطقة الدراسة إلى جعل الحركة اليومية والفصلية لهذه الأسر محدودة. فالأغنام التي أصبحت تشكل الجزء الأكبر من قطعان الحيوانات ، جعلت من الضروري على هذه الأسر أن تكتفي بقطع مسافات قصيرة ضمن حركة الرعي اليومية التي تقوم بها وذلك بسبب عدم قدرة الأغنام على السير لمسافات طويلة . وقد أدى نفس هذا السبب إلى تحديد مدى الهجرة الفصلية التي تتحرك بموجبها هذه الأسر إلى المراعي البعيدة في فصل الأمطار . أدت محدودية الحركة اليومية والفصلية لهذه الأسر بالتالي إلى إمكانية ظهور صعوبة تتمثل في عدم القدرة على الحصول على المياه اللازمة لشرب الحيوانات وذلك عند استنفاذ موارد المياه المحلية . وقد فاقم في هذه الصعوبة حقيقة أن الأغنام تتطلب تقديم مياه الشرب لها على فترات متقاربة أكثر من الجمال (١٩) . وقد تم التغلب على هذه الصعوبة في بداية الأمر بتركيز هذه الأسر على استغلال المناطق الرعوية القريبة من موقع مستوطنة الزبيرة ومناطق وادي الحسكى حيث تتوفر مياه باطنية قريبة من السطح . ولذلك فإن الأسر البدوية في منطقة الدراسة فضلت أن لا تبتعد مواقع خيامها كثيرا عن هذه المناطق . وكان يتم جلب الماء إلى مواقع هذه الخيام بواسطة الجمال من آبار الزبيرة بشكل خاص وذلك عند الحاجة إليه . وقد تم التغلب على هذه الصعوبة نهائيا باستخدام السيارات التي مكنت هذه الأسر بدءا من عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م من نقل الماء إلى مواقع خيامهم بكميات أكبر وبطريقة أسهل .

تأثيرات فترة الطفرة الاقتصادية
(التغير في مجتمع الدراسة بعد عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)

يتضح من الوصف السابق أن البداوة الرعوية في منطقة الدراسة بدأت في التحول منذ الجفاف الذي حدث عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م إلى نمط جديد يتصف بقلة حركة الأسر البدوية عما كان في السابق . واتصف هذا النمط أيضا ببدء تخلي هذه الأسر البدوية عن جمالها ، أو بعض جمالها لصالح الأغنام . وقد اتخذ هذا النمط بُعدا جديدا مع بدأ

استخدام هذه الأسر للسيارات منذ عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م ويمكن الافتراض أن هذا النمط الجديد استمر بدون تغير لمدة أربعة وعشرين سنة حتى بداية فترة الطفرة الاقتصادية في المملكة العربية السعودية والتي أخذت مجراها مع بداية عام ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م وقد بدأت مع هذه الطفرة الاقتصادية المرحلة الثالثة للتحول في وظيفة الرعي البدوي. فقد أحدثت هذه الطفرة تحولات عميقة في الاقتصاد والمجتمع السعودي بما قدمته من فرص اقتصادية ومن توسع في الإنفاق الحكومي . ووصلت آثار هذه الطفرة إلى منطقة التيسية في وقت كانت فيه الأنماط التقليدية للحياة الاقتصادية والاجتماعية للأسر البدوية في هذه المنطقة قد بدأت فعلا في التغير منذ أربع وعشرين سنة وذلك كما جرى وصفه سابقا .

نجد لهذا أن تأثيرات الطفرة الاقتصادية بما قدمته من حوافز للتغيير لم تقابل بمقاومة في هذه المنطقة . بل وجدت هذه التأثيرات أن الظروف كانت مهيئة لحدوث تغيرات أخرى تمثلت في تحول هذه الأسر إلى نمط حياة شبه الاستقرار . ولابد من الإشارة إلى أنه بالرغم من أن بداية التحول بين الأسر البدوية في منطقة الدراسة حصلت في أوقات سابقة إلا أن فترة الطفرة الاقتصادية في البلاد عمقت هذا التحول . ويمكن هنا تحديد خمسة عوامل رئيسية ساهمت في إحداث التحول في خلال فترة هذه الطفرة الاقتصادية الأخيرة التي مرت بها البلاد :

(١) ارتفاع أسعار الأغنام المحلية : إن من أول التأثيرات التي أدت إلى إحداث تغير في مجتمع الأسر البدوية في منطقة التيسية هي الزيادة الكبيرة التي أحدثتها الطفرة في أسعار الأغنام المنتجة محليا على المستوى الوطني ، وقد كسرت هذه الزيادة الانخفاض الذي كان يسيطر على أسعار الحيوانات الحية خلال الفترة السابقة . فما تسببت فيه هذه الطفرة من زيادة في الإنفاق الشخصي لدى المواطن السعودي إنعكس في حدوث إرتفاع كبير في اسعار الأغنام المنتجة محليا بشكل عام في جميع أنحاء البلاد. وقد ارتفعت بهذا أسعار أغنام الضأن النجدية من حوالي ١٥٠ - ٢٠٠ ريالا للرأس الواحد قبل الطفرة إلى حوالي ٣٥٠ - ٤٥٠ ريالا في المتوسط وحتى ٧٠٠ ريالا في بعض الحالات بعد بدء الطفرة . وتمثل هذه الزيادة تغيرا مهما حيث إنها أحدثت

تعديلا في الميزان التجاري للتبادل والذي كان في غير صالح البدو بشكل عام في فترة بداية هذا القرن وذلك كما تم إيضاحه سابقا . وجاءت هذه الزيادة في وقت كانت فيه الأسر البدوية في منطقة الدراسة قد بدأت فعلاً في وقت سابق بالتركيز على تربية الضأن بدلا من الجمال . وأدى هذا إلى تمكين هذه الأسر من الاستفادة ماليا بطريقة مباشرة من التحولات الاقتصادية التي جاءت بها الطفرة .

(٢) **معونة الشعير** : شكل العائد الاقتصادي الذي جاءت به الزيادة في أسعار الأغنام حافزا جديدا للأسر البدوية في منطقة الدراسة للاستكثار من أعداد الأغنام . وعزز من قوة هذا الحافز بدء تدفق الشعير الذي دعمت أسعاره من قبل الدولة إلى منطقة التيسية في حوالي عام ١٣٧٧هـ / ١٩٧٧م فقد وفر هذا الشعير أعلافا رخيصة يمكن الاعتماد عليها في تربية الضأن والحصول على عائد اقتصادي مجز . ويجب التأكيد هنا على أن الإعانة المالية المقدمة من الدولة للبدو على عدد رؤوس الحيوانات التي يمتلكونها (انظر الهامش رقم ٩ من هذا البحث) قدمت حافزا إقتصاديا آخر في هذا الخصوص .

قدم عاملي الارتفاع في أسعار الأغنام وتوفر أعلاف رخيصة دوافع شجعت على الأخذ بنمط حياة شبه الاستقرار . فقد ضمن هذين العاملين للأسر البدوية في منطقة الدراسة فرصة للحصول على دخل وافر وثابت في نفس الوقت . وتوقف تحقيق هذه الفرصة على إمكانية تبني هذه الأسر لأساليب جديدة في تربية الحيوان واستغلال الموارد الرعوية . وتطلبت هذه الأساليب الجديدة ضرورة إبقاء الحيوانات في مكان ثابت وذلك بسبب اتخاذ الشعير كعلف لها بشكل أساسي . كما تطلب أن يقتصر استخدام هذه الحيوانات للمراعي الطبيعية على ما هو قريب من مكان مبيتها «المراح» فقط . أما بالنسبة لحاجة هذه الحيوانات من الماء فإن استخدام السيارات قد مكن من جلبه إليها . وبهذا أصبحت الأسر البدوية التي اتبعت هذه الأساليب الجديدة غير مضطرة لتغيير مكان إقامتها كل يوم أو بعض يوم بحثا عن سرعى ومورد مياه للحيوانات التي تربيها . وبذلك تمكنت من أن تتخذ مكانا ثابتا أو شبه ثابت لإقامتها .

(٣) **حفر آبار ارتوازية حكومية** : يتضح من الفقرة السابقة أن عملية التحول إلى

نمط حياة شبه الاستقرار اعتمدت كثيرا على توفر حوافز اقتصادية . ولا شك في أن قيام الدولة بحفر بئر ارتوازي مكان الآبار التقليدية المسماة قلبان ، جمع قليب ، في موقع مستوطنة الزبيرة في عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م قدم حافزا اقتصاديا آخر شجع على عملية التحول للإقامة في مكان ثابت. فالحاجة المتزايدة للماء بسبب زيادة أعداد الضأن التي تمتلكها كانت ستجعل من عملية الاستقرار صعبة أو حتى غير ممكنة في حالة عدم توفر مصدر قريب للماء . ولكن هذا البئر الحكومي وفر مصدرا مجانيا ومضمونا للماء يكفي هذه الأسر عن الحاجة للترحل لأجل الحصول عليه . وقد كشفت نتيجة الاستبيان الذي قام به الباحث أنه فيما عدا أربع أسر ، والتي تقطن على أطراف منطقة الدراسة والتي تتحصل على حاجاتها من المياه من موارد خارج المنطقة ، فإن جميع الأسر في منطقة الدراسة تأخذ مياهها من بئر الزبيرة.

(٤) توسع فرص العمل في وظائف خارج نطاق إقتصاد الرعي البدوي : ساعد أسلوب إدارة الموارد المشار إليه أعلاه الأسر البدوية في منطقة الدراسة على حل مشكلة قلة اليد العاملة . وقد ظهرت هذه المشكلة مع بدء دخول كثير من الذكور المنتمين لهذه الأسر في وظائف خارج نطاق اقتصاد الرعي البدوي ولكنها تفاقمت مع زيادة توفر وظائف وفرص في الأعمال الحرة خلال فترة الطفرة الاقتصادية الأخيرة في البلاد. وترتب على هذا أن الحاجة قد تزايدت مع فترة هذه الطفرة إلى إتباع هذا الأسلوب وذلك بسبب قلة متطلباته من اليد العاملة . ونجد أنه مما شجع على اتباع هذا الأسلوب وجعله ضرورة هو أن فرص العمل وغياب الأبناء أدى إلى ترك المسنين لوحدهم ليقوموا بمهمة الإشراف على الحيوانات . ويتضح هذا الأمر في حقيقة ما تكشفه نتيجة الاستبيان الذي قام به الباحث حيث تبين أن متوسط الأعمار لرؤوس الأسر البدوية في منطقة الدراسة في الوقت الحاضر تبلغ ٥٦,٥ سنة . ونجد إذاً أن اتباع هذا الأسلوب ساهم في إيجاد حل لمشكلة قائمة. ولكن نجد من ناحية أخرى أن توفر هذا الحل جعل من الممكن في نفس الوقت خروج الكثير من الذكور في هذه الأسر للعمل خارج نطاق إقتصاد الرعي البدوي. ويتضح من هذا أن توفر هذه الوظائف شجع على إتباع الأسلوب الجديد في إدارة الموارد ومن ثم شجع هذه الأسر على تبني نمط حياة شبه

الاستقرار .

وقد لعب الدخل المتولد عن هذه الوظائف دورا مهما في عملية التحول نحو حياة شبه الاستقرار . إذ تم استخدام جزء غير صغير من هذا الدخل في شراء سيارات ساهمت في تمكين الأسر البدوية من اتخاذ مكان ثابت أو شبه ثابت لإقامتها . كما أن ما أدى إليه هذا الدخل من تغيير في أنماط الاستهلاك لدى هذه الأسر أدى إلى تحويل الخيمة البدوية البسيطة ومحتوياتها القليلة إلى مكان مليء بالأثاث والأغراض الاستهلاكية . وقد أفاد جميع رؤوس الأسر الذين تمت مقابلتهم أن حجم الخيمة التي يسكنون بها الآن يزيد عن حجم الخيمة التي كانوا يسكنونها سابقا كما أن أغراضهم تزيد كثيرا من ناحية الحجم والعدد عما كانوا يمتلكون سابقا . أدى ثقل هذه الأغراض الى صعوبة التنقل ومن ثم فإن هذه الأسر لم تتمكن من الاحتفاظ بنظامها التقليدي للترحل الذي اعتادت عليه .

(٥) **توفر الخدمات الحكومية** : لاشك في أن حياة الترحل الدائم التي ترتبط بالبداوة الرعوية في شكلها التقليدي تتعارض كثيرا مع ضرورة ارتباط هذه الخدمات بمواقع مستوطنات بشرية ثابتة . وأدى هذا إلى صعوبة استفادة الأسر البدوية في منطقة الدراسة من الخدمات الحكومية وغير الحكومية بشكل منتظم وبكلفة اقتصادية يمكن تحملها وذلك في حالة استمرارهم على التمسك بحياة التنقل والترحال الفصلي . ولذلك يمكن التأكيد على أن رغبة هذه الأسر في الاستفادة من هذه الخدمات لعبت دورا كبيرا في تشجيعهم على التحول إلى نمط حياة شبه الاستقرار . وتؤكد نتائج الاستبيان الذي قام به الباحث على وجود ارتباط بين الرغبة في الحصول على الخدمات المتوفرة في مستوطنة الزبيرة القائمة في منطقة الدراسة وبين هذا التحول . ويمكن التعرف على قوة هذا الارتباط من حقيقة أن الرغبة في الاستفادة من خدمات التعليم والرعاية الصحية الأولية والبئر الحكومي المتوفرة في هذه المستوطنة أدت إلى ميل الأسر التي اختارت نمط حياة شبه الاستقرار على عدم الابتعاد كثيرا عن محيط هذه المستوطنة . فقد أفاد تسعة وعشرين . أو ٩٣,٥٪ ، من مجموع رؤوس الأسر البدوية الذين تم طرح أسئلة الاستبيان عليهم أنهم اختاروا مكان إقامتهم الحالي بسبب الرغبة في أن يكونوا قريبين

من الخدمات المتوفرة في مستوطنة الزبيرة. ويتضح هذا الأمر عند التعرف على دور المسافة في اتخاذ هذه الأسر لقرار إرسال أبنائها إلى المدارس الحكومية في هذه المستوطنة من عدمه. فكما يشير الجدول رقم (٣) نجد أن ما يزيد عن ٨٦٪ من الأسر التي تقطن في سواقع مثل وادي الحسكى والقريبة من مستوطنة الزبيرة ترسل أبناءها إلى هذه المدارس وتتناقص هذه النسبة مع ازدياد المسافة حتى نجد أن الأسر التي تقطن في واديي خشال والرميلان ، وهما الأبعد عن هذه المستوطنة ، لا ترسل أيًا من أبنائها إلى المدارس.

ويمكن الاعتماد على هذه الحقيقة في وضع افتراض مفاده أن الأسر التي اختارت لسكناها مواقع قريبة من مستوطنة الزبيرة هي الأقرب إلى نمط حياة شبه الاستقرار أما الأسر الأقرب لحياة الترحل فهي تلك الأسر التي تقطن بعيدة عن هذه المستوطنة . ويؤيد هذه الفرضية حقيقة أن هذه الأسر القريبة من مستوطنة الزبيرة تمتلك في المتوسط أعداداً أقل من الجمال عن الأسر التي تقطن بعيدة عنها وذلك كما يشير الجدول رقم (٤) كما أن نسبة الأسر التي تمتلك جمالاً تزداد كلما زادت المسافة التي تفصلها عن هذه المستوطنة وذلك كما يشير نفس الجدول (٢٠) .

الجدول رقم (٣)

العلاقة بين المسافة إلى مستوطنة الزبيرة ونسبة الالتحاق بالمدارس

منطقة السكن	متوسط المسافة إلى الزبيرة	عدد الأسر في العينة	الأسر التي ترسل أبنائها إلى المدارس	
			العدد	٪
وادي الحسكى وفروعه والسهل الواقع إلى الغرب من الزبيرة	١٨,٧	١٤	١٢	٨٦
مناطق الدكاك*	٣٨,٧	١٢	٥	٤٢
وادي خثال والرميلان	٤٨	٥	صفر	صفر

* تشمل هذه المناطق التي تم مسحها وتمثل شامة الأكباد وشامة زرود وعرق المظهور ومناطق التقاء أودية التيسية مع الدهناء .

المصدر : تم إعداد هذا الجدول بناء على بيانات الاستبيان الذي قام به الباحث أثناء عمله الحقلي في منطقة الدراسة خلال صيف ١٩٩٥ .

الجدول رقم (٤)

العلاقة بين المسافة إلى مستوطنة الزبيرة وعدد الأسر التي تمتلك جمالا ومتوسط عدد الجمال التي تمتلكها كل أسرة

منطقة السكن	متوسط المسافة إلى الزبيرة	عدد الأسر في العينة	الأسر التي تمتلك جمال		متوسط عدد الجمال التي تمتلكها كل أسرة
			العدد	٪	
وادي الحسكى وفروعه والسهل الواقع إلى الغرب من الزبيرة	١٨,٧	١٤	٨	٥٧	١٨
مناطق الدكاك*	٣٨,٧	١٢	٨	٦٧	٣٥
وادي خثال والرسيلان	٤٨	٥	٤	٨٠	٢٣

* تشمل هذه المناطق التي تم مسحها وتمثل شامة الأكباد وشامة زرود وعرق المظهور ومناطق التقاء أودية التيسية مع الدهناء .

المصدر : تم إعداد هذا الجدول بناء على بيانات الاستبيان الذي قام به الباحث أثناء عمله الحقلي في منطقة الدراسة خلال صيف ١٩٩٥

نتائج التحول إلى نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة التيسية

أدى التحول إلى نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة الدراسة إلى ظهور نتائج اقتصادية وبيئية واجتماعية بعضها إيجابي والبعض الآخر له صفة سلبية . ويمكن إيضاح هذه النتائج في التالي :

أولاً : النتائج البيئية (استنزاف الموارد الرعوية)

ترتب على ظهور نمط حياة شبه الاستقرار وما تولد عنه من محدودية حركة الرعي واقتصارها على مساحات صغيرة إلى حدوث استنزاف حقيقي للموارد الرعوية وانخفاض في قدرتها الإنتاجية خصوصًا في المناطق المحيطة بمواقع سكن الأسر البدوية . وتؤكد المقابلات التي أجريت مع رؤوس هذه الأسر على حدوث هذا التدهور البيئي في منطقة الدراسة . فقد أفاد كل من تمت مقابلتهم من رؤوس الأسر البدوية على أن الغطاء النباتي الحالي في المنطقة هو أقل كثافة عما كان في السابق . ويؤكدون على هذا بالإشارة إلى قلة شجيرات الأرطي والعرفج حاليا عما كان عليه الوضع في السابق . كما أشار الكثير منهم على أن بعض الأنواع من النباتات الرعوية الجيدة مثل الرخامة والسعدان والنصى والرقروق والحماط اختفت من كل منطقة الدراسة فيما عدى بعض المواقع . وعند سؤال هؤلاء الأشخاص عن النباتات التي ازدادت أشاروا إلى وجود زيادة في نباتات الشبرم - الذي يعرف أيضا بمسمى صلة - والبورق وهي نباتات ذات قيمة رعوية منخفضة . وتدل نتائج المسح الحقلي للباحث وإفادات سكان المنطقة على أن أكثر المناطق المتضررة بهذا التدهور في الحياة النباتية هي المناطق المحيطة بمستوطنة الزبيرة ومنطقة الحوض الأوسط لوادي الحسكى . ويمكن تفسير هذا بالإشارة إلى أن هذه هي نفسها المناطق الأكثر ازدحامًا بالأسر البدوية في منطقة الدراسة .

أدت عدة عوامل إلى تفاقم مشكلة التدهور المذكورة أعلاه . وتتمثل أحد هذه العوامل في تواجد أعداد كبيرة من الوحدات الحيوانية على مساحات محدودة من الأرض . وتفوق هذه الوحدات الحيوانية ما كانت تمتلكه هذه الأسر عندما كانت تتبع الشكل التقليدي للبداوة الرعوية . ويشكل تجمع أعداد كبيرة من الأسر البدوية بقطعانها الكبيرة من الحيوانات في مناطق مثل منطقة وسط وادي الحسكى عاملا آخر

يساهم في حدوث التدهور البيئي المشار إليه أعلاه . ونجد في هذه الحالة أن رغبة أي أسرة للتخلص من هذا الازدحام يقابله من ناحية أخرى رغبتها في البقاء ضمن محيط عدد كبير من الأسر وذلك لما يقدمه هذا من فوائد اجتماعية . وينطبق هذا الأمر خصوصا على الأسر التي تسكن في منطقة وسط وادي الحسكى حيث يقدم عامل القرب من مستوطنة الزبيرة حافزًا اقتصادياً للبقاء في هذه المنطقة المزدحمة . ويجب التحذير هنا من أن الزيادة الحاصلة في أعداد الحيوانات لا تشكل السبب الأساسي في تدهور الغطاء النباتي بالمنطقة بقدر ما يشكله تجمع أعداد كبيرة منها في منطقة صغيرة . فالزيادة في متوسط ما تمتلكه كل أسرة من الرؤوس الحيوانية يقابلها من الجانب الآخر حدوث نقص كبير في أعداد الأسر البدوية في منطقة الدراسة ، وذلك كما أشير إليه سابقا . ويعني هذا احتمالية أن العدد الحالي للحيوانات في المنطقة لا يشكل زيادة كبيرة عن عددها سابقا .

ويساهم في حدوث التدهور في الغطاء النباتي بالمنطقة عامل قدوم أعداد كبيرة من الجماعات البدوية من مناطق أخرى من البلاد إليها خلال فصل الأمطار . ويأتي هؤلاء عادة ومعهم أعداد كبيرة من الجمال والأغنام ويغادرون المنطقة بعد أن يتم لهم استنزاف الغطاء النباتي المتوفر . كما يأتي إلى المنطقة أيضا عدد لا بأس به من سكان المدن القريبة وذلك لقضاء جزء من أجازة الربيع حيث يمضون جل وقتهم في ممارسة هواية صيد الضبان . ويساهم هؤلاء - كما يؤكد الكثير من سكان المنطقة- في إحداث تخريب بالحياة النباتية بها . ولكن من المؤكد أن الأثر السلبي لنشاط هؤلاء على البيئة يفوقه بمراحل كبيرة نشاط جامعي الحطب والذين يأتون في الغالب من خارج المنطقة . ويعمد هؤلاء إلى اقتلاع أشجار الأرطى والسلم والطلح ذات القيمة الرعوية العالية .

ولا يقتصر ضرر تواجد أعداد كبيرة من الوحدات الحيوانية في مساحة صغيرة على حدوث تدهور في الغطاء النباتي فقط . فمن المحتمل جدا أن يؤدي هذا التجمع إلى حدوث تدهور في الصحة العامة لهذه الحيوانات . فقد أدى هذا التجمع إلى سرعة انتقال العدوى بالأمراض بينها الأمر الذي تسبب في ازدياد معدلات النفوق بين هذه الحيوانات . وكما يشير الجدول رقم (٥) فإن نسبة النفوق هذه تصل إلى أعلى

مستوياتها في منطقة وسط وادي الحسكى، والتي هي الأكثر ازدحاما بالأسر البدوية وذلك كما سبق ذكره . وتنخفض هذه النسبة كلما ابتعدنا عن مستوطنة الزبيرة إلى الأماكن التي هي أقل ازدحامًا .

الجدول رقم (٥)

العلاقة بين المسافة إلى مستوطنة الزبيرة ونسبة النفوق بين الحيوانات

منطقة السكن	متوسط المسافة إلى مستوطنة الزبيرة	عدد الأسر في العينة	متوسط عدد الحيوانات النافقة لدى كل اسرة **	متوسط النسبة المئوية لما فقدته كل أسرة من مجموع ما تمتلكه من حيوانات **
وادي الحسكى وفروعه والسهل الواقع إلى الغرب من الزبيرة	١٨,٧	١٤	٢٤	١٨
مناطق الدكاك*	٣٨,٧	١٢	١٤	١١
وادي خثال والرميلان	٤٨	٥	١١	٨

* يشمل هذا الرقم أربع أسر تسكن الزبيرة ولكن يوجد لها مخيم يسكن به راع مستأجر

** وحدات حيوانية .

*** تشمل هذه المناطق التي تم مسحها وتمثل شامة الأكباد وشامة زرود وعرق المظهور ومناطق التقاء أودية التيسية مع الدهناء .

المصدر : تم إعداد هذا الجدول بناء على بيانات الاستبيان الذي قام به الباحث أثناء عمله الحقلي في منطقة الدراسة خلال صيف ١٩٩٥

نجد من ناحية أخرى أن تدهور الغطاء النباتي وما تلاه من انخفاض في الطاقة الرعوية تسبب في عدم قدرة الحيوانات التي تربيها الأسر البدوية في المنطقة على الحصول على كفايتها، من ناحية النوع والكم، من الغذاء الذي تحتاجه من المراعي الطبيعية . كما أن محدودية حركة هذه الحيوانات وعدم تحركها لمسافة كبيرة أدت إلى عدم تمكنها من استغلال بعض الأنواع من النباتات التي تظهر في بيئات مختلفة عن بيئة مكان المراح . يؤدي هذا إلى احتمالية عدم حصول هذه الحيوانات على بعض احتياجاتها من معادن وعناصر غذائية أخرى مهمة لصحتها العامة ومما يرجح هذا

الاحتمال هو عدم إمكانية توفر جميع العناصر الغذائية الضرورية لصحتها في أنواع النباتات المتوفرة في محيط سكن البدو شبه المستقرين حيث تربى هذه الحيوانات . وينعكس هذا النقص في ضعف مقاومتها للأمراض كما يؤثر هذا في وزنها سلبيًا . وإذا كان حدوث هذا النقص هو مجرد افتراض في مثل هذه الحالة إلا أن هذا النقص هو مؤكد في حالة اعتماد الحيوانات على الشرب من مياه جوفية عميقة «حفرية» . وتؤكد المشاهدات حدوث مثل هذا النقص في منطقة الساحل من غرب أفريقا . فالاعتماد في تلك المنطقة على المياه الجوفية العميقة لشرب الحيوانات أدى إلى حدوث نقص في إمدادها بمعدن الفوسفات الأمر الذي دفع هذه الحيوانات إلى أن تلوك عظام الحيوانات الميتة (Boudet, 1973, 32) للحصول على حاجتها من هذا العنصر . ويمكن اعتماداً على هذا أن نفسر نهش الأغنام في منطقة الدراسة لأجساد الأغنام الميتة ، وذلك حسب ماوراه الكثير من مربى الأغنام في المنطقة ، بأن هذه الأغنام تعاني من نقص في معدن الفوسفات . ويرجع الباحث أن هذا النقص حدث في منطقة الدراسة بسبب اعتماد هذه الحيوانات على المياه الجوفية العميقة للشرب وعدم قدرتها على تعويض النقص في هذه المادة بسبب عدم ابتعادها عن مناطق السكن إلى مناطق أخرى قد يتوفر بها هذا المعدن ، كما أن اعتماد هذه الحيوانات كمصدر رئيسي للعلف أدى إلى وجود نقص في بعض العناصر الغذائية في غذائها .

ثانيا : النتائج الإقتصادية

يقدم نمط حياة شبه الاستقرار جملة من المزايا الاقتصادية التي لم تكن تتوفر للأسر البدوية في منطقة الدراسة سابقا . ولعل من أهم هذه المزايا هو قدرة هذه الأسر على زيادة دخلها من نشاطها التقليدي الذي هو تربية الحيوانات . فقد كانت هذه الأسر مضطرة ، تحت وطأة نظام الرعي البدوي في شكله التقليدي وذلك كما تمت الإشارة إليه في بداية هذا البحث ، على وضع حد أعلى لأعداد الحيوانات التي تربيها . ولكن التحول إلى نمط حياة شبه الاستقرار أتاح لهذه الأسر الإكثار من أعداد الحيوانات التي تربيها الأمر الذي زاد في دخلها من هذا النشاط . ونتج عن هذا زيادة في القوة الشرائية لهذه الأسر مما أدى إلى إحداث تغير ملحوظ في أنماط استهلاكها وتنويع في عاداتها الغذائية .

ويتيح نمط حياة شبه الاستقرار للأسر البدوية في منطقة الدراسة فرصة قيمة للمشاركة في الاقتصاد القومي. ومما ييسر هذه المشاركة هو أن توقّف هذه الأسر عن الترحل مكّن الكثير من الذكور البالغين في هذه الأسر من الالتحاق بوظائف أو القيام بأعمال استثمارية في مجالات خارج النشاط التقليدي لهم. وقد تمت الإشارة سابقا (ص ٤٤ من هذا البحث) إلى أن اتباع هذا النمط ساهم في إمكانية ترك هؤلاء الذكور أسرهم للعمل في أنشطة أخرى.

ترتب على اتباع نمط حياة شبه الاستقرار ظهور بعض الصعوبات الاقتصادية والتي تتمثل في تبعات مالية تثقل كاهل الأسر البدوية في منطقة الدراسة. فما يتطلبه هذا النمط من اعتماد كبير على السيارات لنقل الماء والشعير ولأجل تنقل الأفراد لمسافات كبيرة يجعل من الضروري على كل أسرة في المنطقة أن تنفق مبالغ طائلة على شراء سيارات من أنواع وأحجام مختلفة. وقد أشير سابقا إلى حقيقة تملك كل أسرة في منطقة الدراسة لسيارتين على الأقل. ولاشك في أن مثل هذا الاستخدام للسيارات يتطلب مصاريف مالية عالية لشراء المحروقات وقطع الغيار. ونجد من ناحية أخرى أن محدودية حركة الحيوانات وتدهور حالة المراعي المحيطة بمناطق سكن هذه الأسر تؤدي إلى ضرورة الاستعانة بأعلاف مستوردة لسد حاجات حيواناتهم من الغذاء. وتشير نتائج الدراسة الحقلية إلى أن تكلفة الشعير الذي يقدم للحيوانات في مثل هذه الحالة تصل إلى نسبة تتراوح بين ٢٠٪ و٣٥٪ من سعر بيع هذه الحيوانات. وتشكل الرواتب التي تدفع لرعاة مستأجرين عند الكثير من الأسر عبئا ماليا آخر تسبب في وجوده عوامل مثل عدم توفر أيد عاملة كافية وزيادة أعداد الحيوانات وهي عوامل ترتبط بنمط حياة شبه الاستقرار في منطقة الدراسة.

أدت الأعباء المالية المشار اليها أعلاه إلى اضطرار الكثير من رؤوس الأسر إلى الاستدانة. ويستمر هؤلاء في المعاناة لفترة طويلة من تبعات الديون المترتبة عليهم. ويتم التخلص من هذه الديون عادة في خلال السنوات التي تسقط خلالها أمطار غزيرة تساهم في خفض تكاليف الإنتاج عن طريق التقليل من مشتريات الشعير.

لاحظ الباحث من خلال الإجابات التي قدمت على أسئلة الاستبيان في منطقة

الدراسة وجود ظاهرة اقتصادية تتمثل في قلة مبيعات الأسر البدوية في هذه المنطقة من السمن والزبد . وعند الاستفسار عن هذا الأمر أفاد رؤوس الأسر البدوية الذين تمت مقابلتهم لأجل تعبئة هذا الاستبيان بأن السبب يكمن في قلة إنتاجهم في الوقت الحالي من هاتين السلعتين . وعزى هؤلاء قلة الإنتاج هذه إلى أسباب مفادها «أن حياة شبه الاستقرار أدت إلى عدم تحمس النساء لإنتاجهما» .

ثالثا : النتائج الاجتماعية لنمط حياة شبه الاستقرار

أدى التحول إلى نمط حياة شبه الاستقرار إلى تحسن كبير في النواحي الاجتماعية للأسر التي قبلت بهذا النمط . فنتيجة للاستقرار والسكن بالقرب من موقع تقديم الخدمات الحكومية أصبح بإمكان هذه الأسر إرسال أبنائها إلى المدارس كما أصبح بإمكانها الاستفادة من خدمات الرعاية الصحية والخدمات الحكومية الأخرى . وأدى هذا التحول أيضا إلى فك العزلة السابقة للأسر البدوية . فقد تسبب السكن في مكان ثابت وتقارب مناطق السكن إلى إيجاد درجة أكبر من التواصل الاجتماعي بين هذه الأسر . ويمكن الاستشهاد بردود رؤوس الأسر البدوية في منطقة الدراسة وفي حائل بشكل عام على الأسئلة التي وجهت إليهم على أن الحياة الحالية للبدو هي أفضل مما كانت عليه سابقا . وقد أكد هؤلاء على إفادتهم بالإشارة إلى ماكانوا يتكبدونه سابقا من دوام الترحل وما تطلبه هذا من جهد . كما دللوا على صعوبة حياتهم السابقة بما كانوا يواجهونه من شظف في العيش ومن أخطار انحباس الأمطار . ويمكن تأكيد هذه الآراء بالإشارة إلى ما ذكر سابقا من أن حياة البدو لم تكن خالية من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية خلال فترة مكوثهم في قاعدتهم الصيفية .

ترافق مع التحسن في الأحوال الاجتماعية بعض المظاهر السلبية . وتكمن أحد هذه المظاهر في أن سهولة ترك الذكور البالغين مناطقهم للعمل في وظائف خارج نطاق عمل أسرهم أدى إلى إلقاء مهمة العناية بالحيوانات على كبار السن . ويشكل هذا الأمر في حد ذاته صعوبة يتم حلها جزئيا في منطقة الدراسة باستخدام رعاة مستأجرين ، غير سعوديين . وتكمن المشكلة الحقيقية هنا في أن وظيفة الرعي البدوي هي وظيفة متوارثة يتم فيها نقل المعرفة عن طريق الممارسة والمشاهدة وذلك بمشاركة الأبناء لآبائهم في هذه

الوظيفة . ولكن عدم مشاركة الأبناء في وظائف آبائهم يؤدي في هذه الحالة إلى الإقلال كثيرا من فرص نقل المعرفة المتكدسة الخاصة بوظيفة الرعي البدوي من الآباء إلى أبنائهم . ولاشك في أن استمرار مثل هذا الوضع سيؤدي مستقبلا إلى صعوبة بقاء نمط حياة شبه الاستقرار نفسه كوظيفة اقتصادية وذلك في ظل ضياع المعرفة الموروثة التي تتعلق بمهنة تربية الحيوانات .

الخاتمة

قام الباحث في هذه الدراسة بالتركيز على أربعة محاور وهي كالتالي : (١) الأساس البيئي لوظيفة الرعي البدوي . (٢) التغير في وظيفة الرعي البدوي وكيف حدث هذا التغير . (٣) الجوانب الاقتصادية والبيئية والاجتماعية المتعلقة بوظيفة الرعي البدوي في شكلها التقليدي وكيف تختلف هذه الجوانب حاليا تحت نمط حياة شبه الاستقرار (٤) . الآثار الاقتصادية والبيئية والاجتماعية التي ترتبت على ظهور نمط حياة شبه الاستقرار .

وبالرغم من أن كل محور من هذه المحاور يمثل موضوعا قائما في حد ذاته إلا أنها تترابط منطقيا فيما بينها . ويقدم موضوع الاستغلال البشري للبيئة الطبيعية في منطقة جافة الأساس الجغرافي الذي اعتمدته هذه الدراسة ليشكل حلقة الربط بين هذه المحاور الأربعة . وقد وظف الباحث موضوع التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت في الدول التي تعيش بين ظهرانيها جماعات بدوية لأجل تقديم تفسير للتغيرات الحديثة في طبيعة هذا الاستغلال البشري . إذ تكشف هذه الدراسة أن التغير الذي حدث في وظيفة الرعي البدوي جاء كرد فعل على هذه التحولات التي حدثت على المستوى القومي لهذه الدول .

أما فيما يخص البعد المكاني لهذه الدراسة فقد تمت معالجة هذا البعد بمناقشة ما أدى إليه التأثير الذي جاءت به التحولات المشار إليها أعلاه من تغير في أساليب استخدام الموارد وحركة الترحل لدى الجماعات البدوية . وتم التأكيد هنا على أن هذا التأثير قد أدى إلى حدوث تقلص في المجال المكاني لاستخدام الموارد الطبيعية عما كان يتبع سابقا

تحت نمط الرعي البدوي بشكله التقليدي . وتطلب هذا التأكيد ضرورة وضع وصف لكل من النمط التقليدي والنمط الحديث لاستخدام الموارد والترحل وضح فيه الباحث العلاقات المكانية التي تحكم استخدام هذه الموارد في كل من هذين النمطين . وقد تمت معالجة موضوع علاقة الإنسان بالبيئة والبعد المكاني لهذه العلاقة بالتطبيق على حالة المملكة العربية السعودية بشكل عام وعلى منطقة التيسية بشكل خاص .

ولأجل توضيح الإطار الجغرافي للدراسة ، والذي تمت الإشارة إليه أعلاه ، فقد صدّر الباحث دراسته بالتأكيد على حقيقة أن وظيفة الرعي البدوي تشكل نظامًا اقتصاديًا واجتماعيًا يتلائم مع ظروف الإمكانيات الإنتاجية المحدودة للبيئات الجافة من العالم . وقد ارتكز هذا النظام على أسس علمية متوارثة تنظم عملية استغلال الموارد الرعوية . وتتضمن هذه الأسس قواعد خاصة بتنظيم حركة الترحل اليومية والفصلية . ويكمن الغرض من هذه القواعد في ضمانها لعدم استنزاف الموارد الرعوية والمحافظة عليها لاستخدامات مستقبلية . ولتحقيق نفس غرض المحافظة على البيئة فقد اشتملت هذه الأسس أيضا على بعض القيود مثل وجود حد أعلى لعدد الحيوانات التي يمكن امتلاكها ووجود حدود للأرض التي يمكن استغلالها . وقد ارتكزت وظيفة الرعي البدوي في هذا الصدد على إرث ضخم من المعرفة البيئية ومن المعرفة بالحيوانات التي تربى . واعتمادا على هذه الأسس التي ميزت وظيفة الرعي البدوى بشكلها التقليدي تمكنت جماعات البدو الرعاة من استغلال بيئتهم بكفاءة وبأقل قدر ممكن من التأثيرات السلبية على البيئة . كما نجح النظام التقليدي الذي قامت عليه وظيفة الرعي البدوي في تأمين الحاجات المعاشية من مأكل ومشرب وكساء وسكن لجماعات البدو الرعاة ونجح هذا النظام في نفس الوقت في تأمين فائض استغله البدو للخصول على منتجات وخدمات أخرى عن طريق مبادلته مع الجماعات المستقرة . وقد استهدف الباحث من هذا التقديم التأكيد على حقيقة التوازن القائم بين الاستخدام البشري وبين البيئة الطبيعية تحت نظام الرعي البدوي بشكله التقليدي .

أكد الباحث في دراسته على أنه بالرغم من هذا النجاح إلا أن وظيفة الرعي البدوي لم تتمكن من الإبقاء على شملها التقليدي أمام التحولات الاقتصادية

والاجتماعية التي طرأت منذ بداية القرن العشرين على الدول التي تقطنها جماعات بدوية. فقد تسببت هذه التحولات بطريقة مباشرة وغير مباشرة على إحداث تغيرات في مختلف الجوانب المتعلقة بهذه الوظيفة الأمر الذي أدى إلى اختلافها جذريا عن الشكل التقليدي لها. وتعود الدوافع الأساسية لهذا التغير إلى حقيقة رغبة الجماعات البدوية إلى تكييف اقتصادها ونمط حياتها مع متطلبات الظروف الاقتصادية والاجتماعية الجديدة التي طرأت على الدول التي تعيش فيها هذه الجماعات. ويتضح مثل هذا الوضع في حالة المملكة العربية السعودية التي حدث فيها التغير المشار إليه أعلاه كنتيجة لظهور دولة مركزية حديثة تمكنت عن طريق تشريعاتها ودورها الإقتصادي من التأثير على حياة البدو الذين يقيمون على أرضها. كما حدث هذا التغير كنتيجة لتدفق دخل وفير من صادرات البترول وما تسبب فيه هذا الدخل من توسع في الإنفاق الحكومي وفي فرص التوظيف والاستثمار. وقد أدى هذا التغير إلى تحول الجماعات البدوية إلى نمط حياة شبه الإستقرار. وقد حدث هذا التحول، بأشكال مختلفة بين كل الجماعات البدوية في البلاد. وتقدم منطقة التيسية مثالا جيدا على هذا التحول الذي تم حدوثه في منطقة منعزلة.

أكدت نتائج الدراسة على أن التغير في وظيفة الرعي البدوي في المملكة العربية السعودية بشكل عام وفي منطقة الدراسة بشكل خاص حدث على ثلاث مراحل. وتتطابق كل مرحلة من هذه المراحل مع مرحلة من مراحل التغيرات الإقتصادية والاجتماعية التي حدثت على المستوى الوطني من تاريخ هذه البلاد. ويوضح هذا التطابق مدى الاندماج الاقتصادي للأقاليم النائية مع الاقتصاد الوطني. كما أن هذا التغير نفسه الذي حدث في منطقة الدراسة يوضح بشكل جلي قوة التأثيرات الاقتصادية في البلاد وإمكانية وصولها حتى المناطق الريفية المنعزلة منها. وبالرغم من تأكيد الباحث على قوة التأثيرات الخارجية إلا أنه تم التأكيد في نفس الوقت على الدور الإيجابي للجماعات البدوية والذي تمثل في رغبتها في إحداث تغيرات في أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية. وقد وضح الباحث أبعاد هذا الدور بالإشارة إلى رغبة هذه الجماعات كما تمثلها الأسر البدوية في منطقة الدراسة، في التأقلم مع الظروف الاقتصادية الجديدة بالاستفادة من الزيادة في أسعار اللحوم الحية والاستفادة من

الخدمات الحكومية .

تدل نتائج هذه الدراسة على أن وظيفة الرعي البدوي بشكلها التقليدي قد تقلصت، إن لم تكن قد اختفت . وظهر نمط حياة شبه الاستقرار كبديل لها ليس في منطقة الدراسة فحسب ولكن في المملكة العربية السعودية بشكل عام وفي الكثير من الأقطار التي تعيش فيها جماعات بدوية . وبالرغم من المزايا الاقتصادية والاجتماعية التي يوفرها هذا البديل إلا أنه جاء ببعض المشاكل البيئية والاقتصادية والاجتماعية . ويبدو أن الأسر البدوية التي تقبلت نمط حياة شبه الاستقرار لم تتمكن بعد من أن تتكيف مع البعد الاقتصادي وظروف العمل التي جاءت مع هذا النمط الجديد . ويدل على هذا الوضع وجود تكلفة عالية للإنتاج وإرتفاع نسبة النفوق بين الحيوانات . كما أنه لابد من أن يشار هنا إلى أن عدم توفر وسيلة بديلة لنقل المعرفة المتعلقة بمهنة تربية الحيوانات إلى الجيل التالي وظهور مشكلة التدهور البيئي يشكلا خطراً حقيقيًا يهدد مستقبل هذا النمط .

ويؤكد الباحث على أنه بالرغم من السلبيات التي تلازم نمط حياة شبه الاستقرار إلا أنه يشكل في الوقت الحالي البديل الاقتصادي المناسب لوظيفة الرعي البدوي . ويمكن تحسين الكفاءة الاقتصادية لهذا البديل بالعمل على تقليل تكاليف الإنتاج . ويمكن الوصول إلى هذا الهدف عن طريق الإقلال من مشتريات الشعير بالعمل على رفع الكفاءة الإنتاجية للمراعي الطبيعية . كما أن تقليل نسبة النفوق بين الحيوانات بتحسين الخدمات البيطرية وتثقيف الأسر البدوية بوسائل العناية الحديثة بالحيوانات سيساهم كثيراً في تحسين الكفاءة الإنتاجية .

ولاشك في أن هنالك أسبابًا بيئية واقتصادية عديدة تبرر ضرورة المحافظة على نمط حياة شبه الاستقرار كنظام بديل لوظيفة الرعي البدوي . فنشاط تربية الحيوانات الذي يشكل الأساس الاقتصادي لهذا النمط من الحياة يقوم على استغلال موارد بيئية هامشية لا يمكن استغلالها بأي وسيلة أخرى . وقد شكل اختفاء وظيفة الرعي البدوي في حد ذاته خسارة تتمثل في عدم استغلال هذه الثروة الاقتصادية القومية . ولكن ظهور نمط حياة شبه الاستقرار يشكل بديلا يعوض بعضاً من هذه الخسارة .

الهوامش

(١) إن الهدف الأساسي من برنامج الدعم البيئي للبادية هو القيام بمسح موارد الثروة الرعوية ووضع خطة مناسبة لصيانة هذه الموارد وتحسين وسائل استغلالها . ويهدف هذا البرنامج أيضًا إلى تقديم المعلومات المناسبة عن أحوال المراعي للجماعات البدوية التي تستخدمها .

(٢) وهو المشار إليه برقم (٩) في ثبت المراجع .

(٣) وهو المشار إليه برقم (١١) في ثبت المراجع .

(٤) من مقابلة مع أحد أبناء المنطقة وهو عبيد بن عيد بن ربيق الوهبي .

(٥) لا يمكن لأي نظام مثل هذا من أن يعمل في حالة وجود حالة من انفلات الأمن والحروب القبلية . فالقطعان البعيدة عن القاعدة الصيفية تكون معرّضة في هذه الحالة للسلب من أي مجموعة معادية . ونجد أنه حتى القاعدة الصيفية نفسها كانت غير آمنة من احتمالية مهاجمتها من قبل أي فئة معادية . انظر : (H. R. P. Dickson, 1949, P. 50) .

(٦) تؤكد إشارة موسيل (Musil, 1930, 238) على المشاق التي كان يتحملها البدو في العناية بالجمال من حيث الجهد والوقت اللازمين لسقياهم . فقد شاهد في أحد رحلاته أن البدو المرافقين له بذلوا أربعة ساعات من العمل المضني لأجل سقاية ستة عشر جملا فقط . ويؤكد كول (Cole, 1975, 38) على أن القطيع العادي من الجمال يحتاج إلى راعيين متفرغين وآخر نصف متفرغ وذلك على أقل تقدير . ولذلك فإن القطعان الصغيرة كانت مفضلة .

(٧) يذكر أحد الباحثين في تقرير أن جملا واحدا في منطقة تاجنت "Tagant" في موريتانيا كان سعره يعادل سعر عشرين بقرة حلوب في عام ١٩١٠ . وقد انخفض هذا السعر حتى أصبحت قيمة الجمل الواحد تساوي قيمة بقرة حلوب واحدة عام كتابة التقرير ، أي عام ١٩٦١م انظر : .Theodore Monod and Charles Toupet, 1961, 249

(٨) تصرف هذه عن طريق مكتب شؤون البادية التابع للديوان الملكي (وزارة

التخطيط، ١٣٩٥، ص ٦١٢) .

(٩) بدأ العمل بهذه الإعانات في عام ١٣٩٤هـ. وكانت تصرف على أساس عشرة ريالات لكل رأس من الأغنام وخمسين ريالا لكل رأس من الإبل (وزارة التخطيط ١٣٩٥، ص ١٨٦) .

(١٠) يبلغ عدد سكان المنطقة الشمالية ، والتي تتكون من مناطق حائل وتبوك والحدود الشمالية والجوف ، ١,٣٩٢,٥٩٢ نسمة وذلك حسب بيانات النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن بالمملكة لعام ١٤١٣هـ. ويبلغ سكان منطقة حائل الإدارية لوحدها ٤١١,٤١٤ نسمة وذلك طبقًا لنفس التعداد (وزارة المالية والإقتصاد الوطني، مصلحة الإحصاءات العامة، بدون تاريخ ، ص ٤) .

(١١) تم الحصول على هذه النسبة المئوية بالتعرف على بيانات التعداد التي ذكرت أن عدد المساكن التي تتكون من خيمة أو بيت شعر في منطقة حائل بلغت ٨٣٠٢ مسكنًا من مجموع ٦٦١٦٨ مسكنًا حصرها التعداد (وزارة التخطيط، مصلحة الإحصاءات العامة، بدون تاريخ، ص ٢٠٢) .

(١٢) تم حساب هذه النسبة بناء على بيانات النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن بالمملكة لعام ١٤١٣هـ (وزارة المالية والاقتصاد الوطني، مصلحة الإحصاءات العامة ، بدون تاريخ ، ص ٦) .

(١٣) ذكر لي هذا الأمر أكثر سن فرد من أبناء المنطقة .

(١٤) تتطلب أهداف هذا البحث تقديم وصف مختصر للجغرافيا الطبيعية لمنطقة الدراسة . ويمكن للقارئ الذي يرغب في التعرف على تفاصيل أكثر عن هذه المنطقة الرجوع إلى بحث آخر لي عن نفس المنطقة وهو المشار إليه برقم (١١) في قائمة المراجع الخاصة بهذا البحث .

(١٥) تم الحصول على البيانات المتعلقة بالحياة التقليدية في منطقة الدراسة وتاريخها من الأفراد الذين تمت مقابلتهم لأجل تعبئة الاستبيانات الخاصة بالبحث وكذلك من أفراد آخرين من نفس المنطقة . وأود أن أوجه الانتباه إلى أن سبب اعتمادي

على هؤلاء الأفراد كمصدر شفوي لتاريخ المنطقة هو عدم توفر معلومات مكتوبة عن تاريخ المنطقة وحياتها التقليدية .

(١٦) من المحتمل أن هذه الوفيات حدثت كنتيجة لتعرض البدو المهاجرين لأمراض جديدة لم تتوفر لديهم مناعة ضدها مثل الملاريا والتي ترتبط ببيئات تكثر بها المياه .

(١٧) من مقابلة مع أحد أبناء المنطقة وهو عبيد بن عيد بن ربيق الوهبي .

(١٨) ذكر لي أكثر من شخص واحد في منطقة الدراسة أن الشخص الذي أدخل سيارة لأول مرة في المنطقة هو ابن المنطقة جريد بن خشمان .

(١٩) تستطيع الجمال أن تبقى بدون ماء في فصل الأمطار وذلك تحت الظروف الاضطرارية لفترة تصل حتى ثلاثين يوما . ولا نجد مثل هذه المقدرة عند الأغنام والتي تحتاج للشرب على فترات متقاربة يفصل بين كل منها يومين إلى أربعة أيام خلال أيام هذا الفصل . أما بالنسبة لفصل الصيف فإن الجمال تحتاج خلاله لشرب الماء مرة كل ثلاثة أيام وقد تطول هذه الفترة لتصل إلى مرة كل خمسة إلى سبعة أيام في حالة توفر نباتات غضة . وتحتاج الأغنام لشرب المياه مرة كل يوم خلال هذا الفصل . وقد يلجأ بعض البدو عند الضرورة بالإكتفاء بتقديم الماء للأغنام مرة كل يوم ونصف وذلك عند اتباعهم مايسمى نظام «غب وعريجه» .

(٢٠) تم استخدام أعداد الجمال كمعيار لقياس درجة البداوة وذلك بسبب أن متطلبات هذا النوع من الحيوانات قد تفرض على الأسر التي تمتلكها نظاما لاستخدام الموارد الرعوية يتطلب منها درجة أكبر من حياة الترحل . تابع أيضا النقاش في الصفحة رقم ٣٧ من هذا البحث . ويفيد في هذا الصدد أيضا التعرف على احتياجات الماء لدى كل من الأغنام والجمال وذلك بالرجوع إلى الهامش رقم (١٩) من هذه الصفحة .

ملـحق

استبيان عن الأحوال العامة للبادية في منطقة التيسية

د. محمد عبدالكريم حبيب
قسم الجغرافيا - كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبدالعزيز

تاريخ المقابلة :

ملاحظات عامة :

المنطقة :

الصفات الطبيعية لموقع المخيم :

موقع المقيم :

المسافة إلى أقرب مستوطنة :

القبيلة والفخذ :

عدد الخيام :

المنشآت المبنية التابعة للمخيم واستخداماتها :

عدد الأغنام والجمال التي أمكن حصرها حول المخيم :

عدد السيارات الموجودة حول المخيم وأنواعها :

ملاحظات أخرى :

١ - الحياة النباتية في المنطقة المحيطة بالمخيم :

٢ - ملاحظات أخرى عن منطقة المخيم :

مقابلة مع رأس أسرة بدوية واحدة :

(١) الاسم :

(٢) السن :

(٣) مستوى التعليم :

(٤) هل لك عمل آخر ؟

(٥) ما هي المنطقة التي كنت تأخذ إليها الحيوانات قديما ؟
(٦) أين كنت تقضي فصل القيظ قديما ؟
(٧) ما هي أسباب الانتقال من الموقع السابق للمراح ؟
(٨) منذ متى وأنت مقيم في هذا الموقع ؟
(٩) ما هي أسباب الانتقال من الموقع السابق ؟
(١٠) ما هي المسافة التي تأخذ إليها الحيوانات يوميا بعيدا عن المراح ؟
(١١) ما هي كمية الشعير التي تقدمها يوميا للحيوانات ؟
(١٢) من أين تحصل على مياه الشرب للحيوانات ؟
(١٣) ما هي المسافة من موقع السكن إلى الموقع الذي تأخذ منه الماء ؟
(١٤) كم عدد رؤوس الحيوانات التي كان يمتلكها الوالد (أو التي كنت تمتلكها قبل حوالي خمسين سنة) ؟
من الجمال :
من الضأن :
من الماعز :
(١٥) ما هو العدد الحالي للحيوانات التي تمتلكها ؟
من الجمال :
من الضأن (نجدي ونعيمي) :
من الماعز :
(١٦) ما هي عدد الرؤوس التي تم بيعها في العام الماضي ؟
(١٧) ما هي كمية وسعر السمن والزبدة والإقط التي بعتها في العام الماضي ؟
(١٨) ما هي عدد الرؤوس التي فقدتها في العام الماضي بسبب أمراض الحيوانات ؟
(١٩) ما هو مجموع ما تم صرفه لشراء أدوية لعلاج الحيوانات ؟
(٢٠) ما هو عدد وأنواع السيارات التي تمتلكها ؟
(٢١) هل يذهب أي من أبنائك الذين هم في سن المدارس إلى المدارس الحكومية؟
(٢٢) هل تذهب لمراجعة الطبيب في المستوصف الحكومي ؟

(٢٣) هل تستعين بخدمات الطبيب البيطري التابع لوزارة الزراعة الموجود في بلدة قبا أو في مدينة أخرى ؟

(٢٤) هل يعمل أي من أبنائك في عمل حكومي أو في أعمال حرة ؟

(٢٥) هل يساعدك أبنائك في العمل ؟

(٢٦) هل لديك راع (أجنبي) مستأجر ؟

الجنسية والعدد :

(٢٧) هل تتذكر أعداد الحيوانات التي فقدتها في أوقات الجدب المعروفة (الوقوت) ؟

سنة الكسوف :

سنة عشيرة :

سنة حصاة قحطان :

سنة إشماله :

(٢٨) هل تعتقد أن المرعى ضعف الآن (قل النبات به) عن السابق ؟

(٢٩) هل يمكنك تحديد الأنواع النباتية التي تعتقد أنها اختفت في الوقت الحالي ؟

(٣٠) ما هي الأنواع النباتية التي أصبحت قليلة في الوقت الحالي ؟

(٣١) هل حياتك كبدوي هي أفضل أم أسوأ في الوقت الحالي عما كانت عليه قبل حوالي خمسين سنة ؟

(٣٢) حدد المشاكل التي تواجهها في عملك ؟

(٣٣) هل لديك شيء تضيفه ؟

المـراجــع

أولا : المراجع العربية

ألريد ، (١٩٦٥م) *المراعي وإدارتها في المملكة العربية السعودية*، ترجمة حسن حمزة حجرة وهاشم عبدالمطلب مختار . إدارة استثمار الأراضي ، وزارة الزراعة والمياه .

وزارة التخطيط (١٣٩٥هـ) . الخطة الخمسية الثانية . ١٣٩٥ - ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٥ - ١٩٨٠ .

وزارة التخطيط ، (د. ت) . النتائج التفصيلية للتعداد العام للسكان والمساكن لعام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

وزارة الشئون البلدية والقروية (١٤٠٤هـ) . التقرير الفني رقم ٢ - المجلد الأول . الأوضاع الراهنة في منطقة حائل .

وزارة المالية والاقتصاد الوطني ، مصلحة الإحصاءات العامة . (بدون تاريخ) . النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن لعام ١٤١٣هـ .

ثانيـًا : المـراجــع الأجنبيــة

Abdallah, Suliman, Al-Owainan, Ahmed S. and **Hajooj, Abdullah** (1990) *Economics of Nomadic Production in Northern Saudi Arabia.* Al-Jouf: Range and Animal Research Centre.

Behnke, Jr. Roy H. (1980) *The Herders of Cyrenaica: Ecology, Ecology and Kinship among the Bedouin of Eastern Libya.* Illinois Studies in Anthropology, No. 12, Urbana: University of Illinois Press.

Boudet, G. (1975) Pasture and Livestock in the Sahel. In pp. 29-34. *The Sahel: Ecological Approaches to Land Use.* MAB Technical Notes. No. Paris: UNESCO.

Chatty, Dawn (1981) The Bedouin of Central Oman: Adaptation or Fossilisation. In **Philip Carl Salzman** (ed). pp. 13-32. *Contemporary Nomadic and Pastoral People: Asia and the North.* Department of Anthropology, College of William and Mary. Publication No. **18.**

Cheney, Michael (1958) *Big Oil Man of Arabia.* N.Y.: Ballantine Books.

Cole, Donald Powell (1975) *Nomads of the Nomads.* Chicago: Aldine.

Cordes. Rainer and **Scholz, Fred** (1980) *Bedouins, Wealth, and Change.* Tokyo: The United Nations University.

Dickson, H.R.P. (1949) *The Arab of the Desert.* London: Allen and Unwin.

Economides, S. (1987) *Establishment and Future Role of the Range and Animal Development Centre.* Al-Jouf: Range and Animal Research Centre.

Finan, Tim. Al-Haratany, Eisa, al-Eisa, Abdulaziz, Amin, Khalid, Miriki, Siraj and **Habib, Mohamed** (1995) *Impacts of Modernization on Saudi Arabian Bedouin Groups: An Anthropological Study.* A Report Submitted to the Hefzi Establishment for Trading. Environmental Support of Nomads (ESON) Project.

Gefu, Jerome O. and **Gilles, Jere L.** (1990) Pasturalists, Ranchers and the State in Nigeria and North America: A Comparative Analysis. *Nomadic Peoples.* Number **25-27**, pp. 34-50.

Habib, Mohammad Abdul-Kareim (1995) *A Survey of the Economic Resources and the Socio-Economic Conditions of the Nomadic Population in Al-Taysiyah Area: Hail Governorate.* A Report Submitted to the Environmental Protection General Directorate, Meteorology and Environmental Administration, Jeddah, Saudi Arabia.

Heady, Harold F. (1972) Ecological Consequences of Bedouin Settlement in Saudi Arabia. In **M. Taghi Farvar** and **John P. Milton,** (eds), pp. 683-930. *The Careless Technology: Ecology and International Development.* Garden City, N.Y.: The Natural History Press.

Johnson, Douglas L. (1993) Nomadism and Desertification in Africa and the Middle East. *JeoJournal.* **31**(1): 51-66.

——— (1969) *The Nature of Nomadism.* The University of Chicago, Department of Geography. Research Paper No. **118.** Chicago: The University of Chicago Press.

Khogali, Mustafa Mohammed (1981) Sedentarization of the Nomads: Sudan. In **John G. Galaty, Dan Aronson, Philip Carl Salzman** and **Amy Couinards,** (eds), pp. 302-317. *The Future of Pastoral Peoples.* Ottawa: International Development Research Centre.

Monod, Theodore and **Toupet, Charles** (1961) Land Use in the Sahara-Sahel Region. In **Dudley Stamp,** (ed), **E.** (1977) Tribes and Politics in Eastern Arabia. *The Middle East Journal.* **31**(3): 297-312.

Salzman, Philip Carl (1981) (ed). *Contemporary Nomadic and Pastoral People: Asia and the North.* Department of Anthropology, College of William and Mary. Publication No. **18.**

Spooner, Brian (1973) *The Cultural Ecology of Pastoral Nomads.* An Addison-Wesley module in anthropology. No. **45.**

Sweet, Louise E. (1969) Camel Pastoralism in North Arabia and the Animal Camping Unit. In **Andrew P. Vayda** (ed). pp. 157-80. *Environment and Cultural Behavior.* Garden City, N.Y.: The Natural History Press. Originally appeared in: **A. Leeds** and **A.P. Vayda,** (1962) (eds). pp. 129-52.

Man, Culture and Animals. The American Association for the Advancement of Science. Publication No. **78.**

UNESCO (1977) *Development of Arid and Semi-Arid Lands: Obstacles and Prospects.* MAB Technical Notes. No. **6.**

The Rise of Semi-Sedentary Mode of Life in Al-Taysiyah Area, Hail Governorate: A Study in Economic Geography of Changes in Natural Resources Use and System of Seasonal Movement in Pastoral Nomadism

MOHAMMAD ABDUL-KAREIM HABIB
Department of Geography, King Abdulaziz University

ABSTRACT. Pastoral nomadism has universally experienced radical changes since the start of this century. These changes occurred as a result of certain economic and social transformations within the countries inhabited by groups of pastoral nomads. This transformation took place in the case of Saudi Arabia as a result of the rise of a modern state and the discovery of oil. Both of these factors have directly and indirectly affected the economic and social life of the pastoral nomads, the Bedouins, in the country in general. And this effect was accentuated by the drought which afflicted the pastoral economy of the country in the early years of the 1950's. These factors led many Bedouins either to sedentarize or to take jobs in non-pastoral nomadic activities. This second alternative has necessitated a series of changes which finally led many Bedouins to revert to a semi-sedentary mode of life.

The author endeavored in this paper to analyze the causes and processes as well as the ramifications of the change to a semi-sedentary mode of life. This analysis has been done on the national level of Saudi Arabia in general and then on the local scale of al-Taysiyah area in Hail Governorate, in particular. The human and environmental basis for pastoral nomadism has been discussed in detail as a framework for this analysis. This discussion has also been employed by the author to provide an understanding of the factors which contributed to the success of pastoral nomadism in the past and the success potentials of semi-sedentary mode of life at the present time. The author has provided at the end of this paper an investigation of the economic, environmental and social impact of semi-sedentary mode of life in the study area.

دراسات إسلامية

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م١٠ ، ص ص ٢٦١-٣١٥ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)

بشارات من النبي (صلى الله عليه وسلم) رؤية تاريخية للمستقبل (١١هـ - ٣٥هـ)

فوزي محمد ساعاتي

أستاذ مشارك - قسم التاريخ - كلية الشريعة

جامعة أم القرى - مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

المستخلص : الحمد لله والصلاة والسلام على من لانبي بعده ؛ فهذا مستخلص لبحث "بشارات من النبي (صلى الله عليه وسلم) رؤية تاريخية للمستقبل" (١١هـ-٣٥هـ) . وقد اشتمل البحث على مقدمة ثم البشارات، وقد ذكرت في المقدمة أهمية علم التاريخ، وألقيت الضوء على بداياته عند المسلمين، وعلى القرآن الكريم وماحواه من قصص ذات طابع تاريخي تحمل البشارات للمسلمين في المستقبل ، وأخيراً عن بشارات المصطفى (صلوات ربي وسلامه عليه) بأحداث تقع لبعض الصحابة وتحققها في عصر ثلاثة من الخلفاء الراشدين .

وأما البشارات فتحدثت فيها عن :

أولاً : "بشارات النبي صلى الله عليه وسلم وتحققها في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه" .

ثانيًا : "بشارات النبي صلى الله عليه وسلم وتحققها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه" .

ثالثًا : "بشارات النبي (صلى الله عليه وسلم) التي تحققت في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)" .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله الطيبين وصحابته الغر الميامين ومن سار على نهجه ولزم سنته إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن التاريخ هو السجل الحافل بتجارب وأخبار الأمم الماضية ، ولولاه لما اتصل أحد من الخلف بشيء من أخبار السلف .

وكان عرب الحجاز في جاهليتهم لايعرفون من التاريخ إلا ماتوارثوه . وهو مساير لطبيعة حياتهم ومافيها من مفاخر الآباء والأجداد من شجاعة وكرم ونسب ، كما عرفوا أخبار الكعبة وسدنتها وزمزم وغير ذلك مما يصور حياتهم الدينية والاجتماعية والسياسية .

وجاء الإسلام بمبعث خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ إلى البشرية كافة فنشأ معه التاريخ الإسلامي ، فالقرآن حوى كثيراً من تاريخ الرسل مع أقوامهم والشعوب مع حكامهم ، وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم في الأرض، وقوم ضلوا ، فساءت حالهم ، ووقع عليهم العذاب ، كما اشتمل على أحداث مستقبلية- بشارات وأخبار غيبية مهمة - أخبر عنها القرآن الكريم قبل حدوثها ، وكانت تحدث في المستقبل كما أخبر عنها القرآن .

وخير مثال على ذلك اختبار الله لرسوله وللمؤمنين بأن الروم سينتصرون على الفرس في قوله تعالى : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ سورة الروم الآية١ - ٤ فغلبت الروم فارس في السنة السابعة من الهجرة، وفرح المسلمون .

كما يوجد في القرآن بشارات وأخبار مستقبلية ذكرها الله تعالى ليطمئن المؤمنين كما في قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ - سورة الصف الآية ٩ - . ووعد الله المؤمنين بالنصر والتمكين في الأرض في قوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ - سورة النور آية ٥٥ - .

وهذه الآيات من روايات التاريخ التي حدثت في المستقبل وهي أخبار عن غيب لايعلمه إلا الله .

كما أخبر النبي ﷺ عن أحداث وبشارات مستقبلية ليثبت بها إيمان بعض الأقوام وليفرح المؤمنون بقرب النصر ، من ذلك مثلاً ماحدث عندما كان المسلمون يحفرون الخندق في السنة الخامسة للهجرة ، فاعترضتهم صخرة (كُدْيَةٌ) استعصى عليهم كسرها ، فتصدى لها الرسول ﷺ ، وكلما ضربها ضربة كان يسطع من تحتها نور ، فبشر الرسول ﷺ أصحابه بأنه أُضيئت له قصور الشام ، وقصور فارس ، وقصور اليمن . إشارة إلى فتح المسلمين لهذه البلاد ، وقد وقعت وتحققت هذه البشارة في أقل من عقد بعد وفاة الرسول ﷺ .

وغير هذه من البشارات كثير وهي وحي من الله له - وليس رجما بالغيب - بل تحقق هذه البشارات من أظهر الدلائل على صدق نبوته ومن أعظم معجزاته .

إن التاريخ لعهد النبوة اعتنى به كثير من المؤرخين والعلماء ، فألفوا في السير والمغازي وتركوا لنا تراثًا كبيراً من الأخبار المتعلقة بسيرة المصطفى (صلوات الله وسلامه عليه) وسيرة صحابته الكرام .

ولأهمية السيرة النبوية عند المسلمين ، أفردنا هذا البحث لبعض الأخبار المستقبلية التي خص بها الرسول ﷺ أمته أو أحدا من صحابته رضوان الله عليهم أجمعين .

جمعناها من كتب الحديث المشهورة وعن ثقات المؤرخين ، وبقي الخبر (البشارة) من رسول الله ﷺ وعدًا حقًا قد أبصره المؤمنون عيانًا في مستقبل حياتهم ، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى من لدن حكيم خبير علام الغيوب ، نذكر بعضًا منها إلى نهاية عصر ثلاثة من الخلفاء الراشدين ، والله أسأل أن يرزقه قبول الناس وانتفاعهم به ، إنه سميع مجيب .

أولاً :بشارات النبي ﷺ وتحققها في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

البشارة الأولى :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "(. . . فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق فقيل هؤلاء أُمتكَ وَمَعَ هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب . . .) (هم الذين لايتطيرون ولايكتوون ولايسترقون وعلى ربهم يتوكلون) ، فقام عكاشة بن مُحْصن[١] ، فقال : أَمِنْهُمْ أنا يارسول الله ؟ قال : (نَعَمْ) فقام آخر فقال : أمِنْهُم أنا؟ فقال : (سَبَقكَ بها عُكاشة)" . هذا طرف من الحديث أُخرج في الصحيحين[٢] من حديث عبد الله بن عباس ، وأبي هريرة (رضي الله عنهما).

ووقع عند ابن هشام[٣] من طريق ابن إسحاق بنحو ما في الصحيحين .

وكما أخرجه أيضًا الترمذي[٤] من حديث عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) ، والدارمي[٥] من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) ، وابن حنبل[٦] من حديث عبد الله بن عباس ، وأبي هريرة(رضي الله عنهما)، والطبراني[٧] من حديث نافع مولي حمنة بنت شجاع عن أم قيس بنت محصن الأسدية - أخت عكاشة - ، والحاكم[٨] من حديث أبي هريرة ، ونافع مولى حمنة بنت شجاع عن أم قيس بنت محصن الأسدية، والأصفهاني[٩] من حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) .

تحقق البشارة

هذا الحديث النبوي وما فيه من تخصيص لعكاشة (رضي الله عنه) عن غيره. قد أبصره المؤمنون حقًا في سنة ١١هـ عندما تقدم هو (عكاشة) وثابت بن أقرم[١٠] في طليعة للجيش المتوجه لقتال المرتد طليحة بن خويلد الأسدي ، فالتقى عكاشة مع طليحة، وثابت مع سَلَمَةَ بن خويلد الأسدي ، فلم يلبث سلمة أن قتل ثابت. ثم انضم إلى طليحة ليشتركا معًا في قتال عكاشة ، فقتلاه[١١] .

البشارة الثانية

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - بعد عودته من غزوة تبوك [١٢] - : (هذه الحيرة [١٣] البيضاء قد رفعت لي . وهذه الشيماء [١٤] - بنت عمرو- بن بقيلة [١٥] الأزدية على بغلة شهباء معتجرة [١٦] بخمار أسود - قلت - (أيْ خريم) [١٧] يارسول الله إن دخلنا الحيرة ووجدتها على هذه الصفة فهي لي - قال هي لك . . .) أخرجه البخاري [١٨] .

وأخرج ابن زنجويه [١٩] أن خريم بن أوس (رضي الله عنه) أهدى إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) هدية ، وطلب منه أن يهبه ابنة حيان بن بقيلة فقال يارسول الله "إن فتح الله عليك الحيرة فأعطني بنت حيان ابن بقيلة فقال : (هي لك) . . . " .

كما رواه كل من البلاذري [٢٠] ، والماوردي [٢١] من طريق الشعبي عن خريم بن أوس رضي الله عنه قوله للرسول صلى الله عليه وسلم : "إن فتح الله عليك الحيرة فأعطني ابنة بُقَيْلَة » .

وذكر الطبري [٢٢] أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أخبر بأن الحيرة سوف تفتح فسأله شويل - خريم كما رجحنا - أن يعطيه ابنة بقيلة - فوعده بها إذا تم الفتح عنوة وفي ذلك قوله لخالد(رضي الله عنه): "إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يذكر فتح الحيرة ، فسألته كرامة - الشيماء - فقال : (هي لك إذا فتحت عنوة)" .

وأخرجه الطبراني [٢٣] بألفاظ مختلفة وبدون ذكر اسم الصحابي عن قيس بن أبي حازم عن عدي قال : "قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (تمثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب وأنكم ستفتحونها) فقام رجل فقال يارسول الله هب لي بنت بقيلة فقال(هي لك) . . . " .

ذكره بنصه الأصفهاني في حلية الأولياء [٢٤] .

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى [٢٥] بألفاظ مختلفة من طريق عدى بن حاتم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : مثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب وأنكم

ستفتحونها . . .) .

وأورد ابن الأثير [٢٦] نص الحديث وبزيادة عما ورد .

أخرج الهيثمي [٢٧] في مجمع الزوائد نص الحديث من ثلاث طرق يقوى بعضها بعضا ، بألفاظ متقاربة .

١ – طريق خريم بن أوس قال . . . .

٢ – طريق خريم بن أوس قال . . . .

٣ – طريق عدي بن حاتم قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (تمثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب وأنكم ستفتحونها . . . .) باختلاف في الألفاظ .

أورده ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة [٢٨] .

وأخرجه كل من السيوطي في الخصائص [٢٩] والهندي في كنز العمال[٣٠] من طريق خريم بن أوس .

تحقق البشارة :

بقي الخبر (البشارة) – من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) – . وعداً حقًا قد أبصره ا لمؤمنون عيانًا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما تقدم خالد بن الوليد رضي الله عنه من اليمامة [٣١] إلى العراق ، واستطاع أن يخوض عدة معارك كان النصر حليفه حتى وصل إلى الحيرة وحاصرها ، ورغب أهلها في الصلح ، وعند كتابة شروط الصلح [٣٢] برز الصحابي الجليل خريم بن أوس بن حارثة بن لام الطائي (رضي الله عنه) ، ليطلب استثناء الشيماء [٣٣] بنت عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة[٣٤] – كما رجحنا – والمشهورة بابنة بقيلة من الصلح لأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد وعده بها ، وعلى قائد جيش المسلمين خالد بن الوليد (رضي الله عنه) أن ينفذ هذا الوعد، ولكن لابد له من التثبت من صحة ماأخبر به عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، فطلب منه أن يأتي بشاهدين سمعا حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

عن فتح الحيرة وإعطائه ابنة بقيلة ، وماهي إلا لحظات حتى جاء بشاهدين من الأنصار سمعا معجزة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فالشاهد الأول تجمع المصادر على شهادته وهو محمد بن مسلمة [٣٥] وأما الآخر فقد اختلفت المصادر في اسمه هل هو بشير بن سعد[٣٦] أم عبد الله بن عمر [٣٧] أم محمد بن بشر [٣٨] والراجح - والله أعلم- أنه بشير بن سعد [٣٩] . فلما استوثق خالد (رضي الله عنه) من وعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) لخريم (رضي الله عنه) استثناها من الصلح وسلمها أهلها إلى خريم (رضي الله عنه) وذلك بناءً على رغبتها حيث إنها تمكنت من إقناع أهلها بقولها بأنه قد شاهدها (أو سمع بها) وهي في ريعان شبابها ولكن دوام الحال من المحال وقد ذهب الشباب ونضارته، فاقتنعوا بقولها [٤٠] ، ثم أنها عمدت إلى افتداء نفسها منه بألف درهم وتولى أخوها عبد المسيح [٤١] بن عمرو بن بقيلة الحيرة [٤٢] ودفع هذا المبلغ للصحابي خريم (رضي الله عنه)،والذي لامه الكثيرون لطلبه هذا المبلغ الزهيد ، وكان يمكنه أن يطلب مبلغًا أكبر منه ، ولكنه علل ذلك بعدم معرفته لرقم أكبر مما طلبه [٤٣] .

وبفتح الحيرة وتسلم خريم (رضي الله عنه) لابنة بقيلة - وافتداء نفسها - يكون قد تحقق لذي العقول والألباب النيرة المعجزة التي أخبر بها الصادق المصدوق من أنها ستقع، ونقل إلينا الخبر على التواتر من رواة كثيرين وفي مصادر شتى متفقة في المعنى [٤٤] .

ثانيًا : بشارات النبي (صلى الله عليه وسلم) وتحققها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

البشارة الثالثة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سره أن ينظر إلى رجل يسبقه بعض أعضائه إلى الجنة فلينظر إلى زيد [٤٥] بن صوحان) . أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده [٤٦] .

وأخرجه بنصه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد [٤٧] والهيثمي في مجمع

الزوائد[٤٨] من طريق علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) .

تحقق البشارة :

هذا ماتحقق في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، واتفقت معظم المصادر على أن هذا العضو هو اليد[٤٩] ، ولكنه اختلف في ذكر أي معركة قطعت ، فذكر كل من ابن سعد[٥٠] ، وابن قتيبة[٥١] أنها قطعت يوم جلولاء[٥٢] . وجاء في كتاب المحن[٥٣] أنها قطعت يوم اليرموك[٥٤] .

وأورد الماوردي[٥٥] أنها قطعت يوم نهاوند[٥٦] . وأما ابن عساكر[٥٧] فذكر قولين :

أحدهما : أنها قطعت في معركة القادسية[٥٨] . والآخر : أنها اليد اليسرى ، وأنها قطعت في معركة نهاوند.

وللتوفيق بين هذه الأقوال (الروايات) أرى أن الأقرب إلى الواقع هو أن يده قطعت في معركة جلولاء وذلك نظراً لاتفاق مؤلفين (مصدرين) ، وهما ابن سعد، وابن قتيبة، وكذلك أجد المصادر التي جاءت بعد الطبقات والمعارف ، تختلف هي الأُخرى في تحديد المعركة التي قطعت بها يده . ومعركة جلولاء وقعت في سنة ١٦هـ . وعاش بعدها حوالي عشرين سنة[٥٩] . وجاء في المعارف[٦٠] أن يده سوف تسبقه إلى الجنة بثلاثين عاما . والراجح أن يده سوف تسبقه إلى الجنة بعشرين عامًا . فقد كان مقتله في معركة الجمل والتي حدثت في سنة ٣٦هـ[٦١] باتفاق المصادر[٦٢] وكانت هذه المعركة حدثت في خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وبذلك تحقق ماأعلم به الرسول ﷺ .

البشارة الرابعة :

قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - لسراقة بن مالك[٦٣] والذي أخذ في تتبع أثر الرسول (صلى الله عليه وسلم)ومرافقيه في هجرتهم إلى المدينة ، وحينما أصبح على مسافة قريبة منهم ، دعا عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فساخت يدا فرسه

بالأرض وثار الدخان من شدة الارتطام ، فانتابه الفزع والرهبة والخوف، فسارع إلى طلب الأمان وأفصح أنه لن يخبر أو يدل عليهم ، فدعا له الرسول (صلى الله عليه وسلم) فخلص فرسه مما وقع فيه [٦٤] ، واستأذن سراقة بن مالك من الرسول (صلى الله عليه وسلم) في أن يتقدم إليه . وفي أثناء حديثهما لاحظ الرسول صلى الله عليه وسلم كثافة الشعر الذي يغطي ذراعي سراقة [٦٥] . - (كأني بك قد لبست سوارى كسرى . . .) [٦٦] أخرجه البيهقي في دلائل النبوة [٦٧] .

أخرج الماوردي [٦٨] نص الحديث بزيادة في بعض الكلمات قال : قال رسول الله ﷺ (كيف بك إذا ألبست بعدى سواري كسرى) .

أورد السهيلى [٦٩] نص الحديث باختلاف في الألفاظ . قال : قال رسول الله ﷺ (ياسراق كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وإسواره في يديك) ؟

وذكره ابن شاكر الكتبى في عيون التواريخ [٧٠] بألفاظ قريبة مما سبق ذكره قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (كيف بك ياسراقة إذا سورت بسواري كسرى)؟

نقل ابن كثير [٧١] قول الشافعي عن رسول الله ﷺ أنه قال حينما نظر إلى ذراعيه (كأني بك وقد أُلبست سواري كسرى) .

وقد أورد المقريزي مع اختلاف في الصيغة قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (كيف بك ياسُراقة إذا سُوِّرْتَ بسواري كسرى) .

روى السيوطي [٧٣] نص الحديث نقلا عن الشافعي والبيهقي .

تحقق البشارة :

وقد أبصر المؤمنون عيانًا في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ماأخبر به الصادق المصدوق وذلك عندما توغلت الجيوش الإسلامية في بلاد فارس بعد انتصارهم في معركة القادسية إلى العاصمة المدائن ، وتمكنوا من دخولها ثم حصارهم للقصر الأبيض حيث مقر ملك الفرس ، ثم استسلام الحامية ودخول جند الله إلى

داخل القصر وفيه غنموا تاج كسرى وهو تاج كان معلقًا بسلسلة في أعلى الإيوان وما عل ملك الفرس إلا أن يدخل رأسه فيه . وغنم المسلمون كذلك حليته وثيابه وسيفه وسوارَيْه ومنطقته وقميصه وسراويله وخفيه وبساطه [٧٤] وأرسلت جميعها إلى المدينة المنورة ، فاستدعى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سراقة بن مالك (رضي الله عنه) وألبسه سوارى كسرى [٧٥] ومنطقته وتاجه وثيابه [٧٦] .

هذا العمل الذي قام به عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ماهو إلا تحقيق لما وعد به الرسول (صلى الله عليه وسلم) لسراقة بن مالك (رضي الله عنه) في أثناء تتبعه له في هجرته إلى المدينة .

وعلى سراقة(رضي الله عنه) بعد أن ارتدى أبهَّة كسرى وتمخطر بها عليه واجب نحو ربه في أن يكبر ويحمد الله تعالى على ماأنعم به على المسلمين من نعم لاتعد ولاتحصى ومنها ماسلبه من كسرى ملك الملوك وسليل أسرة عريقة ليلبسها أعرابي من بني مدلج سليل أسرة من عامة العرب أعزها الله بالإسلام ليرتفع شأنها وتعلو مكانتها .

وسرعان ماطلب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من سراقة بن مالك (رضي الله عنه) أن يخلع هذه المظاهر الخادعة الزائفة خشية أن يكون هذا اختباراً من المولى جل شأنه لعبده عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وخليفته من بعده أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) كانا يحبان أن يغنما الأموال ليوزعاها في سبيل الله [٧٧] وفي ذلك قوله تعالى ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [٧٨] ثم طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عبد الرحمن ابن عوف بيعها ثم تقسيمها بين المسلمين في يومه هذا [٧٩] .

ماتم ذكره هو مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد من صحابته وتحقق في عصر الراشدين .

البشارة الخامسة :

قال ﷺ : (كم من أشعث أغبر ذي طمْرَيْن [٨٠] لايُؤْبَهُ له [٨١] لو أقسم على الله

لأبَرَّه [٨٢] منهم البراء [٨٣] بن مالك) . أخرجه الترمذي [٨٤] .

أورد ابن حيان [٨٥] نص الحديث ثم أخذ في سرد مشاركته في حروب الفرس واستشهاده - .

أخرج الحاكم [٨٦] نص الحديث وباختلاف طفيف في الصيغة من طريق أنس بن مالك. ولفظها عند الحاكم (. . . كم من ضعيف متضعف ذي طمرين . . .) .

روى الأصفهاني [٨٧] نص الحديث من طريق أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (رب أشعث ذي طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبَرَّه منهم البراء) .

أخرج ابن الجوزي [٨٨] نص الحديث من طريق أنس بن مالك .

تحقق البشارة :

وفي خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حاصر المسلمون مدينة تستر بقيادة أبي موسى الأشعري [٨٩] (رضي الله عنه) ، ولما طال أمد الحصار [٩٠] طلب المسلمون من البراء بن مالك (رضي الله عنه) أن يتضرع إلى المولى جل شأنه فيقسم عليه لينصر دينه ويهزم أعداءه فقال : « أقسمت عليك يارب لما منحتنا أكتافهم » [٩١] . فاستجاب له ربه ، وتمكن المسلمون من اختراق وتجاوز خنادقهم ، مما أدى إلى فرارهم داخل البلد ، فحاصرهم المسلمون . ثم دلهم أحد المستأمنة على مدخل سري للبلد عن طريق مدخل الماء إليهم ، فدخلت مجموعة مختارة إلى داخل البلد وفتحت الأبواب للمسلمين[٩٢] ، وجرت معركة شديدة طلب المسلمون من البراء أن أقسم على ربك لينصر المسلمين فقال : « أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم وألحقتني بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) [٩٣] . فاستجاب له ربه وتم النصر واستشهد البراء في فتح مدينة تستر [٩٤] .

ثالثًا : بشارات النبي (صلى الله عليه وسلم)التي تحققت في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) :

البشارة السادسة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم حرام الأنصارية [٩٥] (رضي الله عنها) في قباء [٩٦] بعدما تغدى عندها ، ثم أخذ غفوة » . . . ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ومايضحكك يارسول الله قال : (ناس من أمتي عُرضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله يركبون ثَبَجَ [٩٧] هذا البحر ملوكا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة) شك إسحاق - بن عبد الله بن أبي طلحة - قالت : فقلت : يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله ﷺ ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك فقلت يارسول الله . . قالْ : (ناس من أمتي عُرضُوا عليَّ غزاة في سبيل الله) كما قال في الأول قالت فقلت يارسول الله : ادع الله أن يجعلني منهم قال : (أنت من الأوَّلين . . .) أخرجه البخاري في صحيحه [٩٨] . وأتى به أيضا [٩٩] مفرقًا من عدة طرق بألفاظ متقاربة . فمن طريق أنس بن مالك وردت خمسة أحاديث ، ومن طريق عمير بن الأسود العنسي حديث واحد :

١) حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثني الليث حدثنا يحيى عن محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك . . .

٢) حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن يحيى عن محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك . . .

٣) حدثني إسحاق بن يزيد الدمشقي حدثنا يحيى بن حمزة قال حدثني نور بن يزيد بن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي « حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت . . . قال عمير فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول : (أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا) قالت أم حرام قلت : يارسول الله أنا فيهم قال : (أنت فيهم) ثم قال . . . » .

٤) حدثنا إسماعيل قال : حدثني مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس . . .

٥) حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك . . .

أخرج مسلم [١٠٠] نص الحديث قال حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنس بن مالك . . .

أخرج ابن ماجه [١٠١] نص الحديث قال : حدثنا محمد بن رمح قال : أخبرنا الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن ابن حبان - هو محمد بن يحيى بن حبان- عن أنس . . .

أخرج أبو داود [١٠٢] نص الحديث مع اختلاف طفيف في الصيغة قال : حدثنا سليمان بن داود العتكى ، ثنا حماد - يعني بن زيد - عن يحيى بن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أنس بن مالك . . .

أخرج الترمذي [١٠٣] نص الحديث قال : حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري حدثنا معن حدثنا مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك . وقال عنه : « هذا حديث حسن صحيح » .

أخرج النسائي [١٠٤] نص الحديث . قال : أخبرنا محمد بن سلمة والحارث بن مسكين قراءةً عليه وأنا أسمع ، عن ابن القاسم قال حدثني مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك . . .

أخرج مالك [١٠٥] نص الحديث قال : حدثني يحيى بن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك .

وأخرج الحميدي [١٠٦] معناه في حديث مختصر فعن أم حرام «أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذكر غزو البحر فقال : (للمائد [١٠٧] أجر شهيد وللغرق أجر شهيد) ،

قالت فقلت يارسول الله : ادع الله عز وجل أن يجعلني منهم، قال : (اللهم اجعلها منهم) . . . » .

أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠٨) من طريق أنس بن مالك .

أخرج الدارمي (١٠٩) نص الحديث باختلاف في الألفاظ .

روى الأصفهاني (١١٠) نص الحديث من طريق أنس بن مالك .

أخرج البيهقي (١١١) نص الحديث من طريق أنس بن مالك .

ذكر الحديث ابن الجوزي (١١٢) في خبر مطول .

أخرج المنذري (١١٣) نص الحديث من ثلاث طرق اثنان من طريق أنس بن مالك ، والثالث من طريق عطاء ابن يسار عن أخت أم سليم .

أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ذكر جهاد المسلمين في البحر وهو في بيت بعض نسائه .

تحقق البشارة :

ومرت السنون إلى أنْ سمح (١١٥) عثمان بن عفان (رضي الله عنه) لمعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) والي الشام في أن يجهز أسطولا بحريًا لنشر الإسلام في جزيرة قبرص (١١٦) سنة ٢٨هـ (١١٧) . بشروط منها أن يصطحب الرجال معهم نساءهم وأطفالهم برغبتهم دون إجبارهم (١١٨) .

فبدأ معاوية بن أبي سفيان (١١٩) (رضي الله عنه) في تحقيق ما اشترطه الخليفة، فاصطحب معه زوجته فاختة (١٢٠) ، وكانت في معيتها الصحابية الجليلة أم حرام الأنصارية (رضي الله عنها) ، والتي كانت ترافق زوجها عبادة بن الصامت (رضي الله عنه)(١٢١) . وانطلق المجاهدون تحفهم رعاية الله إلى وجهتهم ، وتمكنوا من الدخول إلى جزيرة قبرص ، بعدما تغلبوا على قوى الباطل ، وليمكنوا أهلها من حرية الاختيار للدين الحق الذي يرغبونه دون ضغط أو تهديد (١٢٢) . وكانت أم حرام (رضي الله

عنها) في هذا الأسطول البحري تؤدي دورها في إثارة حماس المجاهدين، وفي معالجة الجرحى وسقاية العطشى كما كانت تفعل في زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)[١٢٣]. وبعد أن تم عقد الصلح مع أهلها، حينئذ رغبت في العودة إلى مسقط رأسها[١٢٤]، فقدمت لها بغلة لتركبها، فجمحت بها وسقطت من عليها، فتوفيت، ودفنت بالجزيرة وقبرها يعرف بقبر المرأة الصالحة[١٢٥]. وهو موجود إلى وقتنا الحاضر، ومقام عليه مسجد وموقعه في قرية قريبة من «لارنكا» وهو بعد تقسيم جزيرة قبرص بين القبارصة الأتراك واليونانيين. كان في الجزء الخاضع لسيطرة القبارصة اليونانيين، فأهملوه[١٢٦]. وصدق الله ورسوله الذي لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

البشارة السابعة :

إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) في دعوته إلى الله وإلى توحيد العبادة له وحده لاشريك له لم يقصد قومًا بعينهم وإنما قصد في دعوته أن تبلغ إلى جميع الأقوام عامة. ومن هذا المنطلق كانت هنالك إشارة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأن الإسلام سوف ينتشر على يد المسلمين وسيدخل الإسلام أقوام من أمم شتى منهم هؤلاء الأقوام الذين يقطنون سهول آسيا الصغرى من الأجناس التركية[١٢٧]، ووصفهم بأنهم أقوام يتميزون بارتداء الملابس المصنوعة من جلود الحيوانات نظرًا لما تتميز به مناطقهم من شدة البرد فقد قال (صلى الله عليه وسلم) : (لاتقوم الساعة حتى تُقاتُلوا التُرْك صغار الأعين حُمْر الوجوه ذُلُفَ[١٢٨] الأنوف كأن وجوههم المَجانُ المطرقة[١٢٩] ولاتقوم الساعة حتى تقاتُلوا قومًا نعالهم الشعر).

رواه البخاري[١٣٠] وأتى به أيضًا[١٣١] بألفاظ متقاربة من عدة طرق، فمن طريق أبي هريرة وردت أربعة أحاديث، ومن طريق عمرو بن تغلب ورد حديثان.

أخرج مسلم[١٣٢] حديث قتال الترك والقوم الذين ينتعلون الشعرمن خمس طرق بألفاظ متقاربة. وكلها من طريق أبي هريرة.

وأخرج أبو داود[١٣٣] نص الحديث من طريق أبي هريرة.

وقد أخرج أبو داود [١٣٤] أيضًا الحديث بألفاظ تقارب ماسبق ذكره من جهة أبي هريرة ، قال ابن السراج أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال (لاتقوم الساعة . . .) .

أخرج الترمذي [١٣٥] أجزاء من حديث قتال الترك والذين ينتعلون الشعر من حديث أبي هريرة .

أخرج النسائي [١٣٦] نص الحديث وزاد فيه (. . . ، يلبسون الشَّعَرَ ، ويمشون في الشَّعَرَ . . .) من طريق أبي هريرة .

أخرج الحميدي في مسنده [١٣٧] ألفاظًا متقاربة للحديث . لكنه لم يذكر الترك من طريق أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (لاتقوم الساعة حتى تقاتلون قومًا وجوههم المجانُ ولاتقوم الساعة حتى تقاتلون قومًا نعالهم الشعر) .

أخرج البيهقي [١٣٨] حديث قتال الترك ، والذين ينتعلون الشعر من طريقين يقوي بعضهما بعضا ، وبألفاظ متقاربة وكليهما من طريق أبي هريرة :

١) عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا أقوامًا نعالهم الشعر) .

٢) عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر ولاتقوم الساعة حتى تقاتلوا صغار الأعين ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة . . .) .

أورد الذهبي [١٣٩] جزءً من الحديث « قال . . . (لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر) . . . » .

ونقل ابن كثير [١٤٠] عدة أحاديث في قتال الترك ، والأقوام الذين ينتعلون الملابس الثقيلة (الشعر) قريبًا مما سبق ذكره .

وروى السيوطي [١٤١] حديث قتال الترك والأقوام الذين ينتعلون الشعر بألفاظ تقارب ماأورده البخاري من طريق أبي هريرة .

تحقق البشارة :

هذا وقد تحقق مابشر به الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمته فقد تقدم المسلمون في بلاد فارس متنقلين من نصر إلى آخر حتى وصلوا إلى أذربيجان [١٤٢] وحاصروها ففضل أهلها عقد الصلح مع المسلمين ودفعوا لهم الجزية [١٤٣] ثم عمد قائد الجيش سراقة بن مالك [١٤٤] إلى إرسال عدة حملات لنشر الإسلام في جنوب القوقاز[١٤٥] وكان ذلك حوالي سنة ٢٢هـ[١٤٦] بقيادة كل من : بكير بن عبد الله [١٤٧] ووجهته إلى موقان [١٤٨] ، حبيب بن مسلمة الفهري [١٤٩] ووجهته إلى تفليس [١٥٠] ، وحذيفة بن أسيد [١٥١] ووجهته إلى جبال اللان [١٥٢] ، وعبد الرحمن بن ربيعة [١٥٣] وسلمان بن ربيعة [١٥٤] ووجهتهما إلى مدينة الباب (باب الأبواب . دربند - دربنت) [١٥٥] ، فلما وصل إليها الجيش الإسلامي طلب ملكها شهر براز الصلح ، فتم ذلك ثم سار المسلمون إلى بلنجر [١٥٦] فلم يجدوا بها أحداً من أهلها ، فعادوا منها محملين بما تركه أهلها من الغنائم [١٥٧] .

كذلك عبر خاقان ملك الترك نهر جيحون [١٥٨] إلى خراسان [١٥٩] - لما استنجد به ملك فارس يزدجرد ابن شهريار بن كسرى [١٦٠] - وواصل تقدمه حتى وصل إلى مرو الروذ [١٦١] وأصبح في مواجهة الجيش الإسلامي دون قتال ثم مالبثوا أن انسحبوا نتيجة لمقتل ثلاثة من فرسانهم قتلهم قائد الجيش الإسلامي الأحنف بن قيس[١٦٢] ونتيجة لما أثاره الصينيون من القلاقل والفتن في بلاده [١٦٣] .

ثم صدرت الأوامر من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) إلى الأحنف بن قيس بعدم التقدم إلى ماوراء نهر جيحون والاكتفاء بما تم فتحه .

ولما تولى الخلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) سمح للجيوش الإسلامية بالتوغل في بلاد فارس وماجاورها فتقدم عبد الرحمن بن ربيعة وحذيفة بن اليمان [١٦٤] ، وقيل سلمان بن ربيعة [١٦٥] إلى مدينة الباب (دربنت) وتمكن الجيش الإسلامي من فتحها ، ومنها تقدم إلى بلنجر حيث وقعت معركة حامية بين الجيشين استشهد فيها عبد الرحمن بن ربيعة ودفن بالقرب منها[١٦٦] .

ثم عبر الأحنف نهر جيحون إلى بلاد ماوراء النهر [١٦٧] والتقى مع الهياطلة [١٦٨] ، فهزمهم [١٦٩] ثم سار إلى طخارستان [١٧٠] (الجوزان) [١٧١] وتمكن من فتحها .

ثم عمد ملوك مدن بلاد ما وراء النهر إلى عقد الصلح مع الأحنف بن قيس [١٧٢] . فترك بلاد ماوراء النهر وعاد إلى خراسان .

وبذلك تم تحقيق ماأخبر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن فتح بلاد الترك .

النتائج

وفي ختام هذا البحث أحب أن أوضح أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

- إن البشارات في السنة النبوية الصحيحة تقرر أن المستقبل لهذا الدين الإسلامي ، وأنه لابد من الصبر وبذل التضحية في سبيل هذا الدين مع الثقة التامة بالتمكين ، وأن النصر قريب إن شاء الله تعالى .
- إن هذا الموضوع يبين جانبًا من بشارات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الأخبار المستقبلية من البشارات التي قد يكون إبرازها للناس سببًا في دخول بعضهم في الدين الإسلامي .
- تحاول هذه الدراسة جمع بعض البشارات (الأخبار) معتمدة على المصادر الأصلية للوصول إلى ما أظنه أهم من غيره على اجتهاد مني ومناقشتها بمنهجية موضوعية متجردة .
- وأن الله تعالى كتب العزة للمؤمنين الصادقين الذين يعاهدونه ويبايعونه للعمل لهذا الدين والقيام به على أكمل وجه ، مهما بلغ بهم الأذى ، فإن الله تعالى ناصرهم ولو بعد حين . كما بشر به الرسول (صلى الله عليه وسلم) أثناء حفر الخندق في غزوة الأحزاب (الخندق) وغير ذلك من الأحداث التي مرت بالعالم الإسلامي عبر الأجيال .
- ويتميز الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن غيره من الرسل بمعجزته الكبرى الخالدة

وهي القرآن الكريم ، إضافة إلى أنه قد أيد بمعجزات عديدة عظيمة الشأن ناصعة الوضوح ظاهرة البرهان ، إلا أن تلك المعجزات (الأخبار ، البشارات) قد أخبر عنها الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مناسبات خاصة ، ولجماعة خاصة من صحابته سواء دَعَا لهم أو عليهم . وأنها ستأتي لهم في المستقبل . بإذن الله . كما بشر عكاشة بن محصن وخريم بن أوس وزيد بن صوحان وغيرهم (رضي الله عنهم) وقد رأى كثير من الصحابة والتابعين من هذه البشارات ولازالت تُرى بعضها رأى العين إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

- أن الله تعالى يؤيد رسوله الذي أرسله ليبلغ الناس الدين ويعلمهم الشريعة بالإثباتات القاطعة ، والآيات الصادقة عن رسالته ، وتكون هذه الآيات والإثباتات خارج نطاق البشر وخارقة للقوانين الطبعية المألوفة . وبذلك يعلم الناس أنه رسول الله حقا .

- اشتمل البحث على عدد لابأس به من البشارات - وأُوردَها بحسب ورودها في البحث - . وهي : البشارة الأولى لعكاشة بن محصن (رضي الله عنه) ، البشارة الثانية لخريم بن أوس (رضي الله عنه) ، البشارة الثالثة لزيد بن صوحان (رضي الله عنه)، البشارة الرابعة لسراقة بن مالك (رضي الله عنه) ، البشارة الخامسة للبراء بن مالك (رضي الله عنه)، البشارة السادسة لأم حرام الأنصارية (رضي الله عنها) ، البشارة السابعة لإسلام الترك (رضي الله عن المسلمين أجمعين) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الهوامش

(١) عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس ، أبو محصن الأسدي، صحابي جليل، شارك في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما كان يتقدم لقمع المرتد طليحة بن خويلد الأسدي، فاستشهد في طليعة ذلك الجيش .

- **محمد بن سعد** ، *الطبقات* ، الجزء الثالث ، القاهرة ، مؤسسة دار التحرير ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، (القسم الأول) ص ٦٤ ، ٦٥ .

- **علي بن محمد بن الأثير** ، *أسد الغابة* ، الجزء الرابع، تحقيق : محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود إبراهيم فايد ، دار الشعب ، ص٦٧(٣٧٣٢) .

- **محمد بن أحمد الذهبي** ، *سير أعلام النبلاء* ، الجزء الأول ، تحقيق : حسين الأسد ، الطبعة الثانية، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، ص ٣٠٧، ٣٠٨ (٦٠) .

- **أحمد بن علي بن حجر** ، *الإصابة في تمييز الصحابة* ، الجزء الثاني ، الطبعة الأولى ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ ، ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ (٥٦٣٢) .

(٢) **محمد بن إسماعيل البخاري** ، الجزء الخامس ، تحقيق : مصطفى ديب البغا، دمشق ، بيروت ، دار القلم - ١٤٠١هـ - ١٩٨١م (كتاب الطب) - باب من لم يرق- ، ٢١٧٠ ، ٢١٧١ (٥٤٢٠) ، (كتاب اللباس) - باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب - . ص ٢٣٩٦ (٦١٧٥ ، ٦١٧٦) .

- **مسلم بن الحجاج** ، (بشرح *النووي*) ، المجلد الأول ، تحقيق : عبد الله أحمد أبو زينه ، القاهرة ، دار الشعب ، بدون . (كتاب الإيمان) - باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم - . ص ٤٩٠) (٣٣٠) ، (كتاب الإيمان) - باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب - ٠ ص ٤٩١ (٣٣١ ، ٣٣٣) ، (كتاب الإيمان) - باب الرقية - . ص ٤٩٤ ، ٤٩٥ (٣٣٦) .

(٣) **عبد الملك بن هشام** ، *السيرة النبوية* ، الجزء الثاني ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، مصر ، دار

إحياء التراث العربي للطباعة والنشر ، ص ٢٩١ .

(٤) **محمد بن عيسى** ، الجزء الرابع ، تصحيح : عبد الرحمن محمد عثمان ، بدون . (أبواب صفة القيامة) - باب رقم ١٤ - . ص ٤٩ - ٥٠ (٢٥٦٣) .

وقال : " هذا حديث حسن صحيح " .

(٥) **عبد الله بن عبد الرحمن** ، الجزء الثاني ، طبع بعناية محمد أحمد دهمان ، دار إحياء السنة النبوية ، بدون . (كتاب الرقائق) - باب يدخل الجنة سبعون ألفا من أمتي بغير حساب - . ص ٣٢٨ .

(٦) **أحمد** ، (بهامشه كنز العمال) ، المجلد الأول ، بيروت ، المكتب الإسلامي ودار صادر ، بدون. ص ٢٧١ (مسند عبد الله بن عباس) ، ص ٤٠١ (مسند عبد الله بن مسعود) ،ج ٢ ص ٣٠٢ ، ٣٥١ ، ٤٥٦ ، ٥٠٢ (مسند أبو هريرة) ، ج٤ ص٤٣٦ (مسند عمران بن حصين).

(٧) **سليمان بن أحمد** ، الجزء الخامس والعشرون ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، بغداد ، مطبعة الأمة ، بدون . ص ١٨١ - ١٨٢ (٤٤٥) .

(٨) **محمد** ، (وبذيله التلخيص للذهبي) ، الجزء الثالث ، حلب ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، بدون . (كتاب معرفة الصحابة) - ذكر مناقب عكاشة بن محصن - . ص ٢٢٨ ، ج٤ (كتاب معرفة الصحابة) - ذكر أم قيس بنت محصن - . ص٦٨ .

(٩) **أحمد بن عبد الله** ، المجلد الثاني ، المكتبة السلفية ، بدون . ص١٢-١٣(١٠٢) .

(١٠) ثابت بن أقرم ، صحابي جليل ، استشهد في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(١١) **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، ج٢ ، ص ٢٩٠ .

- **محمد بن سعد** ، *الطبقات* ، ج٣ (القسم الأول) ص٦٤ ، ٦٥ ، (القسم الثاني) ص ٣٦ ، ٣٧ .

(١٢) وقعت سنة ٩هـ .

- **خليفة بن خياط بن أبي هبيرة**، *تاريخ خليفة بن خياط*، تحقيق : أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية، دمشق، بيروت، دار القلم، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ -١٩٧٧م . ص ٩٢ .

- **عبد القادر حبيب الله السندي**، *الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك*، الكويت، مكتبة المعلا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . ص ٤٣، ٧٣، ٧٦ .

(١٣) الحيرةُ : بالكسر ثم السكون وراء، مدينة على بعد ثلاثة أميال من الكوفة .

- **أبو عبد الله ياقوت**، معجم *البلدان*، الجزء الثاني، بيروت، دار صادر، ص٣٢٨ .

(١٤) الشيماء بنت عمرو بن بقيلة .

- **الطبراني**، *المعجم الكبير*، ص ٢١٣، ٢١٥(٤١٦٨) .

- **الأصفهاني**، *حلية الأولياء*، ج١، ص ٣٦٤ .

- ابن **الأثير**، *أسد الغابة*، ج٢، ص ١٢٩، ١٣٠ (١٤٣٨) .

- **الذهبي**، *تجريد أسماء الصحابة*، الجزء الأول، تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدين، بومباي، الناشر شرف الدين الكتبي وأولاده، ١٣٨٩هـ -١٩٦٩م ص١٥٨ .

- **علي بن أبي بكر الهيثمي**، مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد*، الجزء السادس، بيروت، مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م (كتاب المغازي والسير) - باب غزوة الخندق وقريظة، الجزء الثامن، بيروت، مؤسسة المعارف، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م . ص٢٩١ .

- **ابن حجر**، *الإصابة*، ج١، ص ٤٢٤ .

- **علي المتقي بن حسان الدين الهندي**، *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، الجزء العاشر، ضبط بكري حياني، تصحيح صفوة السقا، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص ٥٨٦ .

كما أورد كل من الطبري، وابن كثير، وابن خلدون أن أسمها (كرامه)بدل (الشيماء) .

- **الطبري**، *تاريخ الرسل والملوك*، الجزء الثالث، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة

الثالثة ، مصر ، دار المعارف ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م . ج٣، ص٣٦٦ .

- **إسماعيل بن عمر بن كثير** ، *البداية والنهاية* ، الجزء السادس ، بيروت ، دار ابن كثير ، بدون. ج٦ ، ص ٣٤٧ .

- **عبد الرحمن بن محمد** ، بن *خلدون* ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثاني ، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بدون . (الجزء الثاني) ص ٨٠ .

وجاء في الخصائص ، وحجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ، أن اسمها (الشهباء) بدل (الشيماء) .

- **عبد الرحمن** ، الجزء الثاني ، تحقيق : محمد خليل هراس ، مصر ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م . ج٢ ، ص ٤٠٣ .

- **يوسف بن إسماعيل النبهاني** ، الناشر حسن جعنا ، يطلب من محمد أمين دمج، بدون . . ص ٥٢٤ .

وذكر الأصفهاني أنها كانت تركب « بغلة شهباء » .

- حلية الأولياء ، ج١ ، ص٣٦٤ .

ويظهر لي أن هناك خلط بين اسمها واسم بغلتها شهباء .

(١٥) وأورد الماوردي والذهبي ، والسيوطي أنها ابن نُفَيْلَة .

- **علي بن محمد** ، *الأحكام السلطانية* ، تصحيح محمد بدر الدين النعساني الحلبي، الطبعة الأولى، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م . ص ١٧٠ .

- تجريد أسماء الصحابة ، ج١ ، ص ١٥٨ .

- الخصائص ، ج٢ ، ص ٤٠٢ .

والراجح أنها ابن بقيلة وأبوها هو عمرو كما ورد في الإكمال واللباب .

- **علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا** ، الجزء الأول ، الهند١٩٦٢م، ص٣٤٧ .

- **ابن الأثير** ، الجزء الأول ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٧هـ. ص ١٣٦ .

- وسمى بـبقيلة : "لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين فقالوا: ياجار ماأنت إلا بُقيلة خضراء.

- **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٣ ، ص ٣٦١ .

(١٦) والمعْجرُ : ماتشدُّهُ المرأة على رأسها يقال اعتجَرَت المرأة، والاعتجارُ أيضًا : لف العمامة على الرأس .

- **إسماعيل بن حماد الجوهري** ، *الصحاح* ، الجزء الثاني ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ص٧٣٧ .

(١٧) خريم بن أوس بن حارثة بن لأم بن عمرو بن طريف بن عمرو بن ثمامة بن مالك بن جَدْعاء بن ذهل بن رومان ابن جندب بن خارجة بن سعد بن فطرة بن طئ الطائي ، أبو لَحَاء صحابي جليل، كان في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما كان يخوض المعارك في بلاد العراق في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم انتقل للجهاد في بلاد الشام .

- **ابن حزم** ، **جمهرة أنساب العرب** ، ج٢ ، ص ٣٩٩ .

- **ابن الأثير** ، *أسد الغابة* ، ج٢ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ (١٤٨) .

وذكر كل من الطبري ، وابن كثير أن اسمه « شُوَيل » .

- تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص ٣٦٦ .

- البداية والنهاية ، ج٦ ، ص ٣٤٧ .

وذكر ابن خلدون أن اسمه « شريك » .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثاني (الجزء الثاني) . ص ٨٠ .

والراجح أن اسمه خريم كما ذكرته معظم المصادر .

(١٨) التاريخ الكبير ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٨٦م . ص١٨ - ١٩ .

(١٩) **حميد** ، *الأموال* ، الجزء الثاني ، تحقيق : شاكر ذيب فياض ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، السعودية،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، (كتاب افتتاح الأرضين صلحًا وسننها وأحكامها وهي من الفيء ولاتكون غنيمة) - باب في رقاب أهل الصلح وهل يحل سباؤهم أم هم أحرار - ص٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٢٠) **أحمد بن يحيى** ، *فتوح البلدان* ، القسم الثاني ، تحقيق : صلاح الدين المنجد، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، بدون . ص ٢٩٨ .

(٢١) الأحكام السلطانية ، ص ١٧٠ .

وذكر (نفيلة) بدل (بقيلة) والراجح بُقيلة .

(٢٢) تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص ٣٦٦ .

ويظهر لي أنها رواية غير مقبولة إذ كيف يمنحه خالد بن الوليد رضي الله عنه ابنة بقيلة، والحيرة فتحت صلحًا كما ورد ذلك في تاريخ الرسل والملوك للطبري ؟

- ج ٣ ، ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٢٣) المعجم الكبير ، ج٤ ، ص ٢١٣ - ٢١٥ (٤١٦٨) ، ج١٧ ، ص٧٦، ٧٧ .

(٢٤) ج١ ص ٣٦٤ .

(٢٥) **أحمد بن الحسين** ، الجزء التاسع ، الطبعة الأولى ، الهند ، حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - ، ١٩٥٦م ، (كتاب السير) - باب السواد - ٠ ص١٣٦ .

(٢٦) **أسد الغابة** ، ج٢ ، ص ١٢٩ - ١٣٠ (١٤٣٨) .

(٢٧) ج ٦ (كتاب المغازي والسير) - باب قتال الردة - . ص٢٢٥ .ج٨(كتاب علامات النبوة) - باب اخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات - . ص٢٩١، ج٦ كتاب المغازي والسير) - باب في قتال فارس والروم وعداوتهم - . ص ٢١٥ .

(٢٨) ج١ ، ص ٤٢٤ .

(٢٩) ج ٢ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

(٣٠) ج ١٠ (مسند أبي السائب خباب) ص ٥٨٦ .

(٣١) اليمامة : اسمها قديمًا جوا ، وفيها ظهر المتنبئ مسيلمة الذي قتله خالد رضي الله عنه ثم بعد ذلك تقدم منها إلى بلاد فارس .

- **محمد بن عبد المنعم الحميري** ، *الروض المعطار في خبر الأقطار* ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م . ص٦١٩ ، ٦٢٠ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٦ ، ص ٣٤٢ .

(٣٢) الطبـري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٣ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

- ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٦ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢ .

(٣٣) أورد خليفة بن خياط أن الصلح تم على دفع تسعين ألفًا دون ذكر لرواية خريم وطلبه ابن بقيلة .

- **تاريخ خليفة** ، ص١١٨ .

وذكر ابن خلدون أن الصلح تم معهم على دفع مبلغ يتراوح بين مائة أو مائتين وتسعين ألفًا إضافة إلى ابنة بقيلة .

- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المجلد الثاني (الجزء الثاني) ص٨٠ ، ٨١ .

(٣٤) **البلاذري** ، فتوح *البلدان* ، ق٢ ، ص٢٩٨ .

(٣٥) محمد بن مسلمة الأنصاري ، صحابي جليل ، كان في جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه حينما كان يخوض المعارك في بلاد العراق في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم انتقل للجهاد في بلاد الشام ومنها إلى المدينة ، فعينه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيرًا له في محاسبة الولاة .

ابن سعد ، *الطبقات* ، ج٣ ، (القسم الثاني) ص ١٩ ، ٢٠ .

(٣٦) بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري ، صحابي جليل ، ذهب إلى بلاد العراق في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وشارك في عدة معارك ضمن جيش خالد بن الوليد رضي الله عنه .

- **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج٣ (القسم الثاني) ص ٨٣ .

(٣٧) عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن لؤى العدوي ، صحابي جليل ، أحد الفقهاء الستة المشهورين بالمدينة ، كان دائم المشاركة في الجهاد ، فشارك في معارك العراق في خلافتي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

- **خليفة بن خياط بن أبي هبيرة** ، *الطبقات* ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، الطبعة الثانية ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢ م . ص ٢٢ ، ١٩٠ .

- **محمد بن حبان البستي** ، *تاريخ الصحابة* ، تحقيق : بوران الضناوى ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م . ص ١٤٩ .

(٣٨) محمد بن بشر ويقال ابن بشير ، صحابي جليل .

- **ابن عبد البر** ، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* (بهامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر) ، الجزء الثالث ، الطبعة الأولى ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ ، ص ٣٤٣ .

- **ابن حجر** ، **الإصابة** ، ج٣ ، ص ٣٧١ .

(٣٩) ورجحنا بشير بن سعد رضي الله عنه نظراً لمشاركته في حروب خالد بن الوليد رضي الله عنه في العراق ، واستشهاده في هذه الحروب .

- **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج٣ (القسم الثاني) ص ٨٣ .

- **ابن حجر** ، *الإصابة* ، ج١ ، ص ٤٢٤ .

(٤٠) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٣ ، ص٣٦٦ .

(٤١) **الأصفهاني** ، *حلية الأولياء* ، ج١ ، ص ٣٦٤ .

- **الذهبي** ، *تجريد أسماء الصحابة* ، ج١ ، ص ١٥٨ .

- **الهيثمي** ، مجمع *الزوائد* ، ج٦ ، ص ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ج٨ ، ص ٢٩١ .

وجاء في السنن الكبرى أن الذي افتداها هو أبوها .

- **البيهقي** ، ج٩ (كتاب السير) - باب السواد - . ص١٣٦ .

(٤٢) عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان بن بقيلة بن شنين بن زيد بن سعد بن عدي بن نمر بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأزد .

- **ابن ماكولا** ، *الإكمال* ، ج١ ، ص ٣٤٧ .

- **ابن الأثير** ، *اللباب* ، ج١ ، ص ٣٤٧ .

(٤٣) **الماوردي** ، *الأحكام السلطانية* ، ص ١٩٢ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٦ ، ص ٣٤٧ .

(٤٤) **القاضي عياض** ، *الشفاء* ، ج١ ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(٤٥) زيد بن صوحان بن حُجر أبو سليمان .

- **خليفة بن خياط** ، *الطبقات* ، ص ١٤٤ .

- **ابن حزم** ، جمهرة *أنساب العرب* ، ج١ ، ص ٢٠٥ .

- **الذهبي** ، *تجريد أسماء الصحابة* ، ج١ ، ص ٢٠٠ .

- وجاء في تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، وفي العبر أنه من التابعين .

- علي بن الحسن بن عساكر ، الجزء السادس ، تهذيب عبد القادر بن أحمد بدران ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م . ص١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ .

- **الذهبي** ، *العبر* ، الجزء الأول ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية - ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ج١ ، ص٢٧ .

وذكر ابن عساكر أيضًا نقلا عن ابن إسحاق بأنه أدرك النبي صلى الله عليه وسلم .

- تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ج٦ ، ص ١٢ ، ١٣ .

ورجح ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة أنه مخضرم له إدراك وليس له رواية .

- ج١ ، ص ٥٦٨ ، ٥٧٤ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

(٤٦) **أحمد بن علي بن المثنى** ، الجزء الأول ، تحقيق : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى ، دمشق - بيروت ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . ص ٣٩٣ .

(٤٧) **أحمد بن علي** ، الجزء الثامن ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، بدون . ص٤٤٠ .

(٤٨) ج ٩ (كتاب المناقب) - باب ماجاء في زيد بن صوحان رضي الله عنه -ص٤٠١ .

(٤٩) **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج٦ ، ص ١٢٣ .

- **عبد الله بن مسلم بن قتيبة** ، *المعارف* ، تحقيق : ثروت عكاشه ، الطبعة الثانية ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٩م ، ص ٤٠٢ .

- ابن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ج٣ ، ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

(٥٠) **الطبقات** ، ج٦ ، ص ١٢٣ .

(٥١) **المعارف** ، ص ٤٠٢ .

(٥٢) جلولاء : وهي معركة جرت وقائعها في حوالي سنة ١٦هـ بين المسلمين والفرس ، وكان المسلمون بقيادة هاشم بن عتيبة بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وتمكنوا من الانتصار في هذه المعركة .

- **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ٢٤ ، ٢٥ - ٢٨ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٦ ، ص ٣٥٢ ، ج٧ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

وجلولاء مدينة بالعراق في أول الجبل .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ١٦٧ .

(٥٣) **محمد بن أحمد بن تميم** ، تحقيق : يحيى وهيب الجبوري ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . ص ٣٤٧ .

(٥٤) اليرموك : وهي معركة وقعت ببلاد الشام سنة ١٣هـ بين المسلمين والروم ، وكان المسلمون بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وهي من المعارك المهمة والحاسمة ، وكان الاستعداد لها في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وجرى حسمها لصالح المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

- **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٣ ، ص ٣٩٤ - ٤٠٢ .

- مجلة الدارة - السعودية - العدد الثاني (السنة ٢١) محرم - صفر - ربيع ١٤١٦هـ ، الرياض، ص ١٤٥ - ١٤٩ .

(٥٥) **أعلام النبوة** ، ص ٩٩ .

(٥٦) نَهاوند : وهي معركة جرت وقائعها في بلاد فارس ، وقد اختلف في سنة وقوعها فقيل سنة ٢١هـ ، وقيل سنة ١٧هـ ، وقيل سنة ١٩هـ . ووقعت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقائدها النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه .

- **خليفة بن خياط** ، *الطبقات* ، ص٣٨ ، ١٢٨ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٠٥ ، ١٠٧ - ١١٢ .

نهاوند : مدينة في بلاد فارس ، وهو من كور الجبال .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ٥٧٩ .

(٥٧) **تهذيب تاريخ دمشق الكبير** ، ج٦ ، ص ١٢ .

(٥٨) القادسية : وهي معركة جرت وقائعها في بلاد فارس سنة ١٥هـ بين المسلمين والفرس ، وكان المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وجرى حسمها لصالح المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

- **خليفة بن خياط** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ص ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٧ .

(٥٩) **ابن عساكر** ، *تهذيب تاريخ دمشق الكبير* ، ج٦ ، ص١٢ .

- **يوسف بن إسماعيل النبهاني** ، *حجة الله على العالمين* ، ص ٥٥٠ .

(٦٠) **ابن قتيبة** ، ص ٤٠٢ .

(٦١) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ص ١٨١ - ١٨٦ .

- **ابن الأثير** ، *الكامل* ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م . ص ١٠٥ ، ١٠٩ - ١١٢ .

(٦٢) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ص ١٩٠ .

- **أبو العرب** ، *المحن* ، ص ٣٤٧ .

- **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٣ ، ص ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

- **الذهبي** ، *العبر* ، ج١ ، ص ٢٧ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ٢٤٣ .

- السيوطي ، الخصائص ، ج٢ ، ص ٤٩٥ ، ٤٩٦ .

(٦٣) سُراقة بن مالك بن جُعْشُم بن مالك بن عمرو بن مالك بن تيم بن مدلج، صحابي جليل ، اسلم بالجعرانة بعد غزوة حنين .

- **ابن حزم** ، جمهرة *أنساب العرب* ، ج١ ص ١٨٧ .

(٦٤) **البخاري** ، صحيح *البخاري* ، ج٤ (كتاب المناقب) - باب علامات النبوة في الإسلام - ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

- **ابن هشام** ، *السيرة النبوية* ، ج٢ ، ص ٣٠٩ .

يذكر كل من ابن عبد البر ، وابن شاكر الكتبي ، والمقريزي أن سراقة بن مالك رضي الله عنه غاصت يدا فرسه مرتين لأنه لم يتعظ في المرة الأولى لدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعاد ليتبعهم فدعا عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فغاصت فرسة للمرة الثانية ، ودعا له ثانيًا فخلص فرسه .

- **الدرر في اختصار المغازي والسير** ، تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة ، مؤسسة دار التحرير ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ص ٨٨ .

- **محمد بن شاكر** ، *عيون التواريخ* ، السفر الأول ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠م ص ١٠١ .

- المقريزي ، امتاع الاسماع ، ج١ ، ص ٤٢ .

(٦٥) **سليمان بن موسى الكلاعي** ، *الاكتفاء في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء* ، الجزء الأول ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م . ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ٦٨ .

(٦٦) وزاد البيهقي تاجه ومنطقته .

- **السيوطي** ، *الخصائص* ، ج٢ ، ص ٤١٤ .

ولم أجد ذلك فيما رجعت إليه من الكتب المطبوعة للبيهقي .

- وفي الروض الأنف زاد « ... تاج كسرى » .

- **السهيلي** ، الجزء الأول ، تعليق : طه عبد الرؤوف سعد ، مصر ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٢م ، ص ٨٢ .

(٦٧) الجزء الثاني ، بيروت ، دا الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ . ج٦ ، ص ٣٢٥ .

(٦٨) **الماوردي** ، *أعلام النبوة* ، ص ٩٨ .

(٦٩) **الروض الأنف** ، ج١ ، ص ٨٢ .

(٧٠) س ١ ، ص ١٠١ .

(٧١) **البداية والنهاية** ، ج٧ ، ص ٦٨ .

(٧٢) **امتاع الأسماع** ، ج١ ، ص٤٢ .

(٧٣) **الخصائص** ، ج٢ ، ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

(٧٤) **السهيلي** ، *الروض الأنف* ، ج٢ ، ص ٧٢ .

- **الكلاعي** ، *الاكتفاء* ، ج١ ، ص ٤٥٦ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ٦٨ .

(٧٥) **السيوطي** ، *الخصائص* ج٢ ، ص ٤١٤ .

- **يوسف بن إسماعيل النبهاني** ، *حجة الله على العالمين* ، ص٥٠٤ ، ٥٢٥ .

(٧٦) **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٦ ، ص ١٩٤ .

وذكر ابن كثير أيضًا نقلا عن سيف بن عمر أنه حينما قدمت ثياب كسرى إلى المدينة نصب عمر بن الخطاب رضي الله عنه خشبة والبسها الثياب .

- **البداية والنهاية** ، ج٧ ، ص ٦٧ .

وذكر أيضًا عن نقلاً عن الهيثم بن عدي أنه حينما وصلت إلى المدينة المنورة ثياب كسرى ، وسراويله ، ومنطقته ، وتاجه ، وخفيه نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وجوه المجتمعين حوله فلاحظ أن سراقة يتميز بالطوال والجسامة ، فأمره بلبسها جميعًا .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ٦٨ .

والراجح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي أمر سراقة بن مالك رضي الله عنه يلبس ثياب كسرى وسواريه ومنطقته وتاجه .

(٧٧) **البيهقي** ، *السنن الكبرى* ، ج٦ (كتاب قسم الفيء والغنيمة) - باب الاختيار في التعجيل بقسمة مال الفيء إذا اجتمع - ص ٣٥٨ .

- **البداية والنهاية** ، ج٧ ، ص ٦٨ .

(٧٨) سورة المؤمنون ، آية ٥٥ ، ٥٦ .

(٧٩) **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ٦٨ .

(٨٠) ذي طمرين : الطمرُ : الثوب الخلق والجمع أطمار .

- **محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري** ، جمهرة *اللغة* ، الجزء الثاني ، بغداد ، مكتبة المثنى ، ص ٣٧٤ .

(٨١) لايُؤْبَهُ له : أي لايُحتَفَلُ به .

- **ابن منظور** ، *لسان العرب* ، الجزء الثالث عشر ، بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ، ص ٤٦٦ .

(٨٢) لأبره : وإبرارا : أي صَدَقَه .

- **ابن منظور** ، *لسان العرب* ، ج ٤ ، ص ٥٣ .

(٨٣) البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب النجاري ، صحابي جليل شارك في معارك الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفي خلافة عمر كان له جهاده في بلاد العراق ، فشارك في عدة معارك .

- **ابن حبان** ، *تاريخ الصحابة* ، ص ٤٢ .

وذكر أنه استشهد بالسوس - وهي بلدة بخوزستان تم فتحها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه - .

والراجح أنه استشهد في فتح «تستر» كما جاء في معظم المصادر منها :

- **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج٧ ، ص ١٧ .

- **الأصفهاني** ، *حلية الأولياء* ، ج١ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

- **ابن حزم** ، جمهرة *أنساب العرب* ، ج٢ ، ص ٣٥١ .

(٨٤) **الجامع الصحيح** ، ج٥ (كتاب المناقب) - باب مناقب البراء بن مالك رضي الله عنه - (من طريق أنس بن مالك رضي الله عنه (ص ٦٩٢ (٣٨٥٤) " قال أبو عيسى هذا حديث صحيح حسن - كذا في المطبوعة والصواب حسن غريب كما ذكر المزي في تحفة الاشراف من هذا الوجه" . الجزء العشرون ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م . ص ١٠٧ .

(٨٥) **تاريخ الصحابة** ، ص ٤٢ .

(٨٦) **المستدرك مع التلخيص** ، ج٣ (كتاب معرفة الصحابة) - باب ذكر شهادة البراء بن مالك - ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٨٧) **حلية الأولياء** ، ج١ ، ص ٣٥٠ .

(٨٨) **عبد الرحمن** ، *صفة الصفوة* ، الجزء الأول ، تحقيق : محمود فاخوري، خرج أحاديثه محمد رواس قلعه جي ، الطبعة الأولى ، حلب ، دار الوعي ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م . ص ٦٢٥ ، ٦٢٦ .

(٨٩) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس بن سليم بن الأشعر ، صحابي جليل ، شارك في المعارك التي وقعت في بلاد العراق في خلافة عمر ، ثم أسند إليه قيادة بعض المعارك ، وولاه عمر ولاية البصرة بعد عزل المغيرة عنها .

- **خليفة بن خياط** ، *الطبقات* ، ص ٦٨ .

(٩٠) إن مدينة «تستر» تم حصارها للمرة الأولى وتم عقد الصلح مع ملك الأهواز وماجاورها الهرمزان، والذي مالبث أن نقض الصلح وأعد الجيوش لمواجهة المسلمين فوجه إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشًا بقيادة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، فتمكن من فتحها بعد حصار دام لمدة سنة وقيل ثمانية عشر شهراً وقيل سنتين .

- **خليفة بن خياط** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ص ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ .

- **ابن حيان** ، *تاريخ الصحابة* ، ص ٤٢ .

وذكر أنه استشهد «بالسوس» ، والراجح أنه استشهد في فتح «تستر» كما جاء في معظم المصادر منها:

- **ابن سعد** ، *الطبقات* ، ج ٧ ، ص ١٧ .

- **الأصفهاني** ، *حلية الأولياء* ، ج١ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

- **ابن حزم** ، *جمهرة أنساب العرب* ، ج٢ ، ص ٣٥١ .

(٩١) **ابن حبان** ، *تاريخ الصحابة* ، ص ٤٣ .

(٩٢) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

- **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٩٣) **ابن حبان** ، *تاريخ الصحابة* ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

- **السيوطي** ، *الخصائص* ، ج٢ ، ص ٤٦٠ .

- **يوسف بن إسماعيل النبهاني** ، *حجة الله على العالمين* ، ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

وذكر كل من الحميري ، وابن كثير أن البراء دعا ربه قائلاً : « **اللهم اهزمهم لنا واستشهدني** » .

- **الروض المعطار** ، ص ١٤١ .

- **البداية والنهاية** ، ج٧ ، ص ٨٦ .

(٩٤) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ٨٦ .

- **ابن الجوزي** ، *صفة الصفوة* ، ج١ ، ص ٦٢٦ .

- **ابن خلدون** ، *العبر وديوان المبتدأ والخبر* ، المجلد الثاني (الجزء الثاني) ص١١٢ .

(٩٥) أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام أخت أم سليم، وخالة أنس بن مالك رضي الله

عنهم .

- **عبد الرحمن بن الجوزي** ، *تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير*، القاهرة ، المطبعة النموذجية ، ١٩٧٥م ص ٣٢٢ .

- **الذهبي** ، *تجريد أسماء الصحابة* ، ج٢ ، ص ٣١٦ .

روت عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعة أحاديث .

- **بقي بن مخلد القرطبي** ، *بقي بن مخلد ومقدمة مسنده* ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م . ص ١٠٢ (٢٥٢) . وذكر ابن أبي حاتم أن اسمها « أنيقة » وقيل « الرميصاء » .

- **عبد الرحمن** ، *الجرح والتعديل* ، الجزء التاسع ، الطبعة الأولى ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م . ص ٤٦١ ، ٤٦٢ (٢٣٦٧) .

(٩٦) قُباء : موضع بالقرب من المدينة المنورة .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ٤٥٢ .

(٩٧) ثَبَجُ كل شيء : وسطه .

- **ابن دريد** ، جمهرة *اللغة* ، ج١ ، ص ١٩٩ .

(٩٨) ج ٣ (كتاب الجهاد والسير) - باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء - ص٢٠١ .

وذكر فيه أنها استشهدت حال خروجها من البحر ، والراجح أنها استشهدت بعد أن مكثت مدة في قبرص ثم عند رغبتها في العودة إلى الشام، فسقطت من على ظهر الدابة فتوفيت .

- **البخاري** ، صحيح *البخاري* ، ج٣ (كتاب الجهاد والسير) - باب ركوب البحر - ص ٢٢٥ .

(٩٩) **البخاري** ، صحيح *البخاري* ، ج٣ (كتاب الجهاد والسير) - باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم - ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ (كتاب الجهاد والسير) - باب ركوب البحر - ص ٢٢٥ (كتاب الجهاد والسير) باب ماقيل في قتال الروم - ص ٢٣٢ ، ج٧ (كتاب الاستئذان) - باب

من زار قومًا فقال عندهم ص ١٤٠ ، ١٤١ ،ج٨ (كتاب التعبير) - باب الرؤيا بالنهار - ص ٧٣ .

(١٠٠) **صحيح مسلم** ، ج٦ (كتاب الإماره) - باب فضل الغزو في البحر -ص٤٩ - ٥٠ .

(١٠١) **محمد بن يزيد القزويني** ، *سنن ابن ماجه* ، الجزء الثاني ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة الأولى ، الرياض ، شركة الطباعة العربية السعودية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (كتاب الجهاد) - باب فضل غزو البحر - ص١٣١ (٢٨٠٢) .

(١٠٢) **سليمان بن الأشعث** ، *سنن أبي داود* ، الجزء الثاني ، تعليق أحمد سعد علي ، الطبعة الثانية ، مصر ، ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م (كتاب الجهاد) - باب فضل الغزو في البحر ص٦ ، ٧ .

(١٠٣) **الجامع الصحيح** ، ج٤ (كتاب فضل الجهاد) - باب ماجاء في غزوة البحر - ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

(١٠٤) **عبد الرحمن بن شعيب** ، *سنن النسائي* (ومعه زهر الربي على المجتبي للسيوطي) ، الجزء السادس ، الطبعة الأولى مصر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م) (كتاب الجهاد) - باب غزوة الترك والحبشة ص ٣٤ .

(١٠٥) **مالك بن أنس بن مالك** ، *الموطأ* ، قدم له عارف الحاج ، تحقيق : سعيد بن اللحام ، مراجعة مصطفى قصاص ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار إحياء العلوم ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص ٣٤٧ .

(١٠٦) **عبد الله بن الزبير** ، *المسند* ، المجلد الأول ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، بيروت ، القاهرة ، عالم الكتب ، مكتبة المثنى ، بدون (الجزء الرابع) ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(١٠٧) هو الذي يُدارُ برأسه من ريح البحر واضطرابُ السفينة بالأمواج .

- **ابن منظور** ، *لسان العرب* ، ج ٧ ، ص ٤٣٠٦ .

(١٠٨) ج ٦ ، ص ٣٦١ .

(١٠٩) **سنن الدرامي** ، ج٢ (كتاب الجهاد) - باب فضل غزاة البحر - ص ٢١٠ .

(١١٠) **حلية الأولياء** ، الجزء الثاني ، المكتبة السلفية ، بدون ، ص ٦١ ، ٦٢ .

(١١١) **السنن الكبرى** ، ج٩ (كتاب السير) - باب فضل من مات في سبيل الله - ص ١٦٥ ، ١٦٦ .

(١١٢) **صفة الصفوة** ، الجزء الثاني ، تحقيق : محمود فاخوري ، خرج أحاديثه محمد رواس قلعه جي ، الطبعة الأولى ، حلب ، دار الوعي ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(١١٣) **عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله** ، *مختصر سنن أبي داود* ، الجزء الثالث ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، القاهرة ، مكتبة السنة المحمدية ، بدون ، (أول كتاب الجهاد) - باب في ركوب البحر - ص ٣٦٠ .

(١١٤) ج ٥ (كتاب الجهاد) - باب الجهاد في البحر - ص ٢٨٤ .

(١١٥) فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى ولاته عن ركوب البحر ، وظل هذا المنع ساريًا طوال فترة خلافته .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٥٣ .

(١١٦) قبرص : جزيرة في البحر الشامي (البحر المتوسط) .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ٤٥٣ .

(١١٧) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ص ١٦٠ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٥٣ .

(١١٨) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٣ ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٦ ، ٤٥٤ ، ٤٦٠ ، ٤٧٧ ، ٤٨٠ ، ٥٢٩ ، ٥٤٢ ، ٥٥٠ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢٢ ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .

(١١٩) وذكر كل من ابن الأثير ، وابن خلدون أن قائد أسطول فتح جزيرة قبرص هو عبد الله بن قيس الجاسي حليف بني فزارة .

- **الكامل** ، ج٣ ، ص ٤٨ .

- **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ، المجلد الثاني (الجزء الثاني) ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(١٢٠) فاختة بنت قرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف .

- **خليفة بن خياط** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ص ١٦٠ .

- **ابن حجر** ، *فتح الباري* ، الجزء الثاني عشر ، تحقيق : عبد الرؤوف سعد ، مصطفى محمد الهواري ، محمد عبد المعطي ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م . ص ٢٩ ، ٣٠ .

وذكر ابن حجر أيضا قولاً آخر أن أم حرام ركبت مع فاختة وقيل مع كنود .

- فتح الباري ، ج١٢ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٢١) عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهم بن الخزرج ، صحابي جليل ، كان في جيش معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه حينما أبحر إلى قبرص لفتحها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم عاد منها (قبرص) بعد فتحها إلى بلاد الشام ليرابط بها .

- **خليفة بن خياط** ، *الطبقات* ، ص ٩٩ ، ٣٠٢ .

وجاء في فتح الباري أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه إنما تزوج من أم حرام رضي الله عنها بعد سماعها للحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس قبله .

- **ابن حجر** ، ج١٢ ، ص ٢٩ .

(١٢٢) **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٥٣ .

(١٢٣) فَرُوي عن رُبيع بنت معوذ بن عفراء خروج نساء الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته لسقاية الأفراد ومعالجة الجرحى .

- **البخاري** ، *صحيح البخاري* ، ج٧ (كتاب الطب) باب هل يُداوي الرجل المرأة والمرأة الرجل؟ ص ١٢ .

(١٢٤) **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص١٥٣ .

(١٢٥) **خليفة بن خياط** ، *تاريخ خليفة بن خياط* ، ص ١٦٠ .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ٤٥٤ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص١٥٣ .

- **السيوطي** ، *الخصائص* ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ .

(١٢٦) **مالك** ، *الموطأ* ، ص ٣٤٧ هامش (٥٨) .

(١٢٧) الترك : كلمة لها ثلاثة مفاهيم وهي كالتالي :

١ - تُرك : اسم بلدة بديار الترك (بمعنى المكان) .

٢ - تُرك : حرف يقع على الوقت وهو وسط إدراك كل شيء من الثمار .

٣ - ترك : اسم ابن نوح عليهما السلام .

والترك كلمة تطلق على عدة أقوام تقطن مناطق شاسعة في آسيا الصغرى .

وساهم الإسلام بشكل فعال ومؤثر في تعميم كلمة ترك على جميع الأقوام القاطنة وراء نهر جيحون ، إضافة إلى عوامل أخرى ساعدت في تعميم كلمة «ترك» منها أن لغتهم واحدة وكذلك أشكالهم وألوانهم وأجسادهم وطرق معيشتهم وفي عرفهم وتقاليدهم تشابه كبير .

- زكريا التابجي ، الترك في مؤلفات الجاحظ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٢م ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٤٧ .

(١٢٨) الذَلَفَ : « صغر الأنف - رجل أذلف وامرأة ذلفاء من قوم ذُلف - قال أبو بكر إذا كان الأنف صغيراً في دقة قيل أنف أذلف » .

- **ابن دريد** ، جمهرة *اللغة* ، ج ٣ ، ص ٣١٥ ، ٣١٦ .

(١٢٩) المجان المطرقة ، يعني التراس التي طُورق بعضها على بعض .

- **ابن دريد** ، جمهرة *اللغة* ، ج٣ ، ص ٣١٦ .

(١٣٠) **صحيح البخاري** ، ج٣ (كتاب الجهاد والسير) - باب قتال ترك - ص ٢٣٣ .

(١٣١) **البخاري** ،صحيح *البخاري* ، ج٣ (كتاب الجهاد والسير) - باب قتال الذين ينتعلون الشعر - ج٣ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ج٤ (كتاب المناقب) - باب علامات النبوة في الإسلام - ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(١٣٢) **صحيح مسلم** ، الجزء الثامن ، ١٣٣٤هـ (كتاب الفتن واشراط الساعة) - باب لاتقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء - ص١٨٤ .

(١٣٣) **سنن أبي داود** ، ج٢ (كتاب الملاحم) باب قتال الترك - ص ٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(١٣٤) **سنن أبي داود** ، ج٢ (كتاب الملاحم) - باب في قتال الترك - ص ٤٦٦ .

(١٣٥) **الجامع الصحيح** ، ج٤ (كتاب الفتن) - باب ماجاء في قتال الترك ص٤٣٠ .

(١٣٦) **سنن النسائي** ، ج٦ (كتاب الجهاد) - باب غزوة الترك والحبشة - ص٣٧ .

(١٣٧) عبد الله بن الزبير ، المجلد الثاني (الجزء الثامن) ص٤٦٩) .

(١٣٨) **السنن الكبرى** ، ج٩ (كتاب السير) - باب ماجاء في قتال الذين ينتعلون الشعر وقتال الترك ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(١٣٩) تاريخ الإسلام ، الجزء الثاني ، تحقيق : حسان الدين القدسي ، دمشق ١٩٢٧م ، ص ٢٦٧ .

(١٤٠) **البداية والنهاية** ، ج٧ ، ص ١٢٣ .

(١٤١) **الخصائص** ، ج٢ ، ص ٤٠٩ .

(١٤٢) أذربيجان ، كورة تلي الجبال من بلاد العراق .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ٢٠ .

(١٤٣) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ١٥٥ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٢٢ .

(١٤٤) سبقت ترجمة في ص ١٨ هامش ٦٣ .

(١٤٥) **يوسف عزت باشا** ، *تاريخ القوقاز* ، تعريب عبد الحميد غالب باشا، استانبول ، ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م . ص ٣٤ .

(١٤٦) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ١٥٥ .

- **ابن كثير** ، **البداية والنهاية** ، ج٧ ، ص ١٢٣ .

- **يوسف عزت باشا** ، *تاريخ القوقاز* ، ص ٢٤ ، ٣٥ .

- **حسين مجيب المصري** ، *صلات بين العرب والفرس والترك* ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(١٤٧) بكير بن عبد الله ، شارك في معارك فتح فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٢٢ .

وجاء في الإصابة « بكر » بدل « بكير » .

- **ابن حجر** ، ج١ ، ص ١٧٥ .

(١٤٨) موقان : مدينة بخرسان .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ٥٦٦ .

(١٤٩) حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهيب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، أُسند إليه قيادة بعض الجيوش في بلاد فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

- **خليفة بن خياط** ، *الطبقات* ، ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠١ .

(١٥٠) تفليس : مدينة في أول حدود أرمينية .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ١٣٩ .

ويسكنها الكرج والأرمن .

- **يوسف عزت باشا** ، *تاريخ القوقاز* ، ص ٨ ، ١٤ .

(١٥١) حذيفة بن أسيد ، ويقال أمية بن أسيد بن خالد بن الأعور ، صحابي جليل ، شارك في حركة الفتح في بلاد فارس في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

- **ابن حجر** ، *الإصابة* ، ج١ ، ص ٣١٧ .

(١٥٢) جبال اللان : تقع في بلاد الخزر في بلاد ماوراء النهر .

- **كي لسترنج** ، *بلاد الخلافة الشرقية* ، ترجمة بشير فرنسيس ، كوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، ص ٢١٣ .

(١٥٣) عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي توفي شهيداً ببلاد بلنجر ، وقبره معروف ويلقب بـ "ذا النور" .

- **ابن عبد البر** ، *الاستيعاب* ، ج٢ ، ص ٤١٨ .

(١٥٤) سلمان بن ربيعة الباهلي ، له جهاد في بلاد بلنجر في بلاد ماوراء النهر .

- **ابن عبد البر** ، *الاستيعاب* ، ج٢ ، ص ٦١ .

- **ابن حزم** ، *جمهرة أنساب العرب* ، ج١ ، ص ٢٤٧ .

(١٥٥) الباب (باب الأبواب - دربند - دربنت) مدينة على ضفة بحر قزوين (الخزر) وهي بوابة الحدود بين الفرس والترك .

- **زكريا بن محمد بن محمود القزويني** ، *آثار البلاد وأخبار العباد* ، بيروت ، دار بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

- **كي لسترنج** ، *بلدان الخلافة الشرقية* ، ص ٢١٤ .

- **يسري عبد الرازق الجوهري** ، *العالم الإسلامي في آسيا وأفريقية* ، الاسكندرية ، مؤسسة

شباب الجامعة ، ١٩٨٥م ، ص ١٣ .

(١٥٦) بلنجر : يتضح مما جاء في المصادر أنها مدينة في بلاد ماوراء النهر (جيحون) وهي تلي مدينة الباب (دربند) .

(١٥٧) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

- **يوسف عزت باشا** ، *تاريخ القوقاز* ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(١٥٨) نهر جيحون (جيحان - أوكسس) ويقع في آسيا الوسطى وينبع من المرتفعات الواقعة في شمالي إرمينية ، وهو يفصل بين بلاد الفرس وبلاد الترك .

- **كي لسترنج** ، *بلدان الخلافة الشرقية* ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

(١٥٩) خراسان : (البلاد الشرقية) إقليم واسع بفارس حيث يشتمل على جميع الأقاليم الواقعة شرقي المفازة الكبرى حتى جبال الهند .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ٢١٤ .

- **كي لسترنج** ، *بلدان الخلافة الشرقية* ، ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

(١٦٠) **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ق٣ ، ص ٣٨٧ .

(١٦١) مرو الروذ (مرو الصغرى) : من كبريات مدن إقليم خراسان .

- **الحميري** ، *الروض المعطار* ، ص ٥٣٣ .

- **كي لسترنج** ، *بلدان الخلافة الشرقية* ، ص ٤٤٧ .

(١٦٢) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ١٦٨ ، ١٧٠ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٢٧ .

(١٦٣) **زكريا التابجي** ، *الترك في مؤلفات الجاحظ* ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(١٦٤) حذيفة بن اليمان (حسل - حسيل) بن جابر بن عمرو بن عيس ، صحابي جليل ، كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يشارك في الغزوات ، وبعد وفاته شارك في معارك الردة ، ثم انتقل إلى العراق مجاهداً في سبيل الله .

- **خليفة بن خياط** ، *الطبقات* ، ص ٤٨ ، ١٣٠ .

(١٦٥) ذكر ابن كثير أن سلمان بن ربيعة هو الذي تقدم إلى مدينة الباب بدلاً من حذيفة .

- **البداية والنهاية** ، ج٧ ، ص ١٥٩ .

(١٦٦) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ٢٨١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

- **ابن الأثير** ، *الكامل* ، ج٣ ، ص ١٤ ، ١٥ .

- **ابن كثير** ، *البداية والنهاية* ، ج٧ ، ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(١٦٧) بلاد ماوراء النهر : يقصد به ماوراء نهر جيحون حيث يسكن الترك .

- **القزويني** ، *آثار البلاد وأخبار العباد* ، ص ٥٥٧ .

(١٦٨) الهياطلة : من هيطل اسم لبلاد ما وراء النهر .

- **ياقوت** ، معجم *البلدان* ، ج٥ ، ص ٤٢٢ .

- حسين مجيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، ص ٢٧٦ .

(١٦٩) **البلاذري** ، فتوح *البلدان* ، ق ٣ ، ص ٤٩٩ .

(١٧٠) طخارستان : الولاية الكبرى في أعالي نهر جيحون وهي الآن جزء من أراضي جمهورية طاجيكستان .

- **يسري عبد الرازق الجوهري** ، *العالم الإسلامي في أسيا وأفريقية* ، ص ١٣ .

(١٧١) **زكريا التابجي** ، *الترك في مؤلفات الجاحظ* ، ص ٥٦ .

(١٧٢) **الطبري** ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ج٤ ، ص ٣١٤ .

- وذكر البلاذري روايتين في فتوح بلاد ماواء النهر :

- الرواية الأولى أن عبد الله بن عامر هو الذي عبر نهر جيحون إلى بلاد ماوراء النهر وعقد مع أهلها الصلح .

- والرواية الثانية : أن أهل بلاد ماوراء النهر هم الذين جاءوا إليه وعقدوا معه الصلح، وبعث معهم من يأخذ منهم الجزية .

- فتوح البلدان ، ق٣ ، ص ٥٠٤ .

المصادر والمراجع

المصادر

- **ابن الأثير ، علي بن محمد** (ت٦٣٠هـ) . *أسد الغابة* . تحقيق : إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود إبراهيم فايد ، دار الشعب ، بدون .

- **ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد** (ت٦٣٠هـ) ، *الكامل* ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- **ابن الجوزي ، عبد الرحمن** (ت٥٩٧هـ) . *تلقيح فهوم أهل الأثر* ، القاهرة ، المطبعة النموذجية ، ١٩٧٥م ، صفة الصفة . تحقيق محمود فاخوري ، الطبعة الأولى، حلب ، دار الوعي ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

- **ابن حبان ، محمد** (ت ٣٥٤هـ) . *تاريخ الصحابة* . تحقيق : بوران الضناوي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

- **ابن حجر ، أحمد بن علي** (ت ٨٥٢هـ) ، *الإصابة في تمييز الصحابة* ، الطبعة الأولى ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ ، فتح الباري. تحقيق : عبد الرؤف سعد، ومصطفى محمد الهواري، ومحمد عبد المعطي ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ،١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م .

- **ابن حزم ، علي بن أحمد** (ت٤٥٦هـ) . جمهرة *أنساب العرب* . تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

- **ابن حنبل ، أحمد** (ت٢٦١هـ) . **المسند (بهامشه كنز العمال)** . بيروت ، المكتب الإسلامي ودار صادر ، بدون .

- **ابن خلدون ، عبد الرحمن** (ت٨٠٨هـ) . *العبر وديوان المبتدأ والخبر* . بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بدون .

- **ابن دريد ، محمد بن الحسن** (ت٣٢١هـ) . جمهرة *اللغة* . بغداد ، مكتبة المثنى ، بدون .

- **ابن زنجويه ، حميد** (ت٢٥١هـ) . *الأموال* . تحقيق : شاكر ذيب فياض، الطبعة الأولى ،

الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

- **ابن سعد ، محمد** (ت٢٣٠هـ) . *الطبقات* . القاهرة ، مؤسسة دار التحرير، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

- **ابن شاكر الكتبي ، محمد** (ت٧٦٤هـ) . *عيون التواريخ* . تحقيق : حسام الدين القدسي ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٨٠م .

- **ابن عبد البر ، يوسف** (٤٦٣هـ) ، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* (بهامش الإصابة لابن حجر) . الطبعة الأولى ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ ، الدرر في اختصار المغازي والسير . تحقيق : شوقي ضيف ، القاهرة ، مؤسسة دار التحرير، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م .

- **ابن عساكر ، علي بن هبه** (ت٥٧١هـ) . *تهذيب تاريخ دمشق الكبير* . تهذيب عبد القادر أحمد بدران ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار المسيرة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- **ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم** (ت٢٧٦هـ) . *المعارف* . تحقيق : ثروت عكاشة ، الطبعة الثانية ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٩م .

- **ابن كثير ، إسماعيل بن عمر** (ت٧٧٤هـ) . *البداية والنهاية* . بيروت، دار ابن كثير ، بدون .

- **ابن ماجه ، محمد بن يزيد** (ت٢٧٥هـ) *سنن ابن ماجه* . تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، الطبعة الأولى ، الرياض ،شركة الطباعة العربية السعودية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- **ابن ماكولا ، علي بن هبة الله** (ت٤٨٧هـ) . *الإكمال* . الهند ، ١٩٦٢م .

- **ابن منظور ، محمد بن مكرم** (ت٧١١هـ) . *لسان العرب* ، بيروت ، دار صادر ، دار بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .

- **ابن هشام ، عبد الملك بن هشام** (ت٢١٣هـ) ، *السيرة النبوية* ، تحقيق : أحمد حجازي السقا ، مصر ، دار التراث العربي للطباعة والنشر ، بدون .

- **أبو داود ، سليمان بن الأشعث** (ت٢٧٥هـ) . *سنن أبي داود* . تعليق أحمد سعد علي ، الطبعة الثانية ، مصر ، ملتزم الطبع والنشر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- **أبو العرب ، محمد بن أحمد** (ت٣٣٣هـ) . *المحن* . تحقيق : يحيى وهيب الجبوري ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- **الأصفهاني ، أحمد بن عبد الله** (ت٤٣٠هـ) . *حلية الأولياء* ، المكتبة السلفية ، بدون .

- **البخاري ، محمد بن إسماعيل** (ت٢٥٦هـ) . *التاريخ الكبير* . بيروت ١٩٨٦م ، صحيح البخاري ، المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا ، ١٩٨١م .

- **البلاذري ، أحمد بن يحيى** (ت٢٧٩هـ) . *فتوح البلدان* . تحقيق : صلاح الدين المنجد ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، بدون .

- **البيهقي ، أحمد بن الحسين** (ت٤٥٨هـ) . *دلائل النبوة* . بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ.

- **الترمذي ، محمد بن عيسى** (ت٢٧٩هـ) . *الجامع الصحيح* (سنن الترمذي) تصحيح عبد الرحمن محمد عثمان ، بدون .

- **الجوهري ، إسماعيل بن حماد** . (ت٣٩٣هـ) . *الصحاح* . تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- **الحاكم ، محمد** (ت٤٠٥هـ) . *المستدرك (وبذيله التلخيص للذهبي)* . حلب ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، بدون .

- **الحميدي ، عبد الله بن الزبير** (ت٢١٩هـ) *المسند* . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، بيروت ، القاهرة ، عالم الكتب ، مكتبة المثنى ، بدون .

- **الحميري ، محمد بن عبد المنعم** (ت٧٢٧هـ) . *الروض المعطار في خبر الأقطار* . تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٤م .

- **الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي** (ت٤٦٣هـ) . *تاريخ بغداد* . بيروت ، دار الكتاب العربي ، بدون .

- **خليفة بن خياط ، خليفة بن خياط بن أبي هبيرة** (ت٢٤٠هـ) . *تاريخ خليفة بن خياط* . تحقيق : أكرم ضياء العمري ، الطبعة الثانية ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، الطبقات . تحقيق : أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية ، الرياض ، دار طيبة ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

- **الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن** (ت٢٥٥هـ) . *سنن الدارمي* . طبع بعناية محمد أحمد دهمان، دار إحياء السنة النبوية ، بدون .

- **الذهبي ، محمد بن أحمد** (ت٧٤٨هـ) ، *تجريد أسماء الصحابة* . تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدين ، بومباي ، الناشر شرف الدين الكتبي وأولاده ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ، سير أعلام النبلاء تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

- **السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله** (ت٥٨١هـ) . *الروض الأنف* . ضبط طه عبد الرؤوف سعد، مصر ، مؤسسة نبع الفكر العربية للطباعة ، ١٩٧٣م .

- **السيوطي ، عبد الرحمن** (ت٩١١هـ) ، *الخصائص* . تحقيق : محمد خليل هراس ، مصر ، دار الكتب الحديثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

- **الطبراني ، سليمان بن أحمد** (ت٣٦٠هـ) . *المعجم الكبير* . ج٤ ، ج٢٥ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي ، بغداد ، مطبعة الأمة ، بدون . ج١٧ تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، الموصل ، مطبعة الزهراء الحديثة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- **الطبري ، محمد بن جرير** (ت ٣١٠هـ) . *تاريخ الرسل والملوك* . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ، مصر ، دار المعارف ، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.

- **القرطبي ، بقي بن مخلد** (ت٢٧٦هـ) . *بقي بن مخلد ومقدمة مسنده* . تحقيق: أكرم ضياء العمري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- **القزويني زكريا بن محمد** (ت٦٨٢هـ) . *آثار البلاد وأخبار العباد* . بيروت ، دار بيروت ،

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- **الكلاعي ، سليمان بن موسى** (ت٦٣٤هـ) . *الاكتفاء في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء* . تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م .

- **مالك بن أنس ، مالك بن أنس** (ت١٧٩هـ) . *الموطأ* . تحقيق : سعيد اللحام ، مراجعة مصطفى قصاص ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار احياء العلوم ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

- **الماوردي ، علي بن محمد** (ت٤٥٠هـ) ، *الأحكام السلطانية* . تصحيح محمد بدر النعساني الحلبي ، الطبعة الأولى ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٢٧هـ ، أعلام النبوة . مراجعة طه عبد الرؤوف سعد ، مصر ، مطبعة شمس الحرية ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .

- **مسلم ، مسلم بن الحجاج** (ت٢٦١هـ) . *صحيح مسلم (وبهامشه شرح النووي)* . تحقيق : عبد الله أحمد أبو زينة ، القاهرة ، دار الشعب ، بدون .

- **المقريزي ، أحمد بن علي** (ت٨٤٥هـ) *امتاع الاسماع* . ج١ ، تصحيح محمود شاكر ، الطبعة الثانية ، قطر ، بدون .

- **المنذري عبد العظيم بن عبد القوي** (ت٦٥٦هـ) . مختصر *سنن أبي داود* . تحقيق : محمد حامد الفقي ، القاهرة ، مكتبة السنة المحمدية ، بدون .

- **الموصلي ، أحمد بن علي** (ت٣٠٧هـ) . مسند *أبي يعلي الموصلي* . تحقيق : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى ، دمشق ، بيروت ، دار المأمون للتراث ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

- **النسائي ، عبد الرحمن بن شعيب** (ت٣٠٣هـ) . *سنن النسائي (ومعه زهر الربي على المجتبى للسيوطي)* . الطبعة الأولى ، مصر ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

- **الهندي ، علي المتقي بن حسام الدين** (ت٩٧٥م) . *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال* . ضبط بكري حياني ، تصحيح صفوت السقا ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

- **الهيثمي ، علي بن أبي بكر** (ت٨٠٧هـ) . مجمع *الزوائد ومنبع الفوائد* . بيروت، مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- **ياقوت ، ياقوت بن عبد الله** (ت٦٢٦هـ) . معجم *البلدان* . بيروت ، دار صادر ، بدون .

المراجع

- **التابجي** ، زكريا ، *الترك في مؤلفات الجاحظ* ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م .

- **الجوهري ، يسري عبد الرزاق** . *العالم الإسلامي في آسيا وافريقية*، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٥م .

- **السندي ، عبد القادر حبيب الله** ، *الذهب المسبوك* في تحقيق روايات غزوة تبوك. الكويت ، مكتبة المعلا ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- **عزت ، يوسف باشا** ، *تاريخ القوقاز* ، تعريب عبد الحميد غالب باشا ، استانبول، ١٣٣٠هـ - ١٩١٢ .

- **لسترنج كي** ، *بلدان الخلافة الشرقية* ، ترجمة بشير فرنسيس ، كوركيس عواد، الطبعة الثانية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- **المصري** ، حسين مجيب ، *صلات بين العرب والفرس والترك* . القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م .

- **النبهاني ، يوسف بن إسماعيل** ، *حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين*، الناشر حسن جعنا ، يطلب من محمد أمين دمج ، بدون .

المجلات :

- **مجلة الدارة** ، العدد الثاني (السنة ٢١) محرم - صفر - ربيع ١٤١٦هـ ، الرياض .

Gold Tidinings by the Messenger, Peace and Blessing be Upon Him: A Historical Perspective for Future [11-35 H]

FAWZI MOHAMMAD, SAATI
Associate Professor, History Department, College of Shariyah, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, Saudi Arabia

ABSTRACT. Praise be unto Allah; peace and blessing be upon the one after whom there is no prophet. This is a summary of a dissertation on {Glad Tidings by the messenger, peace and blessing be upon him – A Historical Perspective for Future} [11-35 H].

The dissertation comprises two section; the introduction and Glad Tidings.

I have mentioned in the introduction the importance of history and shed light on its beginning as per the Islamic Higra year as well as on the Holy Qura'n and its historical stories which contain glad tidings for Muslims. In the second section I have explained the glad tidings of the Messenger, peace and blessings be upon him, regarding events to happen to certain of his companions, which eventually became true during the eras of the first orthodox Caliphs. Moreover, I have given details of the Glad Tidings as follows:

Firstly: Glad Tidings of the messenger, peace and blessing be upon him, accomplished during the era of caliphate of Abu Bakar Assidige, may Allah be please with him.

Secondly: Glad Tidings of the messenger, peace and blessing be upon him, accomplished during the era of the caliphate of Omar Ibn Al-Khtab, may Allah be please with him.

Thirdly: Glad tidings of the messenger, peace and blessing be upon him, accomplished during the era of Caliphate of Osman Ibn Afan, may Allah be pleased with him.

مجلة جامعة الملك عبد العزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م١٠ ، ص ص ٣١٧-٣٧٦ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)

تخصيص أحد الوحيين بالآخر عند الأصوليين بين المانعين والمجوِّزين

علي بن سعد الضويحي

أستاذ أصول الفقه المشارك - بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء

فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المستخلص : ١ - توصل هذا البحث إلى أن : التخصيص في اللغة يطلق على ثلاثة معان هي : الإفراد - والتفضيل ، وضد التعميم .

٢ - التخصيص في الاصطلاح هو : إخراج بعض ماتناوله الخطاب ، أو هو : قصر العام على بعض مسمياته .

٣ - الراجح جواز تخصيص الكتاب بالكتاب ، إذ المخالفون في ذلك شذوذ لعدولهم عما تلقاه الخلف عن السلف بالرضا والقبول .

٤ - الراجح جواز تخصيص السنة بالسنة ، إذ المخالف في ذلك لا مستند له من العقل السليم أو النقل الصحيح .

٥ - الإجماع قائم على جواز تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة ، وما نقل من خلاف في ذلك فلا يعول عليه لعدم تحقق ثبوته .

٦ - ما استدل به الأصوليون من أحاديث فيما يتعلق بتخصيص الكتاب بالسنة المتواترة ليس هو من قبيل المتواتر بل هو من قبيل الآحاد ، ولعل مما يبرر لهم ذلك أن هذه الأحاديث وإن لم تكن متواترة لفظًا فهي متواترة حكمًا لاتفاق الصحابة رضي الله تعالى عنهم على مدلولها .

٧ - الراجح جواز تخصيص الكتاب بالسنة الآحادية مطلقًا ، لانعقاد إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على حمل عمومات القرآن على خصوص أخبار الآحاد .

٨ - الراجح جواز تخصيص السنة بالكتاب ، لعدم استحالته عقلاً ، ولقيام دليل وقوعه شرعًا .

٩ - الراجح جواز تخصيص الكتاب ومتواتر السنة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، لأن الله تعالى أمر باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في أفعاله ، فيترك العموم بها .

١٠ - الراجح جواز تخصيص العموم بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم، إذ إن القول بالتخصيص جمع بين الدليلين فيكون أولى من إعمال أحدهما وإهمال الآخر .

المقدمة

الحمد لله الذي بدأ الخلق وإذا شاء أعاده ، والصلاة والسلام على من شيد الدين ووطد عماده، وعلى آله وأصحابه أهل الزهد والعبادة ومن تبعه بإحسان وجاهد جهاده .

أما بعد :

فإن للألفاظ العامة الواردة في كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسول الله ﷺ أهمية كبرى ومنزلة عظمى في قضايا الأحكام التشريعية التي تعبد الله تعالى بها عباده وكلفهم بها ، ولذلك فقد عني بها الأصوليون في مباحثهم عناية فائقة من جهة بقائها على ظاهر عمومها أو قصرها على بعض أفرادها إن ظفروا بدليل ناهض يقوي على تخصيصها .

ومن هنا كان للتخصيص هو الآخر أهميته البالغة ومكانته السامقة لدى علماء الأصول حيث جالوا وصالوا في بيان حقيقة التخصيص وأنواع المخصصات ، وماهو محل القبول له والعدول عنه منها ، كل ذلك من باب أخذ الحيطة والحذر في مجال

التعامل مع نصوص الشارع الحكيم ، بحيث لاتزل بهم قدم بتخصيص ما لم يُرد الشارع تخصيصه ، أو تعميم ما لم يرد الشارع تعميمه ، فأحكموا مباحث العموم والخصوص غاية الإحكام بوضع أسس ثابتة ينطلق منها العالم والمجتهد فيجد فيها معتصمًا من الزللْ ومأمنًا من الخطل إذا ضل أهل الأهواء بأهوائهم وأهل الزيغ بزيغهم .

لذلك كله آثرت البحث في جانب من الجوانب المتعلقة بالتخصيص وهو (تخصيص أحد الوحيين بالآخر) بغية أن أنتفع به أولاً وأن ينتفع به طلاب العلم ثانيًا ممن يعنيهم أمر البحث في مثل هذا النوع من التخصيص .

أسباب اختيار الموضوع

من الأسباب الرئيسة التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ما يلي :

١ - ارتباطه بكتاب الله عز وجل وسنة رسول ﷺ اللذين هما العمدة في أحكام الدين وأصول الشريعة .

٢ - تجلية هذا الموضوع بعرض مباحثه المتعلقة به عرضًا أصوليًا بعيدًا عن التعقيد والغموض .

٣ - الوقوف على مذاهب الأصوليين في مسألة تخصيص أحد الوحيين بالآخر ، لبيان الراجح والمرجوح منها .

الدراسات السابقة

الدراسات الأصولية حول موضوع (التخصيص) كثيرة ومتعددة ، قد عني بها أرباب هذا العلم قديمًا وحديثًا .

ورغم أني لم أطلع على مؤلف أصولي أفرد الحديث عن تخصيص أحد الوحيين بالآخر جوازًا ومنعًا ، إلا أنني أجزم بكل ثقة أن الأصوليين في مؤلفاتهم القديمة والحديثة تطرقوا لهذا الموضوع ضمن الحديث عن (المخصصات المنفصلة) .

وإن كان لدراستي لهذا الموضوع من ميزة على تلك الدراسات فإن هذه الميزة تتجلى

في أربعة أمور كالآتي :

١ - إفراد الحديث بصفة خاصة عن تخصيص كل من الكتاب والسنة للآخر دون بقية الأدلة الصالحة لتخصيصهما كالإجماع والقياس .

وهذا من شأنه أن يجعل الحديث في ذلك أكثر استيعابًا وتركيزاً .

٢ - جمع المتفرق من شتات هذا الموضوع المتناثرة في بطون كتب الأصول المتعددة في بحث مستقل ، مع بسط الحديث عن جزئياته بدءاً بسرد الأقوال وعرض الأدلة وإيراد المناقشات ، وانتهاء بذكر القول الراجح وبيان أسباب ترجيحه .

٣ - بيان ماقد يرد على أقوال بعض الأصوليين من إشكالات ، كاستدلال العلماء بأحاديث آحاد في معرض إقامتهم الحجة على جواز تخصيص الكتاب بمتواتر السنة ، ومحاولة رد هذه الإشكالات حسب القدرة والإمكان .

٤ - كشف الغطاء عن حقيقة مايحكيه بعض الأصوليين من إيراد خلاف في مسألة تقرر ثبوت الإجماع عليها .

خطة البحث

البحث في هذا الموضوع سينتظم عقده في مقدمة ، وثمانية مباحث ، وخاتمة .

أ) المقدمة وتشتمل على أربعة أمور :

١ - أسباب اختيار الموضوع .

٢ - الدراسات السابقة .

٣ - خطة البحث .

٤ - منهج البحث .

ب) المباحث ، وبيانها كما يلي :

المبحث الأول : (تعريف التخصيص) .

المبحث الثاني : (تخصيص الكتاب بالكتاب) .

المبحث الثالث : (تخصيص السنة بالسنة) .

المبحث الرابع : (تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة) .

المبحث الخامس : (تخصيص الكتاب بالسنة الآحادية) .

المبحث السادس : (تخصيص السنة بالكتاب) .

المبحث السابع : (تخصيص الكتاب والسنة المتواترة بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم) .

المبحث الثامن : (تخصيص العموم بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم) .

ج) الخاتمة : وستشتمل على أهم نتائج البحث .

منهج البحث

هذه المباحث سيتم معالجتها - بمشيئة الله تعالى - وفق المنهج الآتي :

١ - إيجاد الربط في كل لفظ معرف بين معناه اللغوي ومعناه الاصطلاحي .

٢ - توثيق الأقوال والأدلة بالرجوع إلى أكثر من مصدر في الغالب .

٣ - نسبة الأقوال إلى أصحابها بأسمائهم إلا فيما لم يصرح فيه الأصوليون بذكر صاحب القول .

٤ - البدء أولاً بالقول الراجح بذكر أدلته ، ثم إردافه ببقية الأقوال المرجوحة مع مناقشة أدلتها .

٥ - بيان الراجح وسبب الترجيح في جميع المسائل الخلافية .

٦ - عزو الآيات الكريمة إلى مواضعها من السور في كتاب الله تعالى .

٧ - تخريج الأحاديث الشريفة من مظانها في كتب الحديث ، مع بيان درجتها إن لم

تكن في أحد الصحيحين .

٨ - عدم ترجمة الأعلام خشية إثقال الحواشي بتلك التراجم .

٩ - اختصار أهم النتائج التي توصلت إليها ، وإثباتها في خاتمة البحث .

١٠ - وضع محتوى يمثل قائمة بالمراجع التي منها خرج هذا البحث .

١١ - ترتيب تلك المراجع حسب الحروف الهجائية .

والله تعالى أسأل ضارعًا أن يمن علي بعونه وتوفيقه حتى يخرج هذا البحث بالشكل الذي يرضيه ، وأن يجعله مقبولاً لديه ، محققًا النفع لكل من قرأه واطلع عليه . وهو حسبي ونعم الوكيل .

المبحث الأول

(تعريف التخصيص)

١ - تعريفه في اللغة

التخصيص في اللغة يطلق على ثلاثة معان :

الأول : الإفراد ، يقال : (اختص فلان بالأمر ، وتخصص له) إذا انفرد .

الثاني : التفضيل ، يقال : (خصه بالشيء خصا وخصوصا وخصوصية وخصيصي وخصية وتخصة) إذا فضله .

الثالث : ضد التعميم (١) .

وإذا كان التعميم يعني الشمول والإحاطة ، فإن التخصيص بحكم الضدية يعني الحصر والقصر .

٢ - تعريفه في الاصطلاح

أ) عرفه أبو الحسين البصري رحمه الله تعالى بقوله : (هو إخراج بعض ماتناوله الخطاب مع كونه مقارنا له) (٢) .

ب) وعرفه الفخر الرازي رحمه الله تعالى بقوله : إخراج بعض ماتناوله الخطاب عنه(٣) .

ج) وعرفه ابن الحاجب رحمه الله تعالى بقوله : قصر العام على بعض مسمياته(٤) .

---

(١) انظر لسان العرب مادة "خصص" ٧/ ٢٤ ، القاموس المحيط مادة "خصة" ٢/ ٣٠٠ .

(٢) انظر المعتمد ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٣) انظر المحصول ١/ ٣/ ٧ .

(٤) انظر منتهى الوصول والأمل ص ١١٩ .

وهذه التعريفات في مجملها لم تسلم من النقد والرد ، فقد اعتُرض على تعريف أبي الحسين البصري : بأنه مما لايمكن حمله بظاهره على كل مذهب ، أما على مذهب أرباب الخصوص فلأن الخطاب عندهم منزل على أقل ما يحتمله اللفظ ، فلا يتصور إخراج شيء منه .

وأما على مذهب أرباب الاشتراك فمن جهة أن العمل باللفظ المشترك في بعض محامله لايكون إخراجًا لبعض ماتناوله الخطاب عنه ، بل غايته استعمال اللفظ في بعض محامله دون البعض .

وأما على مذهب أرباب الوقف فظاهر : إذ اللفظ عندهم موقوف لايعلم كونه للخصوص أو للعموم ، وهو صالح لاستعماله في كل واحد منهما ، فإن قام الدليل على أنه أريد به العموم وجب حمله عليه وامتنع إخراج شيء منه ، وإن قام الدليل على أنه للخصوص لم يكن اللفظ إذ ذاك دليلاً على العموم ولامتناولاً له فلا يتحقق بالحمل على الخاص إخراج بعض ماتناوله اللفظ على بعض محامله الصالح فيها .

وأما على مذهب أرباب العموم فغايته أن اللفظ عندهم حقيقة في الاستغراق ومجاز في الخصوص ، وعلى هذا فإن لم يقم الدليل على مخالفة الحقيقة وجب إجراء اللفظ على جميع محامله من غير إخراج شيء منها ، وإن قام الدليل على مخالفة الحقيقة وامتناع العمل باللفظ في الاستغراق وجب صرفه إلى محمله المجازي وهو الخصوص ، وعند حمل اللفظ على المجاز لايكون اللفظ متناولاً للحقيقة وهي الاستغراق ، فلا تحقق لإخراج بعض ماتناوله الخطاب عنه ، إذ هو حالة كونه مستعملاً في المجاز لايكون مستعملاً في الحقيقة (١) .

وهذا الاعتراض بنفسه متوجه إلى تعريف الفخر الرازي ، إذ إنه مستقى من تعريف أبي الحسين البصري .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٢٨١ .

واعترض على تعريف ابن الحاجب : بأن لفظ «القصر» يحتمل القصر في التناول أو الدلالة أو الحمل أو الاستعمال [١] .

وإذا كان التعريف محتملاً فإنه لايدل على معنى واضح ، وهذا ينافي حقيقة التعريف ، إذ التعاريف مزيلة للإبهام ، ومع الاحتمال لا يزال الإبهام قائمًا .

والذي تميل إليه النفس من هذه التعريفات هو التعريف الثاني والثالث ، إذ هما يلتقيان في قاسم مشترك أعظم وهو جعل العام قاصراً على بعض أفراده ، من غير ذكر قيد (الاقتران) ، لأن هذا القيد لم يشترطه جمهور الأصوليين ، وإنما اشترطه بعضهم كالأحناف رحمهم الله تعالى [٢] .

الربط بين المعنى الاصطلاحي والمعاني اللغوية للتخصيص

بين هذا التعريف الاصطلاحي والمعاني اللغوية للتخصيص ارتباط وثيق فإن قصر العام على بعض مسمياته يعني إفراد المخرج عن حكم العام بتفضيله عليه بحكم خاص .

والمعنى اللغوي الأول وهو (الإفراد) ظاهر في التخصيص الشرعي، وذلك أن المخصصّ إذا ورد على اللفظ العام فإنه يفرد المخصَّص بحكم يخالف حكم من لم يُخرج من العموم .

أما المعنى الثاني وهو (التفضيل) فإنه ليس بالضرورة ، أن يدل التخصيص على التفضيل من الناحية الشرعية ، بل قد يكون كذلك كما في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ [٣] .

---

(١) انظر البحر المحيط ٣/ ٢٤١ .

(٢) انظر كشف الأسرار للبخاري ١/ ٦٢١ .

(٣) العصر ، الآيات : (١-٣) .

فإن تخصيص المؤمنين والعاملين للصالحات والمتواصين بالحق والصبر تفضيل لهم بإخراجهم من دائرة الخسران التي ظل فيها غيرهم ممن لم يتصفوا بصفاتهم .

وقد لايكون كذلك كما في قوله سبحانه في شأن إبليس : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١) .

فهذا التخصيص لايقتضي التفضيل ، وإنما مقتضاه الوعيد والتنكيل ، إلا إذا قيل بأنه تفضيل لهم على سبيل الاستهزاء بهم .

المبحث الثاني

(تخصيص الكتاب بالكتاب)

اختلف الأصوليون في تخصيص الكتاب بالكتاب على قولين :

القول الأول

يجوز تخصيص الكتاب بالكتاب .

وإلى هذا القول ذهب جمهور الأصوليين (٢) .

واستدلوا لذلك بالمنقول والمعقول :

---

(١) الحجر ، الآيتان : (٤٢ - ٤٣) .

(٢) انظر اللمع ص ٣٢ - ٣٣ الإحكام ٢/ ٣١٨ ، المحصول ١/ ٣/ ١١٧ ، المعتمد ١/ ٢٥٤ ، روضة الناظر ص٢٤٥ ، الإبهاج ٢/ ١٨٠ ، شرح الكوكب المنير ٣/ ٣٥٩ ، البلبل ص١٠٧ ، الفصول في الأصول ١/ ١٤٢ ، منتهى الوصول والأمل ص١٢٩ ، شرح تنقيح الفصول ص٢٠٢ ، جمع الجوامع ٢/ ٢٦ ، حاشية العطار على جمع الجوامع ٢/ ٦١ ، فواتح الرحموت ١/ ٣٤٥ ، إرشاد الفحول ص ١٥٧ .

١ - أما المنقول فإن قول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ (١) .

ورد مخصصا لقوله تعالى : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (٢) .

ولقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (٣) .

وعليه فإنه المطلقة والمتوفي عنها زوجها تخرجان من العدة بمجرد وضع الحمل .

وكذلك قوله سبحانه : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٤) .

ورد مخصصا لقوله تعالى : ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ (٥) .

وعليه فلا يجوز نكاح المشركة إلا إذا كانت كتابية .

قالوا : وإذا كان تخصيص الكتاب بالكتاب قد وقع فعلاً ، فالوقوع دليل الجواز وزيادة .

٢ - وأما المعقول فهو : أنه إذا اجتمع نصان من الكتاب أحدهما عام والآخر خاص ، وتعذر الجمع بين حكميهما فلا يخلو : إما أن يعمل بالعام أو بالخاص ، فإن عمل بالعام لزم منه إبطال الدليل الخاص مطلقًا ، ولو عمل بالخاص لم يلزم إبطال العام مطلقًا لإمكان العمل به فيما خرج عنه ، فكان العمل بالخاص أولى ، ولأن الخاص

---

(١) الطلاق من الآية (٤) .

(٢) البقرة من الآية : (٢٢٨) .

(٣) البقرة من الآية : (٢٣٤) .

(٤) المائدة من الآية : (٥) .

(٥) البقرة من الآية : (٢٢١) .

أقوى في دلالته وأغلب على الظن لبعده عن احتمال التخصيص بخلاف العام ، فكان لذلك أولى بالعمل .

وعند ذلك لايخلو : إما أن يكون الدليل الخاص المعمول به ناسخا لحكم العام في الصورة الخارجية عنه ، أو مخصصا له ، والتخصيص أولى من النسخ لثلاثة أوجه :

الأول : أن النسخ يستدعي ثبوت أصل الحكم في الصورة الخاصة ورفعه بعد ثبوته ، والتخصيص ليس فيه سوى دلالته على عدم إرادة المتكلم للصورة المفروضة بلفظ العام، فكان ما يتوقف عليه النسخ أكثر مما يتوقف عليه التخصيص ، فكان التخصيص أولى .

الثاني : أن النسخ رفع بعد الإثبات ، والتخصيص منع من الإثبات، والدفع أسهل من الرفع ، فكان التخصيص أولى من النسخ .

الثالث : أن وقوع التخصيص في الشرع أغلب من النسخ ، فكان الحمل على التخصيص أولى إدراجا له تحت الأغلب ، وسواء جهل التاريخ أو علم وسواء كان الخاص متقدما أو متأخرا [١] .

القول الثاني

لايجوز تخصيص الكتاب بالكتاب .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣١٨ ، المحصول ١/ ٣/ ١١٨ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦١١-١٦١٣ ، المعتمد ١/ ٢٥٥ ، شرح الكوكب المنير ٣/ ٣٥٩ ، الإبهاج ٢/ ١٨١ ، اللمع ص ٣٣، شرح تنقيح الفصول ص٢٠٢ ، التحصيل من المحصول ١/ ٣٨٧ ، بذل النظر ص ٢٢٤-٢٢٥ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦١ .

وإلى هذا القول ذهب بعض أهل الظاهر [(١)] .

استدلوا لذلك بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [(٢)] .

ووجهوا هذه الآية الكريمة بقولهم : إن الله تعالى فوض البيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك يقتضي ألا يحصل البيان من غيره عليه الصلاة والسلام ، وإذا كان البيان خاصا به فلا يجوز تخصيص الكتاب بالكتاب .

ونوقشوا في هذا الدليل من وجهين :

الوجه الأول

لانسلم أنه يلزم من تفويض الحق تبارك وتعالى البيان إلى رسول صلى الله عليه وسلم عدم جواز حصوله منه تعالى ، لأنه يجوز أن يفوض الشيء إلى الشخص ويحصل ذلك الشيء من غيره .

وفائدة تفويض الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم البيان تنصيب النبي عليه الصلاة والسلام لذلك ، لا أنه لايجوز من غيره .

الوجه الثاني

سلمنا أنه يلزم من هذا التفويض عدم جواز البيان من غيره عليه الصلاة والسلام ، لكن المراد من البيان هنا هو إظهار مانزل الله تعالى بتلاوته وإبلاغه إلى الأمة ، إذ لو لم يكن المراد منه ذلك لوقع التعارض بين مدلول هذه الآية ومدلول قوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [(٣)] .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣١٨ ، المحصول ١/ ٣/ ١١٧ ، الإبهاج ٢/ ١٨٠ ، شرح الكوكب المنير ٣/ ٣٦٠ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦١ ، التحصيل من المحصول ١/ ٣٨٧ ، شرح تنقيح الفصول ص٢٠ ، فواتح الرحموت ١/ ٣٤٥ ، إرشاد الفحول ص١٥٧ .

(٢) النحل من الآية : (٤٤) .

(٣) النحل من الآية : (٨٩) .

حيث دلت هذه الآية على أن بيان الكتاب لايكون إلا بالكتاب على ماهو المشهور من أن القرآن يفسر بعضه بعضا ، والتعارض خلاف الأصل ، فوجب حمل البيان على التلاوة والإبلاغ .

وإذا كان المراد من البيان هو التلاوة والإبلاغ لم يلزم من تفويض البيان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم عدم جواز تخصيص الكتاب بالكتاب ، إذ هو المظهر للكل (١) .

الترجيح

الذي أراه راجحًا من القولين السابقين هو القول بالجواز تخصيص الكتاب بالكتاب وذلك لأربعة أسباب :

الأول : يحتمل أن يكون المراد من البيان في قوله تعالى : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٢) .

إبلاغه إياهم وإظهاره لهم وتلاوته عليهم ، والبيان بهذا المعنى لايمنع جواز تخصيص الكتاب بالكتاب .

الثاني : أن الله تبارك وتعالى قد تولى بنفسه بيان بعض ما احتاج إلى بيان في كتابه المطهر ، ولم يجعل بيان ذلك موكولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما بين سبحانه أن المباح من زواج المشركات خاص بنساء أهل الكتاب ، وهذا دليل ظاهر على جواز تخصيص الكتاب بالكتاب .

الثالث : أن قوله تعالى : ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٣) .

---

(١) انظر نهاية الأصول ٤/ ١٦١٣ - ١٦١٤ .

(٢) النحل من الآية : (٤٤) .

(٣) النحل من الآية : (٨٩) .

وقوله : ﴿لِتُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٣) .

يقتضي جواز وقوع بيان الكتاب بالكتاب .

الرابع : أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فوض للأمة النظر والاستدلال في بعض ماورد به القرآن الكريم وهو مفتقر إلى بيان ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه في الكلالة : (يكفيك آية الصيف) (٤) ، (٥) .

فلو كان لايجوز البيان من غيره عليه الصلاة والسلام لما جاز له أن يفوض البيان إلى أحد من الأمة كائنا من كان .

وإذا ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم فوض البيان إلى الأمة فلماذا لايجوز تخصيص الكتاب بالكتاب ، والتخصيص أحد أضرب البيان ؟ (٦) .

ونظرا لاستفاضة وقوع تخصيص الكتاب بالكتاب فإن الأقرب في تصوري أن يوصف رأي المخالفين في ذلك بالشذوذ ، لأنه عدول عما تلقاه الخلف عن السلف بالرضا والقبول .

---

(١) الحج من الآية : (٥) .

(٢) الأنعام من الآية : (٣٨) .

(٣) القيامة الآية : (١٩) .

(٤) أخرجه الإمام مالك في كتاب الفرائض ، باب "ميراث الكلالة" الموطأ ص٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٥) آية الصيف هي قوله تعالى في آخر سورة النساء (١٧٦) : ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ ألخ الآية .

(٦) انظر الفصول في الأصول ص ١/ ١٤٣ .

المبحث الثالث

(تخصيص السنة بالسنة)

اختلف الأصوليون في جواز تخصيص السنة بمثلها أي : المتواترة بالمتواترة ، والآحادية بالآحادية على قولين :

القول الأول

يجوز تخصيص السنة بمثلها .

وإلى هذا القول ذهب جمهور الأصوليين (١) .

واستدلوا لذلك بالمنقول والمعقول :

١ - أما المنقول فاستدلوا بوقوع ذلك فعلا ، فإن قول النبي عليه الصلاة والسلام : (ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) (٢) .

ورد مخصصا لقوله عليه الصلاة والسلام : (فيما سقت السماء العشر) (٣) .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٢١ ، المحصول ١/ ٣/ ١٢٠ ، المعتمد ١/ ٢٥٥ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦١، بذل النظر ص ٢٢٧ ، التحصيل من المحصول ١/ ٣٨٧ ، شرح تنقيح الفصول ص٢٠٦ ، نهاية الوصول ٤/ ١٤/ ١٦١ ، فواتح الرحموت ١/ ٣٤٩ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب "ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة" ٢/ ١٣٣ .

ومسلم في كتاب الزكاة (مسلم بشرح النووي ٧/ ٥٠) .

وأبو داود في كتاب الزكاة باب "مايجب فيه الزكاة" ٢/ ٢٠٨ .

والترمذي في أبواب الزكاة ، باب "ماجاء في صدقة الزرع والثمر والحبوب" ٢/ ٦٩ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب "العشر فيما يسقى بماء السماء وبالماء الجاري" ٢/ ١٣٣ .

ومسلم في كتاب الزكاة . باب "مافيه العشر أو نصف العشر" (مسلم بشرح النووي ٧/ ٥٤) .

وأبو داود في كتاب الزكاة باب "صدقة الزرع" ٢/ ٢٥٢ .

والوقوع دليل الجواز وزيادة .

٢ - أما المعقول فمن وجهين :

الوجه الأول

أن الخاص والعام إذا اجتمعا فلا يخلو : إما أن يعمل بهما جميعًا ، أو يترك العمل بهما جميعا ، أو يقدم العام على الخاص ، أو يقدم الخاص على العام .

والأقسام الثلاثة الأول باطلة ، فتعين الرابع ، وهو تقديم الخاص على العام .

الوجه الثاني

أنه لايمتنع تعلق المصلحة به فجاز القول به .

وإذا ثبت ذلك جاز تخصيص السنة بمثلها (١) .

القول الثاني

لايجوز تخصيص السنة بمثلها .

وهذا القول منسوب إلى داود الظاهري ، وطائفة من الأصوليين (٢) .

واستدلوا لذلك فقالوا :

إن الله تعالى بعث نبيه صلى الله عليه وسلم مبينًا ، فتكون سنته مبينة وإذا كانت كذلك فلا يجوز أن تكون بحاجة إلى بيان ، إذ لو احتاجت إلى بيان لم يكن للرد إلى

---

(١) انظر الإحكام ٣/ ٣٢١ ، المحصول ١/ ٣/ ١٢٠ ، شرح تنقيح الفصول ص٢٠٦ ، بذل النظر ص٢٢٨ ، التحصيل من المحصول ١/ ٣٨٧ .

(٢) انظر المعتمد ١/ ٢٥٥ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦١ ، بذل النظر ص٢٢٧ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦١٦ ، شرح الكوكب المنير ٣/ ٣٦٦ .

النبي عليه الصلاة والسلام الذي جعله تعالى مبينًا من معنى (١) .

ونوقشوا في هذا الدليل : بأن كونه عليه الصلاة والسلام بعث مبينًا لايمنع من أن يأتي بسنة محتاجة إلى البيان ، فيبين سنة بسنة أخرى (٢) .

الترجيح

من خلال عرض القولين السابقين يترجح لدى القول بجواز تخصيص السنة بمثلها : إذ المانع من ذلك لامستند له من العقل السليم ولا النقل الصحيح ، فالعقل لايحيل جواز هذا التخصيص ، والنقد قد دل على وقوع ذلك ، والوقوع أقوى دليل على الجواز .

وحيث كان تخصيص السنة بالسنة من الشهرة بمكان فقد وصف المانعون من ذلك بكونهم شواذ وشرذمة ، كما صرح بذلك الصفي الهندي رحمه الله تعالى حيث قال : (يجوز تخصيص السنة المتواترة بالسنة المتواترة ، وكذا يجوز تخصيص الآحاد منها بمثلها . . . خلافا لبعض الشاذين) (٣) .

وكما صرح بذلك ابن الحاجب رحمه الله تعالى حيث قال : (الجمهور يجوز تخصيص السنة بالسنة خلافا لشرذمة) (٤) .

وإنما وصفوا بالشذوذ والشرذمة لمخالفتهم ما أطبق عليه علماء هذه الأمة سلفا وخلفا من جواز تخصيص السنة بمثلها .

---

(١) انظر المعتمد ١/ ٢٥٥ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦١ ، بذل النظر ص٢٢٧ ، نهاية الوصول٤/ ١٦١٦ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) انظر نهاية الوصول ٤/ ١٦١٤-١٦١٦ .

(٤) انظر منتهى الوصول والأمل ص١٣٠ .

المبحث الرابع

(تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة)

نفى الآمدي رحمه الله تعالى الخلاف في جواز تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة حيث قال : (يجوز تخصيص عموم القرآن بالسنة ، أما إذا كانت السنة متواترة فلم أعرف فيه خلافا) (١) .

وتبعه في ذلك الصفي الهندي رحمه الله تعالى ، إلا أنه لم يكتف بنفي الخلاف فقط بل صرح بالإجماع على جواز تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة ، فقال : (يجوز تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة قولا كان أو فعلا بالإجماع لانعرف في ذلك خلافا)(٢) .

وكذلك فقد صرح بالاتفاق على الجواز ابن الحاجب رحمه الله تعالى حيث قال : (يجوز تخصيص القرآن بالسنة المتواترة باتفاق) (٣) .

إلا أن بعض الأصوليين ذكروا خلافا في هذه المسألة ، ومنهم من نسبه لبعض الشافعية كالقرافي رحمه الله تعالى حين قال : (ويجوز عندنا تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة قولاً كانت أو فعلا خلافا لبعض الشافعية) (٤) .

ومنهم من نسبه إلى داود الظاهري كالإسفراييني رحمه الله تعالى حين قال – كما نقله عنه الزركشي – : (لاخلاف في ذلك إلا مايحكى عن داود في إحدى الروايتين)(٥) .

---

(١) الإحكام ٢/ ٣٢٢ .

(٢) نهاية الوصول ٤/ ١٦١٧ .

(٣) منتهى الوصول والأمل ص١٣١ .

(٤) شرح تنقيح الفصول ص٢٠٦ .

(٥) انظر البحر المحيط ٣/ ٣٦٢ .

ومنهم من لم ينسب هذا الخلاف إلى أحد معين كالسبكي رحمه الله تعالى حين قال : (ومنهم من حكى خلافا في السنة الفعلية) (١) .

وهذا الخلاف الذي ذكر لايقوى على نفي الإجماع على جواز هذه المسألة إذ هو مجرد نسبة أقوال دون التحقق من أصحابها ، وقد حاولت جاهدا الوقوف على أسماء من نسب إليهم هذا الخلاف من الشافعية ، وكذلك تحقيق القول فيما نسب إلى داود الظاهري فلم أعثر على مرجع أصولي أماط اللثام عن ذلك ، مما يدل على أن مانقل من خلاف في هذه المسألة يبقى مجرد حكاية لم تثبت أمام البحث العلمي .

وعليه يترجح لدي صحة الإجماع على جواز تخصيص عموم الكتاب بالسنة المتواترة ، لعدم تحقق وجود الخلاف الذي يمكن التعويل عليه .

وإذا تقرر هذا فقد استدل الأصوليون على جواز تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة بالمنقول والمعقول :

١ - أما المنقول فقد استدلوا على تخصيص الكتاب بأحاديث من السنة تفتقر في مجملها إلى وجود وصف (التواتر) فيها ، إذ إن تلك الأحاديث من قبيل الآحاد وليست من قبيل المتواتر ، كما في استدلالهم على تخصيص عموم قول الحق تبارك وتعالى ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ**﴾ (٢) .

بقوله صلى الله عليه وسلم : (القاتل لايرث) (٣) .

---

(١) الإبهاج ٢/ ١٨١ .

(٢) النساء من الآية : (١١) .

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الفرائض ، باب "ماجاء في إبطال ميراث القاتل" ٣/ ٢٨٨ .

وابن ماجه في كتاب الفرائض ، باب "ميراث القاتل" ٢/ ٩١٣ .

وهذا الحديث مروي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة عن الزهري عن حميد بن عبد =

وبقوله صلى الله عليه وسلم : (لايتوارث أهل ملتين) (١) .

وقد حاول القرافي رحمه الله تعالي جاهدا أن يبرر الاستدلال بهذه الأحاديث التي تفتقر إلى وصف (التواتر) لإزالة الإشكال بما مضمونه : أن هذا الإشكال إنما يرد لو كان زماننا زمان النسخ والتخصيص ، وإنما ذلك زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وهذه الأحاديث وأمثالها كانت متواترة في ذلك الزمان لقرب العهد بالمروي عنه ولشدة العناية بالرواية ، والمتواتر قد يصير آحادا ، وكم من قضية كانت متواترة في الزمن الماضي ثم صارت آحادا ، بل ربما نسيت بالكلية (٢) .

إلا أن ماذكره هنا محل نظر ، إذ مؤداه : أن كل أخبار الآحاد كانت متواترة في عهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، بناءً على العلة التي عول عليها .

ولعل الجواب الصحيح عن ذلك أن يقال : إن الحديثين المذكورين وإن كانا آحادين

= الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

قال الترمذي رحمه الله تعالى : (هذا حديث لايصح ، لايعرف هذا إلا من هذا الوجه ، وإسحاق بن عبد الله ابن أبي فروة قد تركه بعض أهل العلم ، منهم أحمد بن حنبل ، والعمل علي هذا عند أهل العلم أن القاتل لايرث) .

سنن الترمذي ٣/ ٢٨٨ .

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الفرائض ، باب " هل يرث المسلم الكافر؟ " ٣/ ٣٢٨-٣٢٩ .

والترمذي في أبواب الفرائض ، باب " ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك " ٢/ ٩١٢ .

وابن ماجه في كتاب الفرائض ، باب " ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك " ٢/ ٩١٢ .

قال الترمذي رحمه الله تعالى في هذا الحديث : (هذا حديث غريب) سنن الترمذي٣/ ٢٨٨ .

(٢) انظر شرح تنقيح الفصول ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، الإبهاج ٢/ ١٨١ - ١٨٢ .

من حيث سندهما إلا أنهما في حكم المتواتر لاتفاق الصحابة رضي الله تعالى عنهم على مدلولهما ، فهما من قبيل المتواتر حكمًا لا لفظًا .

ولم يسلم لهؤلاء من استدلالهم على جواز تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة إلا دليل واحد ، وهو تخصيص قول الحق تبارك وتعالى : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (١) . بما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم من رجم ماعز (٢) رضي الله تعالى عنه .

٢ - وأما المعقول : فكما سبق من أن العام والخاص إذا اجتمعا لم يخل الحال فيهما من أربعة أمور :

الأول : العمل بهما معا .

---

(١) النور من الآية (٢) .

(٢) ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (أتى رجل من المسلمين - وهو ماعز بن مالك الأسلمي - رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فناداه فقال : يارسول الله إني زنيت ، فأعرض عنه حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون؟ قال : لا ، قال : فهل أحصنت ؟ قال : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه) .

أخرجه البخاري في كتاب المحاربين ، باب "رجم المحصنين" ٨/ ٢١ .

ومسلم في كتاب الحدود ، باب "من اعترف على نفسه بالزنى" (مسلم بشرح النووي ١١/ ١٩٣) .

وأبو داود في كتاب الحدود ، باب "رجم ماعز بن مالك" ٤/ ٥٨٠ .

والبيهقي في كتاب الحدود ، باب "من أجاز ألا يحضر الإمام المرجومين ولاالشهود" ٨/ ٢١٩ .

الثاني : ترك العمل بهما معا .

الثالث : تقديم العام على الخاص .

الرابع : تقديم الخاص على العام .

والثلاثة الأول باطلة ، فتعين الرابع ، وهو تقديم الخاص على العام .

وبذلك يكون تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة جائزاً (١) .

المبحث الخامس

(تخصيص الكتاب بالسنة الآحادية)

اختلف الأصوليون في جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد على أربعة أقوال :

القول الأول

يجوز تخصيص الكتاب بخبر الواحد مطلقا .

وإلى هذا القول ذهب الجمهور .

واستدلوا لذلك بالمعقول ، والإجماع :

١ - أما المعقول فقالوا : إن العموم وخبر الواحد دليلان متعارضان، وخبر الواحد أخص من العموم ، فوجب تقديمه على العموم .

وإنما قلنا : إنهما دليلان لأن العموم دليل بالاتفاق ، وأما خبر الواحد فهو دليل أيضًا لأن العمل به يتضمن دفع ضرر مظنون فكان العمل به واجبًا ، فكان دليلاً .

وإذا ثبت ذلك وجب تقديم خبر الواحد على العموم ، لأن تقديم العموم عليه يفضي

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٢٢، المحصول ١/ ٣/ ١٢٠-١٢٣ ، التحصيل من المحصول ١/ ٣٨٧-٣٨٨، البحر المحيط ٣/ ٣٦٢، المعتمد ١/ ٢٥٥ ، الإبهاج ٢/ ١٨١ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦١٧-١٦١٨ .

إلى إلغائه بالكلية ، أما تقديمه على العموم فلا يفضي إلى إلغاء العموم بالكلية، فكان ذلك أولى كما في سائر المخصصات .

٢ - وأما الإجماع فهو إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على تخصيص عموم الكتاب بأخبار الآحاد ، ومما يدل على ذلك ما يلي :

أولاً : أنهم خصصوا قوله تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ (١) .

بما روى الصديق رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (نحن معاشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة) (٢) .

وبقوله عليه الصلاة والسلام : (لايتوارث أهل ملتين) (٣) .

وبقوله عليه الصلاة والسلام : (القاتل لايرث) (٤) .

وكل واحد من هذه الأخبار خبر واحد .

ثانيًا : أنهم خصصوا قوله تعالى : ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾(٥) .

وخصصوا قوله تعالى : ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ﴾ (٦) .

---

(١) النساء من الآية : (١١) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي بكر وعائشة رضي الله تعالى عنهما في كتاب الفرائض ٨/ ٣ .

(٣) سبق تخريجه في ص (٣٤٠) .

(٤) سبق تخريجه في ص (٣٣٩) .

(٥) النساء من الآية : (١١) .

(٦) النساء من الآية : (١٢) .

بما روى المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة والسلام : (فرض للجدة السدس) (١) .

لأن الميت إذا كان امرأة وخلفت زوجًا وبنتين وجدة ، فإن للزوج الربع ثلاثة ، وللبنتين الثلثان ثمانية ، وللجدة السدس اثنتين ، وبذلك تعول المسألة إلى ثلاثة عشر ، والثلاثة من عشر أقل من الربع ، وكذلك الثمانية من ثلاثة عشر أقل من الثلثين .

ثالثًا : أنهم خصصوا قوله تعالى : ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ (٢) .

بما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (لاتنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها) (٣) .

---

(١) أخرجه الإمام مالك في كتاب الفرائض باب : « ميراث الجدة » عن قبيصة بن ذؤيب . (الموطأ ص٣٤٦) .

وأبو داوود في كتاب الفرائض ، باب « في جدة » ٣/ ٣١٦ - ٣١٧ .

والترمذي في أبواب الفرائض ، باب (ماجاء في ميراث الجدة) ٣/ ٢٨٣ - ٢٨٤ .

وابن ماجة في كتاب الفرائض ، باب (ميراث الجدة) ٢/ ٩٠٩ - ٩١٠ .

وهذا الحديث صححه الترمذي رحمه الله تعالى فقال : (هذا حديث حسن صحيح) . (انظر سنن الترمذي ٣/ ٢٨٤) .

وصححه الحاكم رحمه الله تعالى فقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي رحمه الله تعالى على ذلك (انظر المستدرك مع التخليص ٤/ ٣٨٨-٣٨٩) .

(٢) النساء من الآية : (٢٤) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب « لاتنكح المرأة على عمتها » ٦/ ١٢٨ .

ومسلم في كتاب النكاح ، باب « تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح » (مسلم بشرح النووي ٩/ ١٩١) .

رابعًا : أنهم خصصوا عموم قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ [(١)] .

بما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لامرأة رفاعة (لا حتى تذُوقي عسيلته ويذوق عُسيلتك) [(٢)] .

خامسًا : أنهم خصصوا قوله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ [(٣)] .

بما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه : (نهى عن بيع الدرهم بالدرهمين) [(٤)] .

سادسًا : أنهم خصصوا قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ [(٥)] .

بما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في حق المجوس :

(سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهل الكتاب) [(٦)] .

سابعًا : أنهم خصصوا قوله تعالى : ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [(٧)] .

---

(١) البقرة من الآية : (٢٣٠) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ، باب : « من أجاز طلاق الثلاث » ٦/ ١٦٥ .

ومسلم في كتاب النكاح ، باب : « لا تحل المطلقة ثلاثًا لمطلقها حتى تنكح زوجًا غيره ويطأها ثم يفارقها وتنقضي عدتها » (مسلم بشرح النووي ١٠/ ٢) .

(٣) البقرة من الآية : (٢٧٥) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب المساقاة والمزارعة ، باب "الربا" (مسلم بشرح النووي ١١/ ١١) .

والبيهقي في كتاب البيوع ، باب : "تحريم التفاضل في الجنس الواحد مما يجري فيه الربا مع تحريم النسأ" (السنن الكبرى ٥/ ٢٧٨) .

(٥) التوبة من الآية (٣٦) .

(٦) أخرجه الإمام مالك في كتاب الزكاة ، باب : "جزية أهل الكتاب والمجوس" . (الموطأ ص١٨٨) .

(٧) المائدة من الآية : (٣٨) .

بما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (لاقطع إلا في ربع دينار فصاعدا)(١) .

إلى غير ذلك من الصور الكثيرة التي عرفت بالاستقراء والتي دلت على تخصيص الصحابة رضي الله عنهم للكتاب بخبر الواحد (٢) .

القول الثاني

لايجوز تخصيص الكتاب بخبر الواحد مطلقا .

وهذا القول نسبه الغزالي رحمه الله تعالى إلى المعتزلة ، ونسبه ابن برهان رحمه الله تعالى إلى المتكلمين وشرذمة من الفقهاء (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحدود ، باب قول الله تعالى : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ ٨/ ١٧ .

ومسلم في كتاب الحدود ، باب : "حد السرقة ونصابها" (مسلم بشرح النووي ١١/ ١٨١-١٨٢).

وأبو داود في كتاب الحدود ، باب : "مايقطع فيه السارق" ٤/ ٥٤٦ .

والترمذي في أبواب الحدود ، باب : "ماجاء في كم تقطع يد السارق" ٣/ ٣ .

وابن ماجه في كتاب الحدود ، باب : "حد السارق" ٢/ ٨٦٢ .

والدارمي في كتاب الحدود ، باب : "مايقطع فيه اليد" ٢/ ١٧٢ .

والطبراني في المعجم الصغير ١/ ١٠ .

(٢) انظر البرهان ١/ ٤٢٧ ، المستصفى ٢/ ١١٩ ، المنخول ص١٧٤ ، الإحكام ٢/ ٣٢٢ ، المحصول ١/ ٣/ ١٣٢ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٢٣ ، شرح مختصر الروضة ٢/ ٥٦٥ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦٤ .

(٣) انظر المنخول ص١٧٤ ، الوصول إلى الوصول ١/ ٢٦٠ .

واستدلوا لذلك بما يلي :

الدليل الأول

إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على رد خبر الواحد إذا كان مخالفا للكتاب، فقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رد خبر فاطمة بنت قيس فيما روته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يفرض لها النفقة والسكنى ، وقال : (لاتدع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لاندري أنها صدقت أم كذبت) [(١)] .

ولم ينكر عليه أحد فكان إجماعا [(٢)] .

---

(١) عن فاطمة بنت قيس أنها طلقها زوجها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، كان أنفق دون، فلما رأت قالت : والله لأعلمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان لي نفقة أخذت الذي يصلحني ، وإن لم تكن لي نفقة لم آخذ منه شيئًا : قالت : فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (لانفقة لك ولاسكنى) .

أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ، باب : "قصة فاطمة بنت قيس" ٦/ ١٨٣ .

ومسلم في كتاب الطلاق ، باب : "المطلقة البائن لانفقة لها" (صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/ ٩٨-٩٩) .

والإمام مالك في الموطأ في كتاب الطلاق ، باب : "ماجاء في نفقة المطلقة" ص٣٩٧ .

وقد رد عمر رضي الله عنه هذا الخبر فقال (لانترك كتاب الله وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم لقول امرأة لاندري لعلها حفظت أو نسيت ، لها السكنى والنفقة) (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/ ١٠٤) .

(٢) انظر المحصول ١/ ٣/ ١٤٠ ، التبصرة ص١٣٣ ، الوصول إلى الأصول ١/ ٢٦٣، فواتح الرحموت ، ١/ ٣٩٤ ، العدة ٢/ ٥٥٢ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٣٢ .

ونوقشوا في هذا الدليل :

بأن عمر رضي الله عنه إنما رد هذا الخبر لوجود تهمة في راويه ، إذ تعليله يدل عليه، لا لكونه مخصصا للقرآن ، ولو كان تخصيص خبر الواحد للقرآن يوجب الرد لما جاز التعليل المذكور ، إذ التعليل بالوصف المفارق مع وجود الوصف اللازم المستقل باقتضاء الحكم غير جائز ، وعند هذا ظهر أن ماذكروه يكون حجة لنا أولى من أن يكون علينا(١) .

الدليل الثاني

ماروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : (إذا روي عني حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافقه فاقبلوه وإن خالفه فردوه)(٢) .

والخبر الذي يخصص الكتاب على مخالفة الكتاب فوجب رده(٣) .

ونوقشوا في هذا الدليل من وجهين :

الأول : أن ماذكرتموه يبطل بالخبر المتواتر ، فإنه يجوز تخصيص كتاب الله تعالى به إجماعًا ، فما هو جوابكم هناك فهو جوابنا هنا .

الثاني : أن المخصص لايوصف بالمخالف على الإطلاق ولاسيما في العرف، بل لو وصف بذلك فإنه يوصف به مقيداً ، وإنما يوصف بكونه مبينًا للمراد ومقرراً له، وهذا هو المتبادر إلى الفهم ، وهو كونه مقرراً لامخالفًا(٤) .

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٢٦ ، المحصول ١/ ٣/ ١٤٤ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٣٤ .

(٢) أخرجه الإمام الشافعي في الرسالة وقال عنه : (ماروى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغر ولاكبر. . . وهذا أيضًا رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لانقبل مثل هذه الرواية في شيء) الرسالة ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) انظر الإحكام ٢/ ٣٢٣ ، المحصول ١/ ٣/ ١٤١ ، التحصيل من المحصول ١/ ٣٩٢ .

(٤) انظر الإحكام ٢/ ٣٢٣ ، المحصول ١/ ٣/ ١٤٤ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٣٧ - ١٦٣٨ .

الدليل الثالث

أن الكتاب مقطوع به ، وخبر الواحد مظنون ، فتقديم خبر الواحد عليه من باب تقديم المرجوح على الراجح ، وهو ممتنع عقلا (١) .

ونوقشوا في هذا الدليل من وجوه :

الأول : ما المراد من قولكم : إن الكتاب مقطوع به ؟ إن أردتم به أنه مقطوع به في متنه فقط فهذا مسلم ، لكن لانسلم أن تقديم خبر الواحد الخاص عليه يكون من قبيل تقديم المرجوح على الراجح ، لأن الكتاب حينئذ يكون مظنون الدلالة على العموم ، وخبر الواحد وإن كان مظنون المتن لكنه مقطوع الدلالة ، فلم يترجح العام عليه من جهة القطع .

الثاني : أن خبر الواحد وإن كان مظنون المتن لكن لما دل القاطع على وجوب العمل به أفاد فائدة مقطوع المتن في وجوب العمل بمضمونه ، إذا لا فرق بين أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام للمكلف شفاهًا : " أوجبت عليك الشيء الفلاني " وبين أن يقول : " إذا روي لك عني أني أوجبت عليك الشيء الفلاني وغلب على ظنك صدقه فاعلم واقطع بأني أوجبت عليك ذلك الشيء " ، فعلى هذا يتساويان في إفادة القطع بوجوب العمل بمضمونهما ، ويزيد الخاص عليه بخصوصه .

الثالث : ماذكرتموه منتقض بالبراءة الأصلية فإنها يقينية مع أنها تترك بخبر الواحد وفاقًا .

الرابع : أن وجوب العمل بخبر الواحد مقطوع به بالإجماع ، وإنما الاحتمال في صدق الراوي ، ولاتكليف علينا في اعتقاد صدقه ، فإن سفك الدم وتحليل البضع واجب بقول عدلين قطعًا ، مع أنا لانقطع بصدقها ، فوجوب العمل بالخبر مقطوع بـه ،

---

(١) انظر المستصفى ٢/ ١١٥ ، الإحكام ٢/ ٣٢٥ ، المحصول ١/ ٣/ ١٤٣ ، الوصول إلى الأصول ١/ ٢٦١ ، التحصيل من المحصول ١/ ٣٩٢ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٣٨ .

وكون العموم مستغرقًا غير مقطوع به، فكان الخبر أولى [(١)] .

الدليل الرابع

أن خبر الواحد لو كان مخصصا لكان بيانا ، ولو كان بيانا لوجب أن يكون مقارنًا للمبين ، ولوجب أن يبلغه النبي عليه الصلاة والسلام إلى أهل التواتر لتقوم الحجة به[(٢)] .

ونوقشوا في هذا الدليل :

بأنا نمنع وجوب اقتران البيان بالمبين ، ولو سلمناه لكن لا نسلم عدمه ، ، فلعله كان مقارنًا لكن لم ينقل اقترانه .

ولانسلم وجوب إبلاغه إلى أهل التواتر ، فإن ذلك إنما يجب فيما كلف فيه بالعلم لا بالعمل [(٣)] .

الدليل الخامس

القياس على النسخ ، فإنه لايجوز نسخ الكتاب بخبر الواحد وفاقًا ، فكذلك لايجوز تخصيص الكتاب به .

ومعنى ذلك : أن النسخ تخصيص في الأزمان ، والتخصيص تخصيص في الأعيان، فلو جاز التخصيص بخبر الواحد في الأعيان لأفضى ذلك إلى كون تخصيص العام أولى من إلغاء الخاص، وهذا المعنى قائم في النسخ ، فكان يلزم من ذلك جواز بخبر الواحد ، وحيث لم يجز النسخ به لم يجز التخصيص به لعموم الكتاب [(٤)] .

---

(١) انظر المستصفي ٢/ ١١٥ - ١١٧ ، الوصول إلى الأصول ١/ ٦٢١ ، المحصول ١/ ٣/ ١٤٥، التحصيل من المحصول ١/ ٣٩٣، روضة الناظر ٢/ ٧٣١ .

(٢) انظر نهاية الوصول ٤/ ١٦٤١ .

(٣) انظر نهاية الوصول ٤/ ١٦٤٢ .

(٤) انظر المستصفى ٢/ ١١٨ ، المحصول ١/ ٣/ ١٤٣ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٤٢ .

ونوقشوا في هذا الدليل من ثلاثة وجوه :

الأول : أنا نمنع الحكم أولا لأن بعض أهل العلم القائلين بجواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد أجازوا نسخه به أيضًا .

الثاني : سلمنا الحكم على ماهو متقرر عند الجمهور من أنه لايجوز نسخ الكتاب بخبر الواحد ، لكن نقول : لو خلينا والقياس لكان الأمر على ماذكرتم ، إلا أننا لم نخل والقياس إذ الإجماع منعنا من ذلك ، فإن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعوا على رد خبر الواحد إذا كان ناسخًا للمقطوع ، ولكنهم أجمعوا على قبوله إذا كان مخصصا له .

الثالث : سلمنا عدم حصول هذا الإجماع لكن الفرق بينهما ظاهر ، وهو أن التخصيص أهون من النسخ ، لأن التخصيص دفع والنسخ رفع ، والدفع أسهل من الرفع ، فلا يلزم من تأثيره فيه تأثيره في الأقوى (١) .

القول الثالث

التفصيل .

والذين ذهبوا إلى ذلك ذكروا فيه وجهين :

الوجه الأول

أنه إن خص بدليل مقطوع به جاز تخصيصه به وإلا فلا .

وإلى هذا الوجه ذهب عيسى بن أبان رحمه الله تعالى (٢) .

---

(١) انظر المستصفى ٢/ ١١٨ ، التبصرة ص١٣٥ ، الوصول إلى الأصول ١/ ٢٦١ ، الإحكام ٢/ ٣٢٧ ، المحصول ١/ ٣/ ١٤٦ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٤٢ .

(٢) انظر الفصول للجصاص ١/ ١٥٦ ، ١٥٨ ، أصول السرخسي ١/ ١٤٢ ، فواتح الرحموت ١/ ٤٣٩ .

بل هو مذهب أكثر الأحناف على ماصرح به السرخسي رحمه الله تعالى بقوله : (ثم الجواب على ما اختاره أكثر مشايخنا رحمهم الله تعالى أن تخصيص العام الذي لم يثبت خصوصه بدليل موجب من الحكم مثل مايوجبه العام وهو خبر متأيد بالاستفاضة أو مشهور فيما بين السلف أو إجماع ، فعند وجود ذلك يتبين بالقياس وخبر الواحد ماهو المراد بصيغة العام بعد أن خرج من أن يكون موجبًا للحكم فيما يتناوله قطعًا على مانبينه في فصل العام إذا دخله خصوص ، وهذا لأن ما أوجبه القياس أو خبر الواحد يحتمل أن يكون في جملة ماتناوله دليل الخصوص ويحتمل أن يكون في جملة ماتناوله صيغة العام ، فإنما يرجح بالقياس وخبر الواحد أحد الاحتمالين) [١] .

وهو ماصرح به أيضًا الجصاص رحمه الله تعالى حيث قال : (فنص عيسى بن أبان على أن "ظاهر القرآن الذي لم يثبت خصوصه بالاتفاق لايخص بخبر الواحد" وهذا الذي ذكرناه هو مذهب الصدر الأول عندنا) [٢] .

الوجه الثاني

أنه إن خص بدليل جاز تخصيصه به ، لأنه صار مجازًا ضعيف الدلالة وإلا فلا .

وإلى هذا ذهب الكرخي رحمه الله تعالى [٣] .

وقد أفصح الفخر الرازي رحمه الله تعالى عن مأخذ ماذهب إليه عيسى بن أبان والكرخي رحمهما الله تعالى في هذا التفصيل فقال : (فأما قول عيسى مجاز ، والعام المخصوص بالدليل المنفصل مجاز عند الكرخي ، وإذا صار مجازًا صارت دلالته

---

(١) انظر أصول السرخسي ١/ ١٤٢ .

(٢) انظر الفصول في الأصول للجصاص ١/ ١٥٨ - ١٥٩ .

(٣) انظر الفصول في الأصول ١/ ١٦٧ ، أصول السرخسي ١/ ١٤٥ ، الإحكام ٢/ ٣٢٢ ، المحصول ١/ ٣/ ١٣١ ، التحصيل من المحصول ١/ ٣٩٣ ، شرح تنقيح الفصول ص٢٠٨ .

مظنونة ومتنه مقطوعًا ، وخبر الواحد متنه مظنون ودلالته مقطوعة ، فيحصل التعادل .

فأما قبل ذلك فإنه حقيقة في العموم فيكون قاطعًا في متنه وفي دلالته ، فلا يجوز أن يرجح عليه المظنون ، فهذا هو مأخذهم) (١) .

ويمكن أن يناقشا في ذلك من وجهين :

الأول : أن تساويهما في جهة القطع لايمنع من كونه تقديم الخبر الخاص أولى من العموم ، لأن تقديم الخاص على العام يستلزم العمل بهما معًا ، بخلاف تقديم العام عليه فإنه يفضي إلى إلغاء الخبر ، والعمل بالدليلين معًا أولى من العمل بأحدهما وإهمال الآخر .

الثاني : دعوى أن العام المخصوص يكون مجازًا لامعنى لها ، فإن الحقيقة مايكون مستعملاً في موضوعه ، والمجاز مايكون معدولاً به عن موضوعه ، وإذا كانت صيغة العموم تتناول الثلاثة حقيقة كما تتناول المائة والألف وأكثر من ذلك ، فإذا خص بعضهم من هذه الصيغة كيف يكون مجازًا فيما وراءه وهو حقيقة فيه ؟ (٢) .

إشكال وَرَدُّه

نقل السرخسي رحمه الله تعالى عن أبي الحسن الكرخي أنه يقول بعدم حجية العام المخصوم ، فقال : (كان أبو الحسن الكرخي رحمه الله يقول من نفسه لا على سبيل الحكاية عن السلف : العام إذا لحقه خصوص لايبقي حجة ، بل يجب التوقف فيه إلى البيان ، سواء كان دليل الخصوص معلومًا أو مجهولاً ، إلا أنه يجب به أخص الخصوص إذا كان معلومًا) (٣) .

---

(١) المحصول ١/ ٣/ ١٤٧ .

(٢) انظر أصول السرخسي ١/ ١٤٦ .

(٣) انظر أصول السرخسي ١/ ١٤٤ .

وكذلك فقد نقل الأصوليون عن عيسى بن أبان رحمه الله تعالى أنه كان يقول بعدم حجية العام المخصوص [١] .

وحيث اتفق رأيهما على عدم حجية العام بعد التخصيص فقد كان قولهما بتخصيصه مشكلاً ، لأن مالا حجة فيه لافائدة من تخصيصه .

وقد أورد هذا الإشكال ابن السبكي رحمه الله تعالى فقال : (لعلك تقول : قد سبق أن ابن أبان يرى أن العام المخصوص ليس بحجة ، فكيف الجمع بينه وبين ماذكره هنا ؟) [٢] .

كما أورد الإشكال ذاته الزركشي رحمه الله تعالى فقال في معرض سرده لأقوال الأصوليين فيما يتعلق بجواز تخصيص عموم الكتاب بخبر الواحد : (الثالث : التفصيل بين مادخله التخصيص وما لم يدخله ، فإن لم يدخله يبقي على حقيقته ، ومادخله بقي مجازاً وضعفت دلالته ، ونقلوه عن عيس بن أبان . وهو مشكل بما سبق عنه من أن العام المخصوص ليس بحجة . . . فكيف يجتمع القول بكونه لايبقي حجة مع قوله بجواز تخصيصه بخبر الواحد ؟) [٣] .

وقد رد ابن السبكي والجصاص هذا الإشكال فقال ابن السبكي : (والجواب : أن الجمع بينهما أنه لايحتج بالعام المخصوص لكونه صار مجازاً ، وليس بعض المحامل أولى من البعض ، فيصير مجملاً عنده ، فإذا جاء مخصص بعد ذلك جزمنا بإخراج مادل عليه بعد أن كنا لانحكم عليه بشيء ، ويبقى الباقي على ماكان عليه لايحتج به ولايجزم لعدم إرادته ، فالمخصص مبني لكون ذلك الفرد غير مراد وساكت عن

---

(١) انظر الإبهاج ٢/ ١٨٥ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦٥ .

(٢) انظر الإبهاج ٢/ ١٨٥ .

(٣) انظر البحر المحيط ٣/ ٣٦٥ .

الباقي، فلا منافاة بين الكلامين) [١] .

وقال الجصاص رحمه الله تعالى : (وأما قول عيسى بن أبان : "إن العموم الذي قد ثبت خصوصه بالاتفاق يجوز قبول خبر الواحد في تخصيصه" فإنه يحتمل أن يكون إنما قاله لأنه كان من مذهبه أن لفظ العموم إذا أريد به الخصوص سقط الاستدلال به في إيجاب الحكم فيما عدا المخصوص به على ماكان يذهب إليه أبو الحسن الكرخي رحمه الله . فإنه كان هذا مذهبه في هذا الباب فلا إشكال مع هذا أن خبر الواحد مقبول في إخراج بعض ماشمله لفظ العموم من حكمه لسقوط حكم عموم اللفظ لو عري من خبر الواحد .

ويحتمل أن يكون مذهبه القول بعموم اللفظ فيما عدا المخصوص ، إلا أنه أجاز تخصيص الباقي مع ذلك بخبر الواحد ، لأن ما ثبت خصوصه ، بالاتفاق فالاجتهاد شائع في ترك حكم اللفظ على الوجه الذي يذهب إليه القائلون بذلك ، فصار موجب حكم العموم في هذه الحال من طريق الاجتهاد وغالب الظن ، لأن اللفظ حصل مجازاً والمجاز لا يستعمل في موضع يقوم الدليل عليه ، وماكان هذا حكمه جاز تركه بخبر الواحد) [٢] .

القول الرابع

التوقف وعدم الجزم بشيء .

وهذا القول منسوب إلى أبي بكر الباقلاني رحمه الله تعالى [٣] .

---

(١) الإبهاج ٢/ ١٨٥ .

(٢) الفصول في الأصول ١/ ١٦٧ - ١٦٨ .

(٣) انظر البرهان ١/ ٤٢٦ ، المستصفى ٢/ ١١٤ ، المنخول ص ١٧٤ ، الإحكام ٢/ ٣٢٢ ، المحصول ١/ ٣/ ١٣١ ، شرح تنقيح الفصول ص٢٠٨ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٢٣ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦٨ .

واستدل لذلك فقال : إن دلالة العام في الكتاب بالنظر إلى متنه [١] ظنية مطلقًا، غير أنه قطعي السند ، والخبر وإن كان قاطعًا في متنه فظني في سنده، فقد تقابلا وتعارضا، ووجب التوقف على دليل خارج لعدم أولوية أحدهما على الآخر [٢] .

وقد نوقش في هذا الدليل من وجوه :

الأول : أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعوا على تخصيص العمومات بأخبار الآحاد حيث إنهم أضافوا التخصيص إليها من غير نكير فكان إجماعًا، فيكون التوقف على خلاف هذا الإجماع .

الثاني : أن عموم الكتاب وخصوص الخبر وإن تساويا في جهة القطع إلا أن تقديم الخاص على العام يستلزم العمل بهما ، وأما التوقف فإنه يبطل فائدتهما، فكان الأول أولى .

الثالث : أنهما وإن تساويا في جهة القطع إلا أن ظن صدق خبر الواحد أكثر من ظن دلالة العام على العموم ، وهذا لأن أكثر العمومات مخصوصة ، وليس أكثر أخبار الآحاد كاذبة ، فيترجح خبر الواحد على العموم من جهة الظن ، لأن احتمال التخصيص ظاهر فيه جدًا [٣] .

---

(١) المراد بالمتن هنا (اللفظ الدال) ، وهذا اللفظ الدال من حيث التناول والورود قد يكون قطعيًا أو ظنيًا ، فالعموم وروده مقطوع به ومتناوله مظنون ، وخبر الواحد متناوله مقطوع به ووروده مظنون . ولما كان في كل واحد منهما قطع من وجه وظن من وجه استويا في ذلك ولم يترجح أحدهما على الآخر ، ونشأ عن ذلك القول بالوقف .

(٢) انظر البرهان ١/ ٤٢٦ ، المنخول ص ١٧٤ ، الإحكام ٢/ ٣٢٦ ، الوصول إلى الأصول ١/ ٢٦٤ ، البحر المحيط ٣/ ٣٦٨ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٣٩ .

(٣) انظر الإحكام ٢/ ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦١٠ .

الترجيح

بعد هذا العصف الذهني في عرض الأقوال والأدلة والمناقشات يترجح لدي مذهب القائلين بجواز تخصيص عموم القرآن الكريم بخبر الواحد مطلقًا ، وذلك لانعقاد إجماع الصحابة رضي الله عنهم على حمل عمومات القرآن على خصوص أخبار الآحاد ، وهم حملة الشريعة والمؤتمنون على إبلاغها وبيان معالمها ، فمن اختار غير سبيلهم بذلك يكون معرضًا نفسه لمزلة القدم ومذلة الندم .

قال إمام الحرمين الجويني رحمه الله تعالى : (والذي نختاره القطع بتخصيص الكتاب بخبر الواحد ، فإن قدوتنا في وجوب العمل بالظاهر المحتمل والخبر المعرض لإمكان الزلل سنة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولولا أنا عثرنا على ذلك من سيرتهم لما كنا نقطع بوجوب عمل مستند إلى الظنون ، ونحن نعلم أنهم كانوا يرجعون إلى الخبر الناص الذي ينقله كل موثوق به في تفسير مجملات الكتاب وتخصيص الظواهر ، ويجرون ذلك مجرى التفسير ومن أبدى في ذلك ريبًا كان غير واثق بوجوب العمل بأخبار الآحاد)[1] .

المبحث السادس

(تخصيص السنة بالكتاب)

اختلف الأصوليون في جواز تخصيص السنة بالكتاب على قولين :

القول الأول :

يجوز تخصيص السنة بالكتاب .

---

(١) البرهان في أصول الفقه ١/ ٤٢٧ .

وإلى هذا القول ذهب الجمهور [(١)] .

واستدلوا لذلك بأربعة أدلة :

الدليل الأول

قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [(٢)] .

وجه الاستدلال : أن سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء من الأشياء، فتكون داخلة في لفظ العموم .

وحيث إن التخصيص بيان فيجوز أن يكون الكتاب مخصصا للسنة .

الدليل الثاني

إذا اجتمع نصان أحدهما عام والآخر خاص ، وتعذر الجمع بين حكميهما فلا يخلو : إما أن يعمل بالخاص أو بالعام ، فإن عمل بالعام لزم منه إبطال الدليل الخاص مطلقًا ، ولو عمل بالخاص لم يلزم منه إبطال العام مطلقًا لإمكان العمل به فيما خرج عنه، فكان العمل بالخاص أولى .

الدليل الثالث

أن الخاص أقوى في دلالته من العام وأغلب على الظن منه لبعده احتمال التخصيص، بخلاف العام فإنه محتمل ، فكان العمل بالخاص مقدمًا على العمل بالعام[(٣)] .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٢١ ، المحصول ١/ ٣/ ١٢٣ ، التبصرة ص١٣٦ ، العدة ٢/ ٥٦٩ ، التمهيد٢/ ١١٣ ، شرح الكوكب المنير ٣/ ٣٥٩ ، جمع الجوامع ٢/ ٢٦ ، المسودة ص١٢٢ ، فواتح الرحموت ١/ ٣٤٩ ، إرشاد الفحول ص١٥٧ .

(٢) النحل من الآية (٨٩) .

(٣) انظر الإحكام ٢/ ٣٢١ ، التبصرة ص١٣٦ ، العدة ٢/ ٥٧١ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦١٨ .

الدليل الرابع

أن تخصيص السُنة بالكتاب قد وقع ، والوقوع دليل الجواز ، ومما يدل على الوقوع الأمثلة الآتية :

١ - قوله صلى الله عليه وسلم : (ماأبِيْنَ من حيٍّ فهُوَ ميْت) (١) .

خص بقوله سبحانه : ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾(٢) .

٢ - قوله صلى الله عليه وسلم : (البكر بالبكر جلدُ مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم) (٣) .

يشمل الحر والعبد ، فخص بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (٤) .

٣ - قوله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله) (٥)

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصيد ، باب : "في صيد قطع منه قطعة" ٣/ ٢٧٧ .

والترمذي في أبواب الصيد ، باب "ماجاء ماقطع من الحي فهو ميت" ٣/ ٢٠ .

وابن ماجه في كتاب الصيد ، باب : "ماقطع من البهيمة وهي حية" ٢/ ١٠٧٢-١٠٧٣ .

(٢) النحل من الآية : (٨٠) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحدود ، باب : " حد الزنى" ١١/ ١٨٨ - ١٨٩ .

وأبو داود في كتاب الحدود ، باب "في الرجم" ٤/ ٥٧٠ - ٥٧١ .

(٤) النساء من الآية : (٢٥) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلو سبيلهم﴾ ١/ ١١ .

خص بقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (١) .

وغير ذلك مما خص به عموم السنة بالقرآن (٢) .

القول الثاني

لايجوز تخصيص السنة بالكتاب .

وهذا القول نسبه الصفي الهندي رحمه الله تعالى إلى بعض الفقهاء والمتكلمين(٣) .

ونسبه الفخر الرازي رحمه الله تعالى إلى بعض الشافعية ، حيث قال : (وعن بعض فقهائنا أنه لايجوز) (٤) .

وكذلك فعل الموفق ابن قدامة رحمه الله تعالى حيث قال : (وقال بعض الشافعية : لايخصص عموم السنة بالكتاب) (٥) .

ونُسب هذا القول في « المسودة » إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في إحدى الروايتين عنه ، واختارها ابن حامد من الأصحاب (٦) .

واستدلوا لذلك بدليلين :

الدليل الأول

قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٧) .

---

(١) التوبة من الآية : (٢٩) .

(٢) انظر شرح الكوكب المنير ٣/ ٣٦٣-٣٦٥ .

(٣) انظر نهاية الوصول ٤/ ١٦١٨ .

(٤) انظر المحصول ١/ ٣/ ١٢٤ .

(٥) انظر روضة الناظر ٢/ ٧٢٦ .

(٦) انظر المسودة ص ١٢٢ .

(٧) النحل الآية : (٤٤) .

وجه الاستدلال : أن الله تعالى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم مبينًا للكتاب، والبيان إنما يحصل بسنته عليه الصلاة والسلام ، فلو كان الكتاب مخصصًا للسنة للزم أن يكون المبين للشيء مبينًا به وهو محال [١] .

ونوقشوا في هذا الدليل من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه لايلزم من وصف النبي صلى الله عليه وسلم بكونه مبينًا للكتاب امتناع كون الكتاب مبينًا للسنة .

الثاني : أن البيان المذكور في الآية قد يكون المراد منه الإبلاغ والإظهار ، وعلى هذا فلا يلزم من كون الكتاب مبينًا للسنة بمعنى إزالة الإشكال ، وكون النبي صلى الله عليه وسلم مبينًا للكتاب بالمعنى المذكور أن يكون كل واحد من الكتاب والسنة مبينًا للآخر .

الثالث : نسلم أن المراد من ذلك البيان هو البيان المتعارف عليه ، لكن نقول : إن كل القرآن لايحتاج إلى ذلك البيان بل بعضه ، وإذا كان كذلك فلا امتناع في أن يبين ذلك البعض من الكتاب بالسنة التي لاتحتاج إلى البيان ، ويبين السنة بالكتاب التي تحتاج إليه ، وحينئذ لايلزم ماذكرتم من المحذور .

الرابع : أن قوله تعالى ﴿ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ يتناول السنة أيضًا بدليل قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [٢] .

فهذا الوحي منه مايتلى وهو الكتاب ، ومنه مالا يتلى وهو السنة ، وإذا كان كذلك تعين أن يكون بيان مانزل إليهم إنما هو بما نزل إليهم ، إذ ليس مايستفاد منه عليه الصلاة والسلام إلا الكتاب والسنة ، فجاز أن يبين السنة بالكتاب كما جاز عكسه، إذ ليس في النص مايدل على امتناع أحد القسمين على الخصوصية دون الآخر [٣] .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٢١ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦١٩ ، روضة الناظر ٢/ ٧٢٧ .

(٢) النجم الآيتان : (٣ ، ٤) .

(٣) انظر الإحكام ٢/ ٣٢١ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٢٠ .

الدليل الثاني

أن المبين والمفسر تابعان للمبين والمفسر ، فلو كان القرآن مبينًا للسنة لكانت السنة أصلاً والقرآن تبعًا وهو محال (١) .

ونوقشوا في هذا الدليل من وجهين :

الأول : نمنع أن يفضي بيان القرآن للسنة إلى أن يكون تابعًا للسنة ، وهذا لأن الله تعالى وصف كتابه بكونه تبيانًا لكل شيء في معرض المدح له ، فلو كان كونه بيانًا لغيره يوهم بالتبعية لما كان صفة مدح .

الثاني : سلمنا ذلك ، لكن الإيهام زائل بما علم من كون القرآن أصلاً غير تابع لكل مايقع بيانًا له وهو أقل رتبة منه (٢) .

الترجيح

يترجح لدي في هذه المسألةجواز تخصيص السنة بالكتاب ، وذلك لسببين :

السبب الأول : عدم استحالة ذلك عقلاً ، ومالم يكن مستحيلاً من الناحية العقلية فهو واقع تحت دائرة الجواز والإمكان .

السبب الثاني : قيام الدليل الشرعي على وقوع تخصيص السنة بالكتاب - كما ذكر الجمهور في معرض استدلالاتهم - ، والوقوع دليل الجواز .

المبحث السابع

(تخصيص الكتاب والسنة المتواترة)

(بفعل الرسول صلي الله عليه وسلم)

تحرير محل النزاع في هذه المسألة :

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٢١ ، روضة الناظر ٢/ ٧٢٧ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦١٩ .

(٢) انظر الإحكام ٢/ ٣٢٢ ، العدة ٢/ ٥٧٢ ، التبصرة ص١٣٦ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٢١ .

إذا صدر فعل النبي صلى الله عليه وسلم مخالفًا للعام الوارد في الكتاب والسنة فإن هذا العام لايخلو من حالتين :

الحالة الأولى : أن يكون متناولاً للرسول صلى الله عليه وسلم وللأمة .

الحالة الثانية : أن يكون قاصرًا على الأمة فقط .

فإن كان العام متناولاً للرسول صلى الله عليه وسلم ولأمته ، كما لو قال : "حرم الله تعالى الوصال في الصيام على كل مكلف" ثم روى عنه أنه واصل (١) . فلا شك أن فعله عليه الصلاة والسلام يكون مخصصًا لذلك العموم في حقه بحيث يباح له الوصال دون الأمة . وهذا مما لاخلاف فيه .

وإن كان العام قاصرًا على الأمة فقط ، كما لو قال : "نهيتكم عن كشف الفخذ" ثم روي عنه أنه كشف الفخذ (٢) . ففعله في هذه الصورة لايكون مخصصا لنفسه عن

---

(١) أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لاتواصلوا) ، قالوا : "إنك تواصل؟" قال : (لست كأحد منكم إني أطعم وأسقي ، أو إني أبيت أطعم وأسقي) . (انظر صحيح البخاري كتاب الصوم، باب : "الوصال ومن قال ليس في الليل صيام" ٢/ ٢٤٢) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه . . . فدخل فتحدث ، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلس وسويت ثيابك ؟ فقال : (ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة ؟) . (انظر صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : "فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه" ١٥/ ١٦٨ - ١٦٩) .

العموم ، لعدم دخوله فيه .

وهذا أيضا لانزاع فيه .

أما بالنسبة للأمة فإن قيام دليل على أن حكمها مثل حكم نبيها عليه الصلاة والسلام، فهل يكون ذلك الفعل مخصصا للعموم في حقها ؟ فهذا هو محل الخلاف[(١)] .

والخلاف في ذلك على أربعة أقوال :

القول الأول

يجوز تخصيص الكتاب والسنة المتواترة بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

وإلى هذا القول ذهب الجمهور من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والحنابلة[(٢)] .

واستدلوا لذلك بثلاثة أدلة :

الدليل الأول

قول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ [(٣)] .

وقوله سبحانه : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [(٤)] .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٢٩ .

(٢) انظر المستصفى ٢/ ١٠٦ ، الإحكام ٢/ ٣٢٩ ، العدة ٢/ ٥٧٣ ، شرح اللمع ١/ ٣٧٩، التبصرة ص٢٤٧ ، الوصول إلى الأصول ١/ ٢٦٤ ، المحصول ١/ ٣/ ١٢٥ ، شرح تنقيح الفصول ص٢١٠ .

(٣) الأعراف من الآية (١٥٨) .

(٤) الأحزاب من الآية : (٢١) .

وجه الدلالة

أمر الله تعالى باتباعه والاقتداء به، فوجب أن يقتدى به صلى الله عليه وسلم في فعله ويترك العموم به .

الدليل الثاني

أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم خاص، ونص الكتاب والسنة عام، والخاص مقدم على العام ، فيكون العمل بالفعل أولى ، وإذا كان كذلك جاز أن يخص به عموم الكتاب والسنة .

الدليل الثالث

أن الفعل أحد البيانين فجاز تخصيص العموم به كالقول (١) .

القول الثاني

لايجوز تخصيص الكتاب والسنة المتواترة بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

وإلى هذا القول ذهب بعض الفقهاء والمتكلمين ، ومنهم الكرخي وأبو إسحاق الإسفراييني (٢) .

واستدلوا لذلك فقالوا :

إن المخصص لعام الكتاب والسنة هو الدليل الذي دل على وجوب متابعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو قوله تعالى ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾ (٣) .

وذلك أعم من العام الذي يدل على بعض الأشياء فقط ، وعلى هذا فالتخصيص

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٣٠ ، شرح اللمع ١/ ٣٧٩ .

(٢) انظر الإحكام ٢/ ٣٢٩ ، التبصرة ص ٢٤٧ ، الوصول إلى الأصول ١/ ٢٦٥ ، العدة ٢/ ٥٧٥ ، المسودة ص١٢٥ .

(٣) الأعراف من الآية (١٥٨) .

بالفعل يكون تقديمًا للعام على الخاص ، وهو غير جائز [١] .

ونوقشوا في هذا الدليل :

بأن المخصص ليس مجرد قوله تعالى : ﴿وَاتَّبِعُوهُ﴾، بل هو مع ذلك الفعل، ومجموعهما أخص من العام الذي ندعي تخصيصه بالفعل [٢] .

القول الثالث

التفصيل وهو قائم على التفريق بين الفعل الظاهر والفعل المستتر ، فيخص العموم بالظاهر دون المستتر .

قال الزركشي رحمه الله تعالى : (وحكاه القاضي عبد الوهاب في الملخص) [٣] .

ولعل مستندهم في ذلك : أن الفعل الخفي في حكم المعدوم ، فلا يصلح متمسكًا للتخصيص .

كما أنه قائم على التفريق بين الفعل الذي اشتهر اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم به ، والفعل الذي يشتهر اختصاصه به، فيخص العموم بما لم يشتهر اختصاصه بالنبي صلى الله عليه وسلم . قال الزركشي رحمه الله تعالى : (وجزم به سليم في التقريب ، وقال إلكيا الطبري إنه الأصح) [٤] .

ولعل مستندهم في ذلك : أن الفعل الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم لم تدخل الأمة فيه أصلاً ، فكيف يخص العموم في حقها به ؟

وهذا القول لافائدة فيه من الناحية العملية للأمة ، إذ ماخفي من فعله صلى الله عليه

---

(١) انظر المحصول ١/ ٣/ ١٢٦ .

(٢) انظر المحصول ١/ ٣/ ١٢٧ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٧٤ .

(٣) انظر البحر المحيط ٣/ ٣٨٧ .

(٤) انظر البحر المحيط ٣/ ٣٨٨ .

وسلم لاينهض دليلاً على التخصيص في حقها لعدم عملها به واطلاعها عليه، وكذلك ماكان خاصًا به عليه الصلاة والسلام فهو فعل قد ثبت في حقه وحده ولا شأن للأمة به ضرورة عدم مشاركتها له في حكمه الخاص .

القول الرابع

التوقف ، وعدم الجزم بشيء من القول بالجواز أو عدمه وهذا القول ذهب إليه القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني المعتزلي (١) .

واختار هذا القول الآمدي حيث قال : (والأظهر في ذلك إنما هو الوقف) (٢) .

واستدل الآمدي لذلك فقال : (إن الدليل وجوب التأسي واتباع النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو دليل عام للأمة ، وهو مساو للعموم الآخر في عمومه ، وليس العمل بأحدهما وإبطال الآخر أولى من العكس) (٣) .

وإذا كان الفعل مساويًا للعموم الآخر في عمومه تحقق التعارض بينهما فوجب التوقف .

ويناقشون في هذا الدليل : بأنا لانسلم أن الفعل مساو في عمومه للعموم الآخر ، بل إن الفعل أخص من العام ، فيكون راجحًا عليه (٤) .

الترجيح

يترجح لدي في هذه المسألة جواز تخصيص عموم الكتاب وعموم متواتر السنة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ إن أفعاله عليه الصلاة والسلام موضع التأسي والاقتداء من قبل الأمة ، وإذا كانت كذلك فإنها مخصصة للعموم .

(١) انظر المغني للقاضي عبد الجبار ١٧/ ٢٧٣ - ٢٧٤ ، المسودة ص ١٢٥ .

(٢) انظر الإحكام ٢/ ٣٣٠ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) انظر المحصول ١/ ٣/ ١٢٧ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٧٥ .

المبحث الثامن

(تخصيص العموم بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم)

بمعنى : إذا فعل شخص من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فعلاً بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك الفعل مخالفًا لمقتضى العموم فأقره النبي عليه الصلاة والسلام ولم ينكر هذا الفعل عليه مع علمه به .

فهل يجوز أن يكون هذا الإقرار من الرسول صلى الله عليه وسلم مخصصًا للعموم في حق ذلك الفاعل ؟

اختلف الأصوليون في هذه المسألة على قولين :

القول الأول

من فعل مايخالف العموم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فأقره عليه دون إنكار ، فإن هذا الإقرار قاطع في تخصيص العام في حق ذلك الفاعل .

وإلى هذا القول ذهب جمهور الأصوليين (١) .

واستدلوا لذلك بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صلاة الصبح ركعتان) . فقال الرجل : إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلهما فصليتهما الآن . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٣١ ، المحصول ١/ ٣/ ١٢٧ ، البحر المحيط ٣/ ٣٨٩ ، شرح تنقيح الفصول ص٢١٠ ، نهاية الوصول ٤/ ١٦٧٥ ، روضة الناظر ٢/ ٧٣٣ ، المسودة ص ١٢٦ .

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ في كتاب الصلاة ، باب "من فاتته ركعتان الفجر متى يقضيهما" ٢/ ٥٢ ، والترمذي في أبواب الصلاة ، باب "ماجاء فيمن تفوته الركعتان قبل الفجر يصليهما بعد صلاة الصبح" ١/ ٢٦٥) ، وقد حكما على هذا الحديث بالإرسال . (انظر سنن أبي داود ٢/ ٥٢ سنن الترمذي ١/ ٢٦٥) .

قالوا : فدل ذلك على جواز كل صلاة لها سبب في وقت النهي، فخصصنا به عموم النهي الوارد عن الصلاة في هذه الأوقات . فعلم من ذلك أن سكوته عليه الصلاة والسلام إقرار منه لهذا الرجل على جواز ذلك الفعل في حقه ، إذ لو لم يكن جائزاً لاستحال من النبي صلى الله عليه وسلم السكوت عنه وعدم النكير عليه، لأنه لايسكت على باطل ، ولايحل له الإقرار على الخطأ وهو معصوم . وإذا كان التقرير دليل الجواز صح جواز أن يكون مخصصاً للعموم في حق ذلك الفاعل (١) .

وأما غير ذلك الفاعل فإنه يكون مشاركًا له في حكم التخصيص إن دل الدليل على مساواته له، وفي ذلك يقول الآمدي رحمه الله تعالى : (وعند ذلك فإن أمكن تعقل معنى أوجب جواز مخالفة ذلك الواحد للعموم فكل من كان مشاركًا له في ذلك المعنى فهو مشارك في تخصيصه عن ذلك العام بالقياس عليه عند من يرى جواز تخصيص العام بالقياس على محل التخصيص ، وأما إن لم يظهر المعنى الجامع فلا)(٢) .

وقال القرافي رحمه الله تعالى : (فإن دل الدليل على مساواة غير ذلك الشخص له خصص الثاني كما خصص الأول) (٣) .

القول الثاني

إقرار النبي صلى الله عليه وسلم للفعل الصادر من الشخص بحضرته لايجوز أن يخصص العموم في حق ذلك الشخص .

وقد نسب الآمدي رحمه الله تعالى هذا القول إلى طائفة شاذة حيث قال : (تقرير

---

(١) انظر شرح اللمع ١/ ٣٨١ ، شرح الكوكب المنير ٣/ ٣٧٤ ، الإحكام ٢/ ٣٣١ - ٣٣٢، روضة الناظر ٢/ ٧٣٣ ، البحر المحيط ٣/ ٣٨٩ .

(٢) الإحكام ٢/ ٣٣٢ .

(٣) شرح تنقيح الفصول ص ٢١١ .

النبي صلى الله عليه وسلم لما يفعله الواحد من أمته والذهول[١] . عنه مخصص لذلك العام عند الأكثرين خلافا لطائفة شاذة)[٢]واستدلوا لذلك بدليلين :

الدليل الأول

التقرير لاصيغة له ، فلا يقع في مقابلة ما له صيغة ، وبذلك لا يصح أن يكون مخصصا للعموم ، وبتقدير أن يكون مخصصا للعموم فلا بد أن يكون غير ذلك الواحد مشاركا له في حكمه ، وإلا فلو لم يكن غير ذلك الواحد مشاركا له في حكمه لصرح النبي صلى الله عليه وسلم بتخصيصه بذلك الحكم دون غيره دفعا لمحذور التلبيس على الأمة باعتقادهم المشاركة لذلك الواحد في حكمه ، لقوله عليه الصلاة والسلام : (حكمي على الواحد حكمي على الجماعة)[٣].

ونوقشوا في هذا الدليل من وجهين :

الأول : سلمنا لكم أن التقرير لاصيغة له ، لكنه حجة قاطعة في جواز الفعل نفيًا

---

(١) لاتصح نسبة الغفلة والذهول إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما أمر به من تبليغ الأحكام للأمة.

(٢) الإحكام ٢/ ٣٣١ .

(٣) هذا الحديث لايعرف عند المحدثين بهذا اللفظ ، وإنما الوارد قوله صلى الله عليه وسلم : (قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة) .

وقد صحح الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى إسناد هذا الحديث في تفسيره ، فقال : (هذا إسناد صحيح) .

وصححه الترمذي رحمه الله تعالى فقال : (هذا حديث حسن صحيح) . سنن الترمذي ، كتاب السير ، باب : "ماجاء في بيعة النساء "٣/ ٧٧ .

للخطأ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بخلاف العام فإنه ظني محتمل للتخصيص، فكان موجبًا لتخصيصه .

الثاني : ماذكرتموه من وجوب المشاركة بعيد ، لأن حكم ذلك الواحد لا يخلو : إما أن يكون له أو عليه ، فإن كان له فقوله : (حكمي على الواحد حكمي على الجماعة) إنما يكون موهمة لمشاركة الجماعة لذلك الواحد أن لو كان قوله : (حكمي) عامًا في كل حكم ، وهو غير مسلم ، وإذا لم يكن ذلك حجة عامة فلا تدليس ولاتلبيس .

وبتقدير مشاركة الأمة لذلك الواحد في ذلك الحكم يكون نسخًا لاتخصيصًا .

الدليل الثاني

التقرير ناسخ لحكم العام وليس مخصصًا له ، لأن الأصل تساوي الناس في الحكم فلا يختص به واحد منهم .

ونوقشوا في هذا الدليل :

بأن التخصيص أولى من النسخ لما فيه من إعمال الدليلين معًا (١) .

الترجيح

يترجح لدي من خلال العرض والمناقشة السابقة قول القائلين بجواز تخصيص العموم بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ إن القول بالتخصيص جمع بين الدليلين، فيكون أولى من القول بالنسخ المقتضي إعمال أحد الدليلين وإهمال الآخر، وحيث إن الأصل في الأدلة الإعمال لا الإهمال كان التخصيص راجحًا على النسخ فيكون مقدمًا عليه في الاعتبار .

---

(١) انظر الإحكام ٢/ ٣٣٢ ، جمع الجوامع وشرح المحلي ٢/ ٣١ - ٣٢ .

الخاتمة

بعد توفيق الله تعالى ومعونته لي بإنهاء هذا البحث ، فإن أهم ماتوصلت فيه من نتائج هي على النحو الآتي :

١ - التخصيص في اللغة يطلق على ثلاثة معان هي : الإفراد ، والتفضيل، وضد التعميم .

٢ - التخصيص في الاصطلاح هو : إخراج بعض ماتناوله الخطاب ، أو هو : قصر العام على بعض مسمياته .

٣ - اختلف الأصوليون في جواز تخصيص الكتاب بالكتاب ، والراجح جوازه، إذ المخالفون في ذلك شذوذ لعدولهم عما تلقاه الخلف عن السلف بالرضا والقبول .

٤ - اختلف الأصوليون في جواز تخصيص السنة بالسنة ، والراجح في ذلك جوازه، إذ المانع من هذا الجواز لامستند له من العقل السليم ولا النقل الصحيح، فالعقل لايحيل جواز هذا التخصيص ، والنقل قد دل على وقوع ذلك ، والوقوع أقوى دليل على الجواز .

٥ - الإجماع قائم على جواز تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة ، ومانُقل من خلاف في ذلك فلا يُلتفت إليه لعدم تحقق ثبوته .

٦ - ما استدل به الأصوليون من أحاديث فيما يتعلق بتخصيص الكتاب بالسنة المتواترة ليس من قبيل المتواتر ، بل من قبيل الآحاد ، ولعل مما يبرر ذلك أن هذه الأحاديث وإن لم تكن متواترة لفظًا فهي متواترة حكمًا لاتفاق الصحابة رضي الله تعالى عنهم على مدلولها .

٧ - اختلف الأصوليون في جواز تخصيص الكتاب بالسنة الآحادية، والراجح في ذلك جوازه مطلقًا لانعقاد إجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم على حمل عمومات القرآن على خصوص أخبار الآحاد .

٨ - اختلف الأصوليون في جواز تخصيص السنة بالكتاب ، والراجح في ذلك جوازه لعدم استحالته عقلا ، ولقيام دليل وقوعه شرعًا .

٩ - اختلف الأصوليون في جواز تخصيص الكتاب ومتواتر السنة بفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، والراجح جوازه لأن الله تبارك وتعالى أمر باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في أفعاله ، فيترك العموم بها .

١٠ - اختلف الأصوليون في جواز تخصيص العموم بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم ، والراجح في ذلك جوازه ، إذ إن القول بالتخصيص جَمْع بين الدليلين ، فيكون أولى من إعمال أحدهما وإهمال الآخر .

وآخر دعوانا : أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين .

المراجع

١ - **الأرموري ، محمود بن أبي بكر** ، *التحصيل من المحصول* ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢ - **الأسمندي ، محمد بن عبد الحميد** ، *بذل النظر في الأصول* ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة دار التراث ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٣ - **الأصبحي ، مالك بن أنس** ، *الموطأ* ، الطبعة الأولى ، دار النفائس ، ١٣٩٠هـ- ١٩٧١م .

٤ - **آل تيمية** ، *المسودة في أصول الفقه* ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، لبنان - بيروت ، دار الكتاب العربي .

٥ - **الآمدي ، علي بن محمد** ، *الإحكام في أصول الأحكام* ، الطبعة الثانية ، بيروت، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٢هـ .

٦ - **الأنصاري ، محمد نظام الدين** ، *فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت* ، لبنان - بيروت ، دار إحياء التراث العربي .

٧ - **الباجي ، سليمان بن خلف** ، *إحكام الفصول في أحكام الأصول* ، الطبعة الأولى، تحقيق عبد المجيد تركي ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

٨ - **البخاري ، عبد العزيز بن أحمد** ، *كشف الأسرار عن أصول البزدوي* ، الطبعة الثانية ، ضبط وتعليق وتخريج محمد المتعصم بالله البغدادي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٤هـ .

٩ - **البخاري ، محمد بن إسماعيل** ، *الصحيح* ، تركيا ، استانبول ، المكتبة الإسلامية

١٠ - **البصري ، محمد بن علي** ، *المعتمد في أصول الفقه* ، الطبعة الأولى ، لبنان - بيروت ، دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١١ - **البغدادي ، أحمد بن علي** ، *الوصول إلى الأصول* ، الطبعة الأولى - الرياض ، تحقيق د. عبد الحميد أبو زنيد ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٢ - **البيهقي ، أحمد بن الحسين** ، *السنن الكبرى* ، وبذيله الجوهر النقي، دار الفكر .

١٣ - **الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة** ، *سنن الترمذي* ، الطبعة الثانية ، لبنان، بيروت ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٤ - **الجصاص ، أحمد بن علي** ، *الفصول في الأصول* ، الطبعة الأولى ، تحقيق د. عجيل النشمي ، الكويت ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م .

١٥ - **الجويني ، عبد الملك بن عبد الله** ، *البرهان في أصول الفقه* ، الطبعة الثانية، القاهرة ، تحقيق د. عبد العظيم الديب ، دار الأنصار ، ١٤٠٠هـ .

١٦ - **ابن الحاجب ، عثمان بن أبي بكر** ، *منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول*

والجدل ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، دار الباز ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

١٧ - **الحاكم ، محمد بن عبد الله** ، *المستدرك على الصحيحين في الحديث* ، بيروت ، دار الفكر ، ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

١٨ - **الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن** ، *سنن الدارمي* ، مكة المكرمة ، دار الباز .

١٩ - **الذهبي ، محمد بن أحمد** ، *تلخيص المستدرك* ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٢٠ - **الرازي ، محمد بن أبي بكر** ، *مختار الصحاح* ، الطبعة الأولى ، لبنان ، بيروت ، دار الكتاب العربي .

٢١ - **الرازي ، محمد بن عمر** ، *المحصول في أصول الفقه* ، الطبعة الأولى ، تحقيق د. طه جابر العلواني ، الرياض ، جامعة الإمام ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٢٢ - **الزبيدي ، محمد مرتضى** ، *تاج العروس* ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٠٦هـ .

٢٣ - **الزركشي ، محمد بن بهادر** ، *البحر المحيط في أصول الفقه* ، الطبعة الأولى ، تحرير الشيخ عبد القادر العاني ، ومراجعة د. عمر الأشقر ، الكويت ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٢٤ - **السبكي ، علي بن عبد الكافي وولده عبد الوهاب** ، *الإبهاج في شرح المنهاج* ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٢٥ - **السبكي ، عبد الوهاب بن علي** ، *جمع الجوامع* ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧ م .

٢٦ - **السجستاني ، سليمان بن الأشعث** ، *سنن أبي داود* ، الطبعة الأولى ، سورية ، حمص ، دار الحديث ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م .

٢٧ - **السرخسي ، محمد بن أحمد** ، *أصول السرخسي* ، حقق أصوله أبو الوفا الأفغاني ، الهند ، حيدر أباد الدكن ، لجنة إحياء المعارف النعمانية .

٢٨ - **الشافعي ، محمد بن إدريس** ، *الرسالة* ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

٢٩ - **الشوكاني ، محمد بن علي** ، *إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول* ، دار الفكر .

٣٠ - **الشيرازي ، إبراهيم بن علي** :

* *التبصرة في أصول الفقه* ، تحقيق د. محمد حسن هيتو ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

* *شرح اللمع في أصول الفقه* ، الطبعة الأولى ، تحقيق عبد المجيد تركي ، دار الغرب الإسلامي ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

* *اللمع في أصول الفقه* ، الطبعة الأولى ، لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٣١ - **الطبراني ، سليمان بن أحمد** ، *المعجم الصغير* ، لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣٢ - **الطوفي ، سليمان بن عبد القوي** ، *البلبل في أصول الفقه* ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مؤسسة النور ، ١٣٨٣هـ .

شرح مختصر الروضة ، الطبعة الأولى ، تحقيق عبد الله التركي ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٣٣ - **العطار ، حسن بن محمد** ، *حاشية العطار* ، لبنان ، بيروت ، دار الكتب العلمية .

٣٤ - **الغزالي ، محمد بن محمد** : *المستصفى من علم الأصول* ، لبنان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي . *المنخول من تعليقات الأصول* ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد حسن هيتو ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٣٥ - **الفتوحي ، محمد بن أحمد** ، شرح *الكوكب المنير* ، الطبعة الأولى ، تحقيق

محمد الزحيلي ، نزيه حماد ، مكة المكرمة ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٣٦ - **الفراء ، محمد بن الحسين** ، *العدة في أصول الفقه* ، الطبعة الأولى ، تحقيق أحمد بن علي المباركي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٣٧- **الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب** ، *القاموس المحيط* ، لبنان ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٣٨ - **القرافي ، أحمد بن إدريس** ، شرح *تنقيح الفصول* ، الطبعة الأولى ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الفكر ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

٣٩ - **القزويني ، محمد بن يزيد** ، *سنن ابن ماجه* ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر .

٤٠ - **القشيري ، مسلم بن الحجاج** ، *الصحيح بشرح النووي* ، الطبعة الثالثة ، لبنان ، بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٤١ - **ابن كثير ، إسماعيل القرشي الدمشقي** ، *تفسير القرآن العظيم* ، الطبعة الأولى ، الرياض ، مكتبة المعارف .

٤٢ - **الكلوذاني ، محفوظ بن أحمد** ، *التمهيد في أصول الفقه* ، الطبعة الأولى ، تحقيق د . مفيد أبو عمشة ، د . محمد علي بن إبراهيم ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

٤٣ - **المحلي ، محمد بن أحمد** ، شرح *المحلي على جمع الجوامع* ، الطبعة الثانية ، مصر ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

٤٤ - **المقدسي ، عبد الله بن أحمد بن قدامة** ، *روضة الناظر وجنة المناظر* ، تحقيق د . عبد العزيز السعيد ، الرياض ، جامعة الإمام وكذلك تحقيق د . عبد الكريم النملة ، مكتبة الرشد بالرياض .

٤٥ - **ابن منظور ، محمد بن مكرم** ، *لسان العرب* ، الطبعة الأولى ، بيروت ، دار صادر ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٤٦ - **الهمداني ، عبد الجبار بن أحمد** ، *المغني* ، مصر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي .

٤٧ - **الهندي ، محمد بن عبد الرحيم** ، *نهاية الوصول في دراية الأصول* ، الطبعة الأولى ، تحقيق د. سعد بن سالم السويح ، د. صالح اليوسف ، مكة المكرمة ، المكتبة التجارية .

Specializing One of the Two Inspirations With the Other According to the Radicals Whether Those Who Allow This or Those Who Do Not *Allow It*

ALI BIN SAAD SALEH AL-DEWAIHI
Associate Professor, Al-Shari'a Department, College of Al-Shari'a and Islamic Studies in Al-Ahsa, Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University

ABSTRACT. The research has discussed the following topics :

- The reason of choosing this subject.
- The plan of the research and its general method.
- Defining "specializing" in language and usage, and pointing out the more preferred usage – definition and the reason for that.
- The difference in "specializing" the Book by the Book (the Quran) and pointing out the more preferred in this matter.
- The difference in "specializing" the Sunna by the Sunna and pointing out the more preferred in this matter.
- Pointing out that there is no reliable difference in allowing "specializing" the Book by successive Sunna.
- The difference in specializing the Book by Ahad, Sunna and pointing out the more preferred in this matter.
- The difference in specializing the Sunna by the Book and pointing out the more preffered in this matter.
- The difference in specializing the Book and the successive Sunna by the Prophet's (P.B.U.H.) deed and pointing out the more preferred in this matter.
- The difference in specializing the generalizations of the Book and the Sunna as admitted by the Prophet (P.B.U.H.) and pointing out the more preferred in this matter.
- A conclusion that has included the important results of the research.

القسم الإنجليزي

- ***General***

• A periodical issued by KAU in the fields of Arts and Humanities and annually published by the KAU Scientific Publishing Centre. Original works are published in this periodical, review articles, letters to editor and book reviews. Materials to be sent to:

Editor-in-chief, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University,
P.O. Box 9032 Jeddah 21413, Saudi Arabia.

• All materials are submitted to referees.

• Materials submitted should represent original works not previously published, not being considered for publication elsewhere, and if accepted not to be published in the same form in any language without written consent of the editor-in-chief.

- ***Typescript***

• TS should be submitted in triplicate, double spaced, on only one side of A4 size paper.

• Leave one inch margins on all sides.

• Consecutively number TS including tables and figures.

• Abstracts, footnotes, tables, captions and references should be submitted in separate sheets.

- ***Writing***

• Paper should include:

1) Title: Concise and expressive.

2) Author(s) name(s)

3) Affiliation of author(s) as a mailing address.

4) Abstract.

5) Text: to be divided to main sections each with its own heading, according to the method used(*e.g.*, Introduction, Results, Discussion, Conclusion, References), taking into consideration the levels of sub- and sub-sub-headings.

• Two Abstracts, one in English, the other in Arabic, each not exceeding 200 words should be submitted. An Abstract should summarize the main facts and conclusions of the work. International rules for Abstract writing should be followed. Abstract should be self-contained and understandable in isolation.

• The metric system and standard abbreviation following (SI), avoiding full stops after abbreviations, should be used.

• Footnotes: These should be consecutively numbered through the text. Any source cited for the first time should be given a full reference. When cited later, use the proper cross-reference terms (op. cit., loc. cit., ibid., id.). An alphabetically list of references is mandatory. Some authors are entitled to use Name/Date/Page system. Rules of the usage of this system should be thoroughly followed.

• References: The list of references should be alphabetically arranged according to author(s) surnames. References to the same author(s) should be chronologically arranged. All the bibliographic elements of a reference should be complete, following the standard rules of writing and arrangement. Never use *et al.* in the list. Make sure that all the sources cited in text are listed. References other than those cited in the text should not be listed.

- ***Tables***

• Tables should be consecutively numbered, each having a short self-explanatory title above. Indicate the position of each in pencil in the margin. Avoid unnecessary or too detailed data.

- ***Illustrations***

• Original illustrations should be submitted flat in protective envelopes and not folded.

• Indicate, in pencil, the position of each in the margin of the text, and stick a copy of each in the right position of the text.

• Line drawings should be drawn in Indian ink on calc paper, not exceeding 12×8 cm or half or double that size.

• Photographs, black & white, should be of high quality glossy original prints of maximum size 13×18 cm or half or double that size.

• Coloured figures are not acceptable, unless colours have a scientific indications.

- ***Proofs***

• Two sets of proofs, one galley and one page proof, have to be checked by the corresponding author, in 72 hours at maximum.

• No alteration is allowed, especially on the page proofs.

- ***Reprints***

• 50 free reprints per paper will be supplied.

• Additional reprints could be ordered on returning page proofs, according to the rates of the Publishing Centre.



IN THE NAME OF ALLĀH
THE MERCIFUL,
THE MERCY-GIVING

Annual Subscription

- Local : SR 5
- External : US$ 5

Subscription

Scientific Publishing Centre, King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441, Saudi Arabia

Exchange

Deanship of Library Affairs, King Abdulaziz University
P.O. Box 3711, Jeddah 21481, Saudi Arabia

King Abdulaziz University Press

English Section

JKAU: Arts & Humanities, **vol.10**, pp. 3-21 (1417 A.H. / 1997 A.D.)

Africa and Africans in Harriet Beecher Stowe's *Uncle Tom's Cabin*

Omar Abdullah Bagabas
Associate Professor, Department of European Languages & Literature, Faculty of Arts & Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

Abstract. The paper looks closely at certain passages in Stow's *Uncle Tom's Cabin* to prove that these moving passages which delineate the miseries and misfortunes of blacks are behind the powerful impact of the novel and its success in getting the message across to white Americans who eventually get to view the whole history of slavery from the author's angle of vision. While occasional references are made to other black American prose writers whenever necessary, the paper argues that Stowe is a pioneer as she writes history from the black man's perspective. As a female novelist, Stowe focuses more on the painful experience of women to allow the suppressed feminist voice to be recognized and heard. The paper further argues that the selected passages show a movement in the novel from a diaspora of the African race in the early chapters into a unity toward the end, from slavery to freedom and from rootlessness to a discovery of identity and origin through a return to the African homeland. The paper concludes that the importance of the novel lies in changing the predicament of the blacks and the tremendous insight Americans have gained through the exposure of the horrors of slavery.

Introduction

This paper will examine closely a number of passages from Harriet Beecher Stowe's *Uncle Tom's Cabin* which describe Africa and talk at length about the sufferings of Afro-Americans. Occasional references are made to other important literary works which deal with the same topic when necessary and relevant to the discussion though Stowe's novel remains the main focus. This close analysis is essential for the paper's argument that there is a movement in the novel from a diaspora of the African race in the beginning to unity toward the end, from slavery to freedom and from rootlessness to a discovery of identity and origin. Of equal interest to the paper is the exploration of what the novelist has accomplished by her inclusion of such descriptive passages which have

contributed a great deal of changing the white man's perspective toward blacks in particular and the downtrodden in general. The paper argues that the powerful impact of the novel and its success in getting the message across are attributed to the moving passages which delineate the miseries and misfortunes of the slaves. A careful reading of the novel shows that none of the black characters, particularly females are, introduced without a special focus on distinctive facial features and a thorough survey of origin and background as if the author takes it upon herself to speak for Africans whose rights have to be protected and whose smothered voices have to be heard. What accounts for the everlasting influence of the book that brings about an awareness of the deplorable and appalling conditions of slaves who have suffered tremendously under the tyrannical institution of slavery is its documentary nature and its authenticity. As Jane Tompkins rightly maintains, the novel is possibly "the most influential book ever written by an American"[1].

A Powerful Novel

This is a novel that proves beyond the slightest doubt that written words are strong instruments which can bring about change as they portray very faithfully the shocking plight of the oppressed who are rendered powerless but in spite of their weakness, are bound to resist and then revolt. The novelist, through her powerful language and accurate presentation of the predicament of blacks, can do the job better as she transmits a true picture of what slavery is like. For this reason, the novelist is seen as probably the first writer who helped in getting the real war against slavery started. What the oppressed cannot voice with the cane or lash that whips them day and night for failure to keep up productivity in the cotton plantations of the south, the novelist can achieve through influential words. While the slave is powerless to seize the whip from the hands of his despotic master to be the 'knouter' who has the right to self-defense and protection if not retaliation, the novelist can transform the lines into revolution. The credit for launching the war against slavery certainly goes to Harriet Beecher Stowe who was greeted by Abraham Lincoln in 1863 as "the little lady who made this big war"[2] through the powerful medium of words. Though some other black American prose writers such as Frederick Douglass (1818-1895), Martin Delany (1812-1885) and W.E.B. Du Bois (1868-1963), to mention only a few, have expressed similar views to Stowe's and have showed tremendous concern over the deplorable conditions of slaves in America as they devoted their lives to the abolition of slavery and the struggle for the attainment of black rights, yet Stowe remains a pioneer particularly if we take into account the great impact of her novel. Through her efforts and many others besides her, Americans have come to view the history of slavery from a certain angle of vision. It is only when the addressed audience sees such a repulsive institution from those authors' perspective that a genuine and profound insight into the horrors of slavery is reached. Douglass's autobiography (1845), *Narrative of the Life of Frederick Douglass, an American Slave: Written by Himself*, is a documentary work that records the shocking experiences of a runaway slave who feared that his identity would have been revealed when the book was published. Thus he writes:

It was a most painful situation; and to understand it, one must needs experience it, or imagine himself in similar circumstances. Let him be a fugitive slave in a strange land – a land given up to be the hunting-ground for slaveholders – whose inhabitants are legalized kidnappers – where he is every moment subjected to the terrible liability of being seized upon by his fellow-men, as the hideous crocodiles seizes upon his prey! I say, let him place himself in my situation – without home or friends – without money or credit – wanting shelter, and no one to give it – ... perfectly helpless both as to the means of defense and means of escape, ... , let him be placed in this most trying situation, – the situation in which I was placed, – then, and not till then, will he fully appreciate the hardship of, and know how to sympathize with, the toil-worn and whip-scarred fugitive slave[3]

By exposing the viciousness and ruthlessness of such a barbarous institution that degrades man and denies him his essential rights and by bringing Americans to see slavery in its true light, Douglass's autobiography, as an example, is regarded as "the first comprehensive, personal history of American slavery"[4]. Stowe's novel is certainly based on historical facts, but in the words of Moira D. Reynolds, Stowe was a pioneer in using fiction for a constructive and "profound criticism of American society, especially its failure to live up to the promises of democracy"[5]. Stowe intended her book to be moving and effective. To achieve that goal, she substantiates her evidence that

The separate incidents that compose the narrative are, to a very great extent, authentic, occurring, many of them, either under her own observation, or that of her personal friends. She or her friends have observed characters the counterpart of almost all that are here introduced; and many of the sayings are word for word as heard herself, or reported to her. (p. 618)

An Ancient Picture

Before we delve into the novel, it may be appropriate to talk about the ways the image of Africa has been projected. This short historical survey enables us to understand the situation of blacks in Stowe's novel. Ever since Medieval times, Africa has been viewed as a vast continent of unfathomable natural resources and endless riches. It is interesting that such an image is also confirmed by Stowe's novel as its analysis reveals later on. European and Arab travellers alike have been struck by the hectic commercial activities in numerous African ports. Salt was dug out of its pits in Taghaza and sold to merchants. Al-Idrissi confirms that the inhabitants of Taghaza used salt as others used gold. They broke it into pieces and offered it for sale[6]. But what affirms Africa's strong link to wealth, and gold in particular, may be attributed to Mandeville, who according to Eldred D. Jones "introduced Englishmen to the legend of Prestor John... [described] as a fabulously wealthy Christian king living in a land full of precious stones"[7]. Several travellers asserted that Mali was the main centre for gold mining. Al-Qazwini, as an example, reports that Mali's gold "grows in the land as carrots grow in our land"[8]. Interestingly enough, this image of Mali as a land of enormous riches is confirmed in Alex Haley's *Roots: The Saga of an American Family.* It emerges as a country where a great civilization flourished in ancient history:

Like the other empires, Mali had its cities, its farmers, its artisans, its blacksmiths, tanners, dyers, and weavers, ... But Mali's enormous wealth came from its far-flung trade routes in salt and gold and copper ... The major centre of learning in all Africa, it was populated by thousands of scholars, made even more numerous by a steady parade of visiting wise men seeking to increase their knowledge – so many that some of the biggest merchants sold nothing but parchments and books[9].

Among those merchants who found their way to the dark continent were certainly the Arabs who were also known as travellers who engaged in commercial activities in South Yemen and to the north of the Arabian Peninsula in the Pre-Islamic era. With the advent of Islam, the activities of Arab merchants were expanded to Africa which became not only a rendezvous for merchants but a hectic centre of learning. The reference to parchments and books is an indication that a highly cultured society lived in Mali. Contrary to preconceived notions that Africans are inferior, backward and illiterate, the quotation above confirms that Mali held the torch of knowledge that illuminated the path for whoever visited it. Hence the real treasure which Mali possessed was not gold, but rather ancient wisdom contained in "treasured *Arabic books* and parchment manuscripts such as those from ancient Timbukta" (p. 119). The specific reference to *Arabic books* supports the argument that the role of Arab travellers in enlightening Africans and disseminating knowledge cannot be overlooked. Haley goes on to describe the method of learning adopted by Africans which bears a striking resemblance to the Islamic method still in use in many rural parts of the Islamic world:

> As the old man passed through the gate, Kunta and his mates joined the kintango and his assistants on their knees, with their foreheads touching the ground. When the moro had blessed them and their jujuo, they rose and seated themselves respectively around him as he opened his books and began to read – first from the Koran, then from such unheard-of books as the Taureta La Musa, ... Each time the moro would open or close a book, roll or unroll a manuscript, he would press it to his forehead and mutter, "Amen!" (p. 119).

Though one could trace certain Islamic practices and traditions which were prevalent in Africa and referred to in the course of *Roots* to support the claim that the Islamic and African traditions are closely related as if the search into the history of African ancestors cannot be divorced from a discovery of an Islamic link somewhere down the line of investigation, our primarily concern here is to shed light on an ancient image of Africa as this helps us relate such a conception of Africa to Stowe's novel. The above discussion regarding the image of Africa as a wealthy continent and the image of Africans as intellectuals and seekers of knowledge is also evident in *Uncle Tom's Cabin* since Stowe refers to Africa as "that far-off mystic land of gold, and gems, spices" (p. 275) and as she sees Africans as ingenious. They lack none of the qualities which qualify them for leadership and creativity.

Africa which has been portrayed as a land of opulence and abundance has certainly attracted early Oriental and Western travellers who reported their observations about a distant and exotic land to their people. Consequently, the desire to invade and domesticate Africa became the ultimate goal of the West. But the journey to Africa was not without horrors and painful discoveries. "Africa" is the title of a poem by Maya Angelou[10] that exposes evil imperialistic intentions behind the facade of a Western claim that Africa needs Western enlightenment and civilization to rise out of its hibernation. The poet asserts the blackness of Africa, its vastness and its sufferings as the "two Niles" that run through it are imagined to be "her tears". Maya Angelou and Stowe affirm certain distinctive features of the black continent and probably their awareness of the sufferings of its people is the common ground that unites them and brings them to feel for Africans. In "Africa", the "brigands ungentled" have sailed across oceans and

have undertaken arduous voyages to reach the vast continent. Upon arrival, they "took her young daughters / sold her strong sons / churched her with Jesus / bled her with guns". These are among the atrocities which the white man has done to Africa that will always "remember her pain / remember her losses / her screams loud and vain / remember her riches / her history slain". To give another example besides Angelou's "Africa", we may turn to "The Beauties of Santa Cruz" by Philip Freneau (1752-1832)[11], as a reference is made to the slave trade where blacks were forced to leave the native shore of Africa, and then board ships which brought them to America. The journey to an alien land was not without sufferings and endless agonies. Talking about the captured slaves along the African coasts, Haley in *Roots*

> envisioned the many dying, or left to die when they were too weak to continue the torturous march toward the coast, and those who made it to the beach were greased, shaved, probed in every orifice, often branded with sizzling irons; {he} envisioned them being lashed and dragged toward the longboats; their spasms of screaming and crawling with their hands into the beach, biting up great choking mouthfuls of the sand in their desperation efforts for one last hold on the Africa that had been their home; (p. 721)

By taking black people away from their homeland, the land of their forefathers to which they are attached as a baby to his mother, they were forced into a diaspora which entails a cultural dislocation. The white traders who transported them to a new world were ignorant of the fact that blacks showed deep emotions as they cared for their children and families. Both sides of the ocean connected emotionally and physically as if Africans tell Afro-Americans in their own way that "through this flesh, which is us, we are you, and you are us" and eventually they raise their hands to "praise Allah ... for one long lost from us whom Allah has returned" (*Roots*, p. 720). By showing such a warm connection to fellow brethren no matter how remote they were from each other because one member "represented in their eyes a symbol of the twenty-five millions of us black people whom they had never seen, who lived beyond an ocean" (p. 718), black people were superior to the white traders who had neither respect for family values nor for the dignity of the individual. The picture that Haley draws of the traders as ruthless and inhuman is no different from Freneau's. The latter also draws a very moving picture of the close bond that ties blacks together and also illustrates how the intrusion of the white man has disrupted the very social fabric of the black community. Thus he writes:

> See, yonder slave that slowly bends this way,
> With tears, and pain, and ceaseless toil opprest,
> Though no complaining words his woes betray.
> The eye dejected proves the heart distrest.
>
> Perhaps in chains he left his native shore,
> Perhaps he left a helpless offspring there,
> Perhaps a wife, that he must see no more,
> Perhaps a father, who his love did share.
>
> (Lines 293-301)

Freneau, like Stowe, was aware that blacks kept genuine feelings for their family members. Both were primarily concerned with the agonies and painful experiences of the African race.

Point of View of Blacks Observed

Stowe took upon herself the challenging task of familiarizing the whole world with the agonies of the enslaved. As one starts reading the novel, one is immediately aware that the novelist is talking about serious problems within a dual society with the sharpest polarization between the two distinct ethnic groups: blacks and whites. As Andrew Hacker maintains, this is polarization in colour, incomes, lifestyles, power, and attitudes toward each other[12]. Human rights and social justice are often at the core. Stowe is concerned with these two issues. It is her objective to discuss human relationships in a pluralistic society. As she sees the injustice done to blacks, she feels it is her right to represent them. Her call for justice and understanding is bound to be heard. Such a call has reaped its fruits by drawing attention to calamities and misfortunes which can no longer be endured. The white man has to listen to grievances and it is only when such grievances are written from the African or black man's point of view that they gain weight and get attention. Throughout history, the white man, as a historian, has decided what should be included or deleted from the annals of history. He will only allow what is in his favour to be published. He will suppress the voice of the oppressed because as Homi K. Bhabha argues, we live in an era where the "white sky [is] all around us"[13]. In fact, one reason why Haley wrote *Roots* is that he hopes that "this story of our people can help alleviate the legacies of the fact that preponderantly the *histories have been written by the winners*" who are more than likely going to distort historical facts (p. 629). But Haley has carefully documented such facts through "years of intensive research in fifty-odd libraries, archives, and other repositories on three continents" (p. 726). Consequently, he decided to write a book which

> would automatically be a symbolic saga of all African-descent people – who are without exception the seeds of someone like Kunta who was born and grew up in some black African village, someone who was captured and chained down in one of those slave ships that sailed them across the same ocean, into some succession of plantations, (p. 722)

Haley therefore documents the African experience by recording the sufferings which black people had undergone in their search of freedom. If black writers like him or Stowe or Douglass have not recorded such a painful experience, who would have done it particularly if we bear in mind that blacks were tortured and punishment was inflicted on them away from the vigilant eye of a just state and in a southern cotton plantation cut-off from the rest of the world? Simon Legree has committed a terrible crime as he beats the innocent and submissive Uncle Tom to death just because he refuses heroically to betray two black female fugitives: Cassy and Emmeline. Tom remains loyal to their memory to the last minute as he adamantly refuses to reveal what he knows about the women's disappearance. When Goerge Shelby confronts Legree with his heinous murder, the perpetrator finds refuge in Bhabha's above remark. Since no white man was present at the time of the atrocious deed and since the testimony of blacks was not accepted by the courts, who could bring the charge against the evil-doer?

The following conversation takes place between the two men:

> George: But, sir, this innocent blood shall have justice. I will proclaim this murder. I will go to the very first magistrate, and expose you. "Do!" said Legree, snapping his fingers, scornfully.

> "I'd like to see you doing it. Where you going to get witnesses? – How you going to prove it? Come, now!" (p. 592)

But Stowe's novel proves it. She confirms the charge against the white man. Since she writes history from the black man's perspective, she must bring out the atrocities committed against him. The authorial voice is needed here to lay hands on the criminal and assert the accusation of a deliberate murder. She is present with her pen and heart. She sees it and she will bring the white man to see it. While George is almost dumbfounded since he knows well the weakness of his position vis a vis the credibility of his evidence against Legree as "There was not a white person on the place; and, in all southern courts, the testimony of colored blood is nothing", Stowe supplies the evidence that convicts the criminal. By presenting this evidence, she allows the smothered voice of a lady who cries "What a shame to our country that such sights are to be seen!" (p. 199) to be heard, though both the lady and George feel powerless to stop such atrocities. The helplessness that George experiences at that moment when his tongue and hands are tied does not mean that the novelists is similarly restricted. Stowe transforms this moment of utter passivity and inability to bring criminals to justice into a moment of strength. The cries of the aggrieved will be answered in the long run for George "felt, at that moment, as if he could have rent the heavens with his heart's indignant cry for justice, but in vain" (p. 592). But in the hands of Stowe, nothing is recorded in vain.

The above incident could have been dropped had a Western historian been writing history. Such historians write the whole history of the oppressed from their particular perspectives and re-fashion their post-colonial views. But as Bhabha asserts:

> What is crucial to such a vision of the future is the belief that we must not merely change the narratives of our histories, but transform our sense of what it means to live, to be, in other times and different places, both human and historical. (*LOC*, p. 256).

Thus blacks and all others who fall into their category have the right to write history from within, not with a Western eye dictating their perspectives and re-defining the way history should be viewed, but from the point of view of the oppressed who have felt imperial injustice in its most heinous shapes. Stowe therefore writes the history of blacks as she actually observes it. She is in a position to document her observations as she exposes the whole truth for the entire world to see. The novel therefore owes its success to a number of reasons, mainly its authenticity.

A Feminist Novel

Furthermore, the novel enables people to appreciate the sufferings of mothers who face the ultimate fate of being harshly separated from their offspring. Eliza whose four-year-old quadroon boy Harry is to be sold by the slave owner Mr. Shelby to the slave-trader Haley, Mammy who works as a nurse for the inconsiderate hypochondriac Marie St. Clare and Emmeline who is bought by the ruthless Simon Legree are among females who are separated either from spouse or child. Stowe describes genuine emotional feelings and instinctive female reactions which a male novelist could not have possibly done. She is a background influence on Virginia Woolf's *A Room of One's Own* (1929) as a feminist novel. Hence, if Woolf is considered to be the founding mother of the con-

temporary feminist debate, she had an archetype in the person of Stowe. Hence, Stowe's novel enters the 'private chambers' of females to give a genuine picture of what lies inside. These are the 'private chambers' or 'quarters' which Virginia Woolf insists that a lady must have in addition to an independent income if she is to write fiction that plays a role in the imaginative territory of the women novelists[14]. As a feminist writer, Stowe has access to these private chambers to describe what she observes from a feminist perspective. The argument that women write about different things from men and also in a different way while adopting a feminist viewpoint lies behind feminist literary criticism. Such a difference between genders can be evident not only "in the images which are used in literature, but in the actual use of language itself". Woolf also asserts that even the subject matter of women's novels is different from that of men's where "the essential differences lies in the fact not that men describe battles and women the birth of children, but that each sex describes itself. The first words in which either a man or a woman is described are generally enough to determine the sex of the writer"[15]

Females Manipulated

By focusing her attention on women's problems, insights, emotions and special adventures in a way that exhibits a uniqueness of vision and a skill of representation, Stowe is able to let the feminist voice be heard and recognized independently as it is capable of transmitting an authentic picture and of sending a particular message. In fact, a feminist like Iris Marion Young insists "on the need for proper representation of social groups, such as ethnic and racial minorities, as well as women and other disadvantaged groups"[16]. This is exactly the task which Stowe accomplishes. From the women's private chambers, she offers numerous examples of how females writhe in pain as they are victimized by slavery. The heaviest weight unfortunately falls on them and in accordance with their weak and submissive natures, they have to bow their heads and suffer the most. As the novel begins, women are entirely excluded from the harsh realities of a masculine world that decides their fate in their absence. Stowe depicts a world where a woman is the 'Other' who is robbed of her distinctive identity. She is marginalized and forced to play a subliminal role just as the blacks are excluded from the contemporary scene. Both females and blacks are therefore the victims of a masculine white world that pushes them to the fringes of public action. In such a world, gender is not biologically determined but rather culturally constructed to allow the male the upper hand over the female just as the history of colonization allows for an exhibition of the white man's cultural superiority over the black.

The introductory scene where "two gentlemen were sitting alone over their wine ... discussing some subject with great earnestness" (p. 41) foreshadows the numerous incidents at auctions and the slave-warehouse where men determine the destiny of females and force them to accept social injustice. The fact that Eliza overhears the whole conversation which men do not expect a concerned lady to overhear, let alone comprehend, immediately establishes the tyrannical nature of a masculine world that denies women admission into matters where they should have a say or where their voice ought to be freely expressly. Eliza is transformed into a silent object hidden behind bars to eavesdrop on the men. But by denying her admission into a ruthless masculine world,

Stowe allows us to enter into a private affectionate feminine world where we see females undergoing tremendous pain and anguish. Even Mrs. Shelby, in whom Eliza confides, has been "entirely ignorant of her husband's embarrassments, ... , had been quite sincere in the entire incredulity with which she had met Eliza's suspicions. In fact, she dismissed the matter from her mind, without a second thought" (p. 53).

This scene therefore establishes the fact that genders operate in two opposite spheres: women are more concerned with household duties and trifles; and men decide cruelly on matters which need firm action, actions which come at the cost of denying females their freedom in personal matters. And even if females raise their voice in objection out of humanitarian concern, Haley thinks that women are gullible as their love for "watches, feathers, and trinkets, one's weight in gold would buy" (p. 46) could alter the case and talk them into positions they initially oppose. The rift between the two worlds where each sex plays a different role is essential. This allows the feminist novelist to get into the hearts of her heroines and attempt to express their suppressed voice. Here we enter the harem world through the novelist's eyes to listen to grievances poured out of laden hearts. What is being exposed is the utter nonchalance and despotism of the masculine world. We come to share the novelist's views and consequently express sympathy for victimized females. But the difference between males and females is not only defined by a difference in subject-matter. Each group manipulates a different language more suitable for its needs: females use a meek language characterized by sobbing and complaining or a thorough disregard of the evil intentions behind men's words; while men employ a harsh language that even the external severity of the "chilly day in February" of the first sentence establishes. It is quite evident that the two men manipulate a language completely devoid of affection. In their view, human beings are reduced to mere objects who must be sold. As Shelby explains later to his wife about the intended sale of Eliza's child, Harry, and Tom:

> Either they must go, or all must. Haley has come into possession of a mortgage, which, if I don't clear off with him directly, will take everything before it. I've raked, and scraped, and borrowed, and all but begged, – and the price of these two was needed to make up the balance, and I had to give them up. Haley fancied the child; he agreed to settle the matter that way, and no other. I was in his power, and had to do it. (p. 84).

The tone of Shelby's speech is authoritative, calculating and business-like. While he pretends in the introductory chapter that he is "a humane man [who] hate[s] to take the boy from his mother" (p. 46), yet, he must pay his debts. In an attempt to justify slavery and smother any human affection, Haley draws the contrast between 'white folks' and niggers who are not

> brought up in the way of 'spectin' to keep their children and wives, and all that. Niggers, you know, that's fetched up properly, ha'n't no kind of 'spectations of no kind; so all these things comes easier (p. 49).

Once their loved ones are taken away, Haley believes that "out of sight, out of mind, you know, – and when it's clear done, and can't be helped, they naturally gets used to it" (p. 49). But Stowe proves that such an argument is false and deceptive. She includes such details to bring white people to an awareness that blacks are capable of showing genuine and profound feelings. It is out of love and concern that Eliza endures the hard-

ship of the journey across the Ohio river to keep her child with her. Thus Stowe takes care to record that

> With wild cries and desperate energy she leaped to another [i.e., piece of ice] ... ; stumbling- leaping- slipping-springing upward again! Her shoes are gone- her stockings cut from her feet- while blood marked every step; but she saw nothing, felt nothing, till dimly, as in a dream, she saw the Ohio side, and a man helping her to the bank. (p. 118)

Sufferings of Black People

Blacks are therefore denied one of the basic rules of existence and forced to brush aside what confirms their humanity and superiority. By taking young children away from parents, the white man proves his insensitivity and callousness. He thinks that once children are away from the parents' sight, they are forgotten as the parents, by their nature, have hard hearts. By denying blacks affection and love once they are removed from their parents, the white man expects blacks to obey their masters. Stowe however is adamant in her view that the negro race is bound together, that they share a common destiny and that they present a united front. They resemble an inter-woven tapestry whose threads cannot be undone. Human relations are therefore very strong and blacks are almost treated in the novel as one large family that cares and shows concern for all its members.

There is no better example to illustrate how closely tied blacks are, as if they are weaving an inseparable social fabric, than in chapter 42. There we meet the two fugitives Cassy and Emmeline who leave the plantation and board a riverboat heading north disguised as "a Creole lady [and] her servant' (p. 597). It is a mere coincidence that "the next state-room to Cassy's was occupied by a French lady, named De Thoux" (p. 599). In this chapter, we learn of the long chain of coincidences that unite many of the novel's characters whose familial relationships have been harshly severed by slavery. Madame de Thoux is revealed to be George Harris's sister. She had resided in Kentucky in a former period of her life. She was sold to the South when George was a boy. Then "she was bought by a good and generous man. He took [her] with him to the West Indies, set [her] free, married [her]. It is but lately that he died; and [she] was going up to Kentucky, to see if [she] could find and redeem [her] brother" (p. 600). In the same chapter, Cassy learns too what has become of her long-lost daughter, who is none other than George Harris's wife, Eliza, whom he married in the Shelby's house early on in the novel. As George Shelby informs the group on the board of the name Simmons, Cassy faints and falls "insensible on the floor of the cabin" (p. 601). Simmons is the name of the people who sold Eliza to George's father as this is confirmed by 'the bill of sale' (p. 601) that George came across during his search into the dead man's papers.

The objective of such a scene is to bring blacks who suffered disconnection into unity. A family reunion is going to be witnessed next chapter in Canada where the Harris household is together enjoying liberty and transforming their residence into a fine place of education and warm feelings. After family members have been scattered as "the wind whirls and scatters the leaves of autumn" the "shores of refuge, like the eternal shore, often unite again, in glad communion, hearts that for long have mourned each other as

lost" (p. 606). By unifying the Harris Household, Stowe directs a severe blow at slavery that scatters family members and cuts ties among family relations because she believes that, "The most dreadful part of slavery, ... , is its outrages on the feelings and affections, – the separating of families, for example" (p. 200). To counterbalance such activities conducted by the ruthless white man, Stowe shows the blacks as one consolidated front who face one destiny, undergo the same painful experiences but triumph once they are united. Hence the repeated stories of family break-ups throughout the novel and the continuous attempts of the white man to disregard the heart as he resorts to violence to sever relations between family members who are forced into a diaspora, end in failure. What Stowe shows is that whatever the white man does to disperse the African race and cut it off the continuous cycle of history is not entirely successful. The family reunion defeats the purpose of the white man that desires to keep a diaspora going because with it no aspirations to form an independent African nation can ever come true.

The white man is exposed as utterly ruthless in the novel because he does not accept that what he does to the African people could also be done to him. He gives himself the full right to disconnect relations among family members but demands his family unit remain inviolable. Stowe gives blacks the right to feel close. She creates this milieu on board the riverboat and then in Canada. By doing so she thwarts the white man's plans for diaspora. She destroys evil schemes to keep family members apart. When the disguised and runaway George Harris meets his former employer Mr. Wilson in the tavern where a note has been posted to have George handed over to his master either alive or dead, Wilson cites religion as an institution that teaches people obedience. As the "apostle says, 'Let everyone abide by the condition in which he is called.' We must all submit to the indications of Providence, George, – don't you see?" (p. 184). This is the same lesson that the hypocritical clergyman teaches the slaves. Stowe directs her attack at the church for remaining silent on the whole issue of slavery, and rather than encouraging the oppressed to defy such an institution, religion ironically becomes a means of reinforcement and legalization. Thus the clergyman says "It's undoubtedly the intention of Providence that the African race should be servants, – kept in a low condition" (p. 200). The Scripture is manipulated to talk blacks into accepting their lot as "It pleased Providence, for some inscrutable reason, to doom the race to bondage, ages ago; we must not set up our opinion against that" (p. 200).

Later on Marie St. Clare cites from a sermon of a Dr. G to prove the point that the Bible allows slavery since "all orders and distinctions in society came from God" and therefore "some should be high and some low, and that some were to rule and some to serve, ... , and he proved distinctly that the Bible was on our side, and supported all our institutions so convincingly" (p. 279). But to return to George Harris who is advised by Wilson to go back to his master as Providence intends him to accept his position as a slave, George cites an example to illustrate that were the white man to fall into servitude to "Indians [who] should come and take [him] a prisoner away from [his] wife and children, and want to keep [him] all [his] life hoeing corn for them", would he "abide in the condition in which [he is] called"? (p. 184) Only those who are flogged feel the pain and it is easy for a free man to exhort a nigger to accept slavery because he does not

know the agony a black man goes through. Ophelia tries to make St. Clare see the horrors of slavery as she says:

> Tell me that any man living wants to work all his days, from day-dawn till dark, under the constant vigilant eye of a master, without the power of putting forth one irresponsible volition, on the same dreary, monotonous, unchanging toil, and all for two pairs of pantaloons and a pair of shoes a year, with enough food and shelter to keep him in working order! Any man who thinks that human beings can, as a general thing, be made about as comfortable that way as any other, I wish he may try it. (pp. 339-340).

Moving Scenes

This is what Stowe intends the white man to see. She aims at creating sympathy with the downtrodden who feel as much pain as any human being when they are dragged away as prisoners from the very presence of their parents. When Marie St. Clare is confronted with Ophelia's criticism that she has separated Mammy from her husband and children and therefore blacks are equal to whites in terms of feeling loss as "the Lord made them of one blood with us", Marie retorts that blacks are "a degraded race" who cannot be put "on any sort of equality with us, you know, as if we could be compared, why, it's impossible ... Mammy couldn't have the feelings that I should. It's a different thing altogether, – ... And just as if Mammy could love her little dirty babies as I love Eva! (p. 268). What in fact troubles Marie is that her daughter Eva "seems to put herself on an equality with every creature that comes near her. It's a strange thing about the child" since she knocks down social barriers and acts in a way that shows love and affection. While Marie thinks that servants must be made to "know their place, Eva never does; there is no getting into the child's head the first beginning of an idea what a servant's place is!" (p. 265). However because of her kindness all the servants weep at her death. It is because she feels for others that they in return feel for her. She expresses a tremendous concern for the plight of slaves and she wishes to free them all and teach them to read and write. When she falls sick, she reminds her father of the sufferings of blacks and implores him to set them free as "these poor creatures love their children as much as you do me. O! do something for them! There's poor Mammy loves her children; I've seen her cry when she talked about them. And Tom loves his children; and it's dreadful, papa, that such things are happening, all the time!" (p. 403).

The little child awakens in her father's heart feelings of concern and love and had he not been stabbed in the cafe by the stranger, he would have acted on Eva's words and freed Tom. Eva develops a close affectionate relationship with the neglected and unloved slave girl Topsy that the mother fails to understand. She says to Topsy "I love you, because you haven't had any father, or mother, or friends; – because you've been a poor, abuse child!" (p. 409). Eva tries in vain to convince Marie that Topsy is not inherently wicked and that all she requires is love. When Eva dies, her loss is profoundly felt by Topsy and all others who assembled in the parlour to receive a token of love, "a curl of [Eva's] hair" that symbolizes attachment and connection to the cause of blacks even after death (p. 419). Eva's death therefore becomes the vehicle through which her father is able to experience the sufferings of the oppressed. It is only when he loses her that he is aware of the anguish of blacks who have had to endure separation and family

break-up. Similarly, it is only when Tom is gone, that the predicament of blacks is likely to change. The death of an individual signals the freedom of a group. Consequently when Shelby becomes the master of his father's plantation, he frees all the slaves attributing his change of feelings to the heroic life and cruel death of Tom. In his loving farewell speech to servants in the plantation George says:

> that [he] resolved, before God, that [he] should never own another slave, while it was possible to free him; that nobody, through [him], should ever run the risk of being parted from home and friends, and dying on a lonely plantation, as he died. So, when you rejoice in your freedom, think that you own it to that good soul, and pay it back in kindness to his wife and children. Think of your freedom, every time you see Uncle Tom's Cabin; (p. 617)

Tom dies to give slaves their freedom. His victory over Legree comes in his acceptance of his fate and his refusal to yield to his behests because Tom's soul is free. When Legree forces him to comply with his orders by citing the words of the Bible "servants, obey yer masters", Tom tries in vain to explain that obedience to the master is not absolute since his "soul an't yours, Mas'r! You haven't bought, – ye can't buy it!" (p. 508). Thus he emerges victorious because he remains faithful to his people till the last minute. By offering his life, he gives Africa its freedom, "oh Africa! latest called of nations, – called to the crown of thorns, the scourge, the bloody sweat, the cross of agony, – this is to be thy victory" (p. 562). This is the real source of consolation for blacks who are free and reunited rather than enslaved and dispersed toward the end of the novel. They want to seek a return to their African origin to build a nation. What the white man desires as he splits the African race apart and divorces mother from child or husband is ultimately thwarted as Africans assert their freedom and reinforce their family union. The attempt at diaspora has failed because Africa has every right to become an independent nation that stands on equal footing with any other free nation.

A Bright Future for Africa

Stowe takes pride in the fact that Africa is rising even though at that time it was not. But she foresees its rise as a nation as Africa's turn is bound to come when it will play a role in history. Furthermore, she expresses the belief that:

> If ever Africa shall show an elevated and cultivated race, – and come it must, some time her turn to figure in the great drama of human improvement, – life will awake there with a gorgeousness and splendour of which our cold western tribes faintly have conceived. In that far-off mystic land of gold, and gems, and spices, and waving palms, and wondrous flowers, and miraculous fertility, will awake new forms of art, new styles of splendor; and the negro race, no longer despised and trodden down, will, perhaps, show forth some of the latest and most magnificent revelations of human life. Certainly they will, in their gentleness, their lowly docility of heart, their aptitude to repose on a superior mind and rest on a higher power, their childlike simplicity of affection, and facility of forgiveness. In all these they will exhibit the highest form of the peculiarly Christian life, and, perhaps, as God chasteneth whom he loveth, he hath chosen poor Africa in the furnace of affliction, to make her the highest and noblest in that kingdom which he will set up, when every other kingdom has been tried, and failed; for the first shall be last, and the last first. (p. 275)

It is interesting that the above quotation confirms the image of Africa alluded to earlier in the discussion of European and Arab travellers' conceptions of the vast continent. Writing about Marrakesh in West Africa, al-Qazwini has this to say:

> It has many gardens and orchards. Its borders are indented with numerous gulfs. Goods come to it from other regions and through caravans, in addition to what it contains of trees and groves[17].

Because of its treasures and hidden natural resources, Africa is bound to be self-sufficient. Africa's fertile and expansive land can be used to supply a large proportion of the world with its basic needs in food and agriculture. In fact many African countries have recently evolved beverage economies producing elements of incidental consumption in the Northern hemisphere[18]. While Africa still imports the fundamentals of its existence such as industrial devices and advanced scientific equipments, African intellectuals manage these Western firms, labs and establishments. It is only when blacks prove that in

> Africa their native land, they are among the most industrious people in the world, highly cultivating the lands, and that ere long they and their country must hold the balance of commercial power of supplying ... the greatest staple commodities in command[19]

that they will gain the respect of others and become recognized. This is exactly Stowe's target as she gives George Harris the credit for having invented an agricultural device for "the cleaning of the hemp, which, considering the education and circumstances of the inventor, displayed quite as much mechanical genius as Whitney's cotton-gin" (p. 54). George's employer is so struck by the high performance and "superior qualifications" which the black man has that he congratulates George's master who comes to visit the factory "on possessing so valuable a slave" (p. 55). But envy consumes the heart of the white man as he feels an "uneasy consciousness of inferiority. What business had his slave to be marching round the country, inventing machines, and holding up his head among gentlemen. He'd soon put a stop to it. He'd take him back, and put him to hoeing and digging, and "see if he'd step about to smart"" (p. 55). It is therefore out of jealousy and fear that the black man is denied a fair chance to play a major role in history. Stowe is certain that such an opportunity is coming no matter how hard the white man strives to exclude the black and dismiss him to the periphery. In spite of a deliberate marginalization of the black man out of fear, his genius has to be acknowledged.

Stowe refutes the argument that blacks are culturally inferior. On the contrary, she presents them on equal footing, if not on a higher level than their 'masters'. George in facts asks in amazement what right the man has above him: "Who made this man my master? That's what I want to know!" (p. 61). What is the criterion that determines whether one should be the master or the slave? If the hypocrites' viewpoint that the so-called evidence for that position is taken out of the Bible, then that evidence is against them as no religion at all accepts that man should be denied his freedom and tortured by another. George makes a number of comparisons which prove his superiority to his master. Thus he says:

> I'm a man as much as he is. I'm a better man than he is. I know more about business than he does; I am a better manage than he is; I can read better than he can; I can write a better hand, – and I've learned it all myself, and no thanks to him, – I've learned it in spite of him; and now what right has he to make a dray-horse of me? (p.60)

This is the new African with all the abilities to build a new nation. Here is Stowe's conception of the free man who opposes tyranny, possesses talents and fights for true freedom only attainable in another country. This is the African who questions and never lowers his head in subservience. He holds the pistol high when he needs to frighten his pursuers. He sends them away in utter defeat. With him Africa is bound to rise and have its turn as he, the symbol of that new country, possesses that spark of defiance that gives him physical and spiritual strength to fight against injustice and also the intellectual stamina that puts him on an equal footing with the white man.

If Conrad tells us in *Heart of Darkness* that Western "strength is just an accident arising from the weakness of others"[20], here is an example of a man who refuses to be in a position of weakness by running away for his freedom and by refusing to comply with unjust laws. In the character of George, Stowe sees signs where resort to resistance is required if man is to gain his freedom. She also shows in the character of the submissive Tom that such hopes can be reached through the death of an individual who gives life to a whole race. Both George's struggle and resistance and Tom's submissiveness are needed to attain freedom. Each can be used at a different stage and under different circumstances since both try to reach the one goal: to cast slavery aside and assert the original freedom of the African race.

The above characterization defines Stowe's belief that a change of circumstances will bring Africa to a leading position. Africans are destined to exhibit their talents, productivity, efficiency and power to lead and make decisions concerning their own affairs. Sufficient time is all that is needed before their destiny will come to pass. Stowe's belief in the inherent good nature and outstanding qualities of blacks is expressed throughout the novel. In their capability to show love and affection and in their care for their families and children, they surpass whites. By the end of the novel, George Harris informs a friend in a letter that he must seek a return to his roots back in Africa. His desire for political dialogue and power lies behind his determination to move with his family to Liberia. He feels obliged to go to "form part of a nation", particularly a new one like Liberia that had recently come into being. George believes that such an African nation with modern ideas and aspirations shall "have a voice in the councils of nations, and then we can speak". He goes on to define what a nation is and what its rights are: "A nation has a right to argue, remonstrate, implore, and present the cause of its race, – which an individual has not" (p. 610). George so identifies himself

> with the oppressed, enslaved African race that [he] cast[s] in [his] lot: ... The desire and yearning of [his soul] is for an African nationality. [He] want[s] a people that shall have a tangible, separate existence of its own, and where [is he] to look for it? Not in Hayti; for in Hayti they have nothing to start with. ... Where, then, shall [he] look? On the shores of Africa [he] see[s] a republic, – a republic formed of picked men, who, by energy and self-educating force, have, in many cases, individually, raised themselves above a condition of slavery. Having gone through a preparatory stage of feebleness, this republic has, at last, become an acknowledged nation on the face of the earth, – acknowledged by both France and England. There it is [his] wish to go, and find [himself] a people. (pp. 608-9)

Conclusion

George repeats his request that he "want(s) a country, a nation of [his] own" (p. 610). He believes that once Africans unite and as "the whole splendid continent of Africa

opens before [them] and [their] children", they will rise to great heights. The African "nation shall roll the tide of civilization and Christianity along its shores, and plant there mighty republics, that, growing with the rapidity of tropical vegetation, shall be for all coming ages" (p. 609). By connecting Afro-Americans to their homeland and by asserting their deep and original roots, Stowe does exactly the opposite of what the Western world desires and that is to cut off Afro-Americans from their past and heritage. These give them a sense of belonging and security. A homeland where human rights are granted is what the oppressed minorities of today seek and call for because without it they live like fugitives or nomads. With it, they have what Bhabha calls "secure point[s] of identification"[21]. A homeland is therefore a must to assert one's freedom, to connect with roots and preserve identity. The past is also important in the process of preservation and arrival at a distinct identity. That cannot be done unless Afro-Americans have a thorough knowledge of their painful history of slavery. It is only when they know how they were rejected, alienated and deprived of basic human rights that they will discover who they are.

A black writer like James Baldwin sheds light on the painful reality that Afro-Americans should be constantly aware of. In "Stranger in the Village", he speaks of the black man whose "past was taken from him, almost literally, at one blow". Baldwin sees the possibility of Haitians "to trace their ancestry back to African kings, ... any American Negro wishing to go back so far will find his journey through time abruptly arrested by the signature on the bill of sale which served as the entrance paper for his ancestor"[22]. As has been illustrated, Haley traces the history of his ancestors that began in the mid-1700's in Africa in *Roots* (1976). By going to his African roots, Haley takes pride in his origin. Similarly, by returning to roots in Africa, Stowe and Baldwin find a solution for that feeling of rootlessness and absence of a centre of attachment to which blacks should hold. The journey into Africa becomes a search for the self and an exploration of a stable identity. By connecting Afro-Americans to Africa, they discover their past and hence find meaning and order in their lives.

Africa therefore holds a deeply significant location in Stowe's novel because she regards the continent as a home that offers stability, comfort, warmth, freedom and identity. Without it, blacks will still face the disastrous consequences of a diaspora. In Africa they are united to build a separate nation that is bound to have its chance and play its major role on the stage of world events. By emphasizing the importance of origin, Stowe's writing has all the warmth of the human voice that speaks up loudly to bring Americans to an awareness and understanding of Afro-American history. While the novel starts with the white man's attempt at a dispersal of Africans in auctions and in a remote wilderness and in a disconnection of ties among members of George Harris's family, it ends with a family reunion in a free land first and then a desire to return to roots in Liberia. The novel witnesses a movement from tyranny at the hands of the white man to an escape from the clutches of despotism and the attainment of liberty. It also moves from the painful history of the Afro-American fixed only in rootlessness into a brighter future where the Afro-American finds roots and origin which are important to the process of self-discovery. Throughout the novel, Stowe does the job of historian and feminist to ap-

proach the issue from the black man's perspective. The success of the book lies in the brilliant handling of the dual task of the historian and the feminist. It is this melding, it is unanimously acknowledged, that has so pertinent a bearing on changing the predicament of blacks and by implications all others who fall in their category.

Notes

1. **Jane Tompkins,** *Sensational Designs: The Cultural Work of American Fiction 1790-1860* (New York, Barnes & Noble, 1985), p. 122.
2. **Anne Douglas,** "Introduction," in *Uncle Tom's Cabin or Life Among the Lowly* by Harriet Beecher Stowe (New York: The Penguin American Library, 1852), p. 19. Further references to the text are to this edition.
3. **Frederick Douglass,** *Narrative of the Life of Frederick Douglass, an American Slave: Written by Himself* (1845; rpt. Harmondsworth: Penguin, 1982), p. 144.
4. **John Sekora,** "Comprehending Slavery: Language and Personal History in Douglass'ss Narrative of 1845," *CLA* Journal 29, **No.** 2 (December 1985), p. 157.
5. **Moira Davison Reynolds,** *Uncle Toni's Cabin and Mid-Nineteenth Century United States: Pen & Conscience* (Jefferson, NC: McFarland,1985), p. 156.
6. **Abu Abd-Allah Muhammad ibn Muhammad al-Idrissi,** *Wasf Afrikya al-Shamaliya wa al-Sahrawiya,* ed. Henri Peres (Algiers: Maktabat Ma'ahad al-Durous al-Ulya, 1957), p. 91.
7. **Eldred D. Jones,** *The Elizabethan Image of Africa* (Charlottesville: University Press Virginia, 1971), p. 5.
8. **Zakariya ibn Muhammad al-Qazwini,** *Athar al-Bilad wa-Akhbar al-Ibad* (Beirut: Dar Sadr lil Tiba'a a wa al-Nashr, 1960), p. 163.
9. **Alex Haley,** *Roots: The Saga of an American Family* (New York: Dell Publishing Co., 1976). All sugsequent references are to this edition.
10. "Africa" by **Maya Angelou in Carl E. Bain et al,** eds, *The Norton Introduction To Literature,* 5th edition (New York: W.W. Norton & Company, 1991), p. 704.
11. Quoted in **Jane Donahue Eberwein,** ed, *Early American Poetry* (Madison: The University of Wisconsin Press, 1978), p. 216.
12. A compelling portrait of this situation is presented by Andrew Hacker, *Two Nations: Black and White, Separate, Hostile and Unequal* (New York & Toronto: Scribner's and Maxwell Macmillan International, 1992).
13. **Homi K. Bhabha,** *The Location of Culture* (London & New York: Routledge, 1994), p. 237. All subsequent references are abbreviated *LOC.*
14. **Mary Eagleton,** ed, *Feminist Literary Criticism* (London & New York: Longman, 1991), pp. 26-27.
15. **Michele Barrett,** "Virginia Woolf: Women and Writing," in Mary Eagelton, ed, *Feminist Literary Theory: A Reader* (Cambridge & Oxford: Blackwell, 1986), pp. 224-225.
16. **Will Kymlicka,** *The Rights of Minority Cultures* (Oxford: Oxford University Press, 1995), p. 17.
17. **Al-Qazwini,** p. 112.
18. For a discussion of African economic conditions, see, for example, Harjinder Singh, *The Economy of Africa* (New Delhi: Kalinga Publications, 1992).
19. **Roland Takaki,** "War Upon the Whites: Black Rage in the Fiction of Martin Delany," *Violence in the Black Immigration* (New York: Putnam's, 1972), p. 97.
20. **Joseph Conrad,** *Heart of Darkness* (New York: Penguin Books, 1902), p. 10.
21. Quoted in **Rosemary Jolly,** "Rehearsals of Liberation: Contemporary Postcolonial Discourse and the New South Africa," *P.M.L.A.* 110 (1995), p. 21.
22. **James Baldwin,** "Stranger in the Village," in *Notes of a Native Son* (New York, Harper & Row, 1955), p. 144.

Bibliography

Bain, Carl. et al. (eds.). *The Norton Introduction to Literature*, 5th edition, New York: W.W. Norton & Company, 1991.

Baldwin, James (eds.) "Stranger in the Village," in *Notes of a Native Son*. New York, Harper & Row, 1955.

Bhabha, Homi K. *The Location of Culture*. London & New York: Routledge, 1994.

Conrad, Joseph. *Heart of Darkness*. New York: Penguin Books, 1902.

Douglass, Frederick, *Narrative of the Life of Frederick Douglass, an American Slave: Written by Himself*. Harmondsworth: Penguin, 1982.

Eagleton, Mary, (ed.), *Feminist Literary Theory: A Reader*. Cambridge & Oxford: Blackwell, 1986.

——— *Feminist Literary Criticism*. London & New York: Longman, 1991.

Eberwein, Jane Donahue, (ed.) *Early American Poetry*. Madison: The University of Wisconsin Press, 1978.

Esposito, John L. *Islam: The Straight Path*. An Expanded Edition. Oxford: Oxford University Press, 1991.

Fluck, Winfried. "The Power and Failure of Representation in Harriet Beecher Stowe's *Uncle Tom's Cabin*." New Literary History **23** (1992): 319-38.

Hacker, Andrew. *Two Nations: Black and White, Separate, Hostile and Unequal*. New York & Toronto: Scribner's & Maxwell Macmillan International, 1992.

Haley, Alex. *Roots: The Saga of an American Family*. New York: Dell Publishing Co., 1976.

al-Idrissi, Abu Abd-Allah Muhammad ibn Muhammad. *Wasf Afrikya al-Shamaliyawa al-Sahrawiya*, (ed.) Henri Peres. Algiers: Maktabat Ma'ahad al-Durus al-Ulya, 1957.

Jolly, Rosemary. "Rehearsals of Liberation: Contemporary Post Colonial Discourse and the New South Africa." *P.M.L.A.* 110 (1995): 17-29.

Jones, Eldred D., *The Elizabethan Image of Africa*. Charlottesville: University Press of Virginia, 1971.

Kymlicka, Will. *The Rights of Minority Cultures*. Oxford: Oxford University Press, 1995.

al-Qazwini, Zakariya ibn Muhammad. *Athar al-Bilad wa Akhbr al-ibad*. Beirut: Dar Sadr lil Tiba'a wa al-Nashr, 1960.

Reynolds, Moira Davison, *Uncle Tom's Cabin and Mid-Nineteenth Century United States: Pen & Conscience*. Jefferson, NC: McFarland, 1985.

Sekora, John. "Comprehending Slavery: Language and Personal History in Douglass's Narrative of 1845". *CLA* Journal 29. No. 2 (December 1985): 157-170.

Singh, H. *The Economy of Africa*. New Delhi: Kalinga Publications, 1992.

Stowe, Harriet Beecher. *Uncle Tom's Cabin or Life Among the Lowly* with an introduction by Anne Douglas. New York: The Penguin American Library, 1852.

Takaki, Ronald. "War Upon the Whites: Black Rage in the Fiction of Martin Delany" in *Violence in the Black Immigration*. New York: Putnam's, 1972.

Tompkins, Jane. *Sensational Designs: The Cultural Work of American Fiction 1790-1860*. New York, Barnes & Noble, 1985.

Ullman, Victor. Martin R. Delany: *The Beginnings of Black Nationalism*. Boston: Beacon Press, 1971.

أفريقيا والأفريقيون في رواية كوخ العم توم لهاريت بيتشر ستو

عمر عبد الله باقبص

أستاذ مشارك بقسم اللغات الأوروبية وآدابها

جامعة الملك عبد العزيز ، جـــدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص . يسلط البحث الضوء على نصوص محددة في رواية ستو للبرهنة على أن تلك النصوص المحركة للمشاعر حيث تركز على معاناة ومآسي السود في أمريكا كانت في واقع الأمر السبب وراء التأثير القوي للرواية ونجاحها في ايصال رسالة معينة بذاتها للأمريكي الأبيض والذي يصل به الأمر في نهاية المطاف إلى أن ينظر إلى تاريخ الرق من وجهة نظر الكاتبة . وفي الوقت الذي يشير فيه البحث إلى أعمال أدبية أخرى لكتاب أمريكيين سود ، إلا أنه يعتبر الروائية ستو رائدة حيث أنها من أوائل من كتب عن تاريخ الرق في روايتها من زاوية أو منظور السود . ونظرًا لأنها أمرأة فهي تركز بشكل كبير على معاناة المرأة في محاولة منها للسماح لصوت النسوة المتخنق للوصول إلى السطح ليعترف به ويسمع له . كما يظهر البحث أن النصوص المنتقاة تبين تحركًا من التشتت الذي عليه السود في بداية الرواية إلى التجمع والإتحاد الذي ينتهي إليه في ختام الرواية ، ومن العبودية للحرية ، ومن الهيام على وجه البسيطة دون مأوى أو وطن إلى اكتشاف للشخصية والجذور التي ينحدر منها في أفريقيا السوداء . ويخلص البحث إلى أن أهمية الرواية تكمن في تغييرها لأحوال السود والنظرة إليهم وعمق التفهم الذي اكتسبه الأمريكيون البيض نتيجة عرض مايثير الإشمئزاز لرؤية مروعات الرق .

JKAU: Arts & Humanities, **vol.10**, pp. 23-34 (1417 A.H. / 1997 A.D.)

A Contrastive Analysis of the Linguistic Politeness Forms between Two Dialects of Arabic

NUHA SULEIMAN DAOUD AL-SHURAFA
Assistant Professor of Linguistics,
Department of European Languages, Faculty of Arts and Humanities,
King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia

ABSTRACT. The two dialects of Arabic under analysis; namely: Hijazi and Palestinian, exhibit more similarities than differences in everyday conversational usages. These differences and similarities are usually matters of degree rather than absolute. In general, where Hijazis seem to resort to the strategy of "positive politeness", Palestinians seem to attach importance to both varieties, the "negative" and the "positive". However, variables such as age, sex, level of education and social class of users in any context of situation play significant role to determine the degree of politeness, and thus must be considered.

I. Introduction

Language, as suggested by Brown and Levinson (1987) is the main – however not the only – substance of politeness. Every language, or dialects within the same language, would have its own authentic patterns of strategies, tacits, and linguistic forms of people to make their choices in using politeness among themselves. Usages of these features are liable to vary from one language (or dialect) to another as any other aspect of life in the society, such as the various interactional ceremonies (like weddings), the food, dress, education system, etc. So, it makes one well aware of the fact that the use of linguistic devices to express politeness differs from one society to another, just like those variations in behavioral aspects of life. Eventhough politeness phenomena are reflected directly in language, they "may differ from group to group, from situation to situation, or from individual to individual" (Ibid: xiii), even within the same dialect. It makes it hard in general to detect those linguistic forms of politeness in the language. These forms are gradually acquired as one way of behavior among others, basically through socialization since childhood when children are explicitly instructed to use them by adults (Goodenough, 1964:37). Accordingly, all this makes it exceptionally hard for a research study. Besides, on search in this topic, it has been found out that contributions

by Arabic linguistics in this area of research is limited. However, this study aims at a positive contribution within the field of Arabic linguistics as well as the general linguistic field.

The research confines itself to the dialect spoken in Hijaz area in Saudi Arabia, as well as the dialect spoken in Palestine in general. Observation and the collected data were basically taken from natural settings of Hijazi informants from the four major cities; namely: Makkah, Madina, Jeddah, and Taif; as well as informants from Palestine. Besides, I used my native Palestinian intuition as a criterion to determine the social contexts in relation to strategies of politeness used in Palestinian Arabic.

This study aims at fulfilling a number of tasks: First, it will contribute in general to the field of linguistics in recognising fundamental peculiarities and universalities of politeness' strategies of the two culturally-related Arabic dialects. Second, the study will contribute to the field of Arabic linguistics, in particular, in terms of highlighting assumptions about similar and different politeness strategies restored to by natives of the two Arabic dialects. Third, this study will be an exemplification to people, specialists or laymen, from other cultures of our choices of politeness strategies of why and how we do our choices. This helps making our interactional behavior less threatening and more interpretable to strangers from other cultures. Finally, and just as significant as the three previous points, this study can be considered as one step ahead to pave the way for further contributions to enrich this field of specialty.

II. Major Strategies of Politeness

The super strategies of politeness, according to Brown and Levinson (1987: *Passim*), are: positive, negative, bald-on-record, and off record. The whole strategy of politeness is generally associated with the concept of "face" (Ibid), which is the public image that any member of a particular society wants to claim for him/herself. Recognising the mutual vulnerability of face, speaker gives hearer face in order to guarantee that hearer will cooperate with speaker in giving the desirable reason to face-threatening act (Ibid).

This can be regarded as a general category which provides that the various strategies of politeness are distinguished, and among which are the positive and the negative varieties.

II.i. Positive and Negative Politeness

Positive politeness is oriented towards hearer's positive face. It indicates the wants by treating the hearer as a friend. The potential face-threatening act is minimized by the fact that speaker's wants are at least some of the hearer's wants (Ibid: 70), (Hickey, 1991a, 1991b, and 1992). Speaker claims common ground with hearer by noticing hearer, his conditions and his belongings, and also by approving and sympathizing with him. The speaker can do that directly or indirectly through the interpersonal function (Halliday, 1991) of positive politeness strategy. The speaker is being positively polite by directly providing the information that he notices hearer or some aspects of his condition is the form of a statement. A simple example would be to admire a keen gardener's roses (Hickey, 1991b:2).

However, negative politeness is essentially avoidance-based. It is redressive action addressed to hearer's negative face. It implies not interfering with others, respecting "their rights to freedom of action and freedom from imposition" (Brown and Levinson, 1987). An obvious example would be to apologize if one accidentally steps on somebody's toe (Hickey, 1991b:2-6).

Positive politeness, on the one hand, is a "redress" directed to the hearer's wants (values, acts, and acquisitions) regarded as desirable. This is achieved by regarding one's own wants and values as similar to his, or by regarding his acts and acquisitions as praiseworthy.

Negative politeness, on the other hand, is "redressive action" addressed to hearer's negative face not to interfere in his freedom. It is essentially avoidance-based involved in the FTA (face threatening act) characterized by formality and restraint through indirect speech acts, hedges, apologies for instructions, etc. (Brown and Levinson: 57). The more effort the speaker exerts in face-preserving work, the more he will be seen as trying to be polite. Thus, some indirect forms are more polite than others.

II.ii. Contexts of Positive and Negative Strategies

The context of positive politeness is more general and diffused. It tends to minimize social distance by showing interest and approval of hearer's personality through indications of shared hopes, needs, knowledge, claims of natural desires and obligations. These are sometimes expressed with exaggeration, violating the Maxim of Quantity, one of Grice's four Maxims of Cooperative Principles: (Quality, Quantity, Relevance, and Manner) (Leech, 1983: 16, 132) and (Grice, 1975: 41-58). These Maxims are intuitive characterization of conventional principles that would constitute guidelines for achieving maximally efficient communication (Brown and Levinson: 94-95). Examples are in general those of doing or saying something "positive". The two authors provide their examples in this concern: paying attention to other person, showing exaggerated interest, approval or sympathy, use of in-group identity markers, search for agreement and common ground, sharing of jokes, assertion of, knowledge of, and concern for the other's wishes, promising to establish cooperation and offers of gifts, sympathy and attention.

However, negative politeness tends to be produced with "more" effort exerted by the speaker in face-preserving work in order to be "more" polite. This strategy is essentially avoidance-base to form the heart of respectful behavior. Where positive politeness is free-ranging, negative politeness is specific, focused and it minimizes the unavoidable effects of face-threatening acts. Examples are all those acts showing deference and mitigation to hearer's relative power, especially indirectly. Those acts include references to etiquette, avoidance of disturbing others, making indirect requests and using statements like "could you" in the beginning of imposing an obligation in order to avoid commands, this includes impersonalization, such as the use of "one" instead of "I" or "you"; using terms for apology before or after an imposition, acknowledgement of one's debt to others and pessimism about an answer of a request.

III. Politeness Choices in Hijazi and Palestinian Arabic

The choices of the two main strategies of politeness in Hijazi and Palestinian Arabic seem to coincide more than deviate, as in the case between the two societies in general.

As was defined earlier, matters of similarities and differences remain in most instances matters of degree, tendencies and personal preferences and choices rather than absolute equivalences and discrepancies. However, some common-care politeness with peripheral differences may scarcely occur.

However, tendencies of similarity can be as noteworthy and prominent as differences. As a consequence, both dialects enjoy involving a special way of being polite where certain linguistic as well as behavioral techniques are associated in expressing politeness, through the various strategies in the related contexts of situation. Frequently occurring are occasions where differences may be noted, when one shows some sense of appreciation of some item especially of dress or food. Palestinians, most commonly, use expressions of appreciation implying that he/she could acquire the garment in the same place or do the cooking him/herself. A most probable counterpart reply by the Hijazis in these occasions would almost invariably call for direct handing over of the garment or some quantity of food (example adapted from Hickey, 1991b:2). In such respect, the following points are important to realize:

1. there seem to be interesting, though limited, differences which tend to be a matter of degree between the informal uses of Hijazi and Palestinian Arabic of politeness manifestation, and are not by any means absolute;

2. Hijazis may be described as having 'elaborate courtesy' in their verbal expression (Al-Jehani, 1993:17-28) compared to the Palestinians, let alone the Westerners, who tend to be less elaborate and seem to attach more significance to negative politeness than do the Hijazis. It is extremely important to stress that this does not in any respect imply that either dialect is more polite than the other;

3. where Hijazis tend to refer to positive and negative forms of politeness to express directly related matters, rituals are directly borrowed from religion and culture, like the prototypical greeting: "*aḻḻah yṭawwil 9umrak*"; **May God give you long life,** or "*aḻḻah yḥayyiik*": **May God greet you** (Al Jehani: 19), Palestinians' counterpart common greetings tend to be culturally-bound expressions, such as: "*?ahleen*": **Welcome;** or "*?ahlan wa Sahlan*" which implies similar meaning;

4. these differences manifested are used and perceived in various ways, according to context of situation, by social groups, depending on a number of social factors such as the relative social status of the participants in the communication process; solidarity of the relationship; and the time elapsed since their last encounter, which is the same in each and every society in the world (Ferguson, 1976:137-151). This is besides many other variables.

IV. Data Analysis: Possible Secondary Classes of Politeness

Knowing how to use a language in its culture is prominent to allow it to function "in order to communicate with its speakers as adequately as they do with each other and in

a manner which they will accept as corresponding to their own" (Goodenough, 1964:37). This directly explains the concern of this paper which refers to "HOW" polite linguistic forms function, and "WHY" such speech acts are chosen. The answer always seems to involve politeness. It makes it necessary, however, to determine one linguistic structure, on the one hand, and their linguistic choice, on the other hand (Hickey, 1993).

Before embarking upon the process of data analysis, it is relevant to define four secondary classes, however, essential for the classification and discussion of the two dialects' choices of politeness strategies, as follows:

a) Hijazi negative politeness
b) Hijazi positive politeness
c) Palestinian negative politeness
d) Palestinian positive politeness

These secondary classes embrace informal examples, hoping that future contribution will cast additional light upon the subject involving more repertoirs at various levels of contexts.

The secondary politeness cases (a) and (c) of the Hijazi and Palestinian politeness can be approached together. Both cases of politeness expressions involve what may be referred to as "straight forward" politeness which takes the form of "good manners" or "polite expression" Hijazis and Palestinians can be considered as tolerant of interference with their privacy or their ability to do what they like. But, "straight forward" politeness are manifested in the usage of formulas as:

1 – "*9afwan*": **Excuse me!**

2 – "*Saamḥiini*": **Forgive me** (addressing a singular female).

3 – "*9i<u>sh</u>ti*": **Wishing you a long-life** (addressing a singular female).

4 – "*?alf <u>sh</u>ukr*" **Thousands of thanks** (appears especially in Hijazi dialect).

These usages vary in structure from a lexical form, as in example (1), to a simple clause, as in (2) and (3), and a noun phrase, as in (4). These apologetic negative expressions tend to be used in their literal sense in asking, or giving thanks for personal favor, and even for a service required to be fulfilled as part of one's duty, such as a shop assistant's duty to serve, etc.

The above (1) and (2) formulas may not, however, eventuate in different contexts in the Hijazi and Palestinian dialects (though are necessary in some Western communities (Hickey, 1991b) such as when about to push into someone or having just done so. Neither forgiveness nor a request for forgiveness is required, though no less "polite", for such trivial intrusion of one's space. Using such speech acts would be less common in the two dialects in this situation.

Palestinians act with similar linguistic acts and behavioral reactions in similar contexts as the Hijazis. However, specific linguistic counterpart realizations in the Palestinian dialect to the above Hijazi examples are:

5 – "*mit ?assif*" **I am sorry!**

6 – "*tislam*": **I wish you peace.**

7 – "*shukran ktiir*": **Plenty of thanks.**

The above speech acts in (5), and (6) and (7) are more common in the Palestinian dialect; but those in (1-4) may also occur.

Indirect speech acts of the type are far less common in Hijazi dialect, such as "asking to pass the salt" as a commonly cited example:

8 – "*mumkin law samaḥt*": **It is possible if you don't mind..**

9 – "*9afwan, tigdar*": **Excuse, but could you..**

10 – "*9indak maani9 law..*": **Would you mind if..**

These are various phrases which are so indirect and highly unlikely forms for Hijazis' choices in common circumstances. A more likely request to substitute the above usages (8), (9) and (10) is

11 – "*?a9ṭiini lmilḥ, law mumkin*": **Pass me the salt, if possible!**

The above usage would be more realistic in informal occasions examined such as within a family or among friends, and the like. These contexts would require in the Hijazi culture little indirectness in the way of apology. The counterpart Palestinian expression in similar contexts may involve a bit of indirectness by using expressions of apology that can be added initially, or finally in terms of word order, before launching the request, as the common lexical forms:

12 – "*luṭfan*": **kindly..**

13 – "*mumkin*": **(Is it) Possible...**

However, similarities between the two dialects are a lot more than variations and discrepancies. In both cultures, question and request forms are considered as almost totally non-intrusive, consequently require little in the way of apology or indirectness:

14 – "*mumkin lmilḥ?*" **(Is it) possible the salt?** (literally)

15 – "*mumkin ti9ṭiini lmilḥ*" **(Is it) possible to give me the salt?**

The two expressions enjoy similar meaning and occur in the same context of situation. However, number (14) may be considered as more formal, or indirect, than (15), as it does not contain the verb of order "*ti9ṭiini*" **give me..** Both occur invariably in both dialects, with a slight difference in pronouncing "*lmilḥ*", which becomes "*lmaliḥ*": **salt** in the Palestinian dialect.

The interrogative form provides sufficient indirectness and would normally indicate a degree of politeness, which is distinct from imperatives that are normal within a family. Thus, indirect terms as those in (9), (12) and (13) would be more sufficient in questions than in orders in informal contexts, as in the following interrogative form:

16 – "*jaahza ṭṭabxa?*" **Is the meal ready?**

which is alternatively used in terms of word order in both dialects. Consequently, "*ṭṭabxa jahza*" is freely replaceable with the form in (16), where "*ṭṭabxa*" is **the meal.** As previously referred to, the context of the usage is of less formal manner, such as among family members. Speech acts as those in the first part of (9), (12) and (13) above, or the like, may be used initially or finally in such interrogative forms. The apologetic usage, then, becomes indirect which extends its context to include a more formal one.

Palestinian dialect embraces a higher degree of these apologetic speech acts used in less formal contexts than the Hijazi dialect, but this does not include by any means the concept of being "less" or "more" polite.

It is relevant at this point to refer to those explicit linguistic devices which are religiously and culturally bound expressions, such as:

17 – "*?aḻḻaah yṭawwil 9umrak*": **May Allah give you long life.**

18 – "*?aḻḻaah yirḍa 9aleek*": **May Allah be please with you.**

19 – "*aḻḻaah yḥayyiik*": **May Allah greet you.**

20 – "*aḻḻaah y9izzak*": **May Allah honor you.**

21 – "*jazaak aḻḻaah xeer*": **May Allah reward you a good (reward).**

All the five expressions, to mention but few, enshrine the two Arabic dialects' politeness. They, and the like, have the prayer **May Allah** initially, then followed by expressions which enjoy a definite and restricted place in social and linguistic moves. The speech act number (20) is of special courtesy and more specifically used in certain social contexts. There are many things that when mentioned, one needs to provide such courtesy expressions before or after they are mentioned. The number of such contexts is enormous, among which are mentioning shoes, toilets, animals, and the like (Al-Jehani, 1993:20).

Although, these speech acts occur in both dialects, the Palestinian dialect embraces more or less culturally-bound expressions which tend to replace the above ones, such as:

22 – "*min faḍlak*": **please!**

23 – "*tislam*": **ample peace.**

which are more commonly attributed. Another common greeting used in Palestinian dialect is:

24 – "*marḥaba*": **Hi!**

where, the counterpart greeting used in the same context as (24), by the Hijazis is:

25 – "*assalaamu 9alaykum*": **Peace may prevail on you.**

However, the fact that speech acts related to specific rituals as in (17-21) above, besides (25) which are alternatively used in the two dialects, remains valid.

In general, Hijazis' linguistic expressions of negative politeness seem to be more restricted to cases of genuine intrusion, whereas Palestinians are less restricted in similar contexts. Consequently, though slight differences of relatively little interest may occur, similarities appear to be more prevailing between the two dialects in both communities.

The secondary classes (b) and (d) involve realising positive politeness in Hijazi and Palestinian dialects, respectively. This strategy is more difficult to realize than categories (a) and (c) in terms of their linguistic realizations, because examples would not automatically come under the heading of politeness in everyday choices of the two dialects. A dividing line may be difficult to draw between sincere versus flattery, among equals, because such situations are more common and less delicate.

Complements, courtesy, and expressions of praise are a normal part of Hijazi as well as Palestinian social behavior. But, Hijazis may extend their usage as to be elaborate courtesy (Al-Jehani, 1993), which is normal in the Hijazi community. The Palestinians may regard such 'elaborate' behavior as exaggerated or even embarrassing. Thus, generally speech acts of complements and the like, occur in the Palestinian dialect but without the need for the elaborate kind of politeness and dispense relatively little of it to others, or among themselves. This includes contexts such as referring to personal nature, appearance, personality, or moral qualities such as generosity and intelligence.

Common exaggerated expressions of praise or appreciation are realized in the two dialects as:

26 – "*yhabbil*": **makes one go mad!** (in Hijazi dialect)

27 – "*bijannin*": **makes one go crazy!** (in Palestinian dialect).

The two expressions are synonyms, but each one seems to restrict itself to a specific dialect as shown. The two expressions of positive connotation, seem to cover all aspects of personal qualities and behaviour, not to mention desirable achievements.

Another normal way of expressing positive politeness is by means of metaphors or near-jokes:

28 – "*min ɣeerak badii9*": **I'd be lost without you!**

which occurs in both dialects in equally similar contexts.

Moreover, 'promise formulas' tend to come under these general headings. An exaggerated, and a common expression is:

29 – "*?i9tabir lmawḍuu9 muntahi*": **consider the subject over.**

30 – "*9ala raasi min foo?*": (the subject or request is) **on top of my head.**

Generally, a wide range of straightforward linguistic expressions of appreciation are normal in both dialects. These may extend to include physical expressions such as hugs,

physical embraces, arms around shoulders, and the like, which may be kinetic expressions of also personal appreciation.

V. Conclusion and Recommendations

V.i. Conclusion

Similarities occur more than discrepancies in both positive and negative strategies in the two Arabic dialects. Some differences, though not basic, include the tendency of introducing apologetic expressions in informal contexts which are more likely to take place in the Palestinian dialect than in the Hijazi dialect. A variation occurs in usage of religiously-bound expressions which tend to prevail more in the Hijazi dialect, and the counterpart expressions in the Palestinian dialect include more or less culturally-bound expressions. Negative Hijazi linguistic realization seems to be more restricted to cases of genuine intrusion than the Palestinian dialect which is less restricted in similar contexts. Thus, slight differences or relatively little interest may occur, but similarities between the two dialects appear to be more.

However, both dialects enjoy sharing basic aspects of life in terms of religion, conventionalities and historical background. This seems to predominate the linguistic behavior reflected in the usage of politeness, and results in shared strategies in this field of linguistics in the two communities. Positive politeness share concepts, and thus linguistic realization in using complements, courtesy, and expressions of praise, promise formulas, metaphors and near-jokes, though more elaborate in the Hijazi dialect than in the Palestinian's. This extends to include physical expressions used similarly by both Hijazis and Palestinians, such as physical embraces, hugs and the like, to include expressions of personal appreciation.

V.ii. Recommendations for Further Contribution

Research is required to be carried out for further explication of this subject in order to elaborate on more basic aspects. The following areas seem to be of specific significance:

1. a more formal level of context is worthy of investigation. This would reveal another level of politeness which provides an interesting context of comparison to reveal another degree of politeness strategies in Arabic dialects;

2. practical research for pedagogical purposes may be conducted at both formal and informal levels. Data may be obtained in the form of experiments, which would yield undoubtedly interesting findings where a realistic social context is involved;

3. another empirical research is required, focusing on selected social events; in particular events – a wedding, a meeting in an office, for example – with many variables noted for later analysis: the participants' sex, age, level of education, social class, how well they know one another, the social setting and its material comfort, the duration of the event, etc.

Finally, comparable situations might alternatively be possible by asking a large number of informants from the two communities and carry on with the analysis. One could hypothesize that positive politeness requires longer time and more intimate acquaintance, and, may be older participants, to manifest itself in linguistic expressions than does negative politeness.

References

Brown, Penelope and **Stephen C. Levinson** (1987) *Politeness: Some Universals in Language Usage*. Cambridge University Press.

Ferguson, Charles (1966) The Structure and Use of Politeness Formulas. *Language in Society*. vol. **5**(2): 137-151.

Goodenough, Ward H. (1964) Cultural Anthropology and Linguistics. in: **Dell Hymes** (ed.). *Language in Culture and Society*. New York. Harper and Row: 37.

Grice, H.P. (1975) Logic and Conversation; in: **P. Cole** and **J.L. Morgan** (eds.). *Syntax and Semantics*. vol. **3:** *Speech Acts*. New York: 41-58.

Halliday, Michael A.K. (1991) *An Introduction to Functional Grammar*. London: Edward Arnold.

Hickey, Leo (1991a) Surprise, Surprise, But Do So Politely. *Journal of Pragmatics* **15:** 367-372.

——— (1991b) Comparatively Polite People in Spain and Britain. *Association for Contemporary Iberian Studies (ACIS)*, vol. **4.** No. 2: Autumn: 2-6.

——— (1992) Politeness Apart, Why Choose Indirect Speech Acts? *Lingua e Style xxvi*. **1**, Merzo: 77-87.

——— (1993) Stylistics, Pragmatics and Pragmastylistics. *Language et Littératures Modernes. Revue Bldge de Philologie et d'Histoire*, **71:** 573-586.

Al-Jehani, Naser M. (1993) Elaborate Courtesy in Western Arabia. *Journal of King Abdulaziz University*, vol. **6:** 17-26.

Leech, Geoffry (1983) *Principles of Pragmatics*. Longman: London.

Al-Shurafa, Nuha S. (1999) Linguistic Patterns of Politeness Forms and Strategies in Palestinian Arabic. *Journal of Pragmatics* (Forthcoming).

Al-Zahrani, Badriyyah (1998) *A Linguistic Analysis of Politeness Strategies in Hijazi Dialect: A Systemic Functional Approach*, M.A. Thesis (unpublished): King Abdulaziz University.

Appendix

Arabic utterances are realized according to the following phonetic symbols:

1 – Consonants :

ب /b/	= a voiced bilabial stop	ش /sh/	= a voiceless alveo-dental fricative
ت /t/	= a voiceless alveolar stop	ز /z/	= a voiced alveolar fricative
د /d/	= a voiced alveolar stop	ج /j/	= a voiced alveo-dental fricative
ك /k/	= a voiceless velar stop	هـ /h/	a voiceless glottal fricative
ج /g/	= a voiced velar stop	م /m/	a voiced bilabial nasal
ء /ʔ/	= a voiceless glottal stop	ن /n/	a voiced alveolar nasal
خ /x/	= a voiceless velar fricative	ل /l/	= a voiced alveolar lateral
غ /ɣ/	= a voiced velar fricative	ر /r/	= a voiced alveolar trill
ف /f/	= a voiceless labio-dental velar fricative	و /w/	= a voiced bilabial semi-vowel
س /s/	= a voiceless alveolar fricative	ي /y/	= a voiced palatal semi-vowel

2 – Emphatic, pharyngeal and other consonants :

ح /ḥ/ = a voiceless pharyngeal glottal fricative

ص /ṣ/ = a voiceless alveo-dental emphatic fricative

ض /ḍ/ = a voiced alveolar emphatic stop

ط /ṭ/ = a voiceless alveolar emphatic stop

«ل» /ḷ/ = a voiced alveolar emphatic lateral

ع /9/ = a voiced pharyngeal fricative

3 – Vowels :

short: e i o u

long: ee ii oo uu

تحليل مقارن للتراكيب اللغوية للتلطف بين لهجتين عربيتين

نهى سليمان داود الشرفا

أستاذ اللغويات المساعد، قسم اللغات الأوروبية وآدابها

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز

جـــدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص. إن اللهجتين العربيتين اللتين تخضعان للتحليل اللغوي والمقارنة، وهما اللهجة الحجازية واللهجة الفلسطينية، تشهدان تشابهًا بينهما أكثر من الاختلاف فيما يتعلق بالاستخدامات اليومية في المحادثة. وتعتبر هذه الاختلافات البسيطة والتقارب الأكبر مسألة تقريبية أكثر منها حاسمة، وعلى العموم، فعندما يتداول الحجازيون لهجتهم لاستخدام التلطف الإيجابي، فإن الفلسطينيين في السياق المقابل يستخدمون كلاً من التلطف الايجابي والسلبي. ومن ناحية أخرى، فإن المتغيرات المتعلقة بالعمر والجنس ودرجة التعليم والمنزلة (الطبقة) الاجتماعية لمستخدمي اللغة في أي سياق للأوضاع الاجتماعية المختلفة، تلعب دورًا هامًا للغاية في تحديد درجة التلطف ولذلك يجب أخذها في الاعتبار.

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز : الآداب والعلوم الإنسانية ، م ١٠ ، ص ص ١ - ٣٧٦ عربية ، ص ص ١ - ٣٤ إنجليزية (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ردمد ٠٩٨٩ - ١٣١٩
رقم الإيداع ٠٢٩٤ / ١٤

مجلة جامعة الملك عبدالعزيز

الآداب والعلوم الإنسانية

المجلد ١٠

١٤١٧هـ

١٩٩٧م

مركز النشر العلمي
جامعة الملك عبدالعزيز
ص ب ١٥٤٠ - جدة ٢١٤٤١
المملكة العربية السعودية

JKAU: Arts and Humanities, **Vol. 10**, pp. 1-34 Eng., pp. 1-376 Arabic (1417 A.H. / 1997 A.D.) **ISSN : 1319-0989**
Legal Deposit 14/0294

Journal of
KING ABDULAZIZ UNIVERSITY
Arts and Humanities

Volume 10

1417 A.H.
1997 A.D.

Scientific Publishing Centre
King Abdulaziz University
P.O. Box 1540, Jeddah 21441
Saudi Arabia

المحتـــــويات

« القســـم العـــربي »

■ آثـــــار — صفحة

● نقوش عربية شمالية من الحَرَّة الأردنية .
سلطان عبد اللّه المعاني ٣

■ اجتمـــــاع

● الخصائص البنيوية للأسرة في جنوب الأردن - دراسة ميدانية للواء عي .
سليم القيسي و أحمد العموش ٢٥

■ إعــــــلام

● الرؤيا العربية للدور الأمريكي في قضية السلام العربي - الإسرائيلي - قراءة تحليلية في صحيفتي « عكاظ » السعودية و « الأهرام » القاهرية .
غازي زين عوض اللّه ٧٥

● أنماط التدخل الوالدي في تعرض الأبناء للتليفزيون - دراسة عبر ثقافية .
عارف عطاري ١٠٥

■ جغــــرافيــــا

● دور الصناعات البتركيماوية في التنمية الإقليمية في كل من المنطقة الشرقية ومنطقة المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية - دراسة تقويمية لتجربة مدينتي الجبيل وينبع الصناعيتين في ضوء نظرية قطب النمو .
محمد عبد الحميد مشخص ١٤٣

• نمط حياة شبه الاستقرار في منطقة التيسية ، منطقة حائل الإدارية : دراسة في الجغرافيا الاقتصادية عن التغير في استغلال الموارد ونظام الترحل في وظيفة الرعي البدوي .
محمد عبد الكريم علي حبيب ١٨٩

■ دراســـات إسلاميـــة

• بشارات من النبي صلى اللّه عليه وسلم - رؤية تاريخية للمستقبل (١١هـ - ٣٥هـ) .
فوزي محمد ساعاتي ٢٦١

• تخصيص أحد الوحيين بالآخر عند الأصوليين بين المانعين والمجوزين .
علي بن سعد الضويحي ٣١٧

﴿ القســـم الإنجلـــيزي ﴾

■ لغـــــة

• أفريقيا والأفريقيون في رواية هاريت بيتشر ستو حجرة العم توم (المستخلص العربي) .
عمر عبد اللّه باقبص ٢١

• تحليل مقارن للتراكيب اللغويه للتلطف بين لهجتين عربيتين (المستخلص العربي) .
نهى سليمان داود الشرفا ٣٤

Contents

English Section

Page

- Africa and Africans in Harriet Beecher Stowe's *Uncle Tom's Cabin*
  Omar Abdullah Bagabas 3
- A Contrastive Analysis of the Linguistic Politeness Forms between Two Dialects of Arabic
  Nuha Suleiman Daoud Al-Shuraf 23

Arabic Section

■ **Archaeology**

- New North Arabic Inscriptions from The Harra in Jordan (English Abstract)
  Sultan Abdullah Naoni 21

■ **Sociology**

- The Structural Characteristics of The Family in Southern Jordan: Field Study – Aiy District (English Abstract)
  Salim Ahmed Al Qaisi and Ahmed Falah Al-Omosh 72

■ **Mass Communication**

- The Arabic Vision of the American Role in the Issue of Mutual Peace between the Arabs and Israelis: An Analytical Study with Special Reference to "Okaz" and "Al-Ahram" (English Abstract)
  Ghazi Zain Awadallah 104
- Parental Mediation Patterns of Children's Television Viewing: A Cross-Cultural Study (English Abstract)
  Aref T.M. Atari 140

Page

■ **Geography**

- The Role of Petrochemical Industries in Regional Development in Eastern and Medina Districts in Saudi Arabia, An Evaluated Study of Yanbu and Jubail Project on Light of Growth Pole Theory (English Abstract)

  Mohammed A. Nishkhes 188

- The Rise of Semi-Sedentary Mode of Life in Al-Taysiy AH Area, Hail Governorate: A Study in Economic Geography of Changes in Natural Resources Use and System of Seasonal Movement in Pastoral Nomadism (English Abstract)
  Mohammad Abdul-Karim Habib 257

■ **Islamic Studies**

- Gold Tidinings by the Messenger, Peace and Blessing be Upon Him: A Historical Perspective for Future (11-35H) (English Abstract)
  Fawzi Mohammad, Saat 315

- Specializing One of the Two Inspirations with the other According to the Radicals whether Those Who Allow This or Those Who Do Not Allow It (English Abstract)
  Alin Bin Saad Bin Saleh Al-Dewaihi 376